

مَالكُ بنُ المرحَّل

أديبُ العُدْوَتين

604 هـ - 699 هـ

دراسة تحليلية في أخباره وآثاره

وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية

أ . د . محمد مسعود جبران

كلية الآداب - جامعة الفاتح

طرابلس الغرب - ليبيا


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

818,8092

م ح م ا

محمد مسعود جبران

مالك بن المرحل أديب العدوتين604-699هـ

دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية / محمد مسعود جبران.- أبوظبي: المجمع الثقافي 2005.

624 ص

ببليوجرافية: ص 587- 611

يشتمل على كشافات.

يشتمل على ملاحق.

1-ابن المرحل، أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن، 604-699 هـ

2- الأدب العربي - الأندلسي

3- الأدب العربي - المغرب - تاريخ ونقد.

أ- العنوان.



© المجمع الثقافي 1426 هـ 2005 م

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة

ص.ب: 2380- هاتف: 6215300

Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae

http:/www.cultural.org.ae

مَالكُ بنُ المرحَّل

أديبُ العُـدْوَتين

إهداء

أرفعُ هذا العملَ العلمي المتواضعَ - على كاهل الوفاءِ الخالصِ - تحيّة تقدير وإجلال إلى روح العالم الأديب الأستاذ عبدالله محمد الهوني أحد أعلام الدراسات الأندلسية ورواة أدبها، تستمطر لها وللذكريات المشرقة التي أسعدتنا في الدار الفانية شآبيب الرحمة والقبول من الله، ولله درُّ القائل في مثل قصر زمنها:

ومضى وخلّف في فؤادي لوعةً تركته موقوفاً على أوجاعه

لم استتمَّ سلامه لقدومه حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واللهَ تعالى - نسأل أن يجمع - بفضله وكرمه شملنا في مستقر عفوه ورضوانه؛ إنه سميع الدعاء.

أ. د محمد مسعود جبران



تقديم

*** بقلم الأستاذ الدكتور عبد الحميد عبدالله الهرّامة**

شهد القرن السابع الهجري في الأندلس أحداثا كبرى، زعزعت كيان دولته الإسلاميه، وسقطت فيها مدن كانت حواضر علم وأدب وسياسة، كقرطبة وإشبيلية، حتى لم يبق في النصف الثاني من القرن سوى غرناطة وماحولها، ورحل عن الأندلس أعلام في فنون شتى كانت تزهو بهم حواضرها، وتزخر بنتاجهم مكتباتها ومساجدها، ومع كل ذلك ظلت فيما بقي من انحائها بقية علم وأدب مثلها كبار علماء القرن السابع، من أمثال أبي علي الشلوبين النحوي، وعبد الرحمن بن بقي القاضي والمحدث، وابن الفحام المبرز في التجويد والحديث واللغة، وابن عسكر الفقيه، وغيرهم ممن ثقلت بهم نفوسهم عن الهجرة إلى خارج الأندلس، وفضلوا مواجهة الواقع على تقلباته الخطيرة، وانصرف كثير منهم إلى حياة الزهد أو التصوف، حتى صارت سمة مشتركة بين عدد كبير منهم، ومن غيرهم ممن دفعته ظروفه إلى الخروج عن الأندلس، ومثل الغاية في الزهد والتصوف ابن العربي والششتري وابن سبعين، ولايشذ عن هذه الحياة الزاهدة الجادة إلا عدد يسير، منهم أدباء إشبيلية قبل سقوطها، حين كانوا في ريعان شبابهم قد مالو إلى حياة لاهية، مثلها إبراهيم بن سهل ، وعلي بن سعيد ، وشاعرنا مالك بن المرحل وآخرون، كما كانت اللغة، والنحو منها على وجه الخصوص، ميزة ثقافية لعلماء القرن السابع الهجري، وكانت الريادة لأبي علي الشلوبين، وابن خروف، وابن عصفور، وابن مالك، واضرابهم ممن كانوا اساطين المدرسة الأندلسية، واستمر تأثيرهم إلى القرن الثامن ممثلاً في شخصية ابي حيان النحوي، وأبي جعفر الهواري وسواهما .

---

* رئيس قسم اللغة العربية السابق في كلية الدعوة الإسلامية بليبيا والخبير حاليا في المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم(الإيسسكو) في المغرب، وأحد البارزين من الباحثين في حقل الدراسات الأندلسية والمؤلفين والمحققين فيه، بالإضافة إلى جهوده البحثية في الدراسات الليبية والأدبية.

أما الأدب فكان، بالرغم من تأثره بالسياسة قوة وضعفا، يمتح من ماض عريق ماتزال آثاره شاهدة للعيان، فلم يجف، بعد، مداد ابن بسام، وابن خاقان، وأبناء سعيد في مؤلفاتهم التي دونوا فيها آثار أدباء الأندلس قبل القرن السابع في إعجاب وإطراء، فكان أدباء هذا القرن حريصين على السير على منوال من قبلهم، أو التفوق عليهم لينالوا من إعجاب الناس مانالـه أولئك، ويظهر ذلك أيضا في العناية بتاريخ الأدب في صنيع ابن الأبار وعلي بن سعيد، وفي العناية بالتراجم والتاريخ فيما فعله المراكشي وابن عذاري وابن عسكر وابن خميس وابن الزبير وغيرهم.

ومع ذلك فقد مثل هذا القرن بداية انقلاب حضاري، شرعت فيه شمس حضارة الأمة الإسلامية في الغروب لتبدأ شمس حضارة أخرى في الشروق، وقد آن للأمة الإسلامية، والعربية منها على وجه الخصوص، أن تستوعب العبر، وتستمد الدروس من عوامل السقوط وأسباب النهضة، حتى تقوم من غفوتها الطويلة، وتتأمل في طبيعة المراحل التي مهدت لها، والظروف الانتقالية بين الحالتين.

في هذه الظروف السياسية والعلمية ولد مالك بن المرحل مدة طفولته وشبابه قبل أن ينتقل إلى سبتة ثم إلى مراكش، وقد كتب عن تاريخ حياة هذا الأديب عدد من الكتاب والباحثين قديما وحديثا، ولكن ما يقدمه الثبت الأستاذ الدكتور محمد مسعود جبران في هذا الكتاب القيم، من تتبع دقيق لحياة الرجل، وتراثه، والحياة العامة في عصره، يجعل عمله أكمل وثيقة وأصحها عن أديب العدوتين وظروف حياته، وما يتصل بذلك من احداث عصره، فلقد استطاع هذا الباحث القدير أن يعرض في اسلوبه الشائق، ومنهجيته الراقية معلومات موثقة، واستنتاجات موفقة، جعلت شخصية مالك بن المرحل واضحة الأخبار والآثار، مع دراسة دقيقة لادبه جمعت بين الإمتاع والإفادة، وحوت من التفاصيل ما أحلها مكانة رفيعة لا غنى عنها لدارس الحقبة كلها في مجالات الشعر والنثر وتاريخ الأدب. وبذلك وضع المؤلف أمامنا وثيقة شاهدة على ذلك العصر، ممثلة لجوانب من أفكاره

وأدبه ولغته، تلك الوثيقة التي ستسهم بلا ريب في جلاء الصورة الكاملة لتاريخ الحياة الفكرية والعامة في مجتمع الأندلس والمغرب خلال القرن السابع الهجري.

وقلم هذا الأستاذ المحقق معروف بأسلوبه الرفيع، الجامع بين القوة والوضوح والجمال، وفكره الغني المتميز بالتنوع والأصالة والمنطقية.. بدا ذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة في التراجم، والتاريخ الثقافي، في ليبيا، والأندلس، والمغرب، وتونس، وغيرها من البلدان التي حظيت بكتابته عن تاريخها الثقافي والأدبي والسياسي، فضلا على إبداعات في ميداني الشعر والنثر والتأليف العلمي، مما يظهر بجلاء هذا النمط الرفيع من الكتاب المخلصين لعملهم العلمي في تواضع جم، وأصالة ظاهرة، وإتقان متواصل. وهي مكانة لم يتحصل عليها سهلة هينة، فهي نتيجة تمرس واطلاع ومثابرة عرف بها هذا القارئ الطلعة والباحث الثبت، ترفده أخلاق علمية رفيعة، وروح علمية جادة، وبيان فريد جمع فيه بين جماليات الأساليب القديمة والحديثة، متأثرا بحسنات مشاهير الكتاب والشعراء والعلماء الذين طالع أعمالهم منذ نعومة أظفاره، وقد عرف عنه أيام دراسته المبكرة حرصه على مقابلة العلماء الأعلام، وإجراء مقابلات معهم عرف بعضها طريقه إلى الصحف، وظل بعضها الآخر في ذاكرته، وهو مادفعه للكتابة عن الأعلام، وعلى الأخص منهم أعلام المغرب العربي.

وقد وجد هذا القلم المبدع مجال القول واسعا في الكتابة عن شخصية وأدب مالك بن المرحل، فأثمر مابين أيديكم من رحيق المحابر، وثمرات الدفاتر، عن مادة قمينة بالدرس، ونتائج جديرة بالاطلاع عليها، لم يأل كاتبها جهدا في تقديمها للقارئ في أسلوب سهل ممتنع، ومنهج سليم ومناسب، ورؤية واضحة لأهداف عمله وأبعاده.

نفع الله بهذا الكتاب قارئه وجعله ذخرا في صحائف كاتبه.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. عبد الحميد عبدالله الهرّامة

في الرباط - بالمغرب

شعبان١٤٢٣هـ

الرموز المستخدمة في الكتاب

تحق: تحقيق

خح: الخزانة الحسنية بالرباط(الملكية).

خص: الخزانة الصبيحية بسلا.

خع: الخزانة العامة بالرباط.

خف: خزانة علال الفاسي بالرباط.

س: السنة.

ع: العدد.

لاب: لا بلد.

لات: لا تاريخ.

لا مط: لا مطبعة.

مخط: مخطوط.

مخط(ص): مخطوط موطأة فصيح ثعلب بالخزانة الصبيحية.(31249-21171)

مخط ع(1) المعشرات بالخزانة العامة رقم د(3711)

مخط ع (2) المعشرات بالخزانة العامة.

مخط ن: مخطوط بخزانة محمد المنوني رقم395

مخطه مخطوط موطأة فصيح ثعلب - د. عبد الحميد الهرامة.

م. ن: المصدر أو المرجع نفسه.

المقدمة

الحمدُ للّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، ورضي اللّه عن آله البررة الأشراف، وأصحابه الغرِّ المحجّلين، ومن تبع هداه وسنته إلى يوم الدين. أما بعدُ: فإن هذا الكتاب «مالك بن المرحَّل أديب العُدوتين ـ 604 ـ 699هـ) دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية»، كان في الأصل بحثاً كتبته قبل ست سنوات استجابة لدعوة كريمة من كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيّدي محمد بن عبد الله بتطوان في المغرب الأقصى[1] وقد كنت حررّته أيامئذٍ على عجل لضيق الوقت تحت عنوان «نظرات في شاعرية مالك بن المرحَّل[2]» وشاركت به في أعمال ندوتها تحت عنوان «سبتة التاريخ والتراث[3]» مع يقيني بأنَّ المدة التي أبلغت فيها بالمشاركة لم تكن كافية لإنجازه، كما أن المصادر والمراجع لم تكن متوفرة لديّ.

وبالرغم من ذلك فقد حمدت اللّه على تسرّعي في الاستجابة لتلك الدعوة التي كان من حسناتها أن فتحت لاهتماماتي البحثية مجالاً فسيحاً مكنني من تجديد الصلة بالتراث الأندلسي الزاخر، كما هيأت لي فرصة ربط العلائق العلمية مع ثُلَّة من الباحثين المغاربة وغيرهم من الباحثين العرب في حقل الدراسات الأندلسية والمغربية.

(1) صارت هذه الجامعة تسمّى بعد ذلك جامعة عبد المالك السعدي.

(2) نشر ضمن أعمال الندوة في مجلة كلية الآداب ـ ع3 س3ـ 1410-1989-485-530.

(3) انعقدت الندوة في الفترة الواقعة 26 شعبان 1410/14 ابريل 1989ـ 28 شعبان 1410، 16 ابريل1989.

لقد أحسستُ منذ الشروع في تجميع مادة البحث وكتابته أيامئذٍ قلّة المادة الشعرية من إبداعات مالك ابن المرحَّل الذي طبقت شهرته ـ حسب روايات المراجع الكثيرة ـ الآفاق في زمنه القرن السابع الهجري وفيما تلاه من الأزمان.

وقد تآزرت أقوال الباحثين المتأخرين وآراؤهم على الحكم بأن ذخائره في المنظوم والمنثور التي أبدعها في العدوتين الأندلسية والمغربية ومنها ديوانه «الجوالات»[1] فضلاً على آثاره الكثيرة والمتنوعة الأخرى قد لعبت بها طوارق الحدثان، وأتلفتها في ظروف وأسباب متباينة ـ أيادي الزمان، فلم يصل إلينا منها بعد ذلك العهد العهيد الذي مرَّ على وفاته غريباً بمدينة فاس في أواخر القرن السابع الهجري إلا النزر اليسير، الذي استعنت ببعضه في صياغة بحثي المتعجّل.

وقد حفزني ذلك الإحساس ـ المتولّد عن التسليم بالقيمة الفنّية لإبداعات ابن المرحَّل، وعن الأسف لضياعها وتشتتها، وبخاصة بعد ضياع الأثر الباقي من مختارات شعره[2] إلى النهوض بواجب كنتُ قد رأيته من آكد الواجبات البحثية والدراسية في تجديد الصلة بالأندلس وتراثها النفيس، وهو تجميع ما يمكن أن يصل إليه جهدي من آثار هذا الأديب الذي راقني أن أسمّيه «أديب العدوتين» تنويهاً بتقلبه المثمر في العدوة الأندلسية التي شهدت ولادته ونشأته في مدنها العامرة «مالقة» و«إشبيلية» و«غرناطة» وغيرها، والعدوة المغربية التي رعت شبابه ورجولته في «سبتة» وشيخوخته في «مراكش» و«فاس» ارتأيت أن يتم هذا الجمع بعد فقدان أعيان الآثار إلا قلّة منها ـ من مختلف المصادر والمظان المخطوطة والمطبوعة التي عرضت لحياة هذا الأديب ولتراثه، ثم تصنيف الآثار التي توصّلت إليها تصنيفاً موضوعياً ومنهجياً وتقديمها لطالبيها باقة مجموعة موثقة بعد التمهيد لها بدراسة موسّعة تستقصي أخباره المتفرقة وتؤصل شعره ونثره في سياق حركة الأدب في القرن السابع الهجري الذي حفل ـ كما هو معروف ـ بالكثير من أساطين التفكير الديني والأدبي واللغوي في الغرب الإسلامي، والذي لا يزال ـ كما يجمع عدد غير قليل من الباحثين ـ في مسيس الحاجة إلى إماطة اللثام عن أبعاده الفكرية والمعرفية

---

(1) قمنا بتحقيق هذا الديوان، وسوف ينشر ضمن اصدارات دار المدار الاسلامي في طرابلس الغرب.

(2) أشار الأستاذ محمد العابد الفاسي بمناسبة عيد جامعة القرويين إلى أن ديوان مالك ابن المرحل كان معدوداً في مقتنيات المكتبة ثم ضاع وفقد.

بجمع نصوصه ووثائقه المختلفة، وإقامة دراسات منهجية معمّقة حولها، وحول شخصياتها وأعلامها.

لا مشاحّة في أن هذا القرن السابع الذي عرف في إطار المحيط السياسي بالأندلس ـ بكارثة حروب الاسترداد ـ كما تعرف في المراجع غير الإسلامية ـ قد شهد كوكبة من النابهين النبغاء من أعلام ذلك الوطن الذين اضطروا إلى الهجرة منه أمثال أبي الحسن حازم القرطاجني، وأبي عبد الله ابن الأبّار، وأبي علي بن سعيد، وابن سهل الإشبيلي، وابن الجنان، وابن أبي الربيع الإشبيلي، وأيضاً أديب العدوتين مالك بن المرحل الذي اعترف له أهل عصره بالنبوغ والتفوّق في علوم الآلة وعلوم المقاصد، وهناك غيرهم من النابهين الذين حظي بعضهم بدراسات وبحوث وتحقيقات لآثارهم، بينما ظلَّ آخرون منهم مغمورين مجهولين.

وعلى الرغم من اشتغالي خلال السنوات التي حُبّب إليَّ فيها جمع ما تبقّى من آثار الأديب مالك بن المرحلّ وتراثه بإنجاز أطروحتي في حقل الدراسات الأدبية الأندلسية لنيل دكتوراه الدولة تحت عنوان «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب ـ المضامين والخصائص الأسلوبية[1]» والتي أخذت الكثير من جهدي ووقتي، فقد أوجدتُ ـ بتوفيق اللّه تعالى ـ قدراً من التعادلية في النهوض بهذين العملين العلميين في زمن واحد، سار فيه الجهدان ـ بالرغم من صعابهما وضخامتهما ـ كفرسي رهان، إلى أن انتهيت بِعَدْوِهِما وضبحهما إلى غاية واحدة، هي غاية الاطمئنان لما بذل فيهما من عمل، أسأل اللّه تعالى أن ينفع به، وأن يثيب بفضله عليه.

ومن الإنصاف أن أقرّر هنا أن فرصة الإقامة في «المغرب الأقصى» والاستقرار في دياره مدّة خمس سنوات مفيدة اتسمت فيما اتسمت به بمؤانسة خزائنه العلمية العامرة مثل الخزانة الحسنية، والخزانة العامة بالرباط، والخزانة

---

(1) تم الدفاع عن هذه الأطروحة بمدرج الإدريسي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس من يوم 13-1-1997 ونالت ميزة حسن جداً (امتياز) من لجنة علمية مكونة من الدكتور محمد بن شريفه رئيساً والدكتور عباس الجراري مشرفاً ومقرراً والدكتور على لغزيوي عضواً، والدكتورة ثريا لهي عضواً مع تقارير سنمية في اعتمادها من الدكتورين: محمد مفتاح وعلال الغازي، وقد طبعت الأطروحة في دار المدار الاسلامي سنة2002.

الصبيحية بسلا، وخزانة القرويين بفاس، وغيرها من الخزائن الأخرى العامة والخاصة قد منحتني إمكانية تتبع قدر ليس بالقليل من المخطوطات التي احتفظت ببعض آثار ابن المرحّل[1] والمخطوطات الأخرى التي كنت أحسب أن له فيها قصائد أومقطعات أو أبياتاً[2].

كما أنني قد أفدت ـ خلال هذه الإقامة ـ من الأساتذة والزملاء الباحثين الفضلاء الذين أمدوني ببعض ما لديهم من مخطوطات ووثائق وإفادات، أخصُّ بالتنويه منهم الأستاذ العلاّمة محمد المنوني ـ رحمه الله ـ الذي أمدني مشكوراً بصورة من الأوراق المخطوطة التي تنفرد بها مكتبته العامرة والمشتملة من أعمال مالك بن المرحّل وآثاره على رسالته «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» وعلى المقامة النجدية أو الزهدية[3]، كما تصفها بعض المراجع ـ وعلى رسالته الإخوانية التي كتبها إلى الشيخين الأديبين أبي بكر الفخار[4] وأبي القاسم خلف القبتوري[5]،

---

(1) أثبتناها مع بياناتها في مسرد المصادر والمراجع.

(2) منها على سبيل المثال لا الحصر، في الخزانة الحسنية «تحفة الأريب ونزهة اللبيب» 3217-178)، رسائل موحدية (4752) حدائق الأزهار (4935) أبكار الأفكار في الأدبيات والأشعار (450) تأليف في الأدب (106) ترويح القلوب (4166) وكناش لأبي حامد الدمناتي (1952) اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار (9353) سلوان المطاع في عدوان الاتباع (6496-5841) مجموعة أشعار لمجهول (4303) مقيدات وأشعار منوعة (11067-9456) روض الآداب للمغربي. مجموعة رسائل أدبية وتاريخية (6082) مجموعات أشعار (10874-10262-10457) وفي الخزانة العامة.

(3) نشرت هذا المقامة النجدية محققة في مجلة «البحث العلمي» المغربية.

(4) نعته لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة 3-95 وحلاّه بقوله «الشيخ الأستاذ أبو بكر الفخار» وعدّه فيها من الشيوخ الفقهاء الأدباء البلغاء كما عدّه من شيوخ شيخه يحي أحمد بن هذيل الذي أخذ عنه العربية والأدب الإحاطة 4-390.

(5) هو أبو القاسم خلف عبد العزيز الغافقي القبتوري وصفه ابن رشيد السبتي في مخط «ملء الغيبة نسخة الأسكوريال نقلاً عن كتاب «رسائل ديوانية» من سبتة في العهد العزفي بأنه «بقيّة الكتاب وصدر أهل الآداب» الورقة، 16 ـ أ إلى 16 ـ ب وأن له «القدم والقديم والتقدم والرسوخ» مخط الأسكوريال رقم 1735 الورقة 45 ب ـ 146كما أثنى على شعره ونثره وفضائله القاسم بن يوسف التجيبي في« مستفاد الرحلة والاغتراب» وابن جابر الوادي آشي في برنامجه، وشمس الدين الذهبي في كتابه «المشتبه في أسماء الرجال»=

وتقع هذه الأوراق حسب ترقيمه، في خمس وثلاثين ورقة، لم تسلم لقدمها من التآكل والمحوِّ والانقطاع في الكثير من المواضع والدكتور علاّل الغازي الذي أمدني بصورة فوتوغرافية مأخوذة عن أصل مخطوطة خزانة الأسكوريال «رسالتان في الدوبيت» والأستاذ الباحث عبد العزيز الساوري الذي أمد الكتاب ببعض القصائد والمقطعات المثبتة تحت الأرقام (15) (22) (27) (50) (57) وأيضاً بما جاء متصلاً بابن المرحَّل في مخطوط «الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض» الذي أثبتناه في الملحق وبمصورة قصيدة مالك بن المرحَّل اللامية التي وقف عليها في خزانة سيدي عبد الجبار الفجيجي بفجيج تحت رقم (35) ولا أنسى أن أنوّه بفضل بلديي الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرّامة الذي زودني بمخطوط «موطأة الفصيح» لابن المرحَّل الذي جلبه من «مالي» وبمصوّرة من «مذكرات ابن الحاج النميري» بتحقيق المستشرق برمبير، والدكتور خليفة محمد بديري الذي أرسل إليّ من القاهرة ما وقف عليه من أثر المترجم في مخطوط «البدر السافر في أدب المسافر» للأدفوي.

وقد رأيت بعد بذل الوسع في تقصّي المظان لأجل الحصول على أكبر قدر من آثار الأديب في الصناعتين «الشعر والنثر» والذي استغرق زمناً ليس بالقصير أن المضيَّ في طريق هذا الجمع المجهول النهاية لا يقف عند حدّ طالما أن هذا التراث المرحَّلي غيرُ محدّد المعالم، وأن من الخير لهذا الكمِّ الذي جمعته وانتهيت إليه أن أضع له ـ ولو مؤقتاً حدّاً ـ وأن أنشره مجموعاً محققاً حسبما انتهى إليه جهدي ليفيد منه الباحثون في طبائع أدب القرن السابع الهجري وفكره وأعلامه في الغرب الإسلامي، ولتتوسع ببعض معطياته في هذا التراث الذي جمعته، وفي مسير الحركة الفكّرية والأدبية في المغرب الإسلامي

=وخليل بن أيبك الصفدي في «الوافي بالوفيات» ووصفه ابن الخطيب في الإحاطة 3-210 بقوله «الكاتب الناسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري» وعدّه فيها 3-164 من جملة شيوخ محمد بن جابر الوادي آشي تلميذ ابن المرحّل كما سيأتي. وقد كتب الدكتور محمد الحبيب الهيلة ترجمه دقيقة لأبي القاسم هذا استمدها من المصادر التي عاصر أصحابها الرجل ومن مصادر أخرى ألفت بعد وفاته. راجع رسائل ديوانية 18-51.

إبّان القرن المذكور، وليفسح من بعد المجال لمن يريد الإضافة والإثراء بالنصوص المنظومة والمنثورة التي لم يشتمل عليها هذا المجموع أو العمل.

وما من بدٍّ في أن يصل جهدُ أيِّ باحث ينهض بعبء جمع آثار أدبية لأديب كابن المرحَّل ضاعت آثاره، وتوزّعت أخباره ـ بعد إنفاق مرحلة غير قصيرة من التقصّي إلى مثل هذا الموقف الذي انتهيت إليه وهذا حظ جَدٍّ من المبناة.

لذلك رضيتُ ـ انطلاقاً من تلك المُسلّمة التي لا يمكن أن يختلف حولها باحثان جادان ـ بنشر النصوص الشعرية والنثرية لأديب العدوتين، مدعمّة بالدراسة الممهّدة المستقصية بالتوثيق وفاق خطة منهجية يأتي بيانها بعد قليل.

وحقيق بالذكر ـ بعد ذلك البيان أن نشير إلى حقيقة لا معدى عن ذكرها وهي أن العناية بمالك بن المرحَّل ودراسة آثاره المعروفة قد تأكدت وتعدّدت في النصف الأخير من هذا القرن ـ عبر مقالات وبحوث حرّة ودراسات وتحقيقات جامعية، بدءاً بماكتبه الأستاذ عبد الله كنون عنه في كتابه «النبوغ المغربي في الأدب العربي» وفي غيره[1]، ومروراً بما حررّه الأستاذ محمد الفاسي في بحثه «الشاعر مالك بن المرحَّل» وانتهاء بما صدر بعدهما من بحوث وأعمال مثل تحقيقات الباحث العراقي هلال ناجي لـ «المعشرات النبويّة» و«رسالتان في الدوبيت» لابن المرحَّل، وما قدّم به لعمليه من ترجمة للمؤلف ودراسة لآثاره، و«مالك بن المرحَّل «لمحمد العلمي»، و«مالك بن المرحَّل» لعبد الرحمن الزياني و«مالك بن المرحَّل حياته وشعره» لنجيب الجبّاري، و«الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الأخرى» دراسة وتحقيق ربيعة بنويس أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا، و«مالك بن المرحَّل أديباً» لرزقي جميلة أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا، وقد كان بحثي الذي أسهمت به في ندوة «سبتة التاريخ والتراث»، وهو أصل هذا الكتاب كما أسلفنا أحد مراجع هاتين الأطروحتين الجامعيتين، ومن البواعث المهمّة التي حفزتني لنشر عملي هذا وإصداره بالرغم من كثرة تلك البحوث وتعددها والدراسات التي عنيت بمالك بن المرحَّل وتراثه وأهميتها، اعتقادي أنه استطاع أن يبني ويؤسّس للأديب ترجمة دقيقة ومفصّلة وموثقة، وقد

---

(1) مثل كتابته عنه في حلقة من حلقات ذكريات مشاهير المغرب رقم (9) وهي سلسلة التراجم التي تناول فيها أعلام العدوة المغربية، ونوّه بعلومهم وآثارهم.

شكا عددٌ من الباحثين من قبلُ من عدم اكتمال صورتها، ومن قلّة أخبارها ومن ندرة الأحداث البارزة في مساقاتها[1]، قال الدكتور محمد بن أحمد بن شقرون: «وبالرغم من كون اسمه ظلّ لامعاً ومتصدراً في ميدان الأدب على العموم في هذا العصر، فإن الذين كتبوا عنه أو ترجموا له لم يعنوا غالباً بهذه الناحية من شخصية مترجمنا، رغم كونها تشكّل عنصراً هاماً من عناصر البحث الذي يقوم عليه الموضوع، فشخصية الأديب، وحالته النفسية ومزاجه، وطبعه وذهنيته، ومدى تفاعله مع بيئته، كلُّ ذلك من العوامل التي لا يمكن إغفالها[2]» كذلك من البواعث الحافزة على نشره أنه قام على العناية بجمع نصوصه الأدبية الشعرية والنثرية المعروفة وغير المعروفة مما لم يطلع عليه الباحثون والدارسون المذكورون، مع تحليلها تحليلاً موضوعياً على مستويي المضمون والشكل، والاستئناس بهذا الكمّ الإبداعي في المنظوم والمنثور المعروف والمجهول، وبتحليله الموضوعي في بناء ترجمته والوصول إلى النتائج الدقيقة في تقويم نتاجه.

أخلص بعد ذلك إلى ذكر البناء الهيكلي المعتمد والمختار في تركيب هذا الكتاب وإنجازه.

لقد كسرتُ الكتابَ منهجياً على ثلاثة أبواب رئيسة:

الباب الأول: خُصّص للمهاد التاريخي أو لدراسة الحياة العامة في العدوتين الأندلسية والمغربية وللحياة الخاصة للمترجم به، وقد تكوّن هذا الباب من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تناولت فيه الحياة العامة من النواحي الاجتماعية والسياسية والفكرية في العدوتين إبّان القرن السابع الهجري عصر الأديب.

ودرستُ في الفصل الثاني ترجمة الأديب وأخباره في مدن الأندلس «مالقة» و«إشبيلية» و«غرناطة» ثم في مدن المغرب الأقصى «سبتة» و«فاس» ومراكش وعرضت خلال ذلك لأطواره وتقلباته ولذكر شيوخه، وخُصّص الفصل الثالث من هذا الباب للحديث عن ملامح ثقافته وفكره من خلال الأثر الذي تركه في تلاميذه المعروفين، ومن خلال طبائع مؤلفاته المفقودة والموجودة التي استقصيناها وعرفنا أسماءها من المصادر الكثيرة.

---

(1) مظاهر الثقافة المغربية 58، 59 .

(2) مظاهر الثقافة المغربية 59.

وتضمّن الباب الثاني المعنون بـ «دراسة في آثاره الأدبية» فصلين:

الفصل الأول: ألقيت فيه نظرات تحليلية ونقدية فيما تبقى من أشعاره ومنظوماته في مبحثين:

المبحث الأول: درست فيه المضامين وهي ـ كما وردت في التحقيق على هذا الترتيب:

1 ـ النسيب والتشبيب.

2 ـ الوصف.

3 ـ الفخر والمدح.

4 ـ الهجاء.

5 ـ شعر الجهاد.

6 ـ الزهد والحكمة والأمداح النبوية.

7 ـ الشعر والنظم التعليمي.

المبحث الثاني: وقد درستُ فيه الأشكال وذلك من خلال هذه المحاور أو البُنَى الآتية:

أولاً: البنية الموسيقية ـ وتمّت فيها دراسة هيكلية النصوص، وأيضاً الموسيقا الخارجية والداخلية لها.

ثانياً: البنية اللغوية، وعرضنا فيها للروافد التي أمدّت لغته، ومستوى الوضوح والغموض فيها.

ثالثاً: البنية البلاغية، وجلونا ما ضمتها الجوانب الجمالية من خلال تصويره البياني وتصويره البديعي.

أما الفصل الثاني من هذا الباب، فقد وجهت فيه نظرات نقدية تحليلية مماثلة فيما تبقى من نصوصه النثرية من خلال مبحثين هما:

المبحث الأول: دراسة الرسائل والمقامة النجدية.

المبحث الآخر: دراسة في فن النقد والمناظرة.

أما الباب الثالث والأخير من هذه الهيكلية التي بني عليها الكتاب، والمخصّص لتحقيق ما تبقى من آثار أديب العدوتين في فنّي المنظوم والمنثور، فقد كسرته على فصلين:

الفصل الأول: لتحقيق الأشعار والمنظومات بعد توزيعها على أغراضها التقليدية المحدّدة حسبما تقدّم، وقد التزمنا في عرض نصوصها ما يلي:

1 ـ ترتيب الأبيات والمقطعات والنتف والقصائد حسب نظام ألفبائية القوافي، وأيضاً حسب الكمّ في عدد الأبيات، فالبيت المفرد أولاً تليه المقطعات ثم القصائد الأقل فالأكثر عدداً في الأبيات:

2 ـ وضع رقم تراتبي تسلسلي لتلك النصوص في أعلى الصفحة مع ترقيم الأبيات الواردة تحتها:

3 ـ تمهيد موجز للنص.

4 ـ ذكر بحر كلٍّ نص.

5 ـ النص أو المدوّنه.

6 ـ هامش التخريجات والمقابلات.

7 ـ هامش التعليقات وشروح الغوامض.

الفصل الثاني: لتحقيق الأصول النثرية الباقية من آثاره، وقد أثبت فيه النصوص التالية:

1 ـ المقامة النجديّة.

2 ـ رسالة إخوانية.

3 ـ رسالة مزاوجة.

4 ـ مناظرته ابن أبي الربيع.

5 ـ رسالتان في عروض الدوبيت.

وقد سبق كل نصٍّ نثري ـ مثل النصوص الشعرية برقمه التسلسلي في التحقيق، مع تمهيد موجز ثم ذكر المدوّنة النثرية مصحوبة بهامش يشكل التخريجات والمقابلات، والتعليقات.

والذي يجب تأكيده أنني لم أثبت في هذا الكتاب سواءً أكان في الدراسة أم في التحقيق إلا النصوص الصحيحة الموثّقة، والمعلومات الدقيقة مع الالتزام بإعمال الرأي

فيما يُعرض، وقد أتبعت الأبواب الثلاثة بمسرد الفهارس الفنّية المتنوّعة (الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأمثال، والأشعار، والأعلام، والأماكن، والشواهد النصّية: والمصادر والمراجع) تيسيراً لإفادة القارىء من هذا الكتاب.

وآمل أن يهتدي القارىء الكريم بعد ذلك إلى ما بذلناه فيه من جهد مضنٍ نحب أن نتواضع به، ونحتسب أجرَه عند اللّه، وأن يقف على ما توصلنا إليه من نتائج نتمنى على اللّه أن تكون قيّمة ومفيدة على مستوى تأصيل الدراسة وأيضاً على مستوى تأصيل التحقيق، فنرد بهذا العمل الاعتبار لهذا الأديب الكبير الذي «بُخِس وزنه واقتحم حماه، وساءت بمحاسنه القالة» كما ذكر ابن الخطيب الذي كان به معجباً.

وأعود ـ بعد هذا التقديم والتمهيد الموضّح لأبعاد العمل وآفاقه، والجهد المبذول فيه، فأجدّد الشكر الوافر لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان ممثلة في العالمين الجليلين الدكتور محمد الكتاني قيدوم الكلية الأسبق، والدكتور حسن الوراكلي رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها السابق على تلك الدعوة الكريمة التي قدحت زناد فكرة إخراج هذا الكتاب على هذه الصورة التي آمل أن تكون مساهمة إيجابية في كتابة تأريخ الحياة الفكرية وأعلامها البارزين في الغرب الإسلامي وتأطيرها، لتنضاف إلى الجهود البحثية السابقة: وللعلماء الأجلاء الذين تفضلوا ـ كما ذكرت ـ بمدٍّ يد المساعدة إلى هذا العمل، واخص بالتجلة صديقي الاديب ذا العلم السني، والخلق الرضي، الاستاذ الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة الذي احاطني في تقديمه النفيس بفيوضات وجدانه المغدق وبلاغة بيانه المشرق وهو ما سوف يظل متعلق رجائي وفخري، ولايفوتني التنويه بالدكتور صلاح المبروك الصفتي الذي راجع بعضه، وأشيد في الختام بقسم النشر بدار الكتب الوطنية ـ المجمع الثقافي في أبو ظبي لاعتمادها هذا المؤلف ضمن مطبوعاتها القيمة في السلسلة الأندلسية التي نتمنى لها الازدهار والانتشار، وأثني ثناء خالصاً على الأستاذ الفاضل جمعة عبد الله القبيسي والأستاذ عادل عسكر العبيدلي اللذين طوقا هذا الجهد بلطفهما، والحمد لله ربّ العالمين.

الدكتور محمد مسعود جبران

الأستاذ المشارك في جامعة الفاتح

المغرب ـ رباط الفتح في:

12 ربيع الأول 1417 هـ.

الباب الأول

المهاد التأريخي



الفصل الأول

الحياة العامة

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية:

تواشجت في تكوين البنية الاجتماعية في العدوتين خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، العديد من العناصر المادية والمعنوية، ومن السلالات والأعراق والأجذام، وقد تمازجت هذه العناصر مجتمعة لتتمظهر بها التركيبة السكانية، التي كان لها دورها الفعال والبارز في العصرين الموحدّي والمريني، وفي الحضارة التي شهدتها العدوتان على حدٍّ سواء، بل كان لها انعكاسها السلبي المباشر على هذه الحضارة ومظاهر العمران في بعض الأحيان.

ومن أبرز هذه العناصر التي ساهمت في تكوين البنية الاجتماعية العنصر البربري المعدود في - جُلِّ المراجع - العنصر السلالي القديم في هذا الإطار الجغرافي، والذي يُشكّل أيضاً الأغلبية المتعايشة في هذه البنية أو الهيكلية الاجتماعية خلال هذا القرن[1]، وقد قيل في أصول هذه السلالة «إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام» وقيل إنهم ينسبون إلى حمير، وقيل أيضاً بل ينسبون إلى برّ بن قيس عيلان[2].

وقد ذكر العُمري في مسالك الأبصار هذا الاختلاف في مرجع نسبهم فقال «وأما البربر فقد اختلف فيهم اختلافاً كثيراً، فقيل إنهم من ولد فارق بن بيصر بن حازم، والبربر يزعمون أنهم من ولد قيس بن عيلان، وصنهاجة من البربر يزعمون أنهم من ولد إفريقيش بن صيفي الحميري[3]».

---

(1) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 2-89-92.

(2) جمهرة أنساب العرب: 461، الذخيرة السنية: 14,13.

(3) مسالك الأبصار 14ق 2-223.

وقد مال المؤرخ المغربي عبد الرحمن بن زيدان من المحدثين إلى القول إنهم من ذرية كنعان، وأنهم قصدوا المغرب لما قتل ملكهم جالوت الفلسطيني[1].

أما مترجَمُنا مالك بن المرحَّل فقد مال في مباحثه التاريخية التي اعتمدها عبد الرحمن بن خلدون في كتابه (العبر) إلى إرجاع الجذم البربري إلى الأصول العربيّة حيث قال في معرض حديثه عن البربر: « وقال مالك بن المرحَّل: «البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام، ولغطوا فسماهم أفريقش البربر لكثرة كلامهم[2]».

ومن المعروف أن هذا العنصر كان مُوزعاً في قبائل وأماكن جغرافية كثيرة، مثل قبائل صنهاجة ولمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة والمصامدة وغيرها[3]، ومن المعروف أيضاً أن كثيراً من هذه القبائل شاركت في الجهاد والفتوحات وانضمت إلى زحوف المجاهدين في الأندلس، بل أسست في فترات من التاريخ دولاً وممالك فيها[4].

أما العنصر العربي، فهو ما كان صريح النسبة والصليبة إلى شبه الجزيرة العربية، وتحقّق قدومه منها بعد الإسلام عندما تمازج مع تلك القبائل المذكورة خلال فتوحات وهجرات مختلفة عبر التاريخ، كان أقدمها ما جاء مع موسى بن نصير في أواخر سنة (86هـ / 705م)[5] ثم قويت وتأكّدت بقيام دولة الأدراسة في فاس سنة (172هـ/ 788م)[6] والتي أغرت جموعاً من العرب وشجعتهم على الإقامة

---

(1) إتحاف أعلام الناس 1-62.

(2) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر 6-152.

(3) راجع كتاب العبر 6-152، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 317. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس 294-301.

(4) المراجع المذكورة.

(5) العبر 6:20, 110.

(6) المغرب عبر التاريخ، الموسوعة المغربية 2-312 الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس 307.

فيها، حينما اتخذت منهم الوزراء والكبراء والكتّاب، وساعدت على اختلاطهم بالسكان الأصليين، وانصهارهم فيهم[1].

ثم نما هذا الامتزاج في القرن الخامس الهجري بالهجرة الهلالية العربية التي دخلت الشمال الإفريقي بعامّة، المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ومعها عدد من القبائل العربية الأخرى مثل بني سليم وطوائف من جشم والمعقل والخلط[2].

وقد كان مظهر مشاركة هذا العنصر فعالاً وعميقاً في مسير الحياة الاجتماعية والسياسية من لدن الفتوحات ممثلاً في نشر اللغة العربية والإسلام، واستمر على هذا التأثير في هذا التبشير، بل في الحكم والسياسة إلى عهد دولة بني مرين التي أدركها مترجمنا خلا فترات قصيرة من التاريخ خبا فيها تأثيره، وقلت فاعليته[3].

وقد دلّنا مالك بن المرحَّل ـ على الرغم من أنه مصمودي ـ في رسالته المسمّاة الرمي بالحصا على انتماء أصوله إلى هذا العنصر العربي، وألمح إلى مجيء أجداده من نجد في وثيقة لم يشر إليها الدارسون من قبل[4].

كذلك امتزجت بهذه السلالة المذكورة التي كان لها الغلبة والتأثير في الحكم والسياسة والفكر عناصر عرقية ومذهبية أخرى، كان لها حضورها في الحياة العامة بالعدوتين، نذكر منها أهل السودان، والصقالبة والروم، واليهود، والغزّ بله القوط[5].

فقد استعان المرابطون بأهل السودان في تكوين جيوشهم، وفي تسيير حملاتهم العسكرية، عندما استخدم منهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ما يبلغ الألفين في حرسه الخاص، واستزاد منهم ابنه علي بن يوسف في تجهيز حملته على الأندلس، وصنع صنيعه الموحدون من بعد في الاعتماد عليهم في الفتوحات

(1) مظاهر الثقافة المغربية: 29-32.

(2) المغرب عبر التاريخ 2-123 الموسوعة المغربية 2-312-313.

(3) تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني: 317-318.

(4) مخط (ن) والضرب بالعصا: الورقة 5.

(5) المغرب عبر التاريخ 2:123-127. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس 322 راجع الموسوعة المغربية.

وفي غيرها من الأعمال والمهمات، ونحسب أن الذين يذكرون في تحديد زمن صلة هذا العنصر بالعدوتين عهد المرابطين والموحدين من بعدهم يتجنون عليه أشد الجناية، فثمة قرائن متعدّدة تدل على استحكام الوشائج بين السودان والعدوتين منذ تاريخ قديم سابق للتاريخ المذكور.

أما الصقالبة والروم والسكان الأصليون في شبه جزيرة أيبيريا، فقد كانت صلة العرب والبربر ومن كان في جيوشهم من السودان بهم متزامنة مع زمن الفتوحات في الأندلس، فقد دخل الفاتحون هذه البلاد لنشر الإسلام، وبث العربية، وتوسيع دائرة الملك وإنقاذ المفتوحين من الجهالة، وجاء الكثير منهم كما يذكر المؤرخون ـ دون أن يصحبوا زوجاتهم معهم فاقترن جلُّهم بالروميات والصقلبيات والغليسيات وأنجبوا منهن، وأسسوا بيوتاً ومصاهرات، وقويت بذلك العلائق بين الفاتحين والسكان الأصليين، ثم اتسعت الصلة بعد ذلك ـ بالروم والصقالبة عبر الحروب والأسر فاستخدموهم في الجيوش، واستعين بهم في الإدارات والمؤسسات عبر تاريخ المسلمين في الأندلس، وتقلّد بعضهم المناصب والمهام المتقدمة في العدوتين، وكان لعاداتهم وتقاليدهم صداها الملموس في الحياة الاجتماعية[1] على النحو الذي برز به أثر اليهود من أهل الذمّة[2]، فقد استفادوا من تسامح الإسلام، وتوغلوا في حياة المسلمين توغلاً لم يحجبهم عن المشاركة الحقيقية في حياة القصور وفي الحياة اليومية[3]، ولئن قلَّ عددهم في عهد الدولة الموحّدية بالمغرب، فإن ظهورهم من جديد إلى مسرح الحياة العامة في العدوتين بدا واضحاً خلال دولة بني مرين وما تلاه من عهود.

أما العنصر الأخير الذي دلَّت المراجع على وجوده في البنية الاجتماعية في العدوتين خلال القرن السابع فهو المعروف بالغز، وقد يشار إليه في مظان بالأغزاز «وهم جنس من الترك، بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين[4]».

---

(1) راجع تاريخ النصارى في الأندلس والقطوف الدواني في التاريخ الاسباني.

(2) الاستقصاء 150:2. المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المرني 319-318.

(3) مظاهر الثقافة المغربية: 38-43.

(4) الأنيس المطرب 40,2 المعجب: 256-288 المغرب عبر التاريخ 233:1، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: 325.

ظهرت الاستعانة بهذا العنصر بقلّة في عهد المرابطين ثم كثروا في عهد الدولة الموحّدية، التي أخذ بعض سلاطينها وهو المنصور الموحدي في استجلابهم وإكرامهم بزيادة المرتبات والإقطاعات والكثير من الإغراءات بدعوى أنهم غرباء لا شيء لهم في البلاد يرجعون إليه(1).

ومما تميّز به الغزُّ من غيرهم من السكان في العدوتين أنهم كانوا يضفرون شعورهم كالنساء(2)، وفي شعر مالك بن المرحَّل الغزلي - مما نرجح أنه قاله في شبابه بالأندلس - أبيات تشبيب فيمن لوى ضفيرته.

يتضح من ذلك الذي ذكرناه أن العهد الذي عاشه المترجم به في أخريات الدولة الموحّدية والعهد الأول من الدولة المرينية كان عهداً مستقراً متوافقاً من الناحية الاجتماعية، إلا ما كان من أمر السكان الأصليين الإسبان من انتقاض العهود، وعملهم على الخروج على المسلمين في الحملة المسعورة التي سُمّيت بحروب الاسترداد، والتي سقطت بها جملة من المدن الأندلسية.

أما من الناحية الاقتصادية - ذات الصلة المباشرة - بالحياة الاجتماعية، فقد شهدت المرحلة التي عاشها مترجَمُنا وبخاصة في المغرب رخاءً واسعاً بفضل ما رعت به الدولة الزراعة والصناعة، ونشطت - نتيجة لذلك - تجارة المغرب مع الخارج، وشهد ميناء سبتة حركة السفن تحمل الصادرات والواردات من البندقية وإليها، وكذلك جنوة ومرسيليا ومونتبليون وغيرها(3)، وكان لهذا الرخاء أثره البارز على ازدهار العمران، وتأسيس البناءات المختلفة من قصور ودور ومساجد ومدارس في العدوتين مما لا نزال نشاهد آثاره شاخصة إلى اليوم.

ولا غرابة بعد ذلك في أن تتسم الحياة الاجتماعية بالترف والرفاهية، في المأكل والملبس وفي انتشار المتنزهات ومجالس اللهو والغناء.

(1) المعجب: 289، تاريخ المغرب، الإسلامي والأندلس في العصر المريني: 318.

(2) تاريخ المغرب الإسلامي: 318، التشوف: 348.

(3) المغرب عبر التاريخ 2-128-129 تاريخ المغرب الإسلامي في الأندلس في العصر المريني: 277-299.

المبحث الثاني: الحياة السياسية:

عاش ابن المرحّل كلَّ سنيِّ عمره الطويل في القرن السابع الهجري، وقد اقترنت عقود هذا القرن التسعة من حياته ببداية النهاية لدولة الموحدين التي اضمحلت فعلياً في الربع الأول من هذا القرن[1]، وكان اضمحلالها سبباً مباشراً في سقوط المدن الأندلسية، وغلبة النصارى على ديار المسلمين من جهة[2]، ومن جهة أخرى كان زوال هذه الدولة إيذاناً بقيام دولة جديدة أخرى على أنقاضها هي الدولة المرينية التي تألّق نجمها في أفق المغرب في سنة[3] (610 هـ/ 1213 م)، وامتد شعاعه فيما بعد ليشمل شمال أفريقيا والأندلس، كما كان سقوط الدولة الموحّدية سبباً في انفصال الدولة الحفصيّة في تونس سنة[4] (625 هـ/ 1227 /)، ثم ظهور دولة بني عبد الواد في تلمسان بعد ذلك في حدود سنة[5] (631 هـ/ 1233 م).

في العقود الأولى من هذا القرن الذي عاشه مترجمنا شهدت بلاده الأندلس تقهقراً سياسياً رهيباً، واندحاراً عسكرياً فظيعاً، نتج عنه السقوط المتتابع للمدائن الأندلسية الكثيرة الواحدة تلو الأخرى، فكان العامل الفعلي لذهاب ريح المسلمين في الأندلس، وللهجرة المكثّفة من تلك العدوة إلى العدوة المغربية، وتعرض من بقي من المسلمين إلى كارثة التنصير والمسخ بعد ذلك[6].

فقد سقطت جزيرة ميورقة عام (627هـ/ 1230م) وسقطت قرطبة عام (633هـ/ 1236م) وانهارت بلنسية بعد ذلك بثلاث سنوات عام (636هـ/ 1238م) وجيّان عام (643هـ/ 1245م) وشاطبة عام (644هـ/ 1246م) أعقبتها مرسية عام[7] (644هـ/

---

(1) العبر 7-169، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين 2-153-155 تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني: 10-36.
(2) راجع المراجع السابقة.
(3) الذخيرة السنية: 24، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 9.
(4) راجع اعمال الاعلام ج 2العبر. تاريخ افريقية في العهد الحفصي 1: السلطنة الحفصية.
(5) أعمال الاعلام ج 2 بغية الرواد: مقدمة عبد الحميد حاجيات.
(6) راجع: «تاريخ المغرب في العصر الإسلامي» «موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها».
(7) التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: 468. مجلة كلية الآداب بتطوان س3ع3د ابراهيم حركات «إمارة بني العزفي وأوضاع سبتة أيام حكمهم».

1265م) وقد أشار مالك بن المرحَّل في النص (85) إلى هذا التردي الذي أصاب مسلمي الأندلس، كما أشار إلى سقوط بعض المدن الإسلامية في بلاده.

وهكذا يتضح أن القرن السابع الذي عاشه كان يمثل في العدوة الأندلسية مرحلة انهيار وسقوط.

وما من شك في أن مترجَمَنا قد عاش ـ كما سيتبين في ترجمته ـ هذه الظروف السياسية والتاريخية القلقة والمضطربة في مطلع حياته قبل أن يرحل ويهاجر إلى العدوة المغربية، حيث نزل في البدء في مدينة سبتة، ثم ألقى عصا التسيار بمدينة فاس.

وقد عانت سبتة هي الأخرى موْجة كاسحة من الفوضى والاضطراب إبّان عهد العادل ابن المنصور الموحدي الذي عيّن ابن برجان حاكماً على سبتة فأرهقها بجوره واستبداده مما أدى إلى قتله الذي تزامن في ذلك الظرف مع اعتلاء أبي العلاء إدريس بن منصور كرسي الحكم في إشبيلية، فأبصر أهل سبتة في ذلك الاعتلاء فرصة سانحة للخروج من الفوضى التي لابست حياتهم، وحياة مدينتهم سبتة، وسارعوا إلى مبايعته، والانضمام تحت لوائه[1].

وقد جاز أبو العلاء هذا البحر، ودخل سبتة في نحو سنة (626 هـ/ 1228 م) لإبداء الارتياح لأهل سبتة وللتوجه بعد ذلك إلى مراكش للفتك بالخليفة يحي بن ناصر مستخلفاً أخاه أبا موسى بن منصور على سبتة، بيد أنه لم يمض طويل وقت على مغادرته سبتة حتى نصب أبو موسى نفسه خليفة على سبتة، وتلقب بالمؤيّد، فدعا هذا الفعل أبا العلاء إلى العودة من وجهته إلى مراكش، وإلى العمل على القضاء على خلافة أخيه، فشنّ الغارات عليه وعلى من انحاز إليه من أهل سبتة[2]، فلمّا فكّ الحصار على سبتة سارع أبو موسى إلى الأندلس متوجهاً إلى ابن هود الذي كان يرسل إليه

---

(1) تاريخ سبتة: 78، التاريخ المغربي لمدينة سبتة: 81

(2) تاريخ سبتة 76 ـ 81.

بالمؤن والعتاد وقت الحصار[1] وربما كان الموعز اليه بفكرة الاستخلاف، ويبدو أن خلافاً قد نشب بين ابن هود وبين أبي موسى أفضى إلى استبعاد أبي موسى عن حكم سبتة، وعهد بها إلى نائبه الغشتي، فظلَّ بها هذا الأخير فترة قصيرة إلى أن ثار السبتيون عليه، ففر ناجياً بجلده[2] وبفراره قدر لمدينة سبتة الدخول في طور سياسي جديد أنفذ أمورها فيه بعض رجالاتها نذكر منهم في هذا السياق:

1 ـ أبا العباس أحمد البياسي اليانشتي الذي كان من أعيان المدينة، وفي طليعة تجارها الموسرين، وقد حكم أبو العباس الذي تلقّب إبّان حكمه بالموفق بالله سبتة مدّة خمس سنوات تقريباً (630/ 635هـ) أقيل بعدها من الأهالي الذين سارعوا إلى مبايعة الرشيد الموحدي الذي عيّن لهم أبا علي الحسن بن خلاص والياً[3] وسوف نجد لأديبنا ما يشي بصلته بهذا الوالي، وتفاعلهم معه.

وذكر المؤرخون أن أبا العباس قد أحسن السيرة والصنيع في جلِّ سنوات حكمه التي أكرم في خلالها العلماء وشيوخ العلم، وعدل بين الرعية، وضبط شؤون البلاد، وتصدّى بحزم لمطامع النصارى[4]، كما أن الرئيس أبا علي بن خلاص الذي ولاّه الرشيد الموحدي على سبتة في حدود سنة (637هـ/ 1239م) بعد مبايعة أهل سبتة الموحدين وخلعهم أبا العباس اليانشتي سار ـ كما تذكر المظان التاريخية سيرة محمودة في الحكم والرئاسة، فقد أحسن هو الآخر ـ معاشرة العلماء، وأغدق عليهم من برّه، وضمّ طائفة إلى مجالسه، فكان ابراهيم بن سهل الإشبيلي صديق مالك بن المرحَّل مترجَمِنا شاعره وذا حظوة كبيرة عنده، كما كان موضع مدح الأديبة سارّة الحلبية، ولم يقتصر تشجيع ابن خلاص للحياة الثقافية في سبتة على تقريب من ذكرنا من الأدباء فحسب، بل نجده يشمل بتقديره جمعاً من العلماء منهم محمد بن محمد الأنصاري المشهور بابن الجنّان[5]، وابن المرحَّل نفسه.

---

(1) تاريخ سبتة 76-81.

(2) التاريخ المغربي لمدينة سبتة 181.

(3) تاريخ سبتة: 101-107، التاريخ المغربي: 37.

(4) م.ن: 101-107، م.ن: 183.

(5) الحياة العلمية بسبتة 39.

وقد ظلّ ابن خلاص يحكم مدينة سبتة بهذا المسلك المحمود، وفي تبعيّة دولة الموحدين التي عيّنه زعيمها الرشيد والياً إلى أن توفي الرشيد وتولّى بعده الحكم السعيد سنة (640هـ/ 1242م) هنالك رأى ابن خلاص كما رأى السبتيون الفرصة مواتية للتنصّل من هذه التبعية، فاستقل ابن خلاص بالحكم عن الموحدين، ودام له الأمر حيث استقرّ مدّة ثلاث سنوات أخرى، أي إلى سنة (643هـ/ 1245م) [1] التي أظهر فيها أهل سبتة ولاءهم للحاكم الحفصي أبي زكريا في تونس، والذي أرسل بدوره نائباً عنه إليهم، وهو ابن أبي خالد مع ابن الشهيد فمكثا في سبتة، ولكنهما لم يسيرا فيها سيرة العدل والإصلاح[2]، مما أثار عليهما نقمة الأهالي، وعداوة قائد البحر أبي العباس أحمد الرنداحي صهر الفقيه أبي القاسم العزفي، الذي رشحته الأقدار ـ بمعونة الرنداحي ـ لحكم هذه المدينة بعد القضاء على ابن أبي خالد وأعوانه من الأندلسيين وغيرهم، وأخرج ابن الشهيد منفياً إلى الأندلس[3].

وتجمع المراجع على أن أبا القاسم العزفي الذي تولّى أمر سبتة (647 ـ 677هـ) وعاش مترجَمُنا في ظلّ حكمه زمناً، على أنه كان قبل توليه الحكم فقيهاً وقاضياً وابن فقيه قاض، وأنه حكم بلاده بعد ذلك حكما اتسم بالاستقرار والرخاء وأنه رعى العلماء والأدباء من البلديين والمهاجرين من الأندلس[4]، ومنهم مالك ابن المرحّل الذي ارتبط به وبمنهاجه في الانحياز إلى العلم والتصوّن، ورعاية قدر الرسول ﷺ، والنكير على المفاسد والمناكر.

ومن المعلوم أن أبا القاسم العزفي هذا ظلّ في حكم مدينة سبتة وأصيلة وطنجة مدة ثلاثة عقود، وإلى حين وفاته سنة (677هـ/ 1279م) فأعقبه

(1) التاريخ المغربي لمدينة سبتة: 198-202. تاريخ سبتة: 108 الحياة العلمية: 39-40.

(2) التاريخ المغربي لمدينة سبتة: 203.

(3) الذخيرة السنية: 76 كتاب العبر 512:7 أزهار الرياض 374:2، تاريخ سبتة: 110، التاريخ المغربي لمدينة سبتة: 204.

(4) التاريخ المغربي لمدينة سبتة: 205-206. الحياة العلمية بسبتة: 41-49.

في حكمها من أسرته أبو حاتم العزفي (677 ـ 678هـ) وأبو طالب العزفي[1] (678 ـ 705هـ).

كذلك واكب مالك بن المرحّل ظهور دولة كان لها شأنها وتأثيرها البعيد في العدوة المغربية وفي الأندلس بل في الغرب الإسلامي بعامّة هي دولة بني مرين التي نشأت، كما تقدّم في أوائل القرن السابع[2].

وقد كان سبب ظهور هذه الدولة في بلاد المغرب عائداً إلى ضعف الدولة الموحدية، وبخاصة بعد هزيمتها في موقعة العقاب بالأندلس سنة تسع وستمائة أي في القرن الثالث عشر والتي هزم فيها الناصر وأعوانه من جند الموحدين، وما ترتب عن ذلك من ظهور الأوبئة والأدواء، ثم هلاك الناصر وتولّي ابنه الصبي الحدث يوسف المنتصر بعد ذلك، والذي شغل كما ذكر المؤرخون بصبواته وعجزه عن تسيير شؤون الحكم، فأفضى ذلك إلى انحطاط الدولة وتقهقرها شيئاً فشيئاً[3].

وغير خافٍ أن بني مرين كبني عبد الواد في تلمسان كانوا من الطبقة الثانية من جيل زناتة ـ بحسب تقسيم العلاّمة عبد الرحمن بن خلدون[4] وكانوا قبائل قارّة ببلاد القبلة من زاب أفريقيا إلى سجلماسة دأبهم التنقل في القفار والبراري ينتجعون المواطن الخصبة، ويغيرون في أوقات الشدّة والجفاف على غير حلفائهم ولا ينضوون تحت إمرة حاكم من الحاكمين سواهم[5].

وقد دخلت هذه القبائل المغرب في سنة عشر وستمائة للميرة والانتجاع،

---

(1) راجع في ذلك: تاريخ سبتة: 118، ابن عذارى: البيان المغرب 414:3 د. ابراهيم حركات «إمارة بني العزفي وأوضاع سبتة أيام حكمهم، مجلة كلية الآداب ع3س 1410-1989 3. رسائل ديوانية من سبتة: 14-17.

(2) راجع أعمال الأعلام جـ 2. كتاب العبرجـ 7، الاستقصا. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 6-36.

(3) المغرب عبر التاريخ 282:1-285.

(4) راجع كتاب العبر لابن خلدون.

(5) جمهرة أنساب العرب: 495. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي: 3. المغرب عبر التاريخ-10 2-5.

فلفت أنظارها ما عليه المغرب من خصب الأراضي والسهول، ووفرة المياه وانبساط الوهاد، وكثرة العمران والمزارع والثروات، كما لفتهم ضعف الدولة الموحّدية القائمة، وقلّة الجيوش والمدافعين، فاهتبلت الفرصة، واستوطنت أراضيها، واحكمت القبضة عليها، وقويت شوكتها بعد أن استنفرت بقية القبائل المرينية، وخاضت المعركة الحاسمة في وادي نكور ضد الخليفة الموحدي في مراكش يوسف الناصر في سنة (613هـ/ 1216م) والتي مُني فيها الموحدون بهزيمة نكراء، أرهقتهم وعجّلت بزوال دولتهم[1].

ولا يعنينا هنا تتبع ظهور هذه الدولة التي ارتبط بها المترجم به في طورها الأول الذي يسمّيه أحد الباحثين طور العظمة[2]، أو تتبع ما لابس هذا الظهور من صراع، ولا ذكر الولاة المتعاقبين وأحوالهم وما عرفوا به من نشاط وتعمير، بقدر ما يعنينا تأكيد ما أشار إليه بعض الدارسين من أنه لم تكن لهذه الدولة في منشئتها - أهداف عقدية معينة سياسية أو دينية كما كان للدولتين المرابطية والموحّدية قبلها[3]، وإنما كان بعث ظهورها منحصراً - كما أشرنا في تحقيق مكاسب اقتصادية وتوسعيّة[4]، وبخاصة في طور التأسيس الذي استغرق عهد مؤسسها أبي بكر ابن عبد الحق الذي كان أول صنيعه لقومه الرحّل - كما يقول ابن خلّدون «أن قسّم بلاد المغرب، وقبائله بين عشائر بني مرين وأنزل كلاً منهم في ناحية منه، وسوّغهم إياها سائر الأيام طعمة لهم[5]».

ثم شرع بعد ذلك في الطور الحضاري الذي برزت به هذه الدولة في جُلّ تاريخها - فجنّد الجنود، وحصّن الحصون، وأخذ في إرساء شارات الملك ونعوته غبَّ فتح الرباط وسلا وتادلا وسجلماسة ودرعة[6]. ولكن بروز هذه الدولة المرينية بمظهر الدول الحاكمة القويّة والممالك الكبيرة المتحضرة الفاتحة، لم يتأيّد إلا في

---

(1) الذخيرة السنية: 25,24.

(2) المغرب عبر التاريخ 2:25.

(3) م. ن 2:10.

(4) المغرب عبر التاريخ 2-10، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 9.

(5) راجع كتاب العبر لابن خلدون.

(6) المغرب عبر التاريخ 2-12-13.

عهد السلطان أبي يوسف يعقوب (657هـ/ 685 هـ)[1] وعهد ولده من بعده السلطان أبي يعقوب يوسف[2] (685 هـ/ 706 هـ) وهما الحاكمان اللذان كان لمترجمنا اتصال بعهديهما كما سيأتي تفصيل ذلك في ترجمته. فقد تنصّل أبو يوسف يعقوب ـ وكان من أقوى سلاطين هذه الدولة من التبعية للدولة الحفصيّة في تونس بعد فتح مراكش الكبير الذي خلّده ابن المرحّل بقصيدته المدحية الشهيرة، وشرع أبو يوسف في تأسيس دولة قويّة مستقلة، لم يقتصر نفوذها على بلاد المغرب فحسب، وإنما امتد ليشمل الأندلس أيضاً[3]، ثم وليه ابنه يعقوب يوسف الذي اقتفى أثر أبيه في التمسك بالحزم، وفي تأصيل هيبة الدولة المرينية، والإكثار من الإعمار، وتقوية الجيش والفتوح، وتعميم الأمن والاستقرار وتقعيد القوانين والمؤسسات[4] حتى قيل إن أبا يعقوب يوسف «أول من هذّب ملك بني مرين، وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك[5]».

كذلك لا يهمُّ هذا البحث استقراء تاريخ هذه الدولة والتعرف إلى إنجازاتها وأسماء سلاطينها بعد ذينك الحاكمين اللذين عاصرهما ابن المرحَّل، ولكنّ الذي يعنينا ذكره أن حكام الدولة المرينية أخذوا في عصور الازدهار بما أخذ به هذان المؤسسان العظيمان من أسباب المدنية والحضارة، ولا سيما في عهود من تلاهما من السلاطين كأبي الحسن المريني (731 ـ 752هـ) وأبي عنان[6] (729 ـ 759هـ) وغيرهما قبل أن يمسَّ كيان الدولة الضعف، الذي أسلمها إلى أفول النجم في القرن التاسع الهجري على أيدي بني وطاس بني عمومة بني مرين[7].

---

(1) الذخيرة السنية 96 روضة النسرين: 27-30-60-61 تاريخ المغرب الإسلامي: 10:9

(2) الأنيس المطرب: 375 المغرب عبر التاريخ، العبر 210-211 والأندلس: 27.

(3) تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني: 35-51.

(4) المغرب عبر التاريخ: 2-25.

(5) المغرب عبر التاريخ: 2-25-47.

(6) تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 109-131.

(7) تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 187.

المبحث الثالث: الحياة الفكرية والأدبية:

تعرضت الحياة الفكرية والأدبية في البلاد الإسلامية نتيجة للتقهقر السياسي والعسكري في القرنين السادس والسابع الهجريين - إلى الكثير من المحن والكوارث. فقد تعرّض التراث العربي والإسلامي بفعل حروب الاسترداد الحاقدة للكثير من الإحراق والإتلاف، وقتل العلماء وتهجيرهم من الأندلس، كما تعرّض هذا التراث أيضاً إلى شيء غير قليل من التضييق والمصادرة في عهد الدولتين المرابطية والموحديّة بداعي النزعةِ العقدية التي تبناها المتشدّدون من الحكام.

كذلك غزا التتر الشرق في القرن السابع، ودمّروا المدائن الإسلامية، ودور العلم في بخارى ونيسابور وبغداد، وقتلوا الجمَّ الغفير من العلماء والأدباء[1].

وكان من ألطاف الله أن قيّض للثقافة الإسلامية التي ابتليت في ذلك العهد بمحنة تقتيل العلماء وقهرهم وإحراق كتبهم وتآليفهم بعض المواضع الآمنة في المشرق والمغرب، والتي كان من بينها العُدوة المغربية التي آوى إليها الكثير من العلماء المهاجرين الذين سقطت ديارهم في أيدي العدوّ، ومنهم مالك بن المرحَّل الذي هجر وطنه الأندلس فراراً من الإيذاء، وحلَّ في البداية في مدينة سبتة التي أحبّها عهداً ليس بالقصير، ثم انتقل منها إلى مدينة «فاس» عاصمة بني مرين، حيث لقي في هذه العدوة ما افتقده في ديار الأندلس من الأمن والاستقرار. فقد كان ابن خلاّص - كما تقدّم - والياً على سبتة من الرشيد الموحدي، وكان بحكم أوليته وأصوله الأندلسية، إذ كان بلنسي الأصل والياً من قبل على إشبيلية التي أقام فيها ابن المرحَّل، شديد العطف والحدب على بلدييه المهاجرين، حريصاً على توفير ما يتوقون إليه من الراحة بعد أن أزعجهم وروّع سربهم النصارى المتعصبون بحروب الاسترداد[2].

لقد احتضن ابن خلاص - كماتومىء المراجع - الحياة العلمية في سبتة،

---

(1) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها: 1 :130, 411, 707, 720, 778.

(2) العبر 7 :383.

وأكرم وفادة العقول الأندلسية المهاجرة إليها[1]، وضمَّ إلى مجالسه منهم أمثال ابراهيم بن سهل الإشبيلي[2]، ومحمد بن محمد الأنصاري المعروف بالجنان[3]، ومالك بن المرحَّل وغيرهم من أعلام العدوة الأندلسية.

ثم جاء بعده بنو العزفي، وهم أسرة جمعت إلى صفة الحكم صفة العلم، فكان رؤساؤها أعلاماً في العلم والتصوّف والأدب[4]، حتى قيل «إن دولة العزفيين بسبتة كانت دولة العلم أكثر منها دولة سياسة إن صحّ هذا التعبير[5]» فتابعوا رعاية الحياة العلمية في سبتة بما مكّن من ازدهار الدراسات الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصول، والدراسات العربية من نحو وبلاغة وعروض وأدب، كما اتصلت هذه العناية فشملت علوماً تطبيقية أخرى وبذلك انتشرت الكتاتيب والمساجد والجوامع والمدارس والمكتبات، وكثرت مجالس العلم في سبتة[6].

ولا خلاف بين الباحثين في أن هذا المهاد من العدوة المغربية قد ازداد نماءً واتساعاً بقيام الدولة المرينية، فقد كان حكامها كما تؤكد المصادر - بدءاً من أبي يوسف يعقوب المريني ومروراً بأبي يعقوب يوسف، وأبي مالك عبد الواحد ممن أدركهم مالك من الحكام - من السلاطين العظام الذين حفظ لهم التاريخ مواقفهم الكريمة في إقامة دولة العلم والأدب إلى جانب دولة السياسة والحكم بما اشتهروا به من تشجيع أعلام العلماء، ووجوه الأدباء.[7] لقد كان أبو يوسف يعقوب محباً لعلم التاريخ والسير، ومذاكرة المبرزين في مسائل العلوم[8].

---

(1) الحركة العلمية في سبتة: 39، تاريخ سبتة: 108. التاريخ المغربي لمدينة سبتة: 201.
(2) م.ن: م. ن.
(3) مجلة كلية الآداب بتطوان ع3 س3.
(4) ورقات عن الحضارة في عصر بني مرين الحركة العلمية في سبتة: 41-49 د. ابراهيم حركات «إمارة بني العزفي وأوضاع سبتة أيام حكمهم».
(5) تاريخ سبتة: 119، المغرب عبر التاريخ 2:145.
(6) الحركة العلمية في سبتة: 56-91 النبوغ المغربي 1 :183.
(7) الأنيس المطرب بروض القرطاس: 297-308 الذخيرة السنية: 35. محمد الفاسي «نشأة الدولة المرينية» البينة س1ع8ـ 1382-1962.
(8) الأنيس المطرب: 298.

وأثر عن ولده أبي مالك عبد الواحد حبُّه - كوالده - علم التاريخ والأنساب، وتعلّقه بالأدب، وتطارحه مسائل الفقه ورواية الشعر[1]، كذلك عرف حفيد أبي يوسف المسمّى أبا ثابت المريني بما عُرف به جدّه من الاهتمام بالمعرفة، والحدب على الثقافة[2].

ولم يكن الحاكمون لدولة بني مرين فيما بعد بأقلَّ حظاً من السابقين في اثراء الحياة العلمية والفكرية وكفالة حرّية الفكر، بل ربما ربا بعضهم في الإغداق عليها وعلى رجالها، بتأسيس دور العلم والمعاهد الكبرى، وتزكية مذاهب العلماء في غير إلزام أو توجيه، فكان ذلك السبب الأقوى لامتلاء هذا المهاد بالعلماء الكبار وبالتآليف العظيمة والمعارف الحافلة، ومكّنهم - على مختلف اهتماماتهم - من النبوغ والبروز والإبداع في شتى الميادين والفنون[3].

ولم تكن هذه النهضة العلميّة محدودةً في مواضع معيّنة بل عمّت مختلف المدن والأقاليم وبخاصة في سبتة وفاس ومراكش، وغيرها من المدن[4] فازدهرت علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه، كما انتعشت من جديد علوم العربية بعد مضايقة عرفتها في عهد الموحدين فعظمت العناية بعلوم النحو والبلاغة والأدب منظومة ومنثوره، كما اتسعت دائرة الاهتمام لدى العلماء خلال القرن السابع الذي عاش المترجم به العدوتين - بالتاريخ والجغرافية وعلوم الرياضة والفلك والطب والتصوّف والكيمياء والهندسة والتنجيم وغيرها من المعارف[5].

---

(1) الانيس المطرب: 308. الذخيرة السنية: 80-109-118-123-125.

(2) م.ن: 389.

(3) (4) مظاهر الثقافة المغربية: 50-224. المغرب عبر التاريخ 145:2، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 341-349.

(5) الحضارة الإسلامية في المغرب: 253-264. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس: 341-349. مظاهر الثقافة المغربية: 50-224 محمد بن شريفة «ابن خمير السبتي وآثاره» مجلة دار الحديث الحسنية ع10,1413-1992.

ومن المظاهر الجديرة بالتنويه أن الأعلام الكبار والمشاهير كانوا يشاركون في أكثر من علم، ويأخذون بأكثر من طرف من أطراف العلوم والفنون ـ على نحو ما سنبيّنه ونحن نترجم لمالك بن المرحَّل فيما بعد، فقد كان ـ كمعاصريه ـ عالماً مُبرّزاً في القراءات والفقه والحديث والتاريخ واللغة، فضلاً على الأدب بلونيه المنظوم والمنثور والذي كان من أبرز رجالاته ومبدعيه في هذا العصر، وكأن هذه المشاركة الواسعة في تحصيل المعارف والآداب لا تعني عند ذلك الجيل إلا الحفاظ على أصول الثقافة الإسلامية وصيانتها ومناقلتها من مكان إلى مكان ومن جيل إلى جيل لتحفظ من عوادي الطمس والقبض التي تعرض لها وطن الأندلس.

ومن أبرز الأعلام الذين شهدهم القرن السابع الهجري في العدوتين الأندلسية والمغربية وكان لهم دورهم البارز في الحفاظ على أصالة الثقافة الإسلامية بمختلف تخصصاتها وفروعها بل كان لبعضهم تواصل معرفي مع المترجَم به: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي[1] وأبو الحسن حازم القرطاجني[2] وأبو الحسن علي بن سعيد[3] وأبو الحسين بن أبي الربيع[4] وابراهيم بن سهل الإشبيلي[5] وابن رشيق التغلبي[6] . . . .

---

(1) راجع ترجمته في: الإحاطة 1-179، عنوان الدراية: 298، المقتضب من تحفة القادم: 197 شجرة النور الزكية: 195، د. محمد بن شريفة «أبو المطرف بن عميرة، حياته وآثاره».

(2) سبك المقال لفك العقال: 180، بغية الوعاة: 314، نفح الطيب: 1-627، أزهار الرياض 2-172-3 وراجع ما ذكرناه من المراجع في هامش ص 180 من تحقيقنا لكتاب سبك المقال.

(3) علي بن موسى بن محمد بن الملك المعروف بابن سعيد (610 ـ 685 هـ) من أشهر الأدباء والمؤرخين ، له ترجمة في: الوفيات 2-89، بغية الوعاة: 357، نفح الطيب 1:453.

(4) النحوي المشهور له ترجمة في برنامج التجيبي: الإكليل والتاج: 55، اختصار الأخبار: 16 شجرة النور: 202، الحركة العلمية في سبتة: 77, 80, 88، برنامج ابن أبي الربيع تحقيق الأهواني.

(5) ابراهيم بن سهل الاشبيلي كان يهودياً وأسلم، امتدت حياته بين سنتي (605 ـ 649هـ) راجع ترجمته في فوات الوفيات1:23، اختصار القدح المعلى.

(6) راجع ترجمته في: الكوكب الثاقب: 562، الوافي بالوفيات 12: 421، إدراك الاماني 177,176,23، دليل مؤرخ المغرب :166، المنتقى المقصور 1 : 423, 424، جنى زهرة الآس 69.

وأبو الحسن علي الششتري[1]. ومن أعلام المغرب الحافظ ابن القطان[2] وأبو الربيع سليمان الكلاعي[3] وابن خميس[4] وأبو موسى عيسى الجزولي[5] وأبو العباس ابن فرتون[6] ومحمد بن عبد الملك المراكشي[7] وغيرهم ممن نعرض لطائفة منهم في الدراسة .

(1) راجع ترجمته في سبك المقال لفك العقال: 103 عنوان الدراية: 239، توشيح الديباج: 166، المطرب من مشاهير أولياء المغرب 125، ديوان الششتري تحق علي سامي النشار.

(2) التكملة 2-686، صلة الصلة: 131، نفح الطيب 180,3، نيل الابتهاج 200.

(3) اختصار القدح المعلى: 191 عنوان الدراية: 309 التكملة 2-708، برنامج الرعيني: 66 المرقبة العليا: 119.

(4) الإحاطة 2:528-562، أزهار الرياض 2-297.

(5) الذيل والتكملة س 8 :246:1.

(6) التكملة جذوة الاقتباس محمد الفاسي «أبو العباس بن فرتون» مجلة «رسالة المغرب» ع 142 س11 - 1952 .

(7) راجع في معرفة بعض هؤلاء العلماء ما كتبه د. محمد بن أحمد شقرون في «مظاهر الثقافة المغربية» ود. محمد بن شريفة في تقديمه القيم لكتاب الذيل والتكملة القسم الاول 10-59.

الفصل الثاني

ترجمة مالك بن المرحَّل

المبحث الأول: نسبه وأوليته:

هو فيما وصل إلينا مُستوفى في نسبه وأخبار أوليته كما كتبه بخطه في أثناء مكثه في مدينة سبتة، وكما نقله عنه تلميذه ابن عبد الملك المراكشي[1]: مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج[2] بن الأزرق[3] بن سعد[4] بن منير[5] بن سالم[6] بن فرج[7] المنزل بوادي الحجارة بمدينة الفرج المنسوبة إليه الآن. قال الأستاذ محمد الفاسي «انتقل جدُّه فرج هذا من المغرب إلى جزيرة الأندلس، يمر بها نهر يُسمّى وادي الحجارة أيضاً، وعليه مدينة كانت تسمّى أيام العرب مدينة الفرج باسم جدِّ شاعرنا هذا المنتقل إلى تلك الناحية من المغرب، ولا شكَّ أنه كان من القوّاد أو الأمراء، وهو الذي أسّس تلك المدينة، أو زاد فيها حتى أعطى لها اسمه[8]».

---

(1) راجع ترجمته ضمن تلاميذ ابن المرحل في الكتاب، وله ترجمة مفصلة ودقيقة كتبها الدكتور محمد بن شريفة في تقديمه كتاب الذيل والتكملة، وفي المرقبة العليا: 130-132، ومذكرات ابن الحاج النميري: 103, 117, 118 درة الحجال: 24,2، والدرر الكامنة 194:4.

(2) كذا ضبط في مخطوط «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» وفي كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» وفي «البدر السافر» فرج.

(3) في كتاب «الإحاطة»: أزرق.

(4) ورد الاسم في الإحاطة ولم يذكره ابن القاضي ولا الكتاني.

(5) ورد في «جذوة الاقتباس»، ولم يرد في «الإحاطة».

(6) ورد في «الإحاطة» و«الجذوة» و«سلوة الأنفاس».

(7) ورد في «الإحاطة» و«بغية الوعاة» و«النفح» الفرج معرفاً.

(8) مجلة الثقافة المغربية ع 7 س1972. محمد الفاسي «الشاعر مالك بن المرحل».

ويظهر من الرواية الوحيدة التي انفرد ابن الحاج النميري[1] بايرادها في مذكراته أن ابن المرحّل مترجمنا سُمّى باسمين مالك وهو الذي اشتهر به وابراهيم الذي لم يذكر في سائر المراجع. قال ابن الحاج «ذكر شيخنا يعني [أبا الحسن المطماطي][2] في ترجمة بعض أصحابنا عنه قال: سميت باسمين سماني أبي مالكاً لفقده خاله كان اسمه مالكاً، وسمتني أمي: ابراهيم لفقدها أخاها كان اسمه ابراهيم، فقال: مالك خزن النار فلم تعدُ عليه، وابراهيم رُمي في النار بالمنجنيق فلم تعدُ عليه، فلعلني أنجو منها بهذين الاسمين، وأنشد[3]:

رموني في نار الهوى فخزنتها فسميت ابراهيم طوراً ومالكا

فإن نجوا منها بطبع وعصمة فإني قد أصبحت حيّا وهالكا

ويعرف مالك في كتب التراجم، وفي المراجع الأدبية والتاريخية القديمة والحديثة بابن المرحَّل «بفتح الراء والحاء مع تشديد الحاء[4]» بوزن اسم المفعول من غير الثلاثي، وأما ابن المرحِّل المعروف بابن الوكيل، وهو مشرقي غير مترجمنا ـ فكمحدث بصيغة اسم الفاعل[5].

وهذا الضبط هو ا لمعوّل عليه فيما عرف به، قال الكتاني «كما في الجذوة وغيرها، وكما هو الجاري على ألسنة الخاص والعام، خلافاً لبعض الطلبة حيث زعم أنه بكسر الحاء، وشنّع على من يفتحها مغتراً بضبط بعضهم لعبد اللطيف بن المرحَّل المصري، شيخ ابن هشام بالكسر[6]».

---

(1) هو ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم النميري من أعيان القرن الثامن في الأندلس يكنى أبا اسحاق ويعرف بابن الحاج من الأدباء الذين برعوا في المنظوم والمنثور، اشتغل في ديوان الإنشاء، ورحل إلى المشرق، وألف العديد من الكتب من أشهرها «فيض العباب وإجالة قداح الآداب» و«مذكراته».

(2) راجع أخباره في مذكرات ابن الحاج النميري 2 :180.

(3) مذكرات ابن الحاج النميري 198:2.

(4) الإحاطة 3 :304 جذوة الاقتباس، صلة الصلة ق 3 :65، بغية الوعاة: 384، المنهل الصافي: 511.

(5) راجع فهرس الخزانة التيمورية.

(6) سلوة الأنفاس س9:3.

وكذلك غير معدود من أسرة ابن المرحَّل الدمشقية الشامية التي ينتمي اليها الشيخ محمد بن عبد الله زين الدين الدمشقي الشافعي المعروف أيضاً بابن المرحَّل[1].

وفي شرح القاموس ما نصّه: والمرحَّل كمعظم مالك بن عبد الرحمان بن علي بن عبد الرحمان بن المرحَّل، أحد فضلاء المغاربة له نظم حسن[2]».

إذ إن لقب ابن المرحَّل المغربي الأندلسي الذي عناه صاحب شرح القاموس تسمية سميت بها أسرة مترجمنا في الأندلس في أوائل النصف الأخير من القرن السادس الهجري، أي قبل ولادته بما يقرب من الأربعين عاماً تقريباً؛ يستفاد هذا مما ذكره لسان الدين بن الخطيب في معرض ترجمته له حيث قال: «ويعرف بابن المرحَّل، وصف جرى على جدّه علي بن عبد الرحمن لمّا رُحّل من شنتمرية[3]».

واكتفى ابن الخطيب بذكر ذلك من غير إبداء تعليل أو تفسير لهذا الوصف، ولكنّ الأستاذ محمد الفاسي يقدّم تعليلاً لتسمية ابن المرحَّل تفرّد بوجاهته وذكره، فقد أشار بعد الحديث عن مدينة الفرج المسمّاة باسم جدّ مترجمنا «فرج المصمودي الذي انتقل من المغرب إلى الأندلس إلى أن عقب الأمير فرج المصمودي الذي كان بمدينة الفرج المذكورة، ومنهم من رحل منها إلى مدينة شنتمرية كسلف شاعرنا قال: «ولما احتلها النصارى سنة خمس وستين وخمسمائة كان بها علي بن عبد الرحمن جدُّ الشاعر فغادرها مهاجراً إلى مالقة، فلقب بالمرحَّل، وجرى هذا اللقب بعد ذلك على أولاده[4]».

---

(1) توفي سنة (1337/738) كما في مشتبه النسبة: 42 وجاء في التعريف به في شذرات الذهب 118:6 أنه «سمع من جماعة، وأخذ الفقه والأصلين عن عمه الشيخ صدر الدين وغيره، ونزل له عمه عن تدريس المشهد الحسيني بالقاهرة فدرس به مدّة» كما ذكر أنه «بيّض كتاب الاشباه والنظائر لعمه، وزاد فيه».

(2) مجموع خع رقم (173) :260.

(3) الإحاطة 3 :304.

(4) محمد الفاسي «الشاعر مالك بن المرحل» مجلة الثقافة المغربية عس 1972م.

(5) رفع الحجب المستورة 2:1، بغية الوعاة 271:2، صلة الصلة 65:3 غاية النهاية 36:2 الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض 68,46 137.

ويكْنى مالك بن المرحَّل بكنيتين شهيرتين هما: أبو الحكم[1] وأبو المجد[2] والأولى أغلب عليه كما يُكْنى بكنية أخرى غير مشهورة «أبا مروان» انفرد بذكرها ابن الحاج النميري نقلاً عن شيخه أبي الحسن المطماطي[3].

وعلى الرغم من تكنّيه بتلك الكنى فإن المظان تسكت سكوتاً تاماً عن تفسيرها، وعن بيان هل أن هذه الكُنى دالّة على أسماء صريحة لأولاد له ماتوا صغاراً، أو بقوا زمناً في حياته، أو عُمِّروا بعده ولكنهم لم يشتهروا في حقول العلم والحكم؟

وغاية ما وقفنا عليه متعلقاً بهذه المسألة أن أولى تلك الكُنى غلبت عليه، فعُرف بها بين أهل عصره، كما عُرف بها بعد ذلك في جُلِّ معاجم التراجم والأثبات[4].

ولم تذكر المراجع من أسماء بنيه ـ إن وجدوا ـ إلا محمداً الذي سنعرض له بعد قليل.

وقد أشار الأستاذ هلال ناجي ـ اعتماداً على التحليات الواردة في بعض تصانيف المترجم ـ إلى أن مالكاً كان يلقب نفسه «بالمملوك» وتساءل عن مأتى هذا اللقب ومما جاءه والذي أذهب إليه أن هذا اللقب كان مما فرضته التقاليد والمواصفات الرسميّة في مخاطبة السلاطين والملوك في ذلك العصر الوسيط، ليس في المغرب والأندلس فحسب، بل جرى على التحّلي به أدباء المشرق أيضاً، لإظهار تواضعهم أمام الحاكمين والرؤساء[5] وسوف أذكر كذلك بعد أن أقدم إشارة إلى هذا اللقب في تصانيفه، كانت فيما كتبه إبّان خدمته في البلاط العزفي بسبتة، على عهد أبي القاسم العزفي.

---

(1) المنتقى المقصور 389:1 موطأة الفصح مخط 531:2 مجموع خع رقم (173):260.

(2) مذكرات ابن الحاج النميري 183:2.

(3) الإحاطة 304,3 الذيل والتكملة.

(4) رسالتان في الدوبيت، مجلة المورد ع4 المجلد الثالث.

(5) راجع «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي، و«القانون في كتابة الرسائل» لابن الصيرفي، و«البرد الموشى» لضياء الدين بن الأثير.

وقد ذكر طائفةٌ من مترجميه أنه مصمودي[1] ثم شصادي[2] مولى بني مخزوم[3].

واكتفوا بتلك الإشارات دون توسّع وتفصيل في ذكر هذا النسب والولاء، أو مسير هذه الأسرة المالقية وتنقلها ورحلة هجراتها، واستنتج الأستاذ محمد الفاسي من تلك الإشارات على وجازتها أن مالك بن المرحَّل ينتمي بذلك إلى «عائلة مغربية مصمودية[4]» وأن جدّه الأعلى قد انتقل إلى الأندلس، ولكنّه رجع هو إلى وطنه الأول، واستوطن فيه.

وتشير المراجع والروايات بعد ذلك إلى انتمائه إلى أسرة مالقية أندلسية متوسطة مغمورة، لا يوجد لها ذكر في التاريخ وأحداثه، ولكنها اكتسبت شهرتها فيه بشهرة مجده الأدبي، كما اكتسبت أسرة أبي الطيب المتنبي من قبل شهرتها بأبي الطيب أحمد بن الحسين[5].

وأول من أشار بهذه الإشارة ابن خلاّد إذ قال: «كانت نشأته بمالقة بلده، وقرارة مولده في ناسها، ووسط أجناسها، ولم يتميز بحسب، ولم يتقدم في ميدان نسب، وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوّضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، فطلع في جبين زمانه غرّة منيرة، ونصع في سلك فصحاء أوانه درّة خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وأمتاز في رعيله بإدراك كلٍّ معنى وسيم[6]».

وقد قال الكثير ممن جاء بعد ابن خلاّد بقوله وإشارته، إلا أن لسان الدين بن الخطيب أخذ على هذا القول وتعقبه بالتقصي ووصفه بالتقصير ولعلّه عنى بتقصيره فيه عدم دقته في الضبط فيما يرجع إلى نسب أسرة مالك بن المرحَّل.

---

(1) الأعلام 263:5 الاحاطة 303:3.

(2) موطئة النصيح لموطأة الفصيح (مخط) 531:2.

(3) مخط خع رقم (173) :260.

(4) راجع بحث محمد الفاسي وماكتبه عبد الله كنون حول هذه الشخصية.

(5) الشاعر الكبير أحمد الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي «شاعر العربية الكبير الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس» حسبما ذكر ابن رشيق القيرواني شاعر العربية الكبير (ت 965/345). راجع أخباره وفيات الأعيان 36:1، تاريخ بغداد 102:4 وكتاب المتنبي للأستاذ محمود شاكر.

(6) الاحاطة 3 :304.

والحق أن إشارة ابن خلاّد إلى وضعية خمول هذه الأسرة تصدق على واقعها في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وأوائل القرن السابع، لأن التقييد الذي كتبه مترجمنا في ردّه المسمّى «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» يدلنا على حقيقة لا معدى عن تقريرها وتأكيدها هي أن سلفه كان له ذكر في التاريخ بشرف الأصول، وبالانتماء إلى بطون العرب، بل إن أحد أجداده تقلّد منصباً متقدماً في هياكل الدولة بالأندلس، وقد مرَّ بنا قول الأستاذ محمد الفاسي «ولا شك في أنه كان من القواد والأمراء[1]»، قال مالك ابن المرحَّل في تقرير هذه الحقيقة ضمن مناظرته ابن أبي الربيع الذي انتقصه، وقدح في أوليته «وأما الحسب فإن كنت أطلقته على المجد [ ][2] بين تهامة ونجد، كان لي سلف لم يرث منصبه خلف، وكان جدّ جدي تثنى له الوزارة، وتلقى إليه مقاليد الإمارة، وإذا قرأت في [ ][3] أخبار ذي النون، ونظرت تلك الامور والشؤون، وجدت ذكر ابن الفرج طيب الشذى والأرج[4]».

والظاهر أن مترجمنا عنى بإشارته الاخيرة «ابن الفرج طيّب الشذى والأرج» جدّه «المنزل بوادي الحجارة بمدينة الفرج المنسوبة إليه الآن» كما ذكر ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري[5].

قال الأستاذ محمد الفاسي «والفرج الذي تنسب إليه أحد الرؤساء البرابرة رحل إلى تلك الناحية، وكان يقال له فرج المصمودي فسمّيت به.

وهنا تبرز إشكالية ظاهرة تتمثل في أن مالك بن المرحَّل أرجع نسبه ـ كما تقدّم ـ إلى بطون العرب في شبه الجزيرة العربية، وأن جدّه الفرج الذي يفتخر بالانتساب إليه هو كما قرّر المؤرخون من مصامدة المغرب البربر بل من رؤسائهم الراحلين إلى الأندلس.

---

(1) مجلة الثقافة المغربية ع7س1972.

(2) راجع الباب الثالث تحقيق النصوص النثرية.

(3) فراغ في الاصل.

(4) راجع الرمي بالحصا والضرب بالعصا في هذا الكتاب.

(5) الاحاطة 3 :304.

وليس من العسير التوفيق بين هذين المذهبين إذا استندنا إلى قول المؤرخين والنسابين، ومنهم مالك بن المرحَّل نفسه[1] ـ القائلين بوحدة الاصول العربية والبربرية[2]، وأن البربر ينتمون إلى شبه الجزيرة العربية التي هاجروا منها إلى الشمال الأفريقي في تاريخ قديم.

وما من شكّ في أن هذا التعقيب التاريخي الذي اشتملت عليه مناظرة مالك بن المرحّل ابن أبي الربيع، والذي أكّد فيه أصالة نسبه ومكانة أسرته في القديم، يضع بين أيدينا حقيقة بالغة الأهمية عن أصوله وأوليته، تقف بجدتها شاخصة في مجابهة تلك المعلومة المكرورة التي حرصت المراجع الكثيرة منذ القرن السابع إلى يومنا هذا ـ باستثناء ملاحظة ابن الخطيب السالفة ـ والتي مؤداها أن أسرة هذا الأديب كانت معروفة، تنسب إليهامدينة الفرج ولم نقف على أخبار موسّعة أخرى عن أسرة ابن المرحّل وعن أقربائه الأدنين وعن منازلهم الاجتماعية في القرن السابع الذي عاش فيه الأديب وهل له عدد من الإخوة والأعمام والأخوال والأنسباء احتلوا مكانة في العلم أو الحكم، أولا؟ والظاهر أن أسرته كانت ـ على عهده ـ أسرة محدودة، ولم تكن من الأسر الكبيرة النافذة في العدوتين، ولم يخلف أحد من خلفها السلف في المكانة كما صرّح مالك بذلك[3].

وقصارى ما تبيناه من أحوال هذه الأسرة خلال هذا القرن ما بلغ إليه مترجمنا من الشهرة الواسعة في عالمي الفكر والأدب والصلة بحكّام العدوتين على ما سيأتي ذكره بعد قليل مُفصلاً، وأن له ابناً سماه محمداً، وأختاً وصهراً له منهما أبناء وأحفاد.

---

(1) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر 184:6.

(2) ابن حزم «جمهرة أنساب العرب» 461، العمري «مسالك الأبصار» 14ق2 :223، ابن خلدون «العبر» 97:6، ابن زيدان «إتحاف أعلام الناس» 62:1.

(3) راجع مناظرته في «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» في هذا الكتاب.

فقد كان ابنه محمد بن مالك بن المرحَّل ـ هو الآخر مثل أبيه معدوداً في العلماء[1]، حيث حلاّه لسان الدين بن الخطيب بقوله: «الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحَّل[2]» كما عدّه في موضع آخر من شيوخ علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي من أهل غرناطة[3] وذكر في هذا المرجع وفي غيره أنه كان في جملة من تتلمذ عن والده مالك، وتخرّج به[4].

وقد فصّل محمد جابر الوادي آشي في طرق أخذه ومشيخته حيث قال مؤكداً صفة العلم فيه: «يروي عن أبي يحيى بن عبد الله بن ابراهيم الجُدامي ابن الخفاف القرآن العزيز و[جماعة] منهم أبو عبد الله محمد بن يوسف الهاشمي، وأبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبيد الله الأوسى القرطبي، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطيه القيسي المالقي، وأبو الحجاج يوسف بن عبد الله بن يوسف بن فرغلوش وأجازوه، وأجازه والده، وأبو الحسين بن أحمد أبي الربيع القرشي، وأبو الحسن الدباج، وأبو علي الشلوبين، وأبو الحسين بن السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأزدي وغيرهم[5]».

وقد ذكر أن محمداً بن مالك بن المرحَّل توفي في مالقة في حدود سنة[6] 710هـ.

ولم تصلنا أخبار تتعلق بأخت مالك وطبيعة تكوينها المعرفي، ولكن يستفاد من الإشارات الضمنية أنها كانت تصغره سناً، وأنّها تزوّجت الشيخ الأديب الفرضي العروضي التاريخي إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري[7] الذي

---

(1) درّة الحجال في أسماء الرجال 264:2.

(2) راجع كتاب الإحاطة في ترجمته له فيمن اسمه محمد.

(3) م. ن.

(4) م. ن.

(5) برنامج الوادي آشي: 133,132.

(6) م. ن. 133.

(7) راجع: الإحاطة 326:1، برنامج، الوادي آشي: 114 درة الحجال: 177، شجرة النور: 202 اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار: 16، وقد ترجم له ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة في السفر السابع المفقود.

ولد في المغرب الأوسط تلمسان في سنة (609هـ/ 1212م) ثم انتقل صغيراً مع أسرته إلى غرناطة ومالقة، وانتهى به المقام إلى سبتة[1] كما انتهى بأسرة ابن المرحَّل المقام حيث قُدّر له أن يتزوج فيها أخت مالك التي أنجب منها فكانت كما ذكر صاحب كتاب البستان: «أم بنيه[2]».

قال لسان الدين مُنوهاً بهذا الصهر وبعلمه: «وهذا الشيخ جدُّ صاحبنا وشيخنا أبي الحسين التلمساني لأبيه، وهو ممن يطرّز به التأليف، ويشار إليه في فنون لشهرته[3]».

والمتأمل في سيرة ابراهيم التلمساني وبخاصة من الناحية العلمية ـ يرى تشابه تكوينه مع تكوين صهره ابن المرحَّل، فقد كان كلاهما أديباً فرضياً عروضياً تاريخياً مشاركاً في نظم الفرائض والسير والكتابة في فن الدوبيت[4] إلا أن مالكاً كان أكثر نتاجاً.

وقد توفي هذا الصهر في حدود سنة (690هـ/ 1291م) عن سن عالية، ودفن بمدينة سبتة[5].

ومن أقربائه الذين عنيت المراجع بذكرهم حفيد ذلك الصهر الشيخ محمد بن أحمد ابراهيم التلمساني الأنصاري ابن ابن أخته ويُكْنى أبا الحسين أحد أصحاب لسان الدين بن الخطيب والذي أثنى عليه ثناء كثيراً ـ كما تقدّم[6].

وقد أخذ محمد بن أحمد التلمساني علمه عن طائفة كبيرة من علماء العدوتين، وانتفع بهم[7] وأجيز منهم كخال أبيه مالك ابن المرحَّل، وقد عمل في

---

(1) الإحاطة 336:1.

(2) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: 55.

(3) الإحاطة 328:1.

(4) اختصار الأخبار: 16 الإحاطة 1 326 البستان: 56.

(5) اختصار الأخبار: 16.

(6) الإحاطة 3 :200.

(7) م. ن 3: 301، 302

مسقط رأسه سبتة، والتحق بعد ذلك بغرناطة حيث عرفت منزلته، وعُيّن في خطة بحمراء غرناطة على عهد وزارة لسان الدين الذي ذكر قوله فيه: «وناب عني في العرض والجواب بمجلس السلطان[1]» كما قام بدور علمي في أثناء استيطانه بها فدرّس الأدب والسيرة والشمائل والحديث والتاريخ، وقد تحبّب الناس إليه، خاصتهم وعامتهم لسراوة أخلاقه ولينها فقد «اتسم بمجلسه بالسلامة والخير، فلم تؤثر عنه في أحد وقيعة، ولا بدرت له في الحمل على أحد بنت شفة[2]».

وقد امتحن ـ رحمه الله ـ في أخريات حياته بعد أن تقدّمت به السن، فتوفي في شهر محرّم من سنة أربعة وستين وسبعمائة بعد أن ناهز التسعين[3]. تلك هي أخبار أوليته، وأخبار من عاصره من أقربائه.

المبحث الثاني: حياته في العدوة الأندلسية:

نعني بهذا الطور من حياته المدّة التي أقامها مالك في وطنه الأندلس أوالعدوة الأندلسية والتي تبتدىء من تاريخ ولادته بمسقط رأسه «مالقة» وتنتهي بزمن رحيله عن هذا الوطن بعد أن تلقّى العلم، وأمضى فترة من شبابه ورجولته في مهجره «وطنه الثاني» المغرب الأقصى أو العدوة المغربية.

وسنحاول في هذا الفصل استقصاء أخباره وذلك بتحقيق تاريخ ولادته، وذكر تحصيله وأبرز شيوخه، وتنقلاته ورحلاته في بعض المدن الأندلسية وما أصابه فيها، ومظاهر ثقافته التي رحل بها إلى العدوة المغربية.

ولادته وتحصيله:

ولد مالك بن المرحَّل في أوائل النصف الأول من القرن السابع الهجري وهو محلُّ إجماع من دارسيه ومترجميه الذين قرّروا أن تاريخ ميلاده كان في سنة

---

(1) الإحاطة 3: 200.

(2) م. ن 3: 301.

(3) م. ن 3: 302.

(604هـ/ 1207م) في مدينة مالقة بالأندلس[1]، ومن خط ابن أطاع اللّه: «كان مولده بمالقة يوم السبت سابع عشر محرم سنة 604هـ ووافق شهر العجم أغشت[2]».

ومن حسن الحظ أن ابن المرحَّل قد كفى الباحثين مؤونة البحث في هذه المسألة بتحديد تأريخ ميلاده يومه وشهره وسنته بدقة فضبطه في ثلاثة أبيات[3]، أجاب بها القاضي ابن عبد الملك الذي سأله عن تاريخ ولادته حيث قال:

يا سائلي عن مولدي كيْ أذكره	ولدت يوم سبعة و عشرة
من المحرم افتتاح أربع	من بعد ستمائة مفسّره
في يوم الاثنين طلوع شمسه	من شهر آب إن أردت خبره

وبناءً على هذا القول الذي لا يردُّ، فإن تاريخ ميلاد أديب العدوتين مالك بن المرحَّل كان في صباح يوم الاثنين السابع عشر من شهر المحرم (شهر آب) من سنة (604هـ) الموافقة لسنة (1207م).

أما مكان ميلاده فقد كان محلَّ إجماع المراجع التي اتفقت كلمتها على أنه كان في مدينة مالقة من بلاد الأندلس[4] فهو بذلك أندلسي الميلاد وقد كان من أوائل من قرّر ذلك وأيّده تلميذه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي الذي نسبه إلى وطنه مالقة باعتبار مولده فيها[5]، قال أستاذنا الدكتور محمد بن شريفة: «وهذا من تحرّيه وإنصافه وخضوعه التام لشرط كتابه، وتطبيقه المنهجي للمصطلح الذي سار عليه مؤلفو الصلات[6]».

---

(1) راجع الإحاطة 324:3، صلة الصلة ق 65,3، غاية النهاية 36:2، بغية الوعاة: 384. مخط الوافي بالوفيات 25 :19 أ.

(2) مخط الساوري.

(3) ذكرت جُلُّ المصادر بيتين من هذه الأبيات الثلاثة راجع: الإحاطة 324:3، المعرب المبين: 88. أما البيت الثالث فقد ذكره ابن عبد الملك المراكشي. في الذيل والتكملة.

(4) الإحاطة 3 :304، سلوة الأنفاس 3 :99 ذيل مشتبه النسبة: 42، غاية النهاية 36:2 بغية الوعاة 271:2، الذخيرة السنية 123، برنامج التجيبي: 288، الإكليل والتاج: 104.

(5) الذيل والتكملة س 8 ق 28:1.

(6) الذيل والتكملة س 8 ق29:1.

وهذه المدينة هي التي يسميها مالك نفسه في تقييده: «بلدي[1]» ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا بعض الباحثين الذين ذكروا ـ خطأ ـ أن ولادته كانت في مدينة سبتة المغربية[2] إلا أنهم لم يذكروا مصدرهم الذي عوّلوا عليه في ذلك.

وسنأتي ـ ونحن نؤصل ترجمته ـ إلى ذكر أن هذه المدينة «سبتة» كان قد هاجر إليها مالك من بلاده أو وطنه «مالقة» بالأندلس بعد مقامه فترة في مدينتي غرناطة وإشبيلية، وأنه أقام فيها بعد الهجرة إليها مدّة جاوزت في مجموعها ربع قرن قبل أن يرحل منها بعد ذلك إلى مدينة «فاس» حيث أمضى ـ كما يتبين ـ البقية من سنوات حياته إلى حين وفاته بها.

ومدينة مالقة التي ولد فيها أديبنا ونشأ نشأته الأولى بين ربوعها هي مدينة أندلسية عريقة، تقع في الجنوب الشرقي من مدينة غرناطة وتتميّز بمزايا تاريخية وطبيعية وثقافية فهي كما قال الأستاذ محمد الفاسي: «اسمها الفينيقي Malaca وهي بفتح اللام لا مالقة بكسرها، من أكبر مدن الأندلس على البحر الأبيض المتوسط، أسسها الفينيقيون، واشتق اسمها من لفظة «ملح» لأنها كانت مركزاً هاماً لتمليح السمك، ففتحها العرب سنة 711هـ، وكانت مركزاً ثقافياً وتجارياً مهماً[3]».

ووصف محمد بن عبد المنعم الحميري هذه المدينة التي كانت مسقط رأس مالك بالحسن وأنها كانت عامرة وآهلة وحافلة بشجر التين الذي يحمل منها إلى الأقطار زيادة على ما فيها من الآبار والوادي الجاري في الشتاء[4]. ومن روائع تصوير هذه المدينة التي ولد فيها وترعرع في ربوعها الفيح ماكتبه لسان الدين بن الخطيب في نثر مقاماته البلدانية حيث قال: «ومالقة مجتزئة بنفسها في الغالب، محتبسة من شرقها وغربها بطلب الطالب، وأما النضارة فمن ادّعى أنه

(1) راجع الرمي بالحصا والضرب بالعصا في هذا الكتاب.

(2) راجع: مظاهر الثقافة المغربية.

(3) مجلة البينة ع 3 س 1-1382-1962 .

(4) كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار: 517.

ليس في الأرض أخطر منها جناباً، ولا أغزر منها غروساً وأعناباً، ولا أرج أزهاراً، ولا أضوأ أنهاراً لم تكذب دعواه، ولا أزرى به هواه، إنما هي كلها روض، وجابية وحوض، وبساتين قد رقمتها الأنهار، وترنمت بها الأطيار[1]».

وما من شك في أن هذه الطبيعة المالقية الساحرة كان لها تأثيرها السارب في تكوين نفسية مالك وملكته لأن البقاع ـ كما هو معروف ـ لها أثر في الطباع، ومالقة لم تعرف بروعة تلك المغاني الحسان فحسب بل اشتهرت أيضاً بما أنجبته في تاريخها الطويل من العلماء الأعلام، وقد كتب محمد بن عسكر، ومحمد بن خميس كتاباً في أعلام مالقة وأدبائها ـ لا يزال مخطوطاً[2] يتبيّن القارىء من تراجمه أن هذه المدينة كانت عبر التاريخ الإسلامي ـ في عصر مترجمنا وقبله مدينة علم وأدب، بيد أن المراجع القديمة والحديثة لم تحدثنا بشيء مفصل عن المستوى الاجتاعي والاقتصادي لهذه الأسرة في مدينة «مالقة»، ولا عن ظروف النشأة الأولى للمترجم به ولا عن الأوضاع الأسرية التي تقلب فيها، ومقدار ما تأثر به منها، وإنما اقتصر بعضها على القول بأنه «نشأ خامل الذكر، خفي المنزلة»[3].

ومع هذا الإقلال في أخبار هذه النشأة فإنه لا يتعذر علينا أن نتصوّره كما يمكن أن نتصور لداته وأترابه في مدينة مالقة بل في الأندلس بعامة، وهو فتى يختلف على الكتاب أو المسيد يحفظ كتاب اللّه، ويجد بفضل ذكائه وحرصه في إتقانه وتلاوته في سن مبكرة، بل يأخذ عن القراء في مالقة ما لابدّ منه من علم القراءات ـ بحسب طرائق الأندلسيين ـ ومبادئ العلوم، مع حفظ المتون ليتدرج بعد ذلك في سلك هذا الأخذ إلى أن يحذق دراسة جملة من الكتب في اللغة والأدب والتفسير بحسب الفهارس والأثبات التي

---

(1) ريحانة الكتاب 358:2 مشاهدات لسان الدين: 63.

(2) يعمل الصديق الدكتور عبد الله المرابط الترغي على تحقيق هذا الكتاب وراجع ما كتبه بعنوان «سبتة من خلال كتاب أعلام مالقة» مجلة كلية الآداب بتطوان س3: ع 1410,3-1989.

(3) راجع الإحاطة 304:3.

تضمنت كتب العلوم والفنون المتداولة في حلقات العلم في المدائن الأندلسية كمالقة وغرناطة وإشبيلية التي تقلّب فيها المترجم به.

على أن تلك المدن الأندلسية كانت تشهد إلى جانب تلك الحياة العلميّة والعقلية الناشطة ـ كما تحدّثنا كتب التاريخ ـ مظاهر أخرى من صنوف الترف والاختلاط والبطالة والمجون تولّدت عن بعض أخلاط الناس من الإسبان والعرب والبربر والصقالبة واليهود، وعن نواتج الانحلال الذي أدّى فيما بعد إلى انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس.

ومن عجب أن هذين اللونين من الحياة الجادة والهازلة كانا يسيران في خطين متوازيين، تعمر بأحدهما المساجد والجوامع والدور، وتمتلىء بالأخرى العمائر والحدائق والقصور.

ومن عجب أيضاً أن عدداً غير قليل من أدباء ذلك الفردوس وعلمائه كان يرتاد رياض تلك المجالس على اختلاف طعومها، يستنشي بما يتنفس فيها من نسائم العلم والأدب، ويلتذ أيضاً بما في سواها من القصف واللهو.

وقد كان أبو المجد، حسبما تفصح بعض أشعاره ومقطعاته عندليباً من عنادل الدوح، يروقه في ذلك الفردوس مرأى الثمر تارة، ويشوقه مجلى الزهر تارة أخرى، فأنفق غضارة صباه وشبابه يَعبُّ من مناهل الموردين، ويتنقل من فن إلى فن، مرفرفاً بجناحيه فوق شجر ونهر، إلى أن جنى من ثمار العلوم أزكاها، ومن أزاهير اللهو غاياتها، وهو ما يدعونا إلى تقسيم طبائع حياته في العدوة الأندلسية إلى مظهرين أو تبينها من خلال مجليين، مظهر أو مجلى التحصيل العلمي الجادّ، ومظهر أو مجلى اللهو والفراغ.

فالراجح عندي أنه بدأ بتلقي علومه في مسقط رأسه مدينة مالقة على أيدي شيوخه الذين لم نتبين منهم إلا ابن الفحام، ورضوان ابن أبي يزيد، وسالم الهمداني، وأن مدّة إقامته في مسقط رأسه لم تستمر طويلاً، إذ لم تتعدّ المرحلة التي حفظ فيها القرآن الكريم وأخذ فيها مبادىء العلوم في القراءات والنحو والأدب، ثم شرع بعد ذلك في رحلة تحصيلية علمية إلى بعض المدن الأندلسية القريبة من مالقة، استقر به المقام في إشبيلية المزدهرة بالعلم وبالعلماء، ومن المعتقد أنه أطال المكث فيها قبل سقوطها حيث قُدّر له الانتفاع من أبرز أعلامها

الكبار الذين سنأتي على ذكر أسمائهم ونعوتهم بشيء يسير من التفصيل ليتوضّح أثرهم في تكوينه.

ويسهل علينا أن نتصور مالكاً في صباه وشبابه فتى مشغوفاً بالعلم، حريصاً على مجالسه ومباحثه، متعلقاً بالعلماء وبما يبادهون به، وعلى مؤانسة خزائن المعارف ميّالاً إلى الجدّ في التلقي، ومفاتشة العلماء الذين اعجبوا بذكائه وشغفه وحرصه، فأفرغوا في روضه وحوضه من سجال فهومهم ما ازدهر وأثمر، وعُدَّ به عند اكتمال رجولته في عداد العلماء والأدباء الذين يشار إليهم بالبنان.

ويسهل علينا أيضاً أن نتصوّره ـ وقد عرفنا بعض أشياخه الأندلسيين أمثال ابن بقى، وابن الدباج، وأبي عمر الشلوبين، وابن الفحام أن نتصوّر بعض لداته وأقرانه في التحصيل، ممن تفتحت أكمامهم في تلك المجالس واستفادوا من عطاء أولئك الأشياخ، والذين جمعته ببعضهم فيما بعد صلات مودّة من أمثال ابن سهل الإشبيلي، وابن سعيد، وابن ابي عتيق، وابن أبي الربيع وغيرهم من أعلام الأندلسيين الذين رحلوا فيما بعد إلى العُدوة المغربية بعد اكتمال معارفهم وعلومهم في الأندلس.

شيوخه في الأندلس:

أخذ المترجم به علومه وأدبه عن الجلّة من علماء الأندلس في القرن السابع الهجري بل في أوائله نكتفي هنا بذكر من وصلتنا أسماؤهم وبعض أخبارهم وآثارهم، معتمدين في توثيق صلته بهم وأخذه عنهم المصادر والمراجع المعتمدة:

1 ـ أحمد بن علي محمد بن علي الأنصاري[1] بن الفحام[2]، ويكنى أبا جعفر، من أعلام مالقة الموصوفين بالتقدّم في التجويد، ورواية الحديث، والتبريز في العربية[3] والبراعة في الوراقة مع ماعرف به من فضل وورع، وإيثار الخمولة

---

(1) الذيل والتكملة 1 :321، برنامج التجيبي 247.

(2) ذكر خطأ في بعض المراجع فسمّي الفخار.

(3) التكملة 123:1، غاية النهاية 1 :88 بغية الوعاة 150، الذيل والتكملة 1 :321، أعلام المغرب العربي 4·122 ,123.

والزهادة، أخذ علومه في شرق الأندلس في سنة ست وستمائة عن جلّة من شيوخه ثم أخذ عنه طائفة من أهل العلم كان من بينهم مالك بن المرحَّل[1] الذي ذكر صاحب كتاب الذيل والتكملة أنه آخرهم، وقد أشار مترجمنا إلى أخذه عن شيخه هذا في الإجازة التي كتبها، إلى الشيخ أبي الفضل التجاني التونسي بقوله شعراً:

وعن ابن الفحام شيخ جليل   علّم الناس نسكه وانحجازه

وقد توفي ابن الفحام المالقي عام (645هـ/ 1247م) وذكر القاسم بن يوسف التجيبي[2] لابن الفحام هذا الذي وصفه بالمقرىء فهرسته، قال: «تناولتها من يد الشيخ أبي الحكم مالك بن عبد الرحمان الأديب المعمّر، ويغلب على ظني أني قرأتها عليه في ست وثمانين وستمائة وحدثنا بها عنه، وحدثنا أيضاً عن ابن الفحام المذكور بجميع رواياته أبو محمد بن هارون الطائي وغيره[3].

2 ـ كما أشارت مراجع أخرى إلى تخرّج المترجم به بالشيخ ابن الفحام الأنصاري المالقي[4] أحمد بن أحمد بن بقي[5] المكنّى أبا القاسم الموصوف بالإمام، وبقاضي الجماعة بقرطبة[6] تولّى القضاء في عهدي أميري المؤمنين أبي يوسف وابنه محمد ابن أبي يوسف بن عبد المؤمن[7]، قال المراكشي: ولما ولى أبو يوسف أبا القاسم بن بقي المتقدّم الذكر كان فيما اشترط عليه أن يكون قعوده بحيث يسمع حكمه في جميع القضايا، فكان يقعد في موضع

(1) البدر السافر في أنس المسافر: لوحة 56 اصلة الصلة 3: 65 .

(2) برنامج التجيبي: 247.

(3) م.ن: 247.

(4) الإكليل والتاج: 104-105، صلة الصلة 3: 65.

(5) فهرس ابن غازي: 177، شجرة النور الزكية: 179 درة الحجال 3: 20، نيل الابتهاج: 63.

(6) فهرس ابن غازي: 177-187 شجرة النور الزكية: 179.

(7) المعجب: 339-391.

بينه وبين أمير المؤمنين شتر من ألواح[1]» ومن أخباره ما ذكره ابن أبي سعيد من ملاحاته مع القاضي أبي عبد الله محمد بن مروان[2] على أن الذي يعنينا من أخباره وترجمته أنه كان من كبار علماء الفقه والحديث بل كان من أبرز رواة موطأة مالك بن أنس برواية يحي الليثي كما أكّد ذلك ابن غازي في فهرسه[3] ويظهر أن المترجم قد استفاد كثيراً من علومه الفقهية والحديثية من هذا القاضي الإمام مدّة إقامته في إشبيلية، فقد تضافرت كلمة مؤرخيه على أخذه عنه، واستفادته منه[4].

وقد أشار ابن ا لمرحَّل إلى شيخه ابن بقي هذا في الإجازة التي أجاز بها الشيخ أبا الفضل التيجاني التونسي بقوله[5]:

مثل قاضي الجماعة ابن بقي عن أبيه وجدّه بإجازه

أيْ أنه كان مجازاً من هذا القاضي بإجازة ذكر فيها من العلماء الذين أجازوه ضمناً والد القاضي وجدّه، وقد ولد ابن بقي في ذي القعدة من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وتوفي بقرطبة سنة خمس وعشرين وستمائة[6].

3 - رضوان بن أبي يزيد خالد بن الحسين بن عبد الرحمن بن مكرم المخزومي[7] ويكنّى أبا النعيم ذكر أنه كان من علماء مالقة وأدبائها، وقد توفي في أواخر النصف الأول من القرن السابع، أو كما ذكر ابن الأبار في حدود سنة[8]

(1) المرجع السابق: 362.

(2) الغصون اليانعة: 33.

(3) فهرس ابن غازي: 43, 93, 116, 148, 177, 178.

(4) الإكليل والتاج: 104-105 صلة الصلة 3 :65.

(5) راجع كتاب ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة: ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين: 343, 344.

(6) شجرة النور الزكية: 179.

(7) برنامج الرعيني: 206.

(8) التكملة 1 :66 (216)، وذكر ابن سعيد في كتابه المغرب: 1 :437 قوله «وبعد انفصالي من أفريقية بلغني أنه مات».

(641هـ/ 1243م) أو (642هـ/ 1244م).

وقد وصفه أبو الحسن الرعيني بأنه: «شاعر غزل مرقق، لم يكن فيما كتب به شيء يليق ذكره، سوى قطع غزليات[1]»، وأغلب الظن أن هذا الشيخ الأديب قد ترك بعض طوابعه في تلميذه ابن المرحل وفي أغزاله التي عرف بها في مرحلة شبابه، فقد كان كما حلاّه ابن الأبار: «أديباً شاعراً مجيداً، وقد حمل عنه بعض كلامه[2]» وذكر مشيخته لمالك بن المرحّل لسان الدين بن الخطيب والكتاني[3].

4 ـ سالم بن صالح بن علي بن صالح بن سالم الهمداني المالقي[4]، المكنّى أبا عمر من جلّة شيوخ مالقة، ومن أعلام القرن السابع، فقد وصفه ابن الأبار بأنه كان «شديد العناية بالحديث، أديباً شاعراً، مائلاً إلى الزهد[5]» وقد أكّد الرعيني هذا الوصف، ونقل لنا مما عاينه وشاهده من أحواله، أوصافاً أخرى تدل على علمه وزكاء نفسه حيث حلاّه بأنه كان: «أديباً حافلاً حاشداً، كثير الإمتاع، متواضعاً طيب النفس، سليم العقد، معنياً بالتقييد، ضابطاً[6]» ثم ذكر وفاته في شهر رمضان من عام[7] (620هـ/ 1233م) وذكر شيوخه وبعض أخباره وأشعاره، ومعنى ذلك أن مالكاً أخذ عن شيخه أبي عمر هذا علومه قبل بلوغه السادسة عشرة من عمره، أي في أخريات حياة هذا الشيخ.

5 ـ عبد الرحمن بن دحمان: من شيوخ المترجم به في مالقة بالأندلس، واسمه عبد الرحمن بن دحمان بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري، ويكنى أبا بكر من أهل مالقة الذين اشتهروا بعلم القراءات والحفظ، والمشاركة في علوم

---

(1) برنامج شيوخ الرعيني: 206.
(2) التكملة 1 :67, 66.
(3) الإحاطة 3:305, 306 سلوة الانفاس 3:100,99. .
(4) برنامج شيوخ الرعيني: 105، الإحاطة 4:296.
(5) التكملة 2:712 (2005).
(6) برنامج شيوخ الرعيني: 105.
(7) م.ن: 105

الأدب، والإلمام بعلم النحو الذي كان يلقّب لإتقانه له أرون[1] النحو[2] درَس في بلده على عمّه أبي محمد القاسم بن عبد الرحمن، وسمع منه، ومن شيخه أبي القاسم السهيلي وأكثر من ملازمة شيخه القاضي أبي الوليد ابن رشد، وقد وصف في بعض المراجع بدماثة الخلق، ولين الجانب مع الانبساط واستعمال الدعابة[3] وذكر أنه توفي بمدينة مالقة سنة (627هـ/ 1229م).

ويظهر أن الشيخ ابن دحمان كان من أوائل أشياخه في مدينة مالقة والأندلس، وأنه ترك طوابعه عليه في علمه بالقراءات والأدب، وميله إلى الدعابة والانبساط.

6 ـ عبد الله الأستجي (أبو محمد) هو كما ترجم له ابن الأبار: «عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم الأنصاري الأوسي من أهل استجه[4]، وسكن إشبيلية، يعرف بابن ستاري، ويُكنّى أبا محمد[5]» من أعلام القرن السابع الذين تخرج بهم خلق كثير من المشاهير، درس في بلاده الأندلس، فأخذ عن أبي الحسين بن عظيمة القراءات، والعربية، عن أبي علي الشلوبين وغيرهما، ثم رحل في أخريات سنة (602هـ/ 1205م) إلى المشرق فقرأ الفقه والأصول عن الشيخ أبي الحسن الأبياري، وعن الشيخ أبي العز مظفر الشافعي، وسمع طائفة من جامع الترمذي من أبي شجاع زاهر بن رستم الأصفهاني، ثم عاد بعد أداء فريضة الحج إلى الأندلس، فقدر لمترجمنا أن يلتقي به فيها، ويأخذ عنه ما كان يقرئه من علم الأصول وفقه الإمام مالك والأدب[6].

---

(1) من أرن بمعنى نشط ومرح، وفي المثل «سمن فأرن» يضرب لمن تعدّى طوره، وهو وهي أرون، أي بلغ شأوا بعيداً في أمر من الأمور.

(2) التكملة لكتاب الصلة 585:2.

(3) م. ن 585:2.

(4) أستجة: من بلدان الأندلس، تقع جنوب غربي قرطبة.

(5) بغية الوعاة 141:1 التكملة لكتاب الصلة 522:2، صلة الصلة 65:3.

(6) نيل الابتهاج: 138، جذوة الاقتباس: 242.

وقد رحل الأستجي بعد ذلك إلى مدينة سبتة، وعاد منها إلى إشبيلية التي ظل فيها إلى زمن محاصرة العدو لها، فخرج منها ثانية إلى سبتة التي توفي فيها، وذلك في سنة [1] (646هـ/ 1248م).

ولا خلاف في أن ابن المرحّل استفاد من علوم الأستجي وفهومه في مدّة مقامه بالأندلس فقد وصفه ابن الأبّار بقوله: «وكان من أهل الفهم والتيقظ، والاستنباط الحسن، وله جوابات فيما سئل عنه تدل على نباهته ومتانة علمه»[2].

7 ـ أبو الحسن علي بن الدباج، كتب اسم هذا الشيخ في بعض المراجع خطأ أبو الحسن بن الدباغ[3] ولكن مترجمنا مالكاً، أشار إليه صراحة في الإجازة التي كتبها إلى الشيخ أبي الفضل التيجاني التونسي بـ «الدباج» حيث قال[4]:

وعن ابن الدبّاج وابن الشلو   بين إجازة قبل خطب الإجازه

وعليه فأبو الحسن بن الدباج معدود في جملة شيوخه الكبار الذين أخذ عنهم العلم في الأندلس، وبالتحديد في إشبيلية وهو علي بن جابر بن علي بن يحي اللخمي الإشبيلي النجار والدار أخذ عن صهره أبي الحسن نجته وأبوي بكر عتيق اليابري وابن صاف، وأبي بكر بن طلحة وأبي الحسن بن خروف وغيرهم[5].

ومن نعوته التي ربما تشرّب المترجم بعضها أو جلها في سلوكه أنه كان:

---

(1) التكملة لكتاب الصلة 522:2.

(2) التكملة لكتاب الصلة 522:2.

(3) الإحاطة 305:3، برنامج الرعيني: 88، الحركة الفكرية في سبتة: 25.

(4) راجع كتاب ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة: ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين: 343, 344.

(5) الذيل والتكملة 198:5,199.

«حسن السمت والهدى، ديناً صالحاً سنياً فاضلاً، ظريف الدعابة، حسن اللوذعية، مقرئاً مجوداً متعلقاً برواية يسيرة من الحديث، متقدماً في العربية والأدب[1]» وكان بالإضافة إلى اشتغاله بالتعليم والإقراء مدة ناهزت الخمسين عاماً «لم يتعرض لسواه، ولا عرج على غيره نزاهة عن الأطماع، وأنفة من التعلق بالدنيا وأهلها، وكان مبارك التعليم فنفع الله بصحبته والأخذ عنه خلقاً كثيراً[2]» ومع النص الصريح من ابن المرحل على استفادته من شيخه أبي الحسن الدباج، فقد أكّد هذا الأخذ ابن الخطيب[3]، وشمس الدين الجزري[4]، والأدفوي وصلاح الدين الصفدي[5].

8 ـ عمر بن محمد بن عمر الأزدي المعروف بالشلوبين[6]، أبو علي إمام العربية في الأندلس في زمنه، ومن أشهر أقطاب التفكير النحوي فيها، قرأ على ابن الجدّ، وابن زرقون، والكلاعي الحوفي، وابن ملكون، وعلى خلق كثير من العلماء غيرهم[7] كما تخرّج به خلق كثير من أئمة العربية في ذلك المصر كان من بينهم المترجَم به مالك بن المرحل[8]، وقد وصف الرعيني أستاذه الشلوبين بأنه: «كبير أساتيذ إشبيلية في العربية المرجوع إليه فيها، الشديد الاستقلال بها، والقيام عليها[9]»، وقد طمح ابن المرحل المالقي إلى أن

---

(1) م. ن

(2) م. ن.

(3) م. ن.

(4) البدر السافر لوحة: 56.

(5) راجع الوافي بالوفيات.

(6) راجع ترجمته وأخباره في بغية الوعاة: 364، التكملة 658:2 (1829)، برنامج ابن أبي الربيع: 36، غاية النهاية 36:2، اختصار القدح المعلى: 152، برنامج شيوخ الرعيني: 83، الإحاطة 121:1، طبقات القراء 36:2، شجرة النور الزكية: 182 الإكليل والتاج الورقة: 152 ,153.

(7) بغية الوعاة: 364.

(8) الإحاطة 305:3، الإكليل والتاج: 104-105. البدر السافر لوحة: 56أ، الوافي بالوفيات 19-25أ.

(9) راجع برنامج شيوخ الرعيني

يربط سنده العلمي بهذا الأستاذ الشهير فرحل إليه، وأخذ العلم عنه في إشبيلية[1] حيث نال منه علماً ظلَّ حريصاً على التنويه به وبذكر فضل أبي علي عليه، وقد اعترف الشلوبين بذكاء تلميذه ابن المرحل وحسن تحصيله، فأجازه كما ذكر مترجمنا في إجازته إلى أبي الفضل التجاني قبل أن يطلب منه الإجازه حيث قال[2]:

وعن ابن الدباج وابن الشلوبين   إجازة قبل خطب الإجازه.

9 ـ محمد بن علي بن الخضر الغساني المالقي أبو عبد الله، المعروف بابن عسكر أحد شيوخ مالك ابن المرحل وقد حلّى في بعض المراجع بما يدلّ على مكانته الرفيعة في العلم، وصفه ابن مخلوف بقوله: «الفقيه العلاّمة المتفنن في العلوم، الفهامة المتين الدين، المعظّم عند الخاصة والعامة[3]».

وقد ترسّخت مكانته العلمية بما حصله وأخذه من أكابر علماء وقته مثل الشيخ سليمان ابن حوط الله، وأخيه وغيرهما، وتخرج به أعلام أفذاذ يكفي أن نذكر منهم ابن الأبار وابن المرحل، واشتغل إلى جانب التدريس بالقضاء الذي قبله بعد تحرّج وامتناع «وسار فيه أحسن سيرة ماضي العزيمة، لا تأخذه في اللّه لومة لائم[4]» وترك آثاراً تأليفية أشار إليها ابن مخلوف، الذي ذكر أنه ولد قريباً من سنة 584 هـ وتوفي في سنة 636[5]. قال ابن الأبار «وكانت جنازته مشهودة، ورثاه أدباء مالقة، ومولده تخميناً لا يقيناً في نحو سنة أربع وثمانين وخمسمائة»[6].

وما من ريب في أن مترجَمنا قد تظلع من مناهل شيوخه الأندلسيين الكبار المذكورين وغيرهم ممن لم تصلنا أسماؤهم، ومامن ريب أيضاً في أنه حذق

(1) الإحاطة 305:3.

(2) راجع النص رقم (66).

(3) شجرة النور الزكية: 181، بغية الوعاة 179:1.

(4) م. ن: 181.

(5) م. ن: 181.

(6) التكملة لكتاب الصلة 248:1, 349، الإكليل والتاج الورقة: 48.

الكثير من معارفهم اللغوية والشرعية والإخبارية، وهو ما تفصح عنه آثاره الموجودة، وتدلُّ عليه أسماء أعماله المفقودة، حتى قيل إنه أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة[1].

وقد تزوّد مالك بهذا الزاد المعرفي الواسع ودلف به إلى لجِّ الحياة الفكرية والأدبية المزدهرة في وطنه الأندلس في البدء، ثم إلى العدوة المغربية بعد أن أزعجه وقومه الصليبيون حيث قدر له ، كما سيأتي بيانه، التأثير في مسير الفكر في هاتين العدوتين إبان القرن السابع. قال ابن خلاّد في الإشادة بدوره: «وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، فطلع في جبين زمانه غُرّة منيرة، ونصع في سلك فصحاء أوانه درّة خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وامتاز في رعيله بإدراك كلِّ معنى وسيم[2]».

أما المجلى الآخر، وهو مجلى حياة اللهو والفراغ الذي تلبّس به في طور حياته الأندلسية، والذي لا نحبّ التوسع فيه كما لا نحبّ مراعاة للموضوعية إغفاله كما أغفله عمداً بعضُ الباحثين، فإننا نطالعه من خلال ما وصلنا من نماذج أشعاره التي انتهت إلينا، والمفصحة بجلاء عن هذا المجلى، ولا ريب في أن أشعاراً أخرى تندرج في هذا السياق قد أتلفها الشاعر في طور تزهّده وتصوُّفه.

إننا نذهب إلى القول إن شاعرنا قد بقي في مدينة إشبيلية، مدينة الفن، والتي تلقى فيها بعض علومه، فترة غير قصيرة قبل الرحيل إلى مدينة سبتة في العدوة المغربية، وأنه تلبث فيها مع لداته من أمثال ابن سهل الإشبيلي، وابن سعيد وغيرهم ينعمون في ربوعها بمرأى الطبيعة الخلاّبة في «مرج الفضة» و«العروس» و«شنتبوس» و«السلطانية[3]» وغيرها من البساتين والمنى الجميلة،

---

(1) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية 2: وقد انفرد مؤلفها بالقول بعد ذلك «وكان يناصب ابن تيمية العداء ويناظره ويثنى أحدهما على الآخر».

(2) الإحاطة 304:3.

(3) أسماء مواضع في إشبيلية الأندلسية.

ويأنسون بالمجالس الطليقة التي كانت تفيض سويعاتها بجوار الأمواه المنسابة والأزهار الشائقة بالأشعار والموسيقا واللهو، وقد كان بعض أصدقاء مالك من أمثال ابن سهل الإشبيلي، على ما صوّره ابن سعيد الأندلسي معاصرهما، يرتاد متنزهات إشبيلية قبل أن يرحل مع مالك إلى سبتة، ويقود في ربوعها أسراب لهوه، قال ابن سعيد في معرض الحديث عن ابن سهل «قرأت معه زماناً، وبادرنا لأنواع اللذات ميداناً فميداناً، وكان مهوى هوانا، ومجمع لذاتنا ومنانا، بمرج الفضة والعروس والسلطانية وشنتبوس، لا نكاد نخلو من التفرج في تلك الأدواح والقصور، وظل الشباب ممدود، وهوى النفس هناك مقصور، ومعنا من الوجوه الفتّانة ما يعين القرائح، ويأتي من المحاسن والبدائع بكل غادٍ ورائح».

ونحسب أن شاعرنا مالكاً الذي كان يقود أسراب لهوه في تلك المرحلة مع صديقه ابن سهل كان أيضاً من شهود تلك المجالس الإشبيلية التي كان يغشاها ابن سهل وابن سعيد، ولسنا ندري عما إذا كان ابن سعيد هذا قد خصّ ابن المرحل بذكر أخباره وذكرياته في كتبه المفقودة أولاً؟.

وأغلب الظن أن مترجَمنا مالكاً قد فتن بهذا الجو الإشبيلي الطليق في زمن شبابه وبطالته، فأجرى في حلبته جواده، وطار في آفاقه الفساح أيَّ مطار، وأبدع خلال ذلك إبداعات تصوّر افتتانه وانهماكه، يدلنا على ذلك كلّه أو جلّه هذه الإشارات الواضحة المتصلة بهذا الطور الأندلسي من حياته:

أ ـ شعره الذي قاله في النسيب والتشبيب والذي نظمه، وبخاصة المنفلت المكشوف في هذا الطور اللاهي الذي سبق طور جدّه وحرارة إيمانه، وعمق عقيدته.

ب ـ ما يستشف من الشواهد الكثيرة التي حرص على إثباتها في نصّ «رسالتان في الدوبيت» بالرغم من تمحورها في الأغزال والشكوى من الهجر، وتصوير الصبوح والغبوق، والتغزل بالمذكر والمؤنث، على النحو الذي نطالعه في أغزال صديقه الإشبيلي ابراهيم بن سهل، وابن سعيد وغيرهما من شعراء الأندلس الذين فتنوا بمجالس الشراب واللهو.

ج - ما ذكره أستاذنا محمد المنوني، وهو يؤرخ الموسيقا الأندلسية بالمغرب متصلاً بمترجَمنا حيث عدّه من شعراء الأغاني في هذه الموسيقا ممن تحتفظ بهم المائة السابعة من الهجرة مع ابن الياسمين عبد الله بن محمد بن حجاج الفاسي المتوفى عام (601هـ/ 1204م) وأبي حفص السلمي: عمر بن عبد الله محمد الأغماتي المتوفى عام (603هـ/ 1406م) معتمداً في تقرير هذا النعت لابن المرحل على ما ذكره ابن الخطيب «واشتهر نظمه، وذاع شعره، وكلفت به ألسنة الخاصة والعامة، وصار رأس مال المسمعين والمغنين[1]».

ومعتمداً أيضاً على شعره الذي وردت فيه بعض مصطلحات فن الغناء مثل «التوشية عند مدخل الغناء[2]» ووصف منظر مدينة سبتة بأنه عود غناء «وقد ألقي في البحر على بطنه[3]».

د - الوصف الذي وصفه به صديقه ابن أبي الربيع عندما صار بغيضه وخصمه في مدينة سبتة، فقد رماه، كما سيرد في المناظرة التي جرت بينهما، بالمجون، وقد كان ابن أبي الربيع من أترابه الذين، عاشوا معه في إشبيلية زمن التحصيل.

هـ - ما صرّح به مالك نفسه في بعض أشعاره وبخاصة في مكفراته (النبويات والمعشرات والعشرينيات) من الندامة على ذلك اللهو والفراغ والضياع الذي مرّ به في بعض أطوار حياته، مظهراً خلالها أسفه وتحسّره على ما فرط منه في جنب الله.

كذلك يمكننا أن نستنتج ونحن نؤرخ لمالك في طور شبابه بعد ذلك أنه اتخذ لنفسه عملاً يعيش به في مدينة إشبيلية وينفق منه على ما

---

(1) لم نجد بين أيدينا من آثار ابن سعيد الأندلسي ذكراً لمالك بن المرحل وربما كان ذكره في آثارة الضائعة.

(2) الإحاطة 307:3.

(3) راجع تحقيق الأشعار النص (59).

تتطلبه وتقتضيه ظروف عيشه.

وعلى الرغم من أن ابن الخطيب لم يذكر وهو يترجم له، أنه تحرّف صناعة التوثيق فإنه أورد قول أبي جعفر بن الزبير تلميذ ابن المرحل المشير إلى هذا التحرّف[1] وهو ما ذهب إليه أيضاً جلال الدين السيوطي الذي قال «تحرّف بصناعة التوثيق[2]»، ولكن الأستاذ عبد الله كنون لم يقطع بذلك القول حيث قال: «وكان ربما احترف صناعة التوثيق ببلده[3]» ونحن نميل إلى ما قرّره تلميذه ابن الزبير، وما ذهب إليه السيوطي من تعاطيه هذه الصناعة في أوائل حياته قبل أن يتولّى القضاء، ليضمن بها ما يَسدُّ حاجته وما لا بد منه من كفاف العيش في بداية حياته العملية كما اشتغل أيضاً بصناعة النسخ التي كان كما ذكر في رسالته الإخوانية للأديبين القبتوري والفخار[4] مُجوِّداً فيها يستفاد ذلك من قوله «فأنا والحمد لله غني بصنعة الحفر، وأقتني اليراع كأنها شبابيك التبر، وأبري البرية تنيف على الشبر، وأزيّن خدود الأسطار المستويّة بعقارب اللامات الملتوية ولا أقول كأنها[5]»[6].

كذلك دلّنا بعض مترجميه على وظيفة أخرى من الوظائف التي تولاّها في الأندلس بعد أن تخلّص مماتلبس به في إشبيلية، وهي خطة القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها[7]».

(1) راجع تحقيق الأشعار النص (58).
(2) مجلة البحث العلمي ع 14، 15 س (1389-1969).
(3) الإحاطة 3:304.
(4) بغية الوعاة 2:271.
(5) ذكريات مشاهير رجال المغرب «مالك بن المرحل»: 6.
(6) راجع الباب الثالث.
(7) هذا الأسلوب يُسمّى في البلاغة فن الاكتفاء وهو من مباحث علم البديع.

وقال في موضع آخر: «تكرّر قدومه علينا بغرناطة»، وأكّد هذا ابن خلاّد بقوله: «وتولّى القضاء[1]» وهو ما أيّده سماع لسان الدين بن الخطيب من شيخه ابن الجيّاب: «وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيّاب ولي القضاء بجهات البشارات، وشكا للسلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكر يا نتشر[2]».

والذي يستفاد من تلك الروايات مجتمعة أن ابن المرحّل سرعان ما آثر سلوك سبل الجد والعلم، واستنكف من السير في مزالق البطالة والفراغ ليملأ حياته بعد ذلك بالعلوم والآداب التي كتبت له الشهرة في العدوة المغربية التي هاجر إليها، وحسنت فيها آثاره وأخباره.

المبحث الثالث: حياته في العدوة المغربية:

امتدت هذه الحياة في العدوة المغربية أو المغرب الأقصى من زمن رحيله عن وطنه الأندلس إلى تاريخ وفاته فيه، لم يخرج منه إلا مرات رحل فيها رحلات عمل رسميّة إلى العدوة الأندلسية، وفي الحق أن هذه المرحلة المغربية من حياته كانت، كما يتضح ـ مرحلة حافلة بالتفاعل والعطاء والتأثر والتأثير.

والذي لامرية فيه أنه جاء إلى هذه العدوة المغربية ـ كما سبقت الإشارة ـ مكتمل التكوين العلمي، والتحصيل الأدبي، فقد أخذ معارفه عن كبار الشيوخ في الأندلس، وتخرّج بهم لغوياً وفقهياً وأدبياً، حتى قيل إنه أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة[3] كما تولّى القضاء في بلاده، حتى إذا جاء إلى هذا المهجر الآمن أثر في حياته الفكرية والأدبية تأثيراً كان له صداه على نحو ما سيأتي تفصيله فيما بعد.

---

(1) الإحاطة 30:3، وراجع التحقيق والنص (109).

(2) م. ن 304:3.

(3) م. ن 306:3.

ولئن لم نتمكن كمن سبقنا من دارسيه من تتبع جميع أحواله وأخباره بالمغرب فقد جمعنا حقائق قيّمة موثّقة عن تفاعلاته في مدينتي سبتة وفاس بهذه العدوة.

1 ـ الإقامة في مدينة سبتة:

نحبُّ قبل الشروع في ذكر أخباره المتعلقة بإقامته في مدينة سبتة التي حلّ فيها زمناً بعد نزوحه من الأندلس أن نثبت رأينا الذي نخالف به ما جنح إليه بعض الباحثين القائلين بقصر إقامة مالك بن المرحل في الأندلس، وبجوازه السريع إلى العدوة المغربية التي جاء إليها ـ حسب زعمهم ـ صغيراً ناعم الظفر، وهو المذهب الذي رتبوا عليه ـ دون سند ـ أخذه معارفه وعلومه في مدينة «سبتة» التي قالوا بتلقيه عن علمائها مستندين في ذلك كلّه على ما قاله ـ توهماً ـ أحمد بن القاضي ـ حينما ذكر أن ابن المرحَّل نظم صداقاً لبعض العزفيين حكام سبتة عهدئذٍ وسنّه أربع وعشرون سنة[1]، وقد استنتج من جاء بعده من قوله ذاك أن مالكاً دخل هذه المدينة قبل هذه السن بسنوات ليبني على ذلك حكماً مؤدّاه أن ابن المرحَّل الذي هاجر إلى سبتة تلقى علومه في سن مبكرة ـ أيْ قبل سن الرابعة والعشرين عن علماء سبتة.

فمما لا ريب فيه أن العقد المشار إليه كتبه مترجمنا نظماً لزواج ابن أبي القاسم العزفي حاكم سبتة المسمّى «أبا حاتم» إلا أنه يحمل بجلاء تاريخاً غير التاريخ الذي أشار إليه ابن القاضي، وهذا التاريخ هو سنة (658هـ/ 1259م) المستفاد من قول مالك في العقد المذكور[2]:

في شهر ذي حجة يوم الخميس ضحى ... وذاك في سادس من عشرة الآخَر

في عام خمسين زد لها ثمانية ... من بعد ست مئات كلها قمري

والبيتان يفيدان ـ كما نلحظ أن مالكاً حضر هذا العقد وهو ما نتفق فيه مع ابن القاضي، إلا أننا نختلف معه في التاريخ الذي أثبته خطأ وهو سنة (628هـ/

(1) م. ن. 305:3.

(2) جذوة الاقتباس 330:1-333، الإحاطة 306:3.

1230م) الموافق لسن الرابعة والعشرين من عمر ابن المرحل، بينما كان ذلك الحضور والكتب بحسب شهادة وقول مالك نفسه في سنة (658هـ) أي بعد تجاوزه سن الخمسين، عندما ترسخت منزلته الاجتماعية في سبتة ولدى حكامها، مما سمح له بشهود ذلك الحفل وتأريخه ونظم وقائعه بطلب حاكم سبتة أبي القاسم العزفي.

وبذلك يظهر ما ذكرناه من توهّم ابن القاضي وبطلان ما ذهب إليه من اعتمد على ذلك التوهّم في تقرير أنه تلقى علومه في مدينة سبتة قبل الرابعة والعشرين من عمره، وقد بحثت كثيراً عن أسماء الشيوخ السبتيين الذين ربما أخذ عنهم العلم في مهجره مدينة سبتة حسب ذلك القول ـ فلم أقف من المصادر الدقيقة على شيء من تلك الأسماء، بل أكّد البحث انحصار أسماء شيوخه في العدوة الأندلسية، وهو ما يدعم دخوله سبتة في سن تربو عن سن التحصيل والتلقي.

ومهما يكن من أمر فقد غادر مالك العدوة الأندلسية إلى العدوة المغربية لأسباب عديدة ربما كان أهمها:

أ ـ الوضع السياسي والعسكري القلق والمنهار الذي طرأ على الأندلس نتيجة ضعف المسلمين وحكامهم، واشتداد قبضة الحملة الصليبية الضارية التي صارت تطال الكثير من مدائنها ومن بينها إشبيلية التي قضى فيها ابن المرحَّل فترة من شبابه.

ب ـ الوضع المالي والاقتصادي السيئ الذي كان عليه ابن المرحَّل، إذ على الرغم من توليه خطة صناعة التوثيق أولاً والقضاء فيما بعد، فقد كان ضيّق العيش مما اضطره إلى أن شكا للسلطان ضعف الولاية.

ج ـ ما كان يشهده من الاستقرار السياسي في العدوة المغربية، وبخاصة في مدينة سبتة، وازدهار الحركة الفكرية فيها، فقد عمل الحكام من أمثال ابن خلاص وأبي القاسم العزفي حاكمي سبتة ـ كما تؤكد المراجع ـ على رعايتها، كما تبينا تشجيعهم العلماء الأندلسيين الوافدين على الإقامة بربوع سبتة، وإنماء حركة العلم فيها، وقد حلَّ فيها خلال هذه الفترة كما تقدّمت الإشارة ـ أعلام من الأندلس مشهورون أمثال

محمد بن محمد الأنصاري المعروف بابن الجنان، وصديقه الأديب ابراهيم بن سهل الإشبيلي، وابن عتيق وابن أبي الربيع وغيرهم.

ونحسب أن تشجيع ابن سهل - الذي أكرمه ابن خلاص وعينه كاتباً وشاعراً له - لمالك بن المرحَّل، مع ما صحب ذلك من طموحه، كان بالإضافة إلى الدوافع المتقدمة من الجواذب الحقيقية لهجرته من عدوة الأندلس إلى سبتة في عدوة المغرب.

إن أقدم الإشارات الدالّة على نزوله بمدينة سبتة في العدوة المغربية تلك الإشارة التي أفصحت عن صلته بحاكمها أبي علي الحسن بن خلاص كما ستأتي الإشارة إلى هذه الحادثة أو الصلة فيما بعد.

وقد كانت مدة ابن خلاص في حكم المدينة محصورة بين سنتي (637هـ/ 1239م) و (640هـ/ 1241م) وهي السنوات التي عمل خلالها على إعمار هذه المدينة وإنعاشها، وتوفير أسباب الاستقرار فيها، ما أغرى الكثير من الأدباء والعلماء الأندلسيين، بل وعلماء المغرب بالهجرة إلى سبتة، وإثراء ربوعها بالعلم والدرس والبحث.

ومعنى ذلك أن مترجمنا قد حلّ في سبتة في المدة الواقعة بين سنتي (637 هـ 640 هـ) أي بعد أن تجاوز العقد الثالث من عمره.

ويظهر أنه لم يتصل اتصالاً سريعاً ومباشراً بابن خلاص على نحو ما اتفق لصديقه ابراهيم بن سهل مثلاً، ويظهر أيضاً أنه لم يهنأ بالعيش في سبتة في أوائل حلوله بها، فقد أشار الأستاذ عبد الله كنون إلى تعاطيه صناعة التوثيق بسبتة[1].

وعلى الرغم من أن مترجميه - إلاّ قلّة منهم[2]- لم يذكروا أنه باشر في هذا الطور فن التدريس والإقراء بمدينة سبتة، فإنني أرجح تصدّره للإقراء والتدريس قبل اتصاله بابن خلاص وبأبي القاسم العزفي بعده، وقد أشار الدكتور حسن الوراكلي إلى حلقته ضمن حلق العلم، وإلى تدريسه بسبتة حيث قال: «والظاهر أن

(1) م. ن.

(2) ذكريات مشاهير المغرب «مالك بن المرحل» (6).

جلّ ما كان هذا الشيخ يقرئه طلبته كان يتمحور بالأساس حول منشآته الشعرية والنثرية[1]».

وسوف نتبين عند ذكر مسرد ما توصلنا إليه من أسماء تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم وهم من جهات متعدّدة في العدوتين، وبطرق مختلفة منها السماع والقراءة، والتحمل باللقاء، وطريق الاستجازة، أن طائفة منهم أخذوا عنه العلم بتلك الطرق في مدينة سبتة.

والذي نذهب إليه مطمئنين أن الكثير من آثاره التأليفية والنظمية كان نتاج هذه المرحلة التي أغفلها مترجموه، فموطأته التي نظم فيها «فصيح ثعلب» وشرحه عليها، «وأرجوزته في العروض» و«معشراته» و«عشرينياته» و«مقامته النجدية» وغيرها كلها كانت فيما أرجح، من ثمار هذا التدريس الذي حاول فيه تبسيط حقائق العلوم، وتقريب مسائلها إلى أذهان المتعلمين والطلاب الذين أثنى بعضهم على جهوده فيما يأتي من شهاداتهم.

وبالرغم من أنه كان ـ حسب بعض تلك الشهادات المنصفة ـ موفقاً في هذا التدريس بمدينة سبتة وأنه أبدع في هذا النظم التعليمي الدال على طول باعه وبراعته وتأثيره بين طوائف المتعلمين فإن هناك نصاً من نصوصه الشعرية ـ الذي أثبتناه ضمن شعر الهجاء ـ يلمح إلى أنه قد ضاق ذرعاً بالتدريس في فترة من الفترات، وتبرّم من بعض تلاميذه المعاندين:

أرى المتعلمين عليك أَعْدَىٰ إذا أعلمتهم من كلّ عادِ

فما عند الصغير سوى عقوق ولا عند الكبير سوى عنادِ

والراجح أن صلته بحاكم سبتة ابن خلاص قد قويت علائقها بسبب الشهرة العلمية التي حققها بين علماء المدينة من جهة، وبسبب صلته الحميمة بصديقه ابن سهل كاتب ابن خلاص وشاعره من جهة أخرى، فقد وقفنا على بيتين قالهما ابن المرحل في هجاء مقراض لئيم نال من أصابع ابن خلاص[2]:

عداوة لا لكفّك من قديم فلا تعجب لمقراض لئيمِ

(1) راجع شيوخ العلم وكتب التدريس في سبتة للأستاذ الدكتور حسن الوراكلي.

(2) شيوخ العلم وكتب التدريس في سبتة: 67, 62.

لـئــن أدمــاك فـــهــو لـــهــا شـبــيــه وقـد يـسـطـو الـلـئـيـم عـلـى الـكـريـمِ

والبيتان يشيان بقرب شاعرنا من ابن خلاص، وبحضوره مجالسه، ومن المؤسف أننا لم نعثر على شعر آخر غيرهما، ولسنا ندري هل أثمرت هذه الصلة عطاء شعرياً كثيراً، على نحو ما أثمرته صلة ابن سهل بهذا الحاكم أولاً؟.

ولئن لم تفصح المراجع عن معلومات أخرى وافية عن ارتباطه ببلاط ابن خلاص، فإن مخطوطة «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» التي كتبها في مناظرة ابن أبي الربيع ألقت بعض الأضواء على ارتباطه بحاكم سبتة الجديد أبي القاسم العزفي الذي تولّى حكمها في الفترة ما بين (647هـ/ 1249م) إلى سنة[1] (677هـ/ 1279م) على صلاته بالبلاط العزفي، فقد أشار فيها إلى أبي القاسم بقوله: «سيّدي ومخدومي[2]» وقرن اسمه تأدباً مع حضرته بنعت «المملوك[3]» قبل إبداء اعتراضاته وتعقيباته على ابن أبي الربيع - كما سيتوضح فيما بعد - وقد تفرّد أبو جعفر الأدفوي بذكر هذا الخبر حيث قال: «ولما قدم سبتة ولاّه أميرها أبو القاسم العزفي في كتابة سره، وتولّى القضاء[4]».

والذي أميل إليه من خلال القرائن الموجودة أنه لم يتول كتابة سرّه والقضاء في عهده إلا بعد زمن غير قصير كان في أثنائه خلفَ الغافقي القبتوري المقدَّم لدى حاكم سبتة أبي القاسم العزفي، يدلنا على ذلك ما كتبه في رسالته الإخوانية إلى ابن الفخار والقبتوري يصور حاله ويسترحمهما «وأنا الطريد منبوذ بالعراء، موقوذ في جهة الوراء، لا يدنى محلي، ولا يعتنى بعقدي ولا حلي، ولا أخرج من الحرور إلى الظل ولا أدرج من الحرام إلى الحل، ولا يبعث إليَّ من النسيم هبّة، ولا تباح لي من الآتي عبّة، قد هلكت

---

(1) السحر والشعر (أ) الورقة77، (ب) الورقة: 69 الإحاطة 316:1.

(2) د. ابراهيم حركات «إمارة بني العزفي» مجلة آداب تطوان ع3 س3.

(3) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط (ن).

(4) م ن: 20,6.4.3.

لغواً، ولم تقيما لي صفواً ومت كمداً ولم تبعثا لبعثي أمداً، أتراه خلفتاني جرضا، وألقيتماني حرضا، كم أستسقي فلا أسقى، وأسترقي فلا أرقى، لا ماء أشربه ولا عمل في وصلكما أدربه[1]».

فهذه الشكوى الصارخة التي ناجى بها صديقيه الكاتبين المهاجرين مثله من الأندلس إلى سبتة واللذين كانا أكثر حظاً منه في تسنم المناصب الرفيعة فيها مفصحة عما كان يعانيه من الهوان والإهمال غير اللائقين بمكانته وعلمه.

ويظهر أنه كان للفخار والقبتوري بعد ذلك دور بارز في إدنائه وتقريبه من أبي القاسم العزفي الذي تولّى في عهده ـ حسب رواية الأدفوي ـ كتابة سره ومنصب القضاء، وصار بعد ذلك أكثر حظوة وقبولاً وشهوداً لمناسبات هذا الحاكم.

فقد دُعي إلى شهود مناسبة مهمة من مناسبات هذه الأسرة أو البلاط العزفي، وهي مناسبة زواج ابن أبي القاسم التي سبقت الإشارة إلى أنه خلّدها بنظم العقد وأسماء حضوره وتاريخه ضمن منظومة طويلة أثبتناها في النصوص المحققة[2].

ومما يلوح من هذه الصلة بأبي القاسم العزفي وعدد من أفراد أسرته الحاكمة أنه نعم بالعيش وأغدق عليه من هذا الحاكم ومن أمرائها ورجالها ما حيي به زمناً هانئاً مكرماً، فحبّب إليه المكث في سبتة، والاعتداد بها كأهلها المعروفين بتفضيلهم لها على كل المدائن حتى أنهم لا يفضلون «على مدينتهم مدينة» قال ابن الخطيب «الشك عندي في مكة والمدينة[3]» قال المقري «قلت: ولعله عرض بقوله الشك عندي في مكة والمدينة بقول مالك بن المرحل: أخيّة مكة أو يثرب «والله أعلم[4]» وفي ذلك إشارة إلى بيت مالك بن المرحَّل:

سلام على سبتة المغرب أخيّة مكّة أو يثرب

---

(1) البدر السافر 2: لوحة: 56أ.

(2) الاحاطة 3:322,323.

(3) راجع النص رقم (41).

(4) جذوة الاقتباس 1:330,333.

لقد تأكدت مكانته في مدينة سبتة بعد نزوحه إليها من الأندلس، وتأيّدت بفضل مواهبه وملكاته، وما تميّز به من علم وأدب وظرف، وسرعة بديهة وحفظ وألفة، فكان موضع تقدير من الحاكمين من أمثال: ابن خلاص، وأبي القاسم العزفي، ومن كبراء الدولة وأعلام المدينة وأدبائها، كما كان محلّ التجلّة من تلاميذه وعارفي فضله، بل من الوافدين والطارئين على سبتة، فمن الأدباء البارزين المشاهير الذين كانت تجمعه بهم المجالس الأدبية فيها، الأديب الشاعر ابراهيم بن سهل الإشبيلي، وقد رجّحنا أن بداية صلته به كانت إبّان شبابهما في إشبيلية كانت محكمة زمن التحصيل من أكابر شيوخها، ثم في مجالس اللهو والبطالة، كما جمعتهما بعد ذلك علاقة وثيقة في سبتة حيث أقاما، وفي بلاط ابن خلاص الذي كان ابن سهل من كُتّابه وشعرائه، كما كان ابن المرحّل من المختلفين على مجالسه، وقد دلّنا أحمد بن عبد الله الأنصاري الرصافي[1] تلميذ مترجَمنا على هذه الآصرة التي ربطت بين ابن المرحّل وابن سهل في معرض الحديث عن وفاة ابن سهل حيث قال: «أخبرني بمدينة سبتة شيخي أبو الحكم مالك بن المرحّل: كان معنا أبو اسحاق ابراهيم بن سهل، وقد حسن إسلامه، ولازم الجماعة والقراءة، وكان من جملة كتّاب علي بن خلاص، صاحب سبتة إلى أن عيّن ابن خلاص ولده رسولاً إلى المستنصر ملك تونس[2] ووجّه ابن سهل معه، فركبا البحر في غراب، وسارا إلى أن هاج البحر بالسفينة التي كانا فيها فغرقا معاً، وكل من كان فيها، ولم يخرج منهم أحد، ولما اتصل بالمستنصر وفاة ابن سهل في البحر، قال عاد الدر إلى وطنه[3]».

ورواية الأنصاري المتقدّمة تدلنا على شيئين مهمين:

1 - استحكام صلة الودّ بين هذين الأديبين الأندلسيين مالك بن المرحّل وابن سهل الإشبيلي في العدوتين، وعلى وجه الدقة في إشبيلية أولاً

---

(1) راجع ترجمته ضمن تلاميذ المترجم.

(2) هو ابراهيم بن أبي زكريا الحفصي، تولى حكم الدولة الحفصية بعد وفاة أبيه في سنة-1249) (647 واستمر بالرغم من الفتن والقلاقل الى سنة(675-1276) راجع: تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، الأدلة البينة النورانية، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، السلطنة الحفصية.

(3) راجع ترجمة ابن سهل ومقدمات ديوانه المختلفة بتحقيق كل من الدكاترة إحسان عباس والدكتور قوبعة والدكتور محمد دغيم.

ثم في سبتة أخيراً.

2 - الفصل في قضية إسلام ابن سهل وهي القضية التي تضاربت فيها الأقوال فمن قائل بإسلامه ومن قائل بيهوديته وقد شهد مالك من خلال معرفته لأحوال صاحبه، بحسن إسلامه وبملازمته الجماعة والقراءة.

ومن أصدقائه بل من أقربائه العلماء والأدباء المبرزين الذين كانت تنظمهم معه مجالس الأدب والعلم والمطارحة في مدينة سبتة صهره الفقيه الأديب ابراهيم التلمساني الذي أشرنا قبل قليل إلى أنه كان يشابهه في تكوينه وإبداعه وقد أشارت الكثير من الروايات إلى استحكام صلة المودّة بينهما كما أشارت إلى صلته بصديقيه خلف بن عبد العزيز الغافقي القبتوري، وأبي بكر يوسف الفخار الطارئين مثله على مدينة سبتة.

ومن أخباره الدّالة على مكانته الأدبية، وعلى شهرته التي كان يحظى بها في مدينة سبتة، وفي الغرب الإسلامي بعامة ذلك الخبر الذي أورده أحمد بن القاضي المكناسي[1] متصلاً بالأديبة المتصوّفة سارّة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية[2] والتي رحلت من الأندلس، وحلّت بمدينة سبتة وغيرها من كور المغرب ومدنه[3] وذكر ما جرى بينهما من مكاتبات أدبية، ومن رسائل شعريّة، عبّرت خلالها عن إعجابها به وتقديرها الكبير لعلمه وأدبه وظرفه.

---

(1) أول من أورد هذه الأخبار لسان الدين بن الخطيب، ثم تناولها عنه من جاء بعده ومنهم ابن القاضي من أعلام القرن الحادي عشر في جذوة الاقتباس 522:2.

(2) وصفها أحمد بن القاضي في جذوة الاقتباس 522:2 بأنها «الأستاذة الأديبة الشاعرة» وذكر أنها دخلت الأندلس ثم عاشت في العدوة المغربية في سبتة فاستحكمت صلتها بالأسرة العزفية الحاكمة ومدحت طائفة من رؤسائها، كما عقدت صلات بأدبائها من أمثال ابراهيم التلمساني وابن المرحل وابن رشيد السبتي، وفي فاس التي لقيها فيها عبد الله بن علي بن سلمون الذي أجازته وألبسته خرقة التصوف، وأورد لها ابن القاضي جملة من أشعارها.

(3) الإحاطة 3 : جذوة الاقتباس 522:2.

فمن أبياتها التي أشارت فيها إلى مكانة علمه، وإلى استشرافها رؤيته والأنس به قولها[1]:

يــــاذا الــعــــلا يـــا مـــالـــكـــي	أنـــعــــم عـــلـــيّ بـــمــــالـــك
الــعــالــم الــمــتــفــنّــن الــبــ	حــر الــمــحــيــط الــســالــك
يـــانـــفـــسُ إن جـــاد الــــزمــــا	ن بـــه بـــلـــغـــت مـــنـــالـــك
ولـــطـــالـــمـــا قـــد نـــلـــتِ مـــا	أمّـــلـــت مـــن آمـــالـــك

وقد أجابها في المعنى نفسه بأبيات تماثل أبياتها في الوزن والقافية والعدّ، إلا أنها تزيد عليها في الإثقال بالجناس، راجع النص (67).

على أن تقديرها له، وإجلالها لعلومه لم يُقصراها على مجرد تلك التحية العجلى التي لم تخل ومضاتها من الإفصاح عما يختلج في فؤادها، بل سارعت أيضاً إلى كتابة رسالة أدبية إليه افتتحتها ببيتين أشارت فيهما إلى ورود خطابه، الذي سُرّت بمضمونه، وإلى شوقها إلى اللقاء به[2]:

ورد الـخـطـاب فـسـرّنـي مـضـمـونـه	ووددْتُ أنـي فـي الـفـؤاد أصـونـه
واشـتـقـت كـاتـبـه كـمـا اشـتـاق الـكـرى	مـن لا تـنـام مـن الـغـرام جـفـونـه

ثم استهلت رسالتها المنثورة، وتوسّعت في الإفصاح عن مشاعرها نحوه، ونحن نؤثر إيرادها كاملة في هذا المقام، لما تدل عليه من مكانته المحفوظة عند بعض علماء سبتة والطارئين عليها، ولما تفصح عنه من وشائج التودّد بينهم.

لقد أشارت الرسالة في البداية إلى تلقّي الأديبة أبياته، وعبّرت عن وقعها وتأثيرها في نفسها «وصلتني أبيات سيّدنا ـ أبقى اللّه مطلع سعادته، ومجمع سيادته، ومنبع كلّ حسن وريادته، فكانت ألذ من الأمن عند الخائف، والانقياد من الخل المخالف، فنشقتُ مسكَها المختوم، وحلّيت بصري وبصيرتي من دُرّها المنظوم، ووشيها المرقوم[3]».

(1) الإحاطة 3: جذوة الاقتباس 522:2.

(2) جذوة الاقتباس 523:2.

(3) جذوة الاقتباس 523:2.

ثم وازنت بين بيانه وبيان من تقدّمه، فاقتضت المجاملة والنظرة منها تفضيله على السابقين «فرأيت من السحر ما طوّق النحر، ومن البيان ما أخرس اللسان، ومن بديع المعاني ما ألكن ابن هـاني[1]، وأبكم الكناني، ولو رآه قسُّ بن ساعدة[2] لطلب منه المساعدة، فالفوائد المتحصّلة من جداه، والفوائد المتطوقة بي جزاه، فإن كنت فاتحته فهو أحق من مفاتح، وإن سامحنا فهو أولى من سامح[3]».

وخلصت بعد ذلك إلى التواضع بأدبها إزاء أدبه، والتعبير عن أحاسيسها والرغبة في الانتفاع بفهومه: «وقد تيقّنت أني عرضت مُدلسي على نقّاد، وعارضت بظلامي سنا كوكب وقاد، والعبدة ـ علم اللّه ـ طوتْ على محبته الجوانح، ولم تزل تزجر للقائه البوارح والسوانح، حرصاً على الاستمتاع بمحاورته، والانتفاع بمذاكرته فما وجدتْ إلى ذلك سبيلاً، وعاد اللقاء مستحيلاً، ولو أمكنني الوصول، لكان فيه بلوغ الأمل والسول[4]».

ثم حمدت وصولها إلى سبتة، واستمتاعها بمغانيها ومبانيها ومحادثة ومطارحة الفضلاء فيها: «ومع ما أنا فيه من مكابدة المتاعب، ومجاهدة النوائب، وفراق الأهل والولد، وقلّة الصبر على ذلك والجلد، فإن لساني رطب بشكر الله تعإلى على ما منَّ عليَّ به من وصولي إلى هذه البقعة الشريفة، والبلدة المنيفة، فطالما شوق سمعي وشنق بصري[5] من محتسن هؤلاء السادة، منبع الجود والمجادة الذين اختصهم الله من بين الأمم، وجعلهم مصابيح الظلم، وخوّلهم أعلى المراتب، ووهبهم أسنى المواهب، حتى طاوعتهم

---

(1) تريد الحسن بن هاني أبا نواس، الشاعر العباسي المشهور.

(2) قس بن ساعدة أحد خطباء العرب المشاهير معروف بالسجع القصير والفواصل الرائعة وضرب الأمثال توفي بعد أن عمّر طويلاً في نحو 600م.

(3) جذوة الاقتباس 523:2.

(4) جذوة الاقتباس 523:2.

(5) جذوة الاقتباس 523:2 هكذا وردت في الكتاب المذكور ولعلها تقرأ: «شنف سمعي وشوق=

الأقدار، وتشوّفت إليهم القلوب والأبصار، وامتدت إلى ظلّهم الظليل الآمال القصار، والله تعالى يضاعف لهم مننه، ويلبسهم من لبوس اعتنائه أحصنه وأحسنه، وبعد فإن وصل إليّ سيّدي حصلت على أجل فائدة، واندرجت إليّ مسرات كثيرة في واحدة[1]».

والرسالة كما رأيت مفصحة عن المكانة التي بلغ إليها ابن المرحل في عصره ومفصحة بتعلّق الأديبة سارة الحلبية به، وقد كتب إليها تعقيباً على رسالتها السابقة ثلاثة أبيات هي قوله[2]:

قل للتي كادت برا ئق شعرها تحكي ابن ساره
الآن إن سارت ركا بك في البلاد دعيت ساره
بل أنت هاجر إذ هجر ت بتونس دار الإماره

ومن العلماء البارزين الذين وصلتهم به في مدينة سبتة صلات وعلائق بلديُّه الأندلسي العلاّمة الملقَّب بـ «إمام النحاة» ابن أبي الربيع[3] الذي كان من أكبر الشيوخ شهرة في الغرب الإسلامي وفي المشرق[4] ولم تكن علاقته به طارئة بل كانت امتداداً لصحبة سابقة انعقدت في الأندلس، ونحسب أن هذه العلاقة قد دامت بينهما فترة طويلة ابتدأت كما نقدّر منذُ أيام الطلب والتحصيل في مدينة إشبيلية، واستمرت إلى زمن الكبرة وتقدّم السن، وقد تقدّم أن ابن مترجمنا محمد ابن مالك بن المرحَّل تتلمذ على أبي الربيع.

وبالرغم من أن المراجع لا تتحدّث بتفصيل عن هذه العلاقة التي ربطت بين

=بصري».

(1) م. ن 2:523.

(2) م. ن 2:523-524.

(3) هو الحسين بن أبي الربيع القرشي الأموي الإشبيلي ولد في إشبيلية سنة (599/1202) وفيها تلقى علومه عن جماعة من علمائها، وتبحّربهم في العلم، وبخاصة في العلوم العربية والنحو الذي ألف فيه تآليف قيمة منها: «المختصر في النحو» و«الإفصاح في شرح الإيضاح» وقد انتقل من الأندلس إلى العدوة المغربية بعد نكبة الموحدين وسكن سبتة فتخرج به تلاميذ كثيرون راجع: برنامج ابن أبي الربيع تحق عبد العزيز الاهواني.

(4) الإكليل والتاج: 55، برنامج ابن ابي الربيع تحق عبد العزيز الأهواني.

مالك وابن أبي الربيع في العدوتين فإن الذي نذهب إليه أن العلاقة بينهما اتسمت في الغالب بالصفاء والتقدير خلا فترات تدخلت فيها عوامل غريبة عكّرت الصفو، سندل على بعضها.

ويطالعنا من صور الصفاء الغالب أنهما كانا يجتمعان في مجالس العلم، ويختلفان على المنتديات الخاصّة والعامّة في إشبيلية وسبتة بل إنهما كانا يرحلان رحلات علمّية وترويحية قصيرة أو طويلة الى مواضع خارج سبتة التي هاجرا اليها من الأندلس، ينعمان بالأنس، ويسعدان بالدرس والمطارحة.

فقد أخبر أحمد بن القاضي في كتابه المنتقى المقصور بحادثة من هذه الحوادث الكثيرة التي تجري بين الأقران والعشراء، وتفصح عن استحكام الصلة بين هذين العلمين الكبيرين وعن جوّ النقاء الذي كان يسود بينهما في الحل والترحال، كما تشير إلى ضروب النقاش العلمي، واللغوي المهيمنة على مجالسهما، وعما كان يتّسم به مالك بن المرحّل من سرعة الهاجس، وحفظ اللغة، وقوة الاستدعاء، وحدّة الذهن، التي كان يسلّم له بها ابن أبي الربيع، قال ابن القاضي «وحدثني[1] أن مالك بن المرحّل خرج من سبتة يوماً مع ابن أبي الربيع النحوي إلى بادية سبتة لموضع يُقال له مجكسة، وهي المعروفة اليوم بمدكسة، فاستضافا فقيهاً من فقهاء المحلّ المذكور فأضافهما، وقدّم من القرى اللبن.

وقال لهما استعملا هذه اللطافة، فاستغربا من أسماء اللبن اللطافة بعد أن نظر كلُّ في صاحبه، فقال أحدهما للآخر: اتحفظ هذا؟ فقال له لا أحفظ، فلما جنّهما الليل قال مالك بن المرحّل لصاحبه: لعلّه عنده أشعار الستة، وفسّر اللطافة باللبن، فصحّف اللين باللبن فقال له: نعم الأمر يحتمل ما ذكرت، فلما أصبح قالا له: أصلحك الله يا فقيه، أعندك من كتب اللغة شيء؟ قال لهم: عندي أشعار الستة، فقالا له ائتنا بها لنتبرك بها، فألفيابها ما غاص عليه مالك بن المرحل رحمه الله تعالى[2]».

---

(1) يشير بذلك إلى أحد الرواة.

(2) المنتقى المقصور 290:2، جنى زهرة الآس 69، الإحاطة 28:3 أزهار الرياض 62,5 نفح الطيب 246-245:5 الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام 347:4.

وإخالنا لا نبعد إذا قلنا إن هذا الخبر بما اشتمل عليه من توكيد قوة حافظة مالك بن المرحل وسرعة بديهته واستدعائه دالٌ دلالة صريحة على استحكام العلاقة بين هذين العالمين، وعلى ما كان يجري بينهما من صور الحوار والبحث العلميين الغالبة على مجالسهما الأخوية قبل حدوث ذلك الخلاف الذي ألمعت إليه سائر المراجع حول مسألة نحوية كان لها صداها البعيد في المجتمع السبتي في القرن السابع الذي عدّها من أبرز المناظرات اللغوية التي شهدها أهل العلم فيه، بل في مواطن أخرى من الغرب الإسلامي ضرورة أن المتناظرين فيها كانا في طليعة العلماء.

وقد جرت هذه المناظرة ـ كما تدلّنا مخطوطة «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» التي كتبها ابن المرحَّل في الرّد على ابن أبي الربيع ـ في مجلس حاكم سبتة الذي سمّاه مترجمنا: «سيّدي ومخدومي» وتتعلق هذه المناظرة ـ كما سنعود إلى تفصيل القول فيها عند دراسة آثاره النثرية ـ بمسألة «كان ماذا» التي وردت في شعره، والتي اعترض ابن أبي الربيع ـ عند سماعها في ذلك المجلس، بعدم جواز هذا الاستخدام، قال الأدفوي: «وجهله ابن أبي الربيع في مسألة كان ماذا»[1] فنشب بينهما جدل في ذلك المجلس أعقبه ابن أبي الربيع بتقييد في المسألة، قيل إنه بالغ فيه بشتم ابن المرحَّل[2]، الذي غضب فقيّد هو الآخر تقييداً فيها ضمن ثلاثة أجزاء أو رسائل، سجل خلالها اعتراضاته عليه مدعومة بالشواهد، ولم يبرأ هو الآخر من شتم صاحبه والتعريض به[3].

وقد انقسم طلاب العلم في سبتة تبعاً لتلك الحجج التي ساقاها إلى فريقين، ثم قوّى بعد ذلك الانتصار لابن أبي الربيع الذي عمد إلى إملاء تقييده، وإقرائه في مجالسه، والإجازة عليه فأثار ذلك ثائرة ابن المرحل فشكا من التعصب وذمّه، وأبان مع شكواه وتبرّمه تسرّع مناظره وقلّة تحصيله.

ومما أثاره أيضاً أن الكثير من أهل سبتة وأعلامها جنحوا إلى الانحياز لابن

---

(1) البدر السافر لوحة: 56أ.

(2) بغية الوعاة 2:271.

(3) سبك المقال لفك العقال: 141,140.

أبي الربيع، بالرغم من قوة برهانه، وكثرة شواهده فيما ذهب إليه، ويبدو أن هذا الإحساس أشعره، بالرغم من طول المكث والإقامة في مدينة سبتة التي أحبها وسمّاها «أخية مكة أو يثرب» وبالرغم مما حظي به من حكامها من تقدير، بالاغتراب الروحي وهو ما يدلّنا عليه قوله الصريح في تقييده عقب تعليق منه على خبر طريف أورده متصلاً بموقف ابنة ابن الرقاع مع الشعراء الذين تجمّعوا على باب والدها لهجوه، «وحكى أبو علي قال: قرع باب ابن الرقاع فخرجت بنية له صغيرة، فقالت من ها هنا؟ فقالوا نحن الشعراء، قالت: وتريدون ماذا؟ قالوا نهاجي أباك، فقالت:

تجمعتم من كل أوب ووجهة … على واحد لازلتم قرن واحدِ

قال: فاستحيوا ورجعوا[1]».

قال المملوك [أي مالك بن المرحَّل] «وكذلك حالي الآن بسبتة، اجتمع كلُّ من فيها من أصحاب هذا الرجل [يعني ابن أبي الربيع] وأهل بلده[2] للنقد عليَّ، ولم يبلغوا أن يكونوا قرن واحد والله المستعان[3]».

ولسنا نشك في أن هذه الخصومة الجدلية تمثل بجميع ملابساتها جانبا من جوانب العلاقة بينه وبين صاحبه ابن أبي الربيع الإشبيلي في مرحلة من المراحل الغامضة من جهة والتي تحوّلت فيها صداقتهما إلى شبه عداوة، كما تدلّ من جهة أخرى على الموقف النفسي المأزوم الذي جعل مالكاً مع تحدّيه ووثوقه من نفسه يضيق بسبتة، ويفكر في الرحيل عنها.

وفي الحق فإن هذه المناظرة ـ على شدتها ـ لم تأخذ بالرغم من تأجّجها طابع الإسفاف والمهاترة والملاحاة الذي تعرّض له ابن المرحَّل من ابن رشيق التغلبي[4] في زيارته الأخيرة لمدينة سبتة على نحو ما سيأتي ذكره فيما بعد.

---

(1) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط (ن).

(2) لعله يقصد بذلك علماء إشبيلية الذين هاجروا إلى سبتة وأقاموا فيها، وتعصبوا في المسألة لصاحبهم الحسين بن أبي الربيع القرشي الأموي الإشبيلي.

(3) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط (ن).

(4) هو أبو على الحسين بن عتيق بن الحسين التغلبي، ولد في حدود أوائل المائة السابعة، وأخذ=

فمن الملاحظ من دراسة ترجمة كلٍّ من ابن المرحَّل وابن أبي الربيع أن الودَّ عاد بينهما نقياً صافياً، يستفاد ذلك مما ذكره العلاّمة الرحلة ابن رُشيد السبتي[1] تلميذهما، فقد ذكر أن أبا الفضل التجاني[2] صاحب الرحلة استجاز أعلاماً من سبتة فكتب إليه ابن المرحل إجازة بما أجازه به شيوخه النص(60) كما كتب على لسان صديقه ابن أبي الربيع إجازة أخرى تضمنتها أبيات من الشعر قالها مترجَمنا في حدود سنة ست وثمانين وستمائة النص(61).

وقد رحل مترجمنا بعد ذلك من مدينة سبتة إلى مدينة فاس قبل نهاية العقد السادس من القرن السابع.

إقامته في مدينة فاس:

لسنا ندري الدافع الحقيقي المباشر في سبب نزوحه عن مدينة «سبتة» ورحيله عنها، ليتجه صوب مدينة «فاس» ويختارها داراً ومقاماً.

هل كان مبعث ذلك تبرّمه مما حدث له مع ابن أبي الربيع في تلك المناظرة التي اجتمع عليه خلالها أهل سبتة من البلديين والمهاجرين من الإشبيليين الذين تعصّبوا - كما ذكر - لابن أبي الربيع، أو كان ذلك نتيجة تغيّر البلاط العزفي عليه تبعاً للرأي العام في سبتة، أو أن ابن المرحَّل أحبَّ أن يخرج من ذلك المحيط إلى محيط جديد تجسد في «عاصمة بني مرين بفاس» ليبرز مواهبه المحاصرة، وينشر علومه وآدابه في وسط متنام كان يرى فيه خلوّه من الشانئيين؟.

لعلّ دافعاً من تلك الدوافع، أو لعلها مجتمعة كانت الباعث له على تركه سبتة، ورحيله إلى فاس نشداناً للأمن ومواتاة الفرصة.

=علومه في وطنه، وتجول في بعض مدن الأندلس منها المرية التي خدم لأميرها، ثم غادر الأندلس إلى سبتة، وقد أثنى على علمه وأدبه صاحب بلغة الأمنية: ولسان الدين في الإحاطة 472:1 راجع دعوة الحق 4س: 23-1402-1982.

(1) ستأتي ترجمته.

(2) تقدمت ترجمته.

كذلك لسنا ندري على وجه الدقة والضبط متى حلَّ في ربوع هذه العاصمة المرينية، وما الملابسات التي اقترنت برحيله وحلوله؟.

وهل قدّر له أن يتصل بالسلطان أبي يوسف يعقوب المريني، أو بأحد أبنائه منذ نزوله في الديار الفاسية؟ أو أنه أمضى زمناً انتظر خلاله مساعفة الحظ والدنو منهم لينظم بعد ذلك إلى كبراء هذه الدولة وأعيان كتابها وشعرائها.

ومهما يكن من شيء فإن ظهور الدولة المرينية الذي اتسم بالتسامح والعدل وإطلاق الحرّيات، والذي لم يكتس بما اكتسى به ظهور دولتي المرابطين والموحدين من اتخاذ المذهبية شعاراً، وجد صدى وتجاوباً في نفسه، وحفزه على الاتصال برجالاتها الذين حرصوا على اجتذاب الناس إليهم، واحتضان العلماء على مختلف مذاهبهم ونحلهم، كما أفسحوا لفقهاء المالكية ـ الذين كان ابن المرحل منهم ـ أن يخرجوا من دائرة التضييق التي ضربت عليهم في عهد الموحدين، وقد استنتج الأستاذ محمد المنوني أن عودة المذهب المالكي للظهور في البلاد المغربية في أوائل فترة بني مرين صادف ارتياحاً لدى فقهاء المالكية وذكر أن مالك بن المرحَّل «قال في هذا الصدد في بيتين على سبيل التورية[1]:

مذهبي تقبيل خد مذهب ... سيدي ماذا ترى في مذهبي

لا تخالف مالكاً في رأيه ... فبه يأخذ أهل المغرب

وذكر أنه في مرة أخرى «يعود الشاعر نفسه ليعلن احتراما للإمام مالك ويقول[2]:

وما أنا إلا عالم كل عالم ... ففي الشعر حسان وفي الفقه مالك

إذن فقد يكون هذا الجو السياسي المريني الجديد الطليق هو الآخر جاذباً من الجواذب لهذا العالم الأديب للحياة في فاس.

إن أقدم الإشارات التاريخية التي ألمعت إلى صلة ابن المرحل بالدولة المرينية كان في سنة اثنتين وستين وستمائة (662هـ/ 1263م) وهي السنة التي ذكر ابن أبي

---

(1) راجع كتاب ملء العيبة بما اجتمع لطول الغيبة لابن رشيد السبتي تحق د. محمد الحبيب بن الخوجة.

(2) ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين: 233.

زرع أن المرينيين حشدوا فيها إبان عهد أبي يعقوب بن عبد الحق جيوشاً ضخمة جازوا بها إلى الأندلس مجاهدين بقيادة محمد بن إدريس بن عبد الحق وأخيه عامر بن ادريس استجابة لاستصراخ الدولة النصرية التي كان يتهددّها النصارى، ويتكالبون على أهلها بالفتك والغزو، ويعملون في بلادها السيف والعيث إلى أن أبادوا «أكثرها، وأهلكوا قواعدها فتفجع أهل العدوة لحالهم[1]».

وهنا في معرض هذا السياق يرد ذكر وجود ابن المرحل في تلك الحاضرة مقروناً ـ حسب تقديره ـ بهذه الغزاة التي حدّد لها تاريخ السنة الثانية والستين والستمئة، فأشار إلى دوره الأدبي فيها حيث قال: «فصنع الفقيه الأديب مالك بن المرحل ـ رحمه الله ـ قصيدة يحرض فيها بني مرين وسائر المسلمين على جهاد الكافرين ونصرة من في بلاد الأندلس من المسلمين المستضعفين[2]».

وأرانا على ضوء أحداث الدولة المرينية نفسها ـ لانتفق مع ابن أبي زرع في تحديد السنة الثانية والستين والستمائة تاريخاً لغزاة ونصرة أبي يوسف يعقوب لمسلمي الأندلس، فقد تم هذا العبور المريني كما يتضح بعد ذلك التاريخ المضروب بسنوات استكمل خلالها تأسيس الدولة في العدوة المغربية بعد معارك حربية كثيرة، ولكن الذي نتفق فيه معه ونعوّل عليه في هذه الترجمة استطراده بعد ذلك، حيث أشار إلى رسوخ قدم مالك ابن المرحل في كيان الدولة المرينية في فاس، وعمله في خططها حيث قال: «فإنه رحمه الله كان في تلك السنة بمدينة فاس يكتب للأمير أبي مالك ابن أمير المسلمين يعقوب[3]».

والذي أذهب إليه، استئناساً بخبر ابن أبي زرع المذكور، أنه إما أن يكون قد بلغ من الشهرة، وذيوع الصيت في المغرب والأندلس ما جعل حكام بني مرين يستدعونه إلى عاصمتهم في تلك السنة، ويفسحون له ليكون كاتباً عند أحد أمرائهم أبي مالك يعقوب، وإما أن يكون قد وصل إلى فاس قبل سنة (662هـ/ 1263م) بسنوات حينما ترسّخ الملك للمرينيين، واستطاع

---

(1) م.ن: 233.

(2) الذخيرة السنية: 98.

(3) م.ن.: 98.

خلالها أن يقدّم الشواهد التي أقنعت أبا مالك باختياره كاتباً له، وهو ما أيدناه بخبر لقائه بابن عبدون.

ولا نطمع من المراجع التي بين أيدينا اليوم أن تحدثنا بعد تلك الإشارة بأخبار مفصّلة عن إقامته في هذه المدينة، وعما إذا كان انتقل إليها بنفسه، أو انتقل اليها مع أسرته وبعض بنيه؟ وعن مقدار منزلته من هذا الأمير وأسفاره ومكثه معه خلا إشارتين أخريين من أبي زرع؟ كما لا نطمع منها في أن تورد لنا أشكال مكاتباته ومراسلاته النثرية التي كان يكتبها لأبي مالك، أو أمداحه الشعرية التي دعته المناسبات الكثيرة إلى نظمها فيه، وفي أبيه أبي يوسف.

أما الإشارتان الدالتان على مكانته لدى الحاكم وفي البلاط المريني فهما ما استقل بذكرهما علي بن أبي زرع حيث قال عن دولة امير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني «وقد اختص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته، منهم القاضي يوسف بن حكم والفقيه القاضي الكاتب البارع علي المغيلي، والفقيه الأديب القدوة مالك بن المرحل، والفقيه الكاتب أبو عمران التميمي، والفقيه الأديب عبد العزيز الملزوزي الشاعر[1]».

أما الأخرى فقد تضمنت أنه كان معدوداً ضمن شعراء دولة أمير المسلمين ابن يعقوب بن عبد الحق، إذ قال: «شعراؤه الفقيه البارع مالك بن المرحل، والفقيه الأديب أبو فارس المكناسي والفقيه أبو العباس الفشتالي، والفقيه أبو العباس الحميشي[2]» وذكر أن هؤلاء الشعراء كانوا «ملتزمين بخدمة بابه الكريم تُجرى عليهم المرتبات والإحسان[3]».

والإشارتان على وجازتهما تفيدان أن مالكاً كان ينعم خلال هذه المرحلة بحظوة ومنزلة لدى البلاط المريني، وأنه كان يحيا بفضل مكانته

(1) م.ن: 98.

(2) الأنيس المطرب: 308.

(3) م.ن: 376.

العلمية حياة منعمة رافغة مع كبار رجال الدولة المرينية في فاس.

ومن الإيماءات التاريخية الأخرى التي انفرد بها ابن أبي زرع متصلة بحياة مترجمنا في فاس ونشاطاته بين علمائها وأدبائها ما أورده في الذخيرة متحدثاً عن أحداث السنة الثامنة والستين والستمائة التي فتح فيها أبو يوسف يعقوب حضرة مراكش عاصمة الدولة الموحدية، التي دخلها في يوم الأحد التاسع من شهر المحرم من تلك السنة، أنه تمَّ لهذا الأمير «مُلك الغرب، وتهدنت البلاد، وصلح حال جميع من فيها من العباد[1]»، كما أورد أن هذا الامير سيّر ولده أبا مالك عبد الواحد إلى بلاد السوس لإخضاع ثوارها فكتب له الانتصار عليهم وأمّن هو الآخر «البلاد وأصلح أحوالها، ورجع إلى حضرة مراكش فسرَّ والده يعقوب بقدومه سروراً عظيماً[2]».

والذي يعنينا من سياق هذا الخبر جميعه أن ابن أبي زرع ساق في تضاعيفه أن الفقيه الأديب مالك بن المرحَّل رفع إلى أميره أبي مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين قصيدة هنأه فيها بفتح مراكش[3]، ومن حسناته أنه احتفظ لنا بها، وهي قصيدته التي مطلعها[4]:

فتح تبسّمت الأكوان عنه فما	رأيت أملح منه مبسماً وفما
فتح كما فتح البستان زهرته	ورجّع الطير في أفنانه نغما

وسوف نعود إلى تحليل هذه القصيدة كاملة فيما بعد، ولكن الذي نريد أن نقف عنده هنا أن هذا الفقيه المالكي الأديب أراد أن يجعل هذه القصيدة، بالإضافة إلى مدح الفتح والظفر، وثيقة إدانة ضد عهد سابق اتسم حسب تصويره بالمصادرة والظلم[5]:

---

(1) م. ن: 376.

(2) الذخيرة السنية 118.

(3) م. ن: 119.

(4) م. ن: 119.

(5) م. ن: 119-121.

بفتح مراكش عمَّ السرور فما ... يكابد الغم إلا قلب من ظلما
أفاقت الأرض من نوم بها وصحت ... وأصبحت وهي تلحى السكر والحلما

وهو يصرّح بما جلبه أبو يوسف يعقوب من الأمن والدعة والحياة الهانئة في مدح صادق لا يصدر إلا من صدر تنفّس الصعداء من عهد جائر[1]:

من سنة الله أن يحيي خليقته ... على يديك وأن يكفيهم النقما
وأن يقيم بك الإسلام من أود ... وأن يديم بك الإحسان والنعما
وأن يقر عيون المسلمين وأن ... يشفي الصدور وأن يبري بك السقما

فما من ريب في أن هذا الخبر بمجموعه يشير بالإضافة إلى إشارته إلى بقاء ابن المرحل طيلة السنوات الست السابقة، التي تضن فيها المراجع بالأخبار، كاتباً للأمير أبي مالك واستفادته من هذه الدولة الناشئة في وضعه المادي والمعنوي، النفسي الهادئ الذي أفاده من هذا التغيّر السياسي.

وبعد مرور سنة من فتح مراكش الذي تغنى به ابن المرحَّل، وأشاد فيه بخصال أبي يوسف المقوض دعائم الدولة السابقة، جاء إلى هذا الأمير الاستصراخ من الأندلس المرزأة عهدئذٍ بتكالب النصارى عليها وعلى المسلمين الذين لم يسعهم إلا الاستنجاد بالمجاهد يعقوب ودولته الفتية الناهضة. فقد أرسل أبو عبد الله محمد الأول الغالب بن يوسف بن نصر من بني الأحمر سلطان غرناطة إليه في سنة (669هـ/ 1270م) وفداً يستصرخه ويدعوه إلى نجدة المسلمين وكبح جماح النصارى[2]، ويظهر أن أبا يعقوب عاقه عن إنفاذ جيوشه في تلك السنة عوائق منها خوفه من غدر خصمه يغمراس بن زيان، واكتفى بإرسال وفدٍ عبّر عنه في إبداء المشاعر والمساندة والوعد بالمناصرة في أقرب وقت. والراجح أن ابن المرحَّل نفسه كان ضمن هذا الوفد الذي سافر إلى غرناطة لحمل رسائل السلطان ومشاعره إلى السلطان أبي عبد الله الغالب،

---

(1) الذخيرة السنية: 119-121.

(2) م. ن: 119-121.

يدعم هذا الترجيح ما أورده ابن الخطيب من قول مجمل حينما قال: «وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا، أنشد السلطان الغالب بالله بمجلسه من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء[1]».

فأيُّ صفة تحمل ابن المرحل جد أبي الحسين التلمساني إلى حاكم غرناطة ابن الأحمر في تلك الظروف غير أن يكون موفداً من قبل الأمير أبي يوسف بن يعقوب لتبليغ رسائل المعاضدة وإبداء عطفه، ثم إنشاده ما يناسب ذلك المقام، بما يقرّر به المودّة بين العدوتين المغربية والأندلسية.

وقد وصف الأمير أبو مالك عبد الواحد، الذي كان مترجَمنا من أبرز كتّابه ورجالاته، بأوصاف محمودة تنمُّ عن قوة شخصيته وشجاعته وحسن تدبيره وهي الخلال التي جعلت والده أبا يوسف يعقوب يعتد به ويعتمد عليه في الكثير من المهام الضخام التي أملتها سنوات التعبئة والحروب من أجل إرساء دعائم الدولة.

وبالمستوى الذي أجمعت عليه المراجع في التأكيد على قوة شكيمته وحزمه في الميدان العسكري والحربي أجمعت أيضاً على وصفه بأنه كان أميراً متحضراً اشتهر بذكائه وألمعيته، وشغفه بالعلم وتقديره لرجاله المبرزين في العدوتين، فقد ذكر المؤرخون إدناءه العلماء والأدباء، وحرصه على مجالستهم ومفاتشتهم، كما ذكروا أن من أظهر الذين كانوا يؤانسونه في مجالسه التي كان يعقدها في حلّه وترحاله كاتبه الفقيه الأديب مالك بن المرحَّل الذي كان «يكتب له الرسائل[2]» والفقيه القاضي يوسف بن حكم والأديب البليغ علي محمد المغيلي، والفقيه الأديب أبو عمران التميمي، والأديب المشهور عبد العزيز الملزوزي»[3].

وما من ريب في أن هذه المجالس التي كان يشرف عليها الأمير أبو مالك المعروف بعلمه بالتاريخ والأنساب وحبّه للأدب وروايته له كانت من مجالس

(1) الإحاطة 306:3.

(2) الذخيرة السنية: 123، الأنيس المطرب: 308.

(3) م.ن: 123.

الأمراء المشهورة في العدوة المغربية المتميّزة في النصف الثاني من القرن السابع بالمطارحات الأدبية، والمناظرات العلمية التي كان يذكيها ذكاء تلك الطبقة من الأعلام ومن بينهم كاتب الأمير أبو الحكم ابن المرحّل.

ولم يطل حبل الحياة بالأمير أبي مالك عبد الواحد بعد انتصاره الباهر في مراكش، اذ توفي سنة (671هـ/ 1271م) فحزن والده يعقوب الذي كان يعلّق الآمال الكبار عليه لوفاته، كما حزن عليه كل من عرفه واتصل به من أعيان الدولة وكبرائها، ولسنا ندري هل نظم شاعرنا شعراً في رثاء أميره هذا أو لا؟

بيد أن المرينيين لم يخيسوا بعهدهم لهذا الأديب الذي سخر مواهبه النثرية والشعرية في خدمة دولتهم، فقد استبقاه، كما يوضح السياق، أبو يوسف يعقوب كاتباً وشاعراً له، كما اعتمده فيما بعد أبو يعقوب يوسف بعد وفاة أبيه في سنة (685هـ/ 1286م) شاعراً من شعرائه «الذين كانوا ملتزمين بخدمة بابه الكريم تجري عليهم المرتبات والإحسان[1]».

وقد استنجد بنو الأحمر مرة ثانية بأبي يوسف يعقوب في عهد ابن الغالب المذكور السلطان محمد الفقيه وذلك في سنة (673هـ/ 1274م) فأكرم أبو يوسف وفادة وفد السلطان، وخف إلى النجدة بعد أن أمن كيد يغمراسن، وأعلن عن التعبئة للعبور وحرّض كتابه وشعراءه لإشاعة الحماسة بين الناس ولإغرائهم بالجهاد ونصرة المسلمين[2] فانطلقت ألسنتهم بالدعوة إلى عزم أمير المؤمنين، وتزيين القتال ومناجزة النصارى، وكان في طليعة هذه العقائر المستصرخة عقيرة ابن المرحل الذي نظم قصيدة مؤثرة ألقاها في جامع القرويين بفاس، بعد صلاة الجمعة، قال صاحب الذخيرة السنية «فبكا الناس عند سماعها وانتدب كثير منهم للجهاد[3]» والقصيدة التي عناها هي الميمية التي جعل فاتحتها[4].

(1) الذخيرة السنية 98-99.

(2) الذخيرة السنية: 98.

(3) م.ن: 98.

(4) م.ن: 98-100.

استنصر الدين بكم فاقدموا ..... فإنه إن تسلموه يسلم

وقد بلغت هذه القصيدة، كما سنبيّن، حد التأثير في التعبير والتصوير الذي أفصح عما كان يجول في أعماق الشاعر والأمير والمؤمنين جميعاً في العدوتين من عقيدة صافية صادقة.

والغالب على الظن أنه لم يكتف بنظم هذه القصيدة وإنشائها وتأجيج حماسة المسلمين فحسب، بل سار مع الزحوف وعبر إلى العدوة الأندلسية فيمن عبر من رجال الدولة وأجنادها يدلنا على ذلك مظهران:

الأول: أنه حينما بدت من ابن الأحمر محمد الفقيه علامات تفيد بخوفه من السلطان أبي يوسف يعقوب، وبميله نتيجة هذا الخوف المتوهّم، إلى النصارى وبلاط قشتالة، مما أوجد بينهما جفوة، حملت أبا يوسف تكليف ابن المرحل للتعبير عن ضيقه بتصرفات ابن الأحمر وسلوكه الجائر عن القصد، فنظم ابن المرحّل في تلك الظروف الحامية المتوترة قصيدته الدالية تحدث فيها على لسان سلطانه، قال ابن القاضي «ومن نظمه مجيباً لابن الأحمر عما كتب به ليعقوب بن يوسف بن عبد الحق المريني[1]»:

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي ..... أنا أجبنا صرخة المستنجد

والقصيدة، كما سنبين، مشتملة على البواعث الأكيدة في النجدة، وهو يردّها إلى الأصول العقدية والدينية، وفيها الإشادة ببطولة بني مرين وأبطال المغرب، وبلائهم في الحروب كما أنها لم تخل من المنّ بذلك، والإشارة إلى فساد تصرفات بني الأحمر في الجنوح إلى النصارى.

ومما يدعم هذا الأمر، اي وجوده أيامئذٍ في العدوة الأندلسية أن ابن الأحمر نفسه كلّف شاعره ابن المرابط أن يجيب شاعر الأمير أبي يوسف الموجود أيامئذ في الجزيرة الخضراء بقصيدة من الوزن والقافية نفسيهما، ينفي بها ما جاء في قصيدة ابن المرحّل فنظم ابن المرابط قصيدته الطويلة التي يقول في مطلعها[2]:

---

(1) درّة الحجال 21:3.

(2) م. ن 24:3.

قل للعداة وللبغاة الحسّد ... يعقوب والدنا مكان محمد

وبنو مرين كلّهم إخواننا ... والدين واخى بين أمة أحمد

إن كان مفقوداً أبونا إنه ... ما عاش يعقوب كأن لم يفقد

وقد اعترف سلطان غرناطة على لسان شاعره ابن المرابط في هذا الردّ بفضل يعقوب وأجناده الأبطال[1]:

يعقوب ناديناه من مراكش ... من ثغر أندلس فلم يتردّد

وأجاب داعينا وجاب لنصرنا ... متن الفلاة ولج بحر مزبد

وغزا بلاد الروم غزواً كبّهم ... لوجوههم وسط السعير الموقد

فله علينا منّةٌ ويدٌ وكم ... من منّةٍ لأب على ابن أويد

كما عمد إلى تكذيب الشائعات التي روّجها، حسب رأيه، الحساد والشانئون من نسبة تصرفاته إلى ممالأة النصارى وبلاط قشتالة حيث قال ابن المرابط[2]:

نسبوا إلينا ما هم أولى به ... وتقلّدوا الآثام أيَّ تقلد

من ذا تشبّه بالنصارى أو نحا ... منحاهم وحكاهم وسط الندي

واللّه يعلم أننا بنبينا ... وأئمة التقوى الرضية نقتدي

فهذا الجوُّ السجالي الذي جرى بين الأمير يعقوب والسلطان محمد الفقيه على لساني شاعريهما ابن المرحل وابن المرابط يؤكد وجود شاعرنا على أرض الأندلس في تلك السنة بل على الجزيرة الخضراء التي اتخذها يعقوب مستقراً له ولأجناده، هذا هو المظهر الاول.

والمظهر الآخر ما ذكره ابن الزبير من وجوده الفعلي في سنة (674هـ/ 1275م) على أرض غرناطة، حيث قال «تكرّر قدومه علينا بغرناطة وآخر انفصالاته عنها سنة أربع وسبعين وستماية[3]».

---

(1) درّة الحجال 24:3.

(2) م. ن 25:3.

(3) الإحاطة 306:3.

فهذا الخبر يؤكّد كما ترى وجوده في أثناء هذا الغزو على أرض الأندلس، كما يلمح إلى أن هذا التاريخ، كما يقرّر ابن الزبير كان آخر عهده بهذه الأرض.

وقد عاد أبو يوسف في هذه السنة إلى المغرب مزهواً بانتصاراته الباهرة، وعاد في ظل هذه النشوة وزراؤه وكتابه وشعراؤه وكبراء دولته ومن بينهم مالك بن المرحل، الذي لم تذكر له المراجع رحلة أخرى خارج المغرب على الرغم من تكرّر عبور أمير المؤمنين إلى الأندلس، وليس بين أيدينا تفسير لهذا المكث وإيثاره البقاء إلا إيماءة واحدة تشير إلى مرضه واعتلال صحته بعد العودة المذكورة فقد جاء، في الآثار التي جمعناها من تراثه قوله معترفاً بوهنه وغربته بعد أن تجاوز السبعين[1]:

يا من لشيخٍ قد أسن وقد عفا   مذ جاوز السبعين أضحى مدنفا
خانته بعد وفائها أعضاؤه   فغدا قعيداً لا يطيق تصرفا
هرماً غريباً ما لديه مؤانس   إلا حديث محمد والمصطفى

والغالب على الظن أنه استقر بفعل هذا المرض في مدينة فاس الجديدة أو المدينة البيضاء التي ابتناها يعقوب بن عبد الحق في حدود سنة (674هـ/ 1275م) لسكناه وسكنى وزرائه وكتابه وقضاته ورجال دولته، وحظي فيها بما حظي به أعيان الدولة من التكريم من لدن أمير المؤمنين يعقوب ولكنّ الأخبار تقل عن مالك بعد رجوعه من الأندلس إلى فاس خلا إشارات تومىء إلى ما ناله من تكريم في عهد أبي يعقوب يوسف، وإلى اعتلال صحته ووهنه بعد ذلك، نقتصر منها على قوله وقد بلغ الثمانين[2]

يا أيها الشيخ الذي عمره   قد زاد عشراً بعد سبعينا
سكرت من اكواس خمر الصبا   فحدّك الدهر ثمانينا

ولا ينبغي أن يتصور أن حياته في فاس مضت جميعها على هذا النحو الرتيب من خدمة أمراء الدولة المرينية وانفاق جُلّ سنيها وأوقاتها في كتابة الرسائل الديوانية

---

(1) م. ن 317:3.

(2) الإحاطة 317:1، السحر والشعر: 177 جذوة الاقتباس 329:1، مخط الوافي بالوفيات 19:25أ.

التي لم تصلنا، وإنشاء القصائد والمقطعات في مدح أولئك الأمراء وأعمالهم. لأن ذلك تصوّر لا يتسّق مع تكوين شخصية هذا الأديب الممراح، المشهور بالظرف وغشيان المجالس والأسمار الأدبية والمبادهة والمطارحة فيها في شتى المسائل الفقهية والأدبية والنحوية.

لقد كان حسب التصور الصحيح، مثقفاً مقدماً ذا مكانة اجتماعية مرموقة، يستقبل في داره الوجيهة كبار زوّاره من الساسة والأدباء والفقهاء، كما كان يختلف على مجالس العلية، في فاس ومنها مجالس الأمراء والقضاة والوزراء والكتاب ومن أظهر من عرفنا من أنداده الذين كان يجالسهم وينادمهم في عهدي الأمير مالك عبد الواحد، ووالده أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أبو عمران التميمي ويوسف بن حكم وعلي المغيلي وعبد العزيز الملزوزي، وجميعهم من الموصوفين بالعلم والفقه والأدب، كما كان من أظهر عشرائه وعارفيه ممن كانت تضمهم المنتديات في عهد أبي يعقوب يوسف بن يعقوب أبو العباس الفشتالي وأبو العباس الحميشي وأبو فارس المكناسي وعبد الله بن أبي مدين وأبو حامد البقال ومحمد السقطي[1] وغيرهم من الفقهاء والقضاة والأدباء والكتاب.

ومن الراجح أن مالكاً آثر بحكم الخطط التي تولاّها والمكانة الاجتماعية التي انتهى إليها الإقامة في فاس التي لم يغادرها إلا مرتين أشار إليهما الرحالة العالم أبو القاسم التجيبي، أحد تلاميذه، الأولى قصيرة كانت في حدود سنة (686هـ/ 1287م) والأخرى طويلة في سنة (690هـ/ 1291م) سنذكر بعض تفاصيلها فيما بعد[2].

ومن المؤسف أن المراجع لم تمدنا بقطوف مما كان يدور في المجالس التي كان يغشاها في مدينة «فاس» ولكن الخبر الذي حدثنا به أحمد بن القاضي في روايتين مختلفتين بعض الاختلاف[3] يؤكد ما ذهبنا اليه من إيثاره مجالس الأدب،

---

(1) راجع أخبارهم في الأنيس المطرب: الذخيرة السنيّة 408 ـ 376.

(2) راجع برنامج التجيبي والاحاطة، ودرة الحجال والذخيرة السنية، جذوة الاقتباس.

(3) المراجع المذكورة.

وميله إلى عقد الصلات مع أضرابه من العلماء والأدباء، قال ابن القاضي «حكى الراوية الفقيه المحدّث أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المتوفى بفاس سنة إحدى وعشرين وسبعمائة في فهرسته[1] قال: كنت مع الفقيه الأستاذ أبي القاسم المزياني تحت ثريا جامع القرويين من فاس، عمره الله تعالى بالذكر وحرسها، بعد صلاة المغرب، واذا برجل قد أقبل وأخبر الأستاذ أبا القاسم بقدوم الأستاذ ابن عبدون المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وأنه بباب المسجد فقال لنا أبو القاسم قوموا بنا إلى لقائه، فالتقينا وهو داخل إلى المسجد، وسلمنا عليه، فاستقبل الثريا وهي مسرجة فقال ابن عبدون مرتجلاً:

انظر إلى نورية نورها يصدع بالألا سجف الغسقْ

فقال أبو القاسم[2]:

كأنها في شكلها ربوة انتظم النور بها فاتسقْ

ثم اجتمعت صبيحة تلك الليلة مع الأديب البليغ مالك ابن المرحل وأعلمته بما وقع من الأستاذين فقال: لو كنت معهما لقلت[3]:

أعيذها من سوء ما يتقى من فجأة العين برب الفلقْ

وقال محمد بن خلف[4]:

باهى بها الإسلام ما أشرقت كاساتها عند مغيب الشفق

ففي هذه الرواية إيماء إلى علائقه ببعض علماء فاس وأدبائها من أمثال أبي القاسم المزياتي وابن عبدون ومحمد بن خلف، وفيها إيماء أيضاً إلى منزلة ابن المرحل بينهم فقد وصفه الذي نقل إليه هذه المحاورة بالأديب البليغ وأطلعه على ما جرى بين هؤلاء الأدباء، فأشركه معهم في المطارحة.

بينما تلمح الرواية الأخرى التي أوردها ابن القاضي في كتابه الآخر جذوة

---

(1) ستأتي ترجمة هذا الفقيه المحدّث ضمن الترجمة لتلاميذ مالك بن المرحل.

(2) أبو القاسم المزياتي من أعلام المغرب الأقصى في القرن السابع راجع ترجمته في جذوة الأقباس ص 69، 70 .

(3) الإحاطة 28:3، المنتقى المقصور 423:1 ,424 جنى زهرة الآس: 69 .

(4) جذوة الاقتباس 69:1-70.

الاقتباس إلى أنه أي ابن المرحل لم يكن غائباً عن ذلك المجلس الذي حضره الأعلام المذكورون بأعيانهم، وإنما كان حاضراً معهم مسهماً في تلك المساجلة أو المبادهة التي جرت بالقرب من النوريّة في جامع القرويين بفاس[1].

وأياً كان الأمر فالروايتان تدلان على أن المترجم لم يكن بمنأى عن مجريات البيئة الأدبية والثقافية بفاس، ولا عن رجالها وأعلامها الذين كانوا يكنون له المودّة، ويشركونه في محاوراتهم، وإذا سلمنا بالرواية الأخيرة، والأولى أحق بالتقديم، وهي التي تذهب إلى حصول الحادثة في مجلس عام هو جامع القرويين، فإننا نذهب إلى أن مجالس أخرى خاصة كثيرة كانت تجمعه، دون شك، مع صفوة من الأدباء والفقهاء في المنازه والأرباض بل القصور والبيوت الفاسية، حيث دلت الإشارات إلى أنه كان يغشى تلك المجالس، وأن بيته نفسه لم يكن خلواً من عقد هذه المجالس الجامعة بين العلم والظرف، قال ابن خلاّد: «وكان مقصوداً من رواة العلم والشعر، وطلاّب الملح، وملتمسي الفوائد لسعة الذرع، وانفساح المعرفة، وعلو السن، وطيب المجالسة[2]».

وكان ممن قصده في مقامه ومجالسه بفاس، وقدّر لهم أن يلتقوا به فيها ويتباحثوا معه الفقيه أبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناسني الذي وصفه صاحب الجذوة بـ «العالم الصالح المحصل المتفنن، أحد العلماء الذين لهم السبق، وهم بالتقديم أولى وأحق[3]» وهو من أعلام المغرب الأوسط ممن رحلوا إلى المشرق وتخرّجوا بالشيخ نجم الدين بن شاس، وأحسنوا الانتفاع منه والصلة به، ثم عاد إلى بجاية بعد أن أدّى فريضة الحج، وتفرّغ للتدريس زاهداً فيما في أيدي الحكام[4] «وذكر الغبريني في معرض الحديث عن علمه أنه كان: «مُحصّلاً لمذهب مالك ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين، ومن أهل الاجتهاد » كما ذكر أنه كانت له في أخريات حياته رحلة إلى المغرب الأقصى حيث استوطن مدينة فاس، «وكان

(1) الإحاطة 305:3.

(2) جذوة الاقتباس 415:2.

(3) م. ن 415:2.

(4) عنوان الدراية: 258.

له بها ظهور وتقدّم[1]» ونحن نتفق بأبي زيد اليزناسني وإعجابه بعلمه وزهادته، ولكننا نختلف مع من ذهب منها إلى أن اليزناسني كان أحد شيوخه[2].

وذلك لما علم من تقدّم سن مالك الذي لم يعش بعد نزوح اليزناسني إلى فاس طويلاً، ولما علم من تكوينه العلمي والمعرفي الواسع الذي يجلوه الفصل الثالث من هذا الباب «طبيعة آثاره وملامح فكره».

عودته إلى مدينة سبتة:

لم نقف من خلال بحثنا في المراجع المختلفة على أخبار تدلنا على خروج مالك بن المرحل من مدينة فاس عاصمة بني مرين، أو قيامه برحلات قصيرة أو طويلة إلى سواها من المدن إلا الإشارة إلى الرحلة التي قد نهض بها مع أميره إلى مراكش بمناسبة فتحها[3] كما تقدّمت الإشارة، أو عودته إلى مدينة سبتة حسبما ذكره الفقيه الأديب الرحلة أبو القاسم التجيبي في برنامجه حيث ذكر أنه التقى فيها بشيخه أبي الحكم في سنة (670 هـ/ 1271) وفي سنة (686/ 1287) وأخذ عنه بعض علومه ومنظوماته، ومنها «الموطأة» و«الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى»[4] وفي إشارة الرحلة التجيبي ما يومئ إلى وجود مالك في «سبتة» التي انتقل إليها من مدينة فاس، وما يؤكد تحسّن صلته وعلائقه برجالها، ونهوضه خلال الإقامة فيها بالتدريس والاجازة من جديد لطلابها وليس بين أيدينا ما يميط اللثام عن أسباب الرحلة وملابساتها ـ بعد إقامته في ظلِّ الدولة المرينية بفاس إلا الإشارة الوحيدة الملمعة إلى نشوب الخصومة العنيفة التي احتدمت بينه وبين خصمه ابن رشيق التغلبي، والتي لم يشر إليها أبو القاسم التجيبي في برنامجه، وهي الخصومة التي جرى فيها بينهما كما يقول لسان الدين بن الخطيب «من الملاحاة والمهاترات أشدّ

---

(1) م. ن: 258.

(2) الذيل والتكملة س8ق29:1.

(3) برنامج التجيبي: 114.

(4) راجع ترجمته في الوافي بالوفيات 2-421-422، الإحاطة 1:480-484 (وهو فيهما الحسين بن عتيق) وجذوة الاقتباس 1:180-182، إدراك الأماني 3:176-177 الكوكب الثاقب 3:562، دليل مؤرخ المغرب 1:166. وهناك رجل آخر ـ كما يقول صاحب الكوكب الثاقب 3-562، يسمّى الحسين بن عتيق ابن الحسن بن رشيق عاش في مصر.

ما يجري بين متناقضين[1]».

وقد ألمعت إليها أيضاً إشارة ضمن القصيدة الكافية لابن رشيق والتي لم يتوقف الباحثون عندها لتحديد زمن تلك الخصومة ومكانها.

لقد ذكر ابن الخطيب مع إغفاله ذكر بواعث الخصومة وخلفياتها، أن الحسين التغلبي نظم قصيدة هجاء طويلة في ابن المرحل مدّة إقامته الأخيرة بفاس: «تشتمل من التعريض والتصريح على كلّ غريب، واتخذ لها كنانة خشبية كأوعية الكتب، وكتب عليها «رقّاص معجّل إلى مالك بن المرحَّل[2]» ثم قال في وصف هذه الحادثة التمثيلية الغريبة «وعمد إلى كلب وجعلها في عنقه، وأوجعه خبطاً حتى لا يأوى إلى أحد ولا يستقر، وطرده بالزقاق متكتما بذلك وذهب الكلب، وخلفه من الناس أمة، وقرىء مكتوب الكنانة، واحتمل إلى أبي الحكم ونزعت من الكلب ودفعت إليه، فوقف منها على كلّ فاقرة كفت من طماحه وغضت عن عنان مجاراته، وتحدث بها مدّة[3]».

والعجب الذي لا ينقصني كيف يتهافت أديب بليغ مثل ابن رشيق التغلبي إلى أن يصل بسلوكه إلى مثل هذا الدرك والعناء، وأن يذهب من الناس أمة خلف كلب لتسمع قصيدة هجاء مقذعة في شيخ طاعن في السن، مؤثر للتوقر والعافية.

ومن أبيات هذه القصيدة الهجائية التي نفّس بها ابن رشيق عن حنقه تجاه معاصره مالك بن المرحل[4]:

لكلاب سبتة في النباح مدارك	وأشدّها دركاً لذلك مالك
شيخ تفانى في البطالة عمره	وأحال فكيه الكلام الآفك
كلب له في كلّ عرض عضّة	وبكلّ محصنة لسان آفك
أحلى شمائله السباب المفتري	وأعفّ سيرته الهجاء الماعك

(1) الإحاطة 1:480.

(2) الإحاطة 1:475.

(3) م. ن. 1:475.

(4) الإحاطة 1:475.

وألــذُّ شــيء عــنــده فــي مــحــفــل   لــمــز لأســتــار الــمــحــافــل هــاتــك
يـغـشـى مـخـاطـره الـلـئـيـم تـفـكـهـاً   ويـعـاف رؤيـتـه الـحـلـيـم الـنـاسـك

وتتصل أبيات هذه القصيدة الهجائية بعد ذلك لتسلب من مترجمنا المهجو كلَّ فضل، وتجرده ظلماً من كلِّ محمدة، وتجعل أقواله محض افتراء بل سُمّاً قاتلاً وداءً ناهكاً.

وقد احتمل مكتوبه هذا في الكنانة والمشتمل على الهجاء إلى أبي الحكم، فوقف منها، كما ذكر ابن الخطيب، «على كلِّ فاقرة كفّت من طماحه، وغضّت عن عنان مجاراته، وتحدّث عنها مدّة، ولم يغب عنه أنها من حيل ابن رشيق، ففوّق سهام المراجعة ثم أقصر مكبوحاً[1]».

والذي يعنينا من ذكر هذه الحكاية أن ابن رشيق ألمح ضمن أبياتها إلى الظرف الزماني أو تاريخ هذه الخصومة العنيفة من جهة، فضلاً على تحديدها الظرف المكاني الذي هو مدينة سبتة المغربية التي قدم إليها ابن المرحل في أخريات حياته من فاس، إذ أشار في فورة هجائه إلى سنِّ خصمه مالك:

تُبْ يا ابن تسعين فقد جزت المدى   وارتـاح لـلـقـيـا بـنـسـلـك مـالـك

وهو بيت يشي بأنه كان أيامئذٍ في التسعين من عمره أو قريباً من ذلك، ضرورة أن عجز البيت استدعى مالكاً وهو إمام دار الهجرة الذي توفي هو الآخر على سن تقارب التسعين.

وأخبرنا ابن الخطيب أنَّ مالكاً ردَّ على هذا الهجاء المقذع ببيتين من الشعر نثبتهما في عرض الهجاء من أشعاره، وقد دافع الأستاذ عبد الله كنون عن ابن المرحل دفاعاً جابه به قصيدة ابن رشيق ودلّ به عن معرفته العميقة لنفسية هذين الأديبين حيث قال: «نحن لا نفهم من هذه التهم التي قالها ابن رشيق جُزافاً لشاعرنا إلا أنه كان أديباً أريحياً، خفيف الروح، عذب المفاكهة، لاذع النكتة، مخشي البادرة، ورجل من هذا الطراز يتحامى جانبه أهل الانقباض والتزمّت، ولا

(1) الإحاطة 1:475.

يألفه إلا الرجال «الاجتماعيون» الذين وطأوا أكنافهم للناس، وعلموا أنهم من أهل الأرض، فنظموا صلاتهم مع سكانها، ولكن ابن رشيق تعامى عن ذلك[1]».

ونعود هنا مرّة ثانية لنتساءل لماذا ذهب ابن رشيق هذا المذهب من الغلو في هجاء ابن المرحل، الذي لم يكن على تلك النعوت والأوصاف على الأقل في النصف الاخير من عمره، وفي السن التي هجي فيها منه.

إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في ملاحظتين اثنتين:

الأولى: ما كان عليه مالك بن المرحل من وجاهة وشهرة في الأوساط العلمية والسياسية، وما كتب له من ظهور لدى العامة والخاصة، وما عرف به من ذيوع صيت في داخل العدوتين وخارجهما، فضلاً على ما كرّم به من لدن الدولة المرينية ـ التي زار في ظل ازدهارها سبتة حيث كان يقيم ابن رشيق ـ فكان من أبرز كتابها وشعرائها ولم يصل ابن رشيق ـ على الرغم من ذكائه وحدّة ذهنه وعلمه[2]، إلى شيء من هذا التمكين الذي انتهى إليه ابن ا لمرحّل، فكان قصوره عن بلوغ هذه المنزلة سبباً في إثارة حنقه وحفيظته عليه.

الملاحظة الأخرى: ترجع إلى نفسية ابن رشيق نفسه، فقد كانت نفسية ضيقة متوترة لم تسلم من الغيرة والحقد على الناس، كان كما وصفه الدكتور محمد بن شقرون: «يتوفر على طاقة انفعالية كبيرة تبحث لنفسها عن متنفّس لتصبَّ على الأشياء والأشخاص، تلك الطاقة التي كثيراً ما جعلت ابن رشيق يسلط لسانه وجام غضبه على غيره فينال من عرض الناس وكرامتهم ومروءتهم وأخلاقهم قصداً، وعن غير قصد[3]».

---

(1) فقد ولد الإمام مالك بالمدينة المنوّرة سنة (93هـ712م) وتوفي فيها عام (179هـ/ 795م) راجع ترجمته في: الديباج المذهب 17-30 تهذيب التهذيب 5:10 صفة الصفوة 99:2 والوفيات 439:1.

(2) ذكريات مشاهير رجال المغرب «مالك بن المرحل»: 39,38.

(3) الإحاطة 472:1.

كان على ما عرف به من المشاركة «في الفنون اللسانية والتعالمية[1]» والتبحر في التاريخ والأدب، والقوة في الاستنباط[2]» على قدر من دمامة الخلقة، فقد وصفه ابن الخطيب بقوله كان «جهم المحيا موحش الشكل[3]» ومن هنا استنتج أحد الباحثين باعث نقمته التي لم تنته عند حد في قصيدته المذكورة حيث قال: «لقد تصدَّى لمالك بن المرحل وهما معاً في سبتة فوجّه إليه سهام نقده اللاذع بل الفاحش المغرض الذي لا يترك لا كبيرة ولا صغيرة إلا أبرزها وشخصها وجسّمها وصوّرها أشنع تصوير وأقبحه مما يذكرنا بما كان يدور من هجاء مقذع ومن سباب بين جرير والفرزدق والأخطل، إن التاريخ لا يزال يحتفظ بتلك القصيدة التي نظمها صاحبنا في ابن المرحل وهو يومئذ شيخ طاعن في السن، يصرف نشاطه كله في عبادة الله وفي أعمال البر والإحسان، أن ابن رشيق لم يراع هذه الاعتبارات، ولم يحترم لا السن ولا مستوى الأخلاق العامة، فصب كلامه البذيء وسخطه المتفجر على شيخنا مالك، مما ينم عن طبع غير سليم، ويكشف عن سريرة غير عادية[4]».

رجوعه إلى مدينة «فاس»:

ويبدو أن مدة إقامته في سبتة لم تتجاوز عدّة سنوات، فقد رجع من جديد إلى مستقره في «فاس» لينفق في ربوعها السنوات الأخيرة من عمره، وهي السنوات التي رعى فيها أميرُ المغرب أبو يعقوب كبرته وأكرم شيبته، وخصّه خلالها بعنايته، ومن غريب الاتفاق أن هذا الأمير استدعى إبان تلك السنوات ابن رشيق التغلبي من سبتة واستكتبه واستكتب أبا الحكم مالك بن المرحل صدفة[5] وقد قيل إن هذا الاستكتاب من الأمير أبي يعقوب جرّ على ابن رشيق خجلة كانت سبب وفاته[6].

(1) مظاهر الثقافة المغربية 81.
(2) الإحاطة 472:1.
(3) م. ن 472:1.
(4) مظاهر الثقافة المغربية: 81.
(5) كتبت في الإحاطة صدقة.
(6) الإحاطة 475:1.

وما من ريب في أن ابن المرحل لم يستمر هو الآخر ـ وقد تقدَّمت به السن ـ في الكتابة بهذا الديوان، وأنه صار بعد ذلك جليس بيته، ورهين منزله، وأغلب الظن أنه سخّر أوقاته فيما اعتاده من تغذية أشواق روحه بأذواق الحبِّ الشريف، والاستعداد ليوم الرحيل عن الدنيا الفانية ـ وأغلب الظن أيضاً أنه قد صاغ ـ على إقلال ـ ما كان يكابده من مواجد وأشواق في قصائد ومقطعات تعبّر عن خوالجه، مع قضاء بعض الأوقات المساعفة مع ثلّة من الأوفياء من عشرائه الخلصاء، الذين كانوا يدفئون بظرفهم ولطفهم صقيع شيخوخته، وجليد غربته، ولعلّ آخر ما فاضت به قريحته في هذه السنوات الأخيرة بيتان طريفان بعث بهما إلى صديقه القاضي أبي الحجاج الطرسوني في مراجعة أظهر فيها إحساسه بضعفه، بل بدنّو أجله حيث قال[1]:

يا سيّدي شاكركم مالك ... قد صيّرت ميم اسمه هاء

فمن يعش خمساً وتسعين قد ... أنهي في التعمير إنهاء

ومع هذه الكبرة فقد بقي، على ما يبدو، ممتعاً بعقله وفكره، قال شمس الدين الجزري: «ولم يختل عليه من علم ولا نظم حتى مات[2]»

ولذلك فليس من الغريب أن يحمله نشاطه الذهني الذي متع به إلى السنة التي كانت فيها وفاته على أن ينظم أربعة أبيات أخرى، صوّر فيها ما كان يشكوه من الاغتراب، وأوصى بأن تكتب على قبره، بل ذهب بعض المؤرخين إلى أنه قالها في اليوم الذي توفي فيه.

وفاته:

كما أجمعت المراجع والروايات على تحديد تاريخ ولادة مالك بن المرحَّل أجمعت أيضاً على تحديد تاريخ وفاته، فذكرت أنها كانت في السابع عشر من رجب الفرد عام تسعة وتسعين وستمائة[3] (699هـ/ 1299م) بل جاء

---

(1) الإحاطة 3:317.

(2) غاية النهاية 2:36.

(3) المعرب المبين الورقة: 88. الإكليل والتاج: 104, 105 موطئة النصيح لموطئة الفصيح 2:531، =

ضبطه بخط تلميذه القللوسي أنه «توفي إثر صلاة الجمعة» ثم ذكر التاريخ السالف، ومعنى ذلك أن حياته طالت وامتدت إلى أن بلغت خمساً وتسعين سنة، قال الأستاذ محمد الفاسي: «عاش في عصور ستة عشر ملكاً من ملوك الموحدين والمرينيين، ومن الغريب أنه ولد أيام الناصر الموحّدي، وتوفي أيام الناصر المريني[1]».

وقد أشار مترجموه إلى أن وصيته قد نُفذت، وكُتبت الأبيات التي أوصى بكتابتها في «مربّعة على قبره[2]» قال ابن القاضي من أعلام القرن الحادي عشر: «ذهبت الآن أذهبتها أيدي الزمان[3]» والأبيات التي جعلها شاهداً على غربته، وجالبة لرحمته هي قوله[4]:

زر غريباً بمغرب ... نازحاً ماله ولي

تركوه موسّداً ... بين ترب وجندل

ولتقلْ عند قبره ... بلسان التذلل

رحم اللهُ عبده ... مالك بن المرحَّل

وذكر محمد بن جعفر الكتاني صاحب «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس «إن ضريحه من جملة ما قطع عن هذا الخارج بالسور الجديد المحدث عن يمين خارج هذا الباب، وصار من جملة داخل المدينة إلى ناحية المحلّ المعروف الآن بزريبة الخشب، والله أعلم[5]».

وقد زرت مدينة فاس التي ذرّت ترابها على جثمان أديب العدوتين وبعض مقابرها مرات عديدة وسألت المهتمين عن موضع قبره، فلم يدلّ عليه أحد، ولا عرف له أثر ـ رحمه الله تعالى ـ.

=صلة الصلة 65,3 البدر السافر لوحة: 156 مخط الوافي بالوفيات 19:25أ.

(1) مجلة الثقافة المغربية «الشاعر مالك بن المرحل» ع7س1972.

(2) مجموع خع رقم (173) :260.

(3) م. ن: 260.

(4) الإحاطة 324:3، غاية النهاية 36:2 المنتقى المقصور 389:1.

(5) سلوة الأنفاس: 100، وراجع أيضاً المغرب المبين الورقة: 88.



الفصل الثالث

طبيعة آثاره وملامح فكره

بعد أن ألممنا إلى حدّ ما بأسماء شيوخه الذين أخذ عنهم العلم في الأندلس، وتحصّل على إجازاتهم في العلوم والفنون المختلفة التي كانوا يدرسونها، ويجيزون طلاب العلم فيها، واطلعنا على كثير من شهادات كبار الكتّاب والدارسين القدامى والمحدثين ممن ترجموا لمالك بن المرحل، وأثنوا على معارفه ونبوغه، وكان من جملة تحلياتهم له أنه «الشيخ الإمام العالم الهمام النحوي الأديب اللغوي الأديب الشاعر المفلق[1]» نحاول أن نكوّن في هذا الفصل صورة أخرى دقيقة وواضحة عن طبيعة فكره وثقافته وأثره الذي تركه نشاطه العقلي في العدوتين من خلال دراسة هذه الجوانب وعرضها.

أولاً: تحديد مظاهر ثقافته وأبعادها.

ثانياً: مؤلفاته وآثاره المنظومة والمنثورة وذكر طبائعها وبيان الموجود والمفقود منها.

ثالثاً: ذكر تلاميذه الذين انتفعوا به في العدوتين.

المبحثِ الأول: مظاهر ثقافته وأبعادها (تكوينه المعرفي):

لا مشّاحة في أن مترجمنا قد حصّل علومه على وفق الطريقة التعليمية الأندلسية الشاملة والمتنوعة التي تخرّج بها أمثاله من أعلام عصره الأندلسيين كحازم القرطاجني، وابن الأبار، وابن سعيد الأندلسي، وابن سهل، وابن أبي الربيع، وابن الجنان وغيرهم فحذق علوم الآلة وعلوم المقاصد وعلم التاريخ والحساب ونحوها من معارف العصر.

---

(1) مجموع خع رقم (173) :260.

فقد أخذ علم العربية عن مشاهير الشيوخ في مسقط رأسه «مالقة» وفي مدن أندلسية أخرى ك «إشبيلية» و«غرناطة» ذكرنا منهم أبا علي الشلوبين وابن بقي وابن الفحام وابن الدبّاج، فأتقن بهم دراسة النحو وأجاد دراسة البلاغة والأدب، إلا أن ميله إلى الأدب والبلاغة كان أكثر من ميله إلى النحو.

وهذا ما يفسّر لنا قول ابن غازي الذي عقّب به على المناظرة التي جرت بينه وبين أبي الحسين بن أبي الربيع في مسألة «كان ماذا» التي سنأتي لذكرها فيما بعد حيث قال: «إن الأستاذ ابن أبي الربيع تطفّل على مالك ابن المرحّل في الشعر، كما أن ابن المرحّل تطفّل عليه في النحو[1]».

وقد اتفقت كلمات الكتّاب الأقدمين والمحدثين على وصف مالك بالنبوغ في الأدب، ونظم الشعر، حتى سُمي: «شاعر المغرب وأديب صقعه، وحامل الراية المعلم بالشهرة[2]» وقد مرّ بنا قول ابن خلاّد في تحليته، والإشادة بقيمة فنه «وإنما أنهضه أدبه وشعره وعوضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، فطلع في جبينه غرّة نيّرة، ونصعَ في سلك فصحاء أوانه درّة خطيرة، وحاز من جيله رتبة التقديم، وامتاز في رعيله بإدراك كلٍّ معنى وسيم[3]»، وامتدحه تلميذه ابن الزبير فوصفه بأنه «شاعر رقيق مطبوع متقدّم سريع البديهة، رشيق الأغراض، ذاكر للأدب واللغة[4]» وأنه كان «من محسني الشعراء ومتقنيهم[5]».

ولم يكن اهتمامه بالأدب مقصوراً على صناعة الشعر والبراعة في النظم الذي أُثرت له فيه المطوّلات والمعشرات والعشرينيات، ونظم الكتب في اللغة على نحو «الموطأة» وغيرها من العلوم، وإنما عرف بالنثر الأدبي الفني أيضاً فقد كان في طليعة الكتّاب في بلاط العزفيين «بسبتة» وفي بلاط بني مرين في «فاس»[6]، وكتب رسائل إخوانية لم تصلنا منها إلا رسالته التي كتبها إلى صديقيه أبي القاسم خلف

---

(1) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: 145:4.

(2) الإحاطة 305:3.

(3) الإحاطة 304.

(4) (5) صلة الصلة ق 65:3.

(6) راجع الأنيس المطرب: 376, 308 الذخيرة السنية: 123. الإحاطة 306:3.

القبتوري وأبي بكر الفخار وأخرى برواية، كما كان له إسهام في فن المقامة، ولكن لم نقف له فيها إلا على مقامة واحدة هي «المقامة النجدية»، وكان ناقداً أديباً بصيراً ينقد أشعاره ويهذبها، كما يستعمل حسّه النقدي في تقييم ما يعرض عليه من أشعار غيره ومنظوماتهم، يدلّنا على هذا الجانب فيه الخبر الذي أثبته العلاّمة محمد الشريف الحسني السبتي حيث قال: «سمعت الإمام أبا القاسم بن عبد الله بن الشّاط الأنصاري حفظه اللّه، يقول غير ما مرّة: وصل إلى بلدنا جزء من كلام أبي الحسن حازم يحتوي على مقصورته الألفية، وجملة من قصائده فدعاني الإعجاب بكلامه أن أوقفت عليه شيخ الجماعة أبا الحكم مالك بن المرحَّل ـ رحمه اللّه ـ فتأمّل ذلك، ثم قال: «لا أقول إن هذا شعر، ولكنّي أقول هو ديوان علم[1]».

كذلك تفتحت ثقافته كسائر أبناء عصره على علوم المقاصد والشريعة فتعلّم القرآن والقراءات وصار من أشهر المتفننين في علم القراءات، فقد ورد في ترجمته أنه أخذ هذا العلم عن أبرز شيوخه من أمثال أبي جعفر أحمد الفحام، والشيخ أبي الحسن بن الدبّاج، بل إنه ألّف فيه أرجوزته: «التبين والتبصير في نظم كتاب التيسير[2] ودرس الحديث والتفسير، وحذق الفقه وتبحّر فيه إلى الدرجة التي كان يُنعت فيها في المراجع القديمة بالفقيه الفرضي[3] وقد أهّله تفقهه في علوم الشريعة لتولي منصب القضاء في الأندلس والمغرب.

ولم تكن عنايته بعلم الحديث لتقل عن عنايتة بعلم الفقه، فقد عُني بهذا العلم دراسة وتدريساً وإجازة قال ابن الحاج النميري في مذكراته: «قال شيخنا ـ يعني أبا الحسن المطماطي: وسمعت بعض الموطأة على الأديب الراوية أبي الحكم مالك بن أبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن المرحّل قال حدثني به مالك المذكور، وأنا من آخر من حمله عنه[4] ثم رفع أسماء رواة الموطأ إلى أن وصل بها إلى الإمام مالك بن أنس رضي

(1) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 3,2:1.

(2) درّة الحجال 20:3.

(3) الإحاطة 305:3.

(4) مذكرات ابن الحاج النميري: 191.

الله عنه[1]».

هذا ولابن المرحل اهتمام ثقافي آخر أغفلته الدراسات الحديثة على الرغم من الإشارات إليه في المراجع القديمة، ونعني به علمه بالتاريخ فقد كان تاريخياً إخبارياً، نقف على هذا الاهتمام في بيتيه اللذين مدح بهما أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ضمن قصيدة لم يصلنا منها إلا هذان البيتان اللذان تجلّى لنا فيهما اهتمامه بالتاريخ، والعناية بذكر نسب الممدوح[2]:

أنتم لأبناء عبد الحق كلّهم فخروهم للورى فخر إذا افتخروا

فحسبكم شرفاً أن كان جدُّكم برّ بن قيس وقيس جده مضر

ومن أقدم المراجع التي ألمعت إلى عنايته بالتاريخ كتاب: «رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة» الذي نقل فيه مؤلفه أبو القاسم محمد الشريف السبتي خبراً متعلقاً بقصر ابن سعد المنسوب إلى الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي الموصوف بالقوة وغرابة الأطوار، قال السبتي «أفادنيه بعض فضلاء أصحابنا وذكر أنه نقله من خط الشيخ الأديب أبي الحكم بن المرحّل رحمه الله[3]».

كما تضمّن تاريخ العلاّمة ابن خلدون «العبر» إلماعاً إلى هذه التاريخية الإخبارية في ثقافة ابن المرحل حيث ورد قول ابن خلدون في معرض أخبار البربر: «وقال مالك بن المرحّل» البربر قبائل شتى من حِميْر ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام، ولغطوا فسمّاهم افريقش البربر لكثرة كلامهم[4]».

ولا شكّ في أن استناد مؤرخ بحجم عبد الرحمن بن خلدون على خبر تاريخي مأثور عن ابن المرحّل يفسّر به تسمية البربر، يؤكد الأهمية التأريخية والإخبارية في ثقافته.

(1) المصدر نفسه: 192,191.

(2) الذخيرة السنية: 14.

(3) رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة 499:3.

(4) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر 184:6.

وقد مرَّ بنا كيف تحدّث ابن المرحَّل عن نسله، وأرَّخ لأوليته في مقام مناظرة ابن أبي الربيع النحوي بما يدلُّ على عنايته بالتأريخ والأخبار، وتأصيله الحقائق.

وسوف نقرأ في أشعاره وبخاصة في المديح السياسي، وفي الأمداح النبويّة التي تجلوها «المعشرات» و«العشرينيات» ما يؤكّد هذه الأهمية الإخبارية والتاريخية في ثقافته، وعنايته التامّة بهذا العلم، فقد تحدّث عن ميلاد الرسول وظهور دعوته وغزواته وسراياه، وعن تفاصيل أخرى من شمائله وأخباره صلّى اللّه عليه وسلّم في موضوعيّة ودقّة تامتين، استفادهما من علمه بالتاريخ.

وكان مالك ، إلى جانب ذلك، مشهوراً باتقان الخطاطة «والخط أحد الفصاحتين» يستفاد ذلك من قوله في رسالة إخوانية سنعرض لها «فأنا والحمد لله أعتني بصنعة الحبر، وأقتني اليراع كأنها سبائك التبر، وأبري البرية تنيف على الشبر، وأزين خدود الأسطار المستوية بعقارب اللامات الملتوية[1]».

المبحث الثاني: مؤلفاته وآثاره:

ومما يستجلي به الباحث آثاره العلمية الدالّة على عطائه الفكري والأدبي، وعلى تفاعله مع الحياة العقلية في الغرب الإسلامي، تراثه التأليفي الغزير والمتنوّع والموزّع على مساحات مختلفة من المنظوم والمنثور، إبداعاً ونظماً وشرحاً وترتيباً.

ويمكن أن نقسّم هذه الآثار من ناحية منهجية إلى قسمين:

1 ـ آثار وصلتنا أسماؤها وعنواناتها، ولكن لم يقدر لنا كما لم يقدّر للباحثين من قبلنا الوقوف عليها، أو الاهتداء إلى أماكن وجودها.

2 ـ آثار باقية، وصلت إلى أيدي الباحثين، ولها حيز في المكتبات العامة والخاصة.

فمن القسم الاول نذكر:

---

(1) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط(ن).

أ - «أرجوزة في العروض[1]».

ب - «التبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير[2]» وهي كما وصفت منظومة مطوّلة تزيد على ألفي بيت عارض بها كما ذكر ابن القاضي الشاطبية وزناً وقافية[3] قال الذهبي: «وقفت له على قصيدة أزيد من ألفي بيت نظم فيها التيسير بلا رموز[4]».

ج - «ترتيب كتاب الأمثال لأبي عبيدة على حروف المعجم[5]».

د - «الجولات[6]» وهو مختارات من مجموع شعره الحاوي الكثير من تجاربه الشعرية، قال الأستاذ محمد الفاسي «وسمّاه بهذا الاسم لأن جوالة الشيء في اللغة خياره، وهذا الديوان قد ضاع[7]» وقد أشار الأستاذ محمد العابد الفاسي إلى ما وقف عليه في دفاتر خزانة القرويين من أسماء الكتب التي لا يوجد لها أثر في قماطرها فذكر ديوان مالك بن المرحل[8] ومعنى هذا أن الديوان كان موجوداً بالخزانة إلى فترة قريبة.

هـ - «سلك المنخل لمالك بن المرحَّل»، أرجوزة نظم فيها منخل أبي القاسم بن المغربي[9].

---

(1) الإحاطة 307:3، وفي درة الحجال 20:3 كتاب العروض، ذكريات مشاهير المغرب: 8.

(2) درة الحجال 20:3، جذوة الاقتباس 328:1، غاية النهاية 36:2. الإكليل والتاج 105,104، مخط الوافي بالوفيات 19:25أ.

(3) جذوة الاقتباس 328:1.

(4) نقلاً عن غاية النهاية 36:2.

(5) درة الحجال 20:3. جذوة الاقتباس 306:3.

(6) الإحاطة 306:3.

(7) مجلة الثقافة المغربية ع 7س1972. وقد سبقت الاشارة الى أننا وقفنا على نسخة من هذا الديوان.

(8) راجع مقالة «الخزانة العلمية بالمغرب» بمناسبة عيد جامعة القرويين» 1380-1960.

(9) الإحاطة 307:3 جذوة الاقتباس 328:1.

و ـ شرح أرجوزة العروض[1]» والراجح أن هذا الشرح لأرجوزته المتقدمة.

ز ـ «الصدور والمطالع[2]».

ح ـ «كتاب الحلى[3]» ولا يعرف موضوعه.

ط ـ «اللؤلؤ والمرجان»[4].

ى ـ «لوائح الإنابة وروائح القبول والإجابة[5]».

ك ـ «المعشرات الزهدية»[6] وربما هي التي عناها التجيبي بقوله: «وجزء فيه جملة من نظمه في الزهد أيضاً[7]».

ل ـ «المعشرات اللزومية[8]» وهي في مدح سيدنا محمد رسول اللّه المصطفى من البرية ذكره تلميذه القاسم التجيبي في برنامجه فقرّر أنه: «من نظم الأديب المعمر أبي الحكم مالك بن عبد الرحمان بن المرحل المالقي ـ رحمه اللّه تعالى ـ التزم فيها أن يكون أول كل حرف من أبياتها لازماً لحرف آخر، وآخر كلٍّ حرف منها، وهو حرف الروي لازماً لحرف آخر فصارت لزومية من الطرفين[9]».

م ـ «المعشرات الورابية» من نظمه[10].

---

(1) الإحاطة 307:3، درّة الحجال 20:3. جذوة الاقتباس 328:1.

(2) الإحاطة 306:3.

(3) درّة الحجال 20:3، جذوة الاقتباس 328:1.

(4) الإحاطة 307:3، جذوة الاقتباس 328:1، .

(5) برنامج التجيبي: 289.

(6) في الإحاطة 307,306 عشرياته الزهدية.

(7) برنامج التجيبي: 289.

(8) توجد منه نسخة في الأسكوريال مجموع رقم 262 وبالخزانة العامة رقم 3711 والحنية رقم 173 .

(9) برنامج التجيبي: 288، وتوجد نسخة منها في آخر مجموع برقم (D3711) في 17صفحة عدد أبياتها 290-288-289.

(10) الختام المفضوض: 68.

ن ـ «الملحة» في العروض انفرد بذكره أبو بكر محمد القللوسي في كتابه الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض «والآخر» زهرة الظرف وزهرة الطرف[1]»

ض ـ «نظم اختصار إصلاح المنطق لابن العربي[2]».

ع ـ «نظم الثلث الأول من كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة[3]». وقد وصفه القاسم التجيبي بقوله «من نظم الأديب الحافظ المعمر أبي الحكم مالك بن عبد الرحمان المالقي المعروف بابن المرحّل ـ رحمه اللّه ـ نظم فيها من أول المذكور إلى باب إقامة الهجاء».

ف ـ «نظم غريب القرآن لابن عزيز[4]».

ص ـ «الواضحة في نظم الفرائض[5]».

ننتقل الآن إلى بيان آثاره الأخرى التي انتهت إلينا أصولها ومنسوخاتها، وتعاملنا معها كما تعامل الباحثون، وتعدُّ من الأعلاق المصونة في بعض الخزائن العامة في المغرب واسبانيا، والخاصة بالمغرب وهي على الترتيب المتّبع:

أ ـ «أرجوزة في النحو[6]» تقع في ثمانٍ وثمانين صفحة. وتوجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة في الرباط[7].

---

(1) جذوة الاقتباس 328:1، الحركة العلمية في سبتة: 337 ذكريات مشاهير المغرب موطئة مالك ابن المرحل النصيح لموطئة الفصيح 531:2.

(2) جذوة الاقتباس 328,1، درّة الحجال 20:3 جذوة الاقتباس 328:1 الإكليل والتاج 104-105.

(3) برنامج التجيبي: 282.

(4) معجم المعاجم: 37، درة الحجال 20:3 جذوة الاقتباس 328:1، الإكليل والتاج 104-105.

(5) الإحاطة 307:3، جذوة الاقتباس 328:1. وفي درّة الحجال 20:3 «قصيدة في الفرائض».

(6) موجودة في الخزانة العامة بالرباط، ولم يدل من أشار إليها على رقمها.

(7) ذكر ذلك الأستاذ محمد الفاسي في مجلة الثقافة المغربية ع7-1972 ولم أقف عليها في مسشتملات الخزانة المذكورة

ب - «رسالتان في عروض الدوبيت[1]» توجد في مكتبة الاسكوريال ضمن المجموع رقم[2] (288) وقد نهض الباحث العراقي الأستاذ هلال ناجي بتحقيق هاتين الرسالتين تحقيقاً علمياً[3] ولكنه رجح نسبة الاخيرة منهما إلى صهره ابراهيم التلمساني.

ج - «الرمي بالحصا والضرب بالعصا»[4] وهي الرسالة التي سمّاها ابن القاضي «كان ماذا[5]»

د - «شرح الموطأة[6]» وهو شرحه على نظمه فصيح ثعلب الذي سيأتي ذكره فيما بعد، ويقع هذا الشرح في مجلدين تحتفظ بهما الخزانة العامة في الرباط من مكتبة الكلاوي[7].

هـ - «المعشرات النبوية[8]» ولها مخطوطات في الأسكوريال[9]» والخزانة العامة[10] والخزانة الحسنية رقم (5/173).

و - «المقامة النجدية[11]» وهي مما قرأه القاسم التجيبي على شيخه ابن المرحَّل، قال «وجزء فيه المقامة النجدية في الزهد، وهي من إنشائه

---

(1) جذوة الاقتباس 328:1 الكوكب الثاقب 559:3 الموسوعة المغربية 2.

(2) مجلة المورد ع 4 س 1394 - 1974

(3) م.ن

(4) الإحاطة 307:3 النبوغ المغربي في الأدب العربي 220:1 الموسوعة المغربية للأعلام البشرية 2.

(5) جذوة الاقتباس 328:1.

(6) جذوة الاقتباس328:1.

(7) هكذا ذكرت بعض المراجع مثل الإكليل والتاج 104-105. وفي الحق فان الراجح أن هذا الشرح ليس لمالك بن المرحل.

(8) الإحاطة 306:3.

(9) مكتبة الأستاذ محمد المنوني.

(10) مكتبة الأستاذ محمد المنوني

(11) برنامج التجيبي: 251، الحركة العلمية في سبتة: 303 راجع هذا التحقيق في مجلة «البحث العلمي» الصادرة عن المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط؛ 1994 .

أيضاً ـ رحمه الله تعالى[1]» وقد قمنا بتحقيقها ونشرها[2].

ز ـ الموطأة[3] هكذا سمّاها صاحبها في ختام نظمه كتاب فصيح ثعلب وتعدُّ الموطأة في مجموعها على ما حققناه ـ واحداً وأربعين وثلاثمائة وألف بيت من الأبيات.

قال التجيبي «الأرجوزة الموسومة بالموطأة من نظم الأديب أبي الحكم مالك المذكور ـ رحمه اللّه تعالى ـ نظم فيها الفصيح المذكور، وشرح بعض ألفاظه، قرأت جميعها عليه في صغر سنة تسعين وستمائة بسبتة، حرسها الله تعالى[4].

وتوجد من هذه الموطأة أو المنظومة، كما ذكر الأستاذ اسماعيل الخطيب «نسخ عديدة مخطوطة في المكتبات العامة والخاصة[5]» وأشار الأستاذ عبد العزيز ابن عبد الله إلى بعض هذه المخطوطات فألمح إلى المخطوطة الموجودة في الخزانة العامة تحت رقم (1857)، وإلى (م: 92-129) وإلى المخطوطات في الخزانة الملكية تحت الأرقام (6031/6618-7425)[6] كما تولّى شرح هذه الموطأة العلاّمة محمد الطيب الفاسي المعروف بالشرقي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري وسمّى هذا الشرح: «الأزهار الندية»[7] قال خير الدين الزركلي «وشرحها (الموطأة) محمد بن الطيب في مجلدين ضخمين اقتنيتهما[8]».

ح ـ «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة[9]».

وهي العشرينيات المنظومة على حروف الألفبائية.

---

(1) برنامج التجيبي: 289.

(2) الحركة العلمية في سبتة: 337 .

(3) الإحاطة 307:3، معجم المعاجم: 86,85، إيضاح المكنون 227:2.

(4) برنامج التجيبي: 283.

(5) الحركة العلمية في سبتة: 337.

(6) الموسوعة المغربية 2، معجم المعاجم 86.

(7) الكوكب الثاقب 559:3.

(8) الأعلام 263:5.

(9) الكوكب الثاقب 559:3 معجم المؤلفين 169:8 طبقات القراء 36:2. سلوة الأنفاس 99:3.

وقد وصفها ابو القاسم التجيبي مشيراً إلى موضوعها وشكلها بقوله: «قصائد على حروف المعجم كلُّ واحدة منها ذات عشرين بيتاً، وتسمّى في هذا العصر[1] بالعشرينيات، وهي تتضمن غزواته عليه السلام، وكثيراً من معجزاته، ومن أول البشرى به إلى مولده إلى وفاته صلّى اللّه عليه وسلّم وكلُّ ذلك على نسق ما ذكره ابن اسحاق، رحمه اللّه تعالى، في كتاب السيرة[2]» وقرّر أن هذه المنظومة من «نظم شيخ الأدباء المعمر الحافظ أبي الحكم مالك بن عبد الرحمان بن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن المرحّل[3]» وذكر أنه قرأها عليه[4].

وتوجد هذه المخطوطة في الخزانة العامة بالرباط[5] كما توجد نسخة منها في الأسكوريال[6].

المبحث الثالث: تلاميذه:

كذلك مما يستجلي به الباحث الدور الإيجابي المؤثر الذي نهض به مالك بن المرحل في إثراء الحياة العلمية والفكرية في العدوتين «الأندلس» و«المغرب» الوقوف على أسماء تلاميذه النابهين، وطلاّبه الذين أخذوا عنه العلم ونهلوا من معينه المعرفة، ثم لهجوا بالثناء عليه وانتهجوا نهجه في المناقلة والإبداع والعطاء، وليس من اليسير علينا أن نستقصي ذكر أولئك المريدين في سبتة وغرناطة وإشبيلية وفاس، لذلك أرانا مضطرين للاجتزاء بالمبرزين منهم[7]:

1 ـ أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي ولد بمدينة إشبيلية عام

---

(1) يقصد القرنين السابع والثامن الهجريين.

(2) برنامج التجيبي: 137.

(3) م.ن: 137.

(4) م.ن: 137.

(5) تحت رقم ج 89 وهي التي اعتمدنا عليها في نشر أبياتها.

(6) توجد في أوائل مجموع برقم (362) ونسخت سنة 742هـ.

(7) نتبع في عرض آثاره (أسماء تلاميذه، ومؤلفاته) الطريقة الألفبائية.

واحد وأربعين وستمائة، ثم غادرها صغيراً بعد تغلب الروم عليها إلى مدينة سبتة حيث تعلّم وأقام، وبرز في العلوم على شيوخ سبتة وفي مقدمتهم ابن المرحل[1]، فغدا كما يقول صاحب المرقبة العليا: «واحد عصره، وفريد قطره وعمدة طلبته الموثوقين بما استفيد في مجلسه من فنون العلوم[2]».

وقد أشار أبو الحسن البنّاهي أيضاً إلى أن أبا اسحاق أخذ عن الأديب الفرضي أبي الحكم مالك بن المرحل[3].

2 ـ أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي يكنى أبا جعفر ينتمي إلى أسرة مشهورة بمدينة جيان منزل قنسرين بالأندلس، وقد خرج به والده منها عام ثلاثة وأربعين وستمائة وقد كان لليسر الذي نعمت به أسرته الدور البارز في تفرغه لتحصيل العلم، والاستفادة من كبار الشيوخ في العدوة الأندلسية، وبخاصة من العلماء الذين أزعجوا من قرطبة وإشبيلية كأبي الحسن الصائغ الذي انتفع بعلمه وفضله، وكالمقري أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن مستور الغرناطي، وقد أشار ابن الزبير إلى لقائه بمالك بن المرحل قال: «تكرّر قدومه علينا بغرناطة، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستمائة[4]» كما أشار إلى هذه المشيخة ابن الخطيب[5] والكتاني[6] وغيرهما.

وقد أثنى لسان الدين في مواضع متفرقة من كتابه «الإحاطة» على أبي جعفر هذا فحلاّه بالقاب وحُلى كثيرة منها: «شيخ الجماعة العلامة[7]

(1) المرقبة العليا 133 الحركة العلمية في سبتة: 269 برنامج التجيبي: 91.

(2) راجع المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا لأبي الحسن البناهي.

(3) م.ن.

(4) الإحاطة 306:3.

(5) راجع كتاب الإحاطة.

(6) سلوة الأنفاس 99-100.

(7) الإحاطة 161:3.

و«بقية المقرين[1]» و«العلاّمة المتفنن[2]» و«الراوية الأستاذ الكبير[3]» وجميعها تظهر ما بلغه من التحصيل من أشياخه ومنهم ابن المرحل ، كما أشار أيضاً إلى تلاميذه الكثر[4] ومن أشهر تآليف هذا الأستاذ كتابه «صلة الصلة» الذي ذكر فيه بعض مظاهر صلته بأستاذه قال: «صحبته في بعض أسفاره على ظهر البحر وبسبتة والجزيرة الخضراء»

3 ـ أحمد بن عبد الله الأنصاري، المعروف بالرصافي[5] ولد بمرسيّة في أواخر شهر رمضان سنة 650هـ وأخذ عن جملة من الشيوخ منهم مالك بن المرحل، وقد أورد ابن القاضي في «الدرّة» ما يفصح من قول الرصافي نفسه عن هذه التلمذة، وعن أخذه العلم عن المترجم به حيث قال: «أخبرني بمدينة سبتة شيخي أبو الحكم مالك بن المرحل[6]» ثم أورد خبر ابن المرحل المشير إلى علاقته بالأديب ابراهيم بن سهل الإشبيلي، وشهادته فيه بحسن إسلامه، وذكره لملابسات وفاته[7]».

كذلك أشار إليها محمد بن عبد الملك المراكشي في كتابه «الذيل والتكملة»[8] والرصاع في فهرسته[9] وقد رحل أحمد الأنصاري هذا إلى تونس حيث لقيه الرحالة خالد البلوي فيها سنة[10] 637هـ.

---

(1) م. ن 34:3.

(2) م. ن 45:3.

(3) م. ن 194:3.

(4) راجع الإحاطة 192,159,89,43,20,3.

(5) صلة الصلة ق 3:65-194-202-230.

(6) درة الحجال 33:1، فهرست الرصاع: 84.

(7) م. ن 33:1.

(8) م. ن 34,33:1.

(9) الذيل والتكملة1:334,331.

(10) فهرست الرصاع: (84).

4 ـ أحمد بن علي بن محمد الأنصاري الأوسي[1] من أهل قرطبة، سكن غرناطة، وصفه أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بأنه كان محدثاً حافظاً للقرآن العظيم كثير التلاوة له ديناً فاضلاً أديباً ذاكراً يستظهر أمالي أبي علي القالي وكثيراً من الأشعار وكتب الآداب مع العفاف والنزاهة والشهرة بالصلاح والعدالة[2]» ومما دلنا على صلته بأستاذه ابن المرحل ما جاء في كتاب الذيل والتكملة من أن أستاذه أنشده بعض شعره وكتبه له بخطه[3]» كما أن الأنصاري كان موقراً فضل هذا الأستاذ الذي أورد أشعاره بعد نعته بقوله «شيخنا[4]».

5 ـ أحمد بن محمد بن سعيد بن علي بن محمد بن مالك المعافري[5] ويعرف بابن أبي جبيل من أهل غرناطة، وقد وصف في درّة الحجال بأنه كان «من أهل العلم والمعرفة بالأحكام الشرعية والقضايا الدينية، وكان له حذق بصناعة العربية ومشاركة في غيرها من الفنون، وله حظ من قرض الشعر[6]» وقد عدّ ابن القاضي ابن المرحَّل أحد شيوخه الذي أجازوه[7].

6 ـ سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني غرناطي، وصفه ابن الخطيب بأنه كان «من أهل العلم والهدى الحسن والوقار، قديم العدالة، متعدّد الولاية، متظلع بالأحكام، عارف بالشروط، صدر وقته في ذلك، وسابق حلبته إلى الرواية والمشاركة والتبجيح[8]» كما أشار إلى تواليفه فذكر أنه ألف في الوثائق المرتبطة بالأحكام كتاباً مفيداً،

---

(1) م.ن: 84.

(2) الذيل والتكملة 1:331-334 درة الحجال 1:33.

(3) المرجع نفسه 1:327.

(4) المرجع نفسه 1:334,331.

(5) المرجع نفسه 1:331.

(6) درة الحجال 1:136.

(7) درة الحجال: 1:136.

(8) المرجع نفسه 1:137.

نسبه بعض معاصريه إلى أنه قيّده عن شيخه أبي جعفر بن فُركون، ودوّن مشيخته[1].

ومما يتصل بغرضنا أنه أشار إلى شيوخه سوى ابن فركون فذكر ممن أجازه منهم الشيخ الأديب أبو الحكم ابن المرحل[2] ومن المعروف أن سلمون هذا ولد عام خمسة وثمانين وستمائة[3]، ومعنى ذلك أنه من المجازين من مترجمنا إجازة استجازها له أووليُّه استدعاء للبركة، وطلباً لتوثيق السند العلمي فحسب.

7 ـ عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني[4] من أهل غرناطة

ومن الذين أفادوا من ابن المرحل، فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب في ترجمته له أنه «لقي الأديب المعمر مالك بن المرحَّل[5]» ويفهم من عباراته في ترجمته أن أخذ الكناني عن ابن المرحَّل كان في أخريات حياته.

8 ـ عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي[6] من الأدباء الكتّاب، ومن أئمة اللغة والشعراء، ينتمي إلى بيت علم ورئاسة في العدوتين، أخذ العلم عن أعلام مدينة سبتة وغيرهم كأبي اسحاق الغافقي وابن رشيد وابن الشّاط وابن أبي الربيع وابن صالح الكناني، وأجاز له مالك بن المرحَّل[7] قال ابن الخطيب في ذكر مشيخته:

---

(1) الإحاطة 309:4.

(2) المرجع نفسه 309:4.

(3) المرجع نفسه 309:4.

(4) المرجع نفسه 310,309:4.

(5) الإحاطة 402:3.

(6) م. ن 402:3.

(7) راجع ترجمته في الإحاطة 11:4 جذوة الاقتباس 444:2.

«وممن أجاز له مشافهة أو مكاتبة من أهل المغرب الأديب الشهير أبو الحكم مالك بن المرحَّل[1]» وقال صاحب الجذوة «وأجاز له مالك بن المرحَّل[2]» وقد عرف عبد المهيمن الحضرمي هذا بالتأثير العلمي والمعرفي فأخذ عنه الجم الغفير من أئمة اللغة والأدب من بينهم المقري الجد وابن مرزوق الكبير وابن الخطيب وابن خلدون[3].

9 - علي بن علي عتيق بن أحمد بن عبد العزيز الهاشمي وهو من أعلام غرناطة، ترجم له ابن الخطيب في إحاطته فأثنى على ديانته وصيانته وحسن خلقه[4] وذكر أنه تقدّم خطيباً وإماماً بمسجد غرناطة الأعظم عام أحد عشر وسبعمائة، قال واستمرت حاله إلى حين وفاته على سنن أولياء الله الصالحين[5]» ثم ذكر شيوخه فأشار إلى أبي الحكم مالك بن المرحَّل من بينهم[6].

وقد ولد علي هذا في سنة سبع وستين وستمائة، وتوفي في عام أربعة وأربعين وسبعمائة[7] ومن ذلك يتضح أنه كان ممن أخذوا عن الشيخ المترجم في أخريات حياته.

10 - علي المطماطي: من شيوخ العلم في مدينة سبتة وسلا المشتغلين بعلم القراءات والفقه والحديث بالمدرسة العلوية، واسمه، كما جاء في مذكرات أبي اسحاق وابراهيم بن الحاج النميري مستوفى «أبو الحسن علي بن موسى ابن اسماعيل بن ابراهيم المطماطي[8]» ولد في «العشر

---

(1) جذوة الاقتباس 444:2 ذكريات مشاهير المغرب: 12.

(2) الإحاطة 13:4.

(3) جذوة الاقتباس 444:2.

(4) راجع عبد الله كنون عبد المهيمن الحضرمي سلسلة ذكريات مشاهير المغرب.

(5) الإحاطة 197:4.

(6) المرجع نفسه 198:4.

(7) المرجع نفسه 199,198:4.

(8) المرجع نفسه 200:4.

الاول من ذي الحجة عام سبعة وسبعين وستمائة[1]» وأخذ علومه عن بعض أعلام عصره كأبي مروان بن الكمّاد، وأبي عبد الله محمد اليفرني اللذين قرأ عليهما السبع، وأخذ عن أبي عبد الله ابن قطرال بعضاً من مسلم والموطأ والبخاري وأجازه إجازة عامة أيضاً[2] وقد ذكر ابن الحاج أن من جملة شيوخه الذين انتفع بعلمهم أبا الحكم مالكاً قال: «وأجازه مالك بن المرحَّل وسمع عليه بعض الموطأ، وسمع عليه الفصيح الموجز من تآليفه إلى غير ذلك[3]».

وعلى الرغم من أن ابن الحاج لم يحدّد المكان الذي أخذ فيه المطماطي العلم عن ابن المرحَّل، فإن النظر في السياق التاريخي الذي يدل عليه ميلاد المطماطي وتحصيله يوافق من مكث ابن المرحل إقامته في مدينة فاس عاصمة الدولة المرينية، فيكون تحصيله عليه فيها.

ويستشف من المعلومات التي أوردها ابن الحاج النميري أن الشيخ أبا الحسن علي المطماطي الذي التقى به، كما ذكر، في أثناء رحلته إلى مدينة «سلا» المغربية كان على قدر كبير من العلم والفضل مما دعاه إلى طلب الإجازة منه فأجازه إجازة عامة، وكذلك لأخويه محمد وعبد العزيز، ولابن أخيه محمد بن محمد النميري[4].

11 ـ القاسم يوسف التجيبي: المتوفى سنة [5](730هـ/ 1329م).

نُمي إلى أسرة كان موطنها في بلنسية بالأندلس ثم رحلت منها بعد سقوطها في يد المسيحيين القشتاليين في القرن الخامس، ونزلت مدينة سبتة حيث طاب لها المقام، وفي هذه المدينة ولد القاسم التجيبي أحد

(1) مذكرات ابن الحاج النميري تحق برمبير: 180.
(2) م. ن: 180
(3) م. ن180.
(4) م. ن180.
(5) مذكرات ابن الحاج النميري تحق برمبير: 180.

تلاميذ ابن المرحل المنصفين، وذلك في النصف الأخير من القرن السابع الهجري، في حدود سنة (670هـ/ 1271م) وفي سبتة كان مرباه وتعلّمه، حيث تلقى العلم عن مشاهير شيوخها الذين ذكرهم في برنامجه، ثم كانت له رحلة إلى المشرق في حدود سنة (695هـ/ 1295م) وفيها استزاد من العلم ومن لقاء الجلّة من شيوخ المشارقة وعلمائهم[1].

وقد أورد لنا القاسم التجيبي في برنامجه ذكر شيخه الذي نعته بالحافظ المعمّر الأديب مالك بن المرحَّل في بعض المواضع من كتابه[2] ودلنا فيها على أخذه عنه في سنة (687هـ/ 1287م) وفي سنة[3] (690هـ/ 1291م) جملة من آثاره وتآليفه وإبداعاته، وشيئاً مما حرّره غيره ويستفاد من التاريخ المذكور أن القاسم التجيبي كان من جملة آخر من تلقى عن ابن المرحل العلم، وقام بين يديه بالعرض والمناولة في مدينة سبتة حسبما تقدّم، ومن الآثار التي قرأها التجيبي على شيخه وأخبرنا بها في برنامجه رحمه الله: أرجوزته التي نظم فيها أدب الكاتب لابن قتيبة قال: «سمعت جميعها عليه الجزء المشتمل على «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى» فقد أورد قوله «قرأت جميع الجزء عليه ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة تسعين وستمائة في سبتة حرسها الله تعالى ـ[4]».

وقرأ عليه الأرجوزة الموسومة بالموطأة قال: «قرأت جميعها عليه من

(1) بلغة الأُمنية: 28، أعلام المغرب العربي127 اختصار الأخبار17.

(2) الدرر الكامنة 240:3، نيل الابتهاج: 222، اختصار الأخبار فهرس الفهارس والأثبات 191:1 برنامج التجيبي: ر،ح،ط،ي، يا،يب،يح، مستفاد الرحلة والاغتراب، وراجع بحث الأستاذ محمد المنتصر الريسوني «التجيبي المحدث السبتي» مجلة كلية الآداب تطوان ع 3 س 3 ـ 1410 ـ 1989.

(3) برنامج التجيبي: 137-247-282-283-288.

(4) المرجع نفسه: 137-283.

صفر سنه تسعين وستمائة بسبتة حرسها الله تعالى[1]».

كما ذكر في برنامجه طائفة أخرى من تآليف شيخه ابن المرحَّل ولكنّه لم يدلّنا على قراءتها عليه[2] بيد أنه أشار إلى أخذه عنه فهرسة المقري أبي جعفر أحمد شيخ مالك بن المرحل[3].

12 ـ محمد بن أحمد بن ابراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري السبتي المنشأ والدار، الغرناطي الاستيطان ويكنّى أبا الحسين، حلاّه لسان الدين بقوله: «طرف في الخير والسلامة، مُعرق في بيت الصون والفضيلة، مُعم تخوّل في العدالة، قديم الطلب والاستعمال، معروف الحق، مليح البسط، حلو الفكاهة، خفيف إلى هيعة الدعابة على سمت ووقار[4]».

ويبدو أن هذا الشيخ قد تلقى تحصيله في مدينة سبتة حيث كان يقيم والده وجدُّه وصهر جده مالك بعد رحيلهم من العدوة الأندلسية إلى العدوة المغربية، فكتب له أن يأخذ عنهم جميعاً قال ابن الخطيب: «وممن كتب له بالإجازة وهم خلق كثير كخال أبيه الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المرحل[5]» وقد حاز بمثابرته علماً واسعاً وهو معدود من شيوخ لسان الدين الذين كان يسميه «صاحبنا وشيخنا[6]».

13 ـ محمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد ابراهيم بن حسان القيسي الوادآشي الأصل التونسي الاستيطان يكنى أبا عبد الله ويلقب شمس الدين ويعرف بابن جابر.

---

(1) المرجع نفسه 137.

(2) المرجع نفسه: 283.

(3) مثل المعشرات اللزومية والمعشرات الورابية، ولوائح الإنابة وروائح القبول والإجابة، ونظمه في الزهد، والمقامة النجدية، راجع البرنامج ص 288-289.

(4) برنامج التجيبي: 247.

(5) الإحاطة 200:3.

(6) المرجع نفسه: 201:3.

ولد ونشأ بتونس، وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرواية، ونقّب عن المشايخ، وقيّد الكثير حتى أصبح جمّاعة المغرب وراوية الوقت ثم قدم الأندلس.

كان رحمه الله تعالى عظيم الوقار والأهبة، قويم السمت قرأ القرآن على أبي جعفر بن الزيات بفاس، ثم رحل إلى المشرق ورحل إلى الحجاز مرتين، وجاور بالحرمين وحدّث بهما وسمع وأسمع وسمعت عليه موطأ مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى في الحرم النبوي في سنة ست وأربعين وسبعمائة لقي أئمة من العلماء والمحدثين أصبح بهم نسيج وحده انفساح رواية وعلّو اسناد، وكان محدثاً مقرئاً مجوّداً له معرفة بالنحو واللغة والحديث ورجاله وكان فقهه قليلاً وكان والده معين الدين بن سلطان جابر إماماً عالماً رحالاً مفيداً.

ذكر من شيوخه أبا عبد الله قاضي الجماعة بتونس، وأبا العباس بن الغمار والخزرجي البلنسي، وأبا اسحاق بن عبد الرفيع وكثيراً غيرهم. ومن شيوخه أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري صديق مالك بن المرحّل.

14 ـ محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي العالم المحدّث الرحلة، صاحب كتاب «ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة[1]» وكتب أخرى مفيدة في علم الحديث ورجاله[2] وفي الأدب[3].

ولد بمدينة «سبتة» في حدود سنة (1259/657) حيث تلقّى علومه،

---

(1) نشرت هذه الرحلة بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة.

(2) مثل «إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح» و«السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السند المعنعن» وقد حقق الكتابين الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة.

(3) مثل كتاب «وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي» توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (D3507).

وتولّى الخطابة والتدريس كما تولاّها في غرناطة، وعرف بتبحره في علم الحديث، وبرحلته المهمة إلى الحجاز التي دوّن فيها فوائد كثيرة، وتوفي بعد سنة (685).

وقد أشار ابن رشيد إلى أخذه عن شيخه مالك في معرض الحديث عن مناقدة محمد عبد الملك المراكشي أهل العلم في المغرب وإجازاتهم له «قلت ثم وقع إليَّ بعد ما كتب به في ذلك شيخنا الأديب الشهير شيخ الأدباء، وإمام الشعراء البارع الفارع أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن المرحل[1]»

وتجلو أخبار ابن رشيد السبتي المحدّث أنه كان شديد الاحترام لشيخه مالك، وهذا ما يلوح لنا من تحلياته له، ومن دفاعه الجيّد في النقد الأدبي عن قصيدتي شيخه هذا في الأمداح النبوية اللتين انتقدهما صديقه محمد بن عبد الملك المراكشي، حسبما نعرضه عند الحديث عن أشكال شعر ابن المرحل.

15 ـ محمد بن مالك بن المرحل[2] وهو ولد المترجم به وقد كان كأبيه من شيوخ العلم، وممن تصدّروا للتدريس والإقراء، أخذ عن البارزين من أعلام عصره كأبي بكر يحيى الجذامي، وأبي الحجاج بن فرغلوش، وأبي الحسين بن أحمد ابن الربيع القرشي، وأبي الحسن الدبّاج وأبي علي الشلوبين، وأبي الحسين السّراج، وأبي عبد الله الأزدي[3] كما

(1) راجع في ترجمته: سبك المقال لفك العقال: 175 الإكليل والتاج: 53، درة الحجال: 203-138-144-150-201. الديباج المذهب: 310، جذوة الاقتباس: 180-182، ما كتبه د. محمد الحبيب الخوجة في تقديمه كتاب «ملء العيبة» د. نجاح القابسي «عالم من سبتة ابن رشيد ورحلته» مجلة كلية الاداب بتطوان ع 3 س3 ـ 1410 ـ 1989.

(2) المرجع نفسه: 127:4 برنامج الوادي آشي: 132.

(3) درة الحجال 264:2 برنامج الوادي آشى 133,132.

أخذ عن والده الذي أجاز له[1] وعدّه ابن الخطيب من شيوخ علي بن محمد بن عبد الحق الصباغ العقيلي من أهل غرناطة[2]، كما عدّه ابن القاضي ممن أجاز ابن رشيد[3]، ونعته ابن حجر بأنه كان إماماً في الشروط[4].

16 ـ محمد بن محمد إدريس القللوسي[5] قال الصفدي: «بالقاف المفتوحة، وبعدها لامان مفتوحان وواو ساكنه[6]» ويكنى أبا بكر وهو من أهل مدينة سبتة وأحد علمائها وأدبائها، وممن كان لهم تأثير علمي في العدوتين المغرب والأندلس، قال صاحب الوافي بالوفيات: «أخبرني الشيخ أثير الدين من لفظه، قال: كان المذكور أديباً من أهل المغرب بسبتة، جاز إلى الأندلس[7]» وأنشد له بيتين سمعهما من أبي عبد الله محمد بن رشيد بالقاهرة[8]، وقد اشتهر بالأدب والتأليف في علم العروض، وله كتاب «الختام المفضوض في علم العروض» وقد ذكر في معرض مشيخته أنه تلقى بعض علمه في مدينة «سبتة» عن الشيخ مالك بن المرحَّل[9]، وأظهر في المخطوط الذي أطلعنا عليه من آثاره[10] تأثره بشيخه هذا في علم العروض حيث كان يستشهد كما سيأتي في ملحق الكتاب، بأقواله وبما أخذه عنه[11].

---

(1) المرجع نفسه 264:2.

(2) الإحاطة 127:4.

(3) درة الحجال 264:2.

(4) الدرر الكامنة 152:4.

(5) برنامج التجيبي: 276 مسالك الأبصار. تراجم مغربية من مصادر مشرقية: 212.

(6) الوافي بالوفيات 184:2.

(7) م. ن 184:2.

(8) م. ن 184:2.

(9) الديباج المذهب: 301، الوافي بالوفيات 184:2. بغية الوعاة: 94، برنامج التجيبي: 240.

(10) مخطوط خاص أوله: «غاية المرغوب ونهاية المطلوب في سر شمائل المحبوب».

(11) راجع الختام المفضوض: 10 ظ.

والقللوسي هو الذي احتفظ لنا بالتاريخ الدقيق لميلاد شيخه ووفاته كما تقدم، وهو مظهر دال على عنايته بأخباره وإعجابه به.

17 ـ محمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المراكشي، صاحب كتاب (الذيل والتكملة) من أهل مراكش[1] لقي شيخه ابن المرحل في سبتة ودخل مدينة فاس في السنة (699 هـ/ 1299 م) وهو في طريقه إلى تلمسان فكانت له بها مجالس وندوات[2].

يدلنا على أخذه عنه وإفادته منه قوله في التوطئة لقصيدة مالك في مثال النعل النبوية: «وأنشدني شيخنا أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي ـ عفا الله عنه ـ بسبتة ـ حرسها الله ـ لنفسه، وكتب لي بخطه في هذا المعنى، ووطأ بمدحه ـ ﷺ[3]» كما أكدّها في موضع آخر وقد أفادنا هذا التلميذ المؤرخ بجملة من أخبار شيخه، ونقل لنا من شعره قصيدتين أولاهما في مثال النعل النبوي هي التي مهّد لها بالتمهيد السالف وعدد أبياتها كما سنثبت في التحقيق خمسة وثلاثون بيتاً، والأخرى وقد مهد لها بقوله مؤكداً الأخذ عن صاحبها «وأنشدني أيضاً بسبتة، حرسها الله تعالى، لنفسه في المعنى، وكتبه لي بخطه[4]» وأبدى إعجابه بها، إلا أنه انتقد مواضع عقب عليه فيها ابن رشيد السبتي وقد ذهب الدكتور ابن شريفة إلى أن ابن عبد الملك ربما أخذ عن شيخه هذا بالإضافة إلى ما صرّح به من أخذه عنه في سبتة وفاس «في مراكش أيضاً حينما كان ابن المرحل في حاشية الأمير أبي مالك المريني[5]».

(1) تاريخ قضاة الأندلس: 130.

(2) جامع القرويين 483:2، النبوغ المغربي: 206.

(3) الذيل والتكملة 331:1 السفر السابع.

(4) الذيل والتكملة القسم الأول المفقود كما رجّح الدكتور محمد بن شريفة في القسم الأول: 29، وما نقل من كلامه جاء في كتاب ابن رشيد «ملء العيبة».

(5) الذيل والتكملة س 8 ق 29:1.

18 ـ محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، وهو ابن العالم المؤرخ صاحب كتاب «الذيل والتكملة» الذي تقدّمت ترجمته، وقد أشار إلى هذا الأخذ ابن الخطيب حيث قال في معرض حديثه عن مولد ابن المرحَّل: «قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله بن القاضي المتبحّر العالم أبي عبد الله بن عبد الملك سألته عن مولده فأنشدني[1]» ثم أورد بيتين سبقت الإشارة إليهما.

قال الدكتور محمد بن شريفة: «وكان ابن عبد الملك معنياً بتعليم ولده هذا، مهتماً بتثقيفه، وتولّى تنشئته العلمية والأدبية بنفسه، كما استعان في ذلك ببعض شيوخه وأصحابه وتلاميذه كمالك بن المرحل وأبي عثمان سعيد بن عبد الله وغيرهما[2]».

19 ـ محمد بن يوسف بن ابراهيم الأمي قال ابن القاضي: «ويعرف بابن مشُّونة بفتح الميم وتشديد الشين المعجمة المضمومة من أساتذة المرية[3] وقد وصفه بأن له «مشاركة في العربية، وتحقق بعلم الحساب والفرائض وتقدم في ذلك، ونظم رجزاً في علم الجبر والمقابلة، وكان من أهل الدين والفضل والعفاف والتصاون ذا سمت ووقار»[4].

وقد تلقى ابن مشّونة علومه في مالقة وبلش وفي سبتة التي حصل فيها من جلّة شيوخها كالأديب «أبي الحكم مالك بن عبد الرحمن بن المرحَّل[5]»

وقد توفي محمد بن يوسف في المرية ثالث شوال عام (689 هـ/ 1290 م)[6] أي قبل وفاة شيخه ابن المرّحل.

(1) الإحاطة 324:3.

(2) الذيل والتكملة س 8 ق 55:1.

(3) درة الحجال 58:2.

(4) المرجع نفسه 59:2.

(5) درة الحجال 502:2.

(6) درة الحجال 59:2.

20 ـ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي[1] نسبة إلى غرناطة التي رحل منها وقد رحل منها إلى مدينة مالقة، وزار بعدها مدينة فاس ثم رحل إلى مصر[2] وقد عرف بأنه كان من كبار النحاة في عصره إلى إلمامه باللغة والتفسير والحديث والتاريخ، وقد توفي عام[3] (745هـ/ 1344م).

وقد اعتمد صلاح الدين الصفدي عن أثير الدين أبي حيّان في نقل أخبار مالك وبعض شعره[4].

هذا هو القدر الذي اهتدينا إليه من خلال تتبع المصادر والمراجع المعتمدة من أسماء تلاميذ المترجَم به ومريديه وطلابه البارزين المتأثرين على نحو من الأنحاء بملامح ثقافته وفنونه المعرفية التي شارك فيها ضمن مساقات الحركة الفكرية والأدبية في العدوتين.

وما من ريب في أن عدداً كبيراً آخر من طلابه وتلاميذه في الأندلس والمغرب لم تصلنا أسماؤهم وإسهاماتهم ومقدار ما انتفعوا به من معارفه.

---

(1) جامع القرويين 488:2.

(2) نفح الطيب 347:7
جامع القرويين 488:2.

(3) تاريخ آداب العرب 324:3.

(4) مخط الوافي بالوفيات ق 19:3 أ، ب 20 أ.

الباب الثاني

دراسة آثاره الأدبية



الفصل الأول

نظرات في أشعاره ومنظوماته

نتناول في هذا الفصل دراسة شاعرية مالك بن المرحَّل من خلال ما وصلنا من شعره ونظمه باعتباره من أبرز الشعراء في العدوتين الأندلسية والمغربية الذين تقلّبوا فيها إبان القرن السابع الهجري، وتفرّغوا في محبّة نادرة لصناعة هذا الفن، وتغنوا على ضفافهما بأروع الأنغام واللحون.

ولست في حاجة إلى أن أعيد عليك هنا ما فصّل القول فيه بعض الباحثين عن الحركة الشعرية النشيطة في العدوتين على عصر دولة الموحدين[1] التي شهد شاعرنا العهد الأخير منها، وما لابس هذا العهد من تأثر الحركة الشعرية به وبخاصة في عزوف الشعراء عن معالجة بعض الفنون الشعرية، وطغيان بعض الفنون الأخرى على إبداعاتهم.

وعلى الرغم من إشارة عبد الرحمن بن خلدون إلى ما مُني به الشعر من ضعف وضمور في الأندلس بل في الغرب الإسلامي بعامّة إبّان هذه الحقبة وبخاصة بعد تغلّب النصارى على الممالك الإسلامية، وتقهقر أهلها، وتخلّيهم تبعاً لذلك عن هذه الصناعة إلى أن قصرت «الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض[2]» فإنه ألمح إلى الأثارة الباقية من فيض هذه الصناعة لدى آخر شعرائهم صالح بن شريف، ومالك بن المرحَّل المعدودين عنده من: «تلاميذ الطبقة الإشبيليين بسبتة[3]».

(1) راجع: الاستقصا للسلاوي، البيان المغرب لابن عذاري: الدعوة الموحدية بالمغرب لعبد الله علام، الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب لحسن جلاب.

(2) مقدمة ابن خلدون: 1090.

(3) مقدمة ابن خلدون: 1090.

وقد تقدّم إجماع النقدة في القديم في عصر ابن المرحل وفيما بعده على القيمة الفنية التي احتلها هذا الشاعر وشاعريته، والتي زكتّها مواهبه وطبعه الأصيل، وتكوينه الأدبي واللغوي المتين، بل تعلقه القوي بهذا الفن الذي سيطر عليه سيطرة كاملة في جميع أطوار حياته وحالاته.

يؤيد ما ألمعنا إليه من شدّة اهتمامه بهذا الفن المطرب المعجب، أو بهذه الصناعة المحبّبة ما أخبر به القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك أحد تلاميذه من أنه: «كان مكثراً من النظم مجيداً، سريع البديهة، مستغرق الفكرة في قرضه، لا يفتر عنه حيناً من ليل أو نهار[1]» ثم قال «شاهدت ذلك وأخبرني أنه دأبه، وأنه لا يقدر على صرفه من خاطره، وإخلاء باله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرض من الأمراض المزمنة»[2].

ولم يخبرنا القاضي ابن عبد الملك عن هذه الظاهرة أو الخصيصة المستبدة بشيخه ابن المرحّل، والماثلة في تعلّقه وولوعه بفن الشعر، واتخاذه دأباً وديناً فحسب، بل أخبرنا أيضاً بولوع أهل زمانه بأشعاره، وافتتانهم بآثاره، حتى فشا شعره بين طوائف عديدة من طبقات المجتمع في المغرب والأندلس، وشاع بين أهلها الذين تناقلوا فرائده، وجرت على ألسنتهم بدائعه وخواطره، قال رحمه الله: «واشتهر نظمه، وذاع شعره، فكلفت به ألسنة الخاصة والعامة، وصار رأس مال المستمعين والمغنين، وهجير الصادرين والواردين ووسيلة المكدين، وطراز أوراد المؤذنين، وبطائفة البطالين»[3].

ومردُّ الإعجاب بنتاج ابن المرحّل في تلك الأوساط في القرنين السابع والثامن، إلى ما أشار إليه ابن خلدون سلفاً من ضعف الصناعة والملكة الشعرية في ذلك العصر، وإلى ما اتسمت به أشعاره ومنظوماته في الأغلب، من قوة المعاني وجمالية المباني، كما سيتوضح في سياق التحليل.

لقد كان أبو الحكم يصدر فيما ولع به من هذا الفن عن ثقافة عميقة متنوعة،

(1) الإحاطة 307:3.

(2) م. ن 307:3.

(3) الإحاطة 307:3. وانظر في هذا المعنى ما قاله أبو جعفر الزبير ق 65:3.

وعن طبع وظرف أصليين، وهو الرأي أو الإنصاف الذي ثبت لابن الخطيب في بعض تقييداته في كتابة ترجمة أبي الحكم، إذ وصف أحد النقدة لم يذكر لنا لسان الدين اسمه ابن المرحَّل وشاعريته بقوله: «شاعر المغرب، وأديب صقعه، وحامل الراية، المعلم بالشهرة، المثل في الإكثار الجامع بين سهولة اللفظ، وسلاسة المعنى، وإفادة التوليد، وإحكام الاختراع، وانقياد القريحة، واسترسال الطبع، والنفاذ في الأغراض، استعان على ذلك بالعلم بالمقاصد اللسانية، لغة وبياناً وعربية وعروضاً، وحفظاً واضطلاعاً، إلى نفوذ الذهن وشدّة الإدراك، وقوّة العارضة[1]».

وسوف نرى عند عرضنا وتحليلنا لآثاره مدى انطباق هذا الحكم النقدي الدقيق عليها. ومما يلفتنا إلى هذه المكانة التي كان يحتلها أبو الحكم ابن المرحل أن صار يضرب بفنه الشعري المثل، فعُدَّ في تجويد أبياته مقدماً كتقدّم اللخمي في تأصيل مذهب الإمام مالك بن أنس، قال الشاعر في معرض الغزل مشيراً إليه[2]:

لقد مزقت قلبي سهام جفونها — كما مزّق اللخمي مذهب مالك

وطالت على الأوصال بالقد والبها — فأمست كأبيات بتقطيع مالك

كما يلفتنا إليها أيضاً أن صار يدّعي شعره لطرافته وورنقه وتجويده، بعض الأدباء في عصره، وقد أشار نفسه في بيتين طريفين إلى ذلك الأشهب الذي خالفه في شعره ومذهبه فعجز وقصّر[3]:

خالفني أشهب في مذهبي — ومالك وافقه أشهب

فمذهبي مخترع نادر — وسرق الشعر له مذهب

ومما نظمه عبد الله بن محمد بن جزي في التضمين مخاطباً بعض المنتحلين الشعر[4]، ومشيراً خلاله إلى شعر ابن المرحل الذي غصب رويّه الغاصبُون:

لقد صرت في غصب القصائد ماهراً — فما اسم جميع الشعر عندك غزلْ

---

(1) الإحاطة 305:3، وهو ما أثبته من كتب ترجمته بعد معشراته في مجموع خع رقم 260(173).

(2) نفح الطيب 233,232:2.

(3) مخط لمح السحر من روح الشعر وروح السحر غير مرقم. في خف.

(4) الإحاطة في أخبار غرناطة 399:3.

ولـم تـبـق شـعـراً لامـرىء مـتـقـدّم ولـم يـبـق شـعـراً بـابـن بـشـت الاولْ
فـشـعـر جـريـر قـد غـصـبـت رويّـه وشعر ابن مرج الكحل وابن المرحلْ

ومن الحق القول إننا لم نقف من نتاجه الشعري الغزير المتنوّع إلا على النزر اليسير المتمثل في عدد من الأبيات المفردة والمقطعات وجملة من القصائد والمعشرات قالها في بعض أغراض الشعر وفنونه.

وليس بخاف أن هذا القدر الذي حفظ لنا في عدد من المراجع الأندلسية والمغربية والذي جمعناه في هذا الكتاب هو قُلٌّ من كُثر، وأنه لا يمثل إلا جوانب محدودة من شاعريته الفيّاضة التي أجمعت آراء النقدة والمترجمين منذ عصر ابن عبد الملك المراكشي في القرن السابع إلى عصرنا على كثرة عطائها ووفرته اللتين نتجا عن امتداد حبل الحياة بالأديب، واشتغاله الموصول بصناعة الشعر، فقد كان، كما ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي ـ مكثراً من الشعر والنظم، وأنه جمع نتاجه في ديوان، إنما أثبت مختارات من عيون شعره في سفر سمّاه «الجوالات» أيْ المختارات والمنتخبات من شعره، وقد ظلَّ هذا السفر متداولاً إلى فترة قريبة في خزانة القرويين بفاس التي يُعدُّ من مشمولاتها ثم ضاع ـ كما قرّر ذلك الأستاذ محمد العابد الفاسي ولم يعثر له على أثر[1].

ولا مناص من هذا المنظور أن نقرّر حقيقتين قبل الدراسة الفنية لأشعاره الباقية:

الأولى: أن الصعوبة التي تجابهنا في دراسة هذه الأشعار وإصدار الأحكام عن مضامينها وأشكالها تكاد تنحصر فيما نلحظه في قلتها فقد ساهمت عوامل متعدّدة في تلاشي أشعاره وضياعها يكفي أن نذكر منها هنا:

1 ـ تعرّض شعره للسرق، يستفاد ذلك من قوله:

وأنـخـل أشـعـاري بـمـنـخـل حـكـمـتـي وأعـجـنـهـا بـالـنـظـم وهـي درامـك

(1) الخزانة العلمية بالمغرب (بمناسبة عيد جامعة القرويين).

ويسرقها غيري ويأكل خيرها ويرمي به في الأرض وهي مراوك

2 ـ تعمّد ابن المرحل إتلاف بعض شعره الذي لم يعد يرضى عنه بعد أن تزهّد ومال إلى التصوّن فلم يصلنا بذلك الكثير من أغزاله وأمداحه وأوصافه، بل لم يصلنا أيُ نص من مراثيه ومن جراحات قلبه.

3 ـ كذلك لا نبرىء خصومه ـ وقد كانت له عداوات شديدة كما تقدّم ـ من إتلاف شعره وطمسه وإضاعته، وقد مرّ بنا طرف من عداوته مع ابن أبي الربيع وابن رشيق التغلبي ومن انحاز إليهما من الإشبيليين.

ثم إن القدر الذي وصلنا من تلك الأشعار في بطون المظان لم يسلم هو الآخر من النقص والتصرف بالحذف اللذين يلحظان بوضوح في بعض الأبيات من تلك الاختيارات.

وسوف تضطرنا هذه القلّة من أشعاره إلى شيء من تكرارها وإعادة الاستشهاد بها في مواضع مختلفة من التحليل.

الملاحظة الأخرى بل الحقيقة التي نحبُ تقريرها قبل الدرس والتحليل: أن أحكامنا النقدية سوف تتركّز بالطبع على هذا القدر الذي انتهى إلينا من تلك المظان بعد قراءتها القراءة الدقيقة والراجحة، ونأمل أن تنهض النصوص جميعها لتمثل مادّة كافية للحكم النقدي وتشكّل معالم دالّة على ملامح شاعرية مالك بن المرحل.

المبحث الأول:

الأغراض:

تنقسم آثار مالك بن المرحل الشعرية من حيث الاغراض إلى قسمين ظاهرين هما:

١ ـ الشعر الوصفي.

٢ ـ الشعر النفسي والمعرفي:

والمراد بالقسم الأول الشعر الغنائي الذي يصوّر خلجات النفس تجاه مشاهد ومواقف معيّنة، ونجد من ألوانه قصائد الأمداح التي وظّف الشاعر الكثير منها في مدح الرسول ﷺ، وفي مدح بعض حكّام الدولة العزفية، وفي مدح بعض أمراء بني مرين كما نجد أفق هذا الشعر الوصفي في أغزاله وتشبيهاته أو في المقطعات التي وصف بها مظاهر من الطبيعة الصامتة أو الصائتة.

أما الشعر النفسي والمعرفي في فيراد به القصائد التي يُغرى الشعراء في مضامينها بالفضائل والمحامد، ويحملون المتلقين خلالها على الحكمة ومعالي الأمور أو يقصدون فيها إلى شحذ الأذهان بحقائق بعض العلوم.

وقد سار شاعرنا كما سنوضّح في كلا القسمين بما يتناسب وطبائعهما.

١ ـ الشعر الوصفي

أ ـ شعر النسيب والتشبيب:

نكاد نختلف اختلافاً ظاهراً مع بعض النقاد والباحثين الذين تجاهلوا في دراساتهم فنون ابن المرحَّل الشعرية النصوص الغزلية الصريحة التي أبدعها،

وعبّر بها عن نفسه، كما تجاهلوا البيئة الأندلسية التي عاش فيها في أوائل حياته أو في مرحلة صباه وشبابه، وحاولوا أن يصوّروه من خلال مدلولات أشعاره المتأخرة في الزهد والأمداح النبوية، شاعراً غير متلبس في أي طور من أطوار حياته بالتشبيب وبالانفلات[1]، ولسنا حريصين نحن أيضاً على الإلحاح على هذا الجانب في حياته، أو محاسبته به، لولا ما توجبه الموضوعية والمنهجية العلمية التي تقتضينا استقراء النصوص والحكم عليها بما تفصح عنه في حياد وتجرّد.

إننا إذا استثنينا النصوص الغزلية الصناعية القليلة، التي جاءت إلينا ضمن أشعاره، والتي قالها إما مجاراة لغيره، أو تقنيناً وتقعيداً لفن الدوبيت، الذي عُني به في الرسالتين المنسوبتين إليه. فإن النظرة الفاحصة المدقّقة في أشعار نسيبه وتشبيبه تدلنا على أفقين ظاهرين:

أ ـ أفق الانفلات واللذاذات الحسّية، الذي لا تظهر فيه عاطفة جيّاشة صادقة، ولا تنقل خلاله مشاعر رفيعة كامنة، ولكنّه يُشير إلى مرحلة عمرية من حياته تلبّست بالمجانة، وهي على الراجح المرحلة الأندلسية التي تقلّب فيها بين مالقة وإشبيلية وغرناطة ، كما تقدّم في ترجمته.

ب ـ أفق غزلي يُعبّر بجلاء عن تجارب عاطفية إنسانية حقيقية مرَّ بها في فترة من حياته، وصوّر خواطرها، واختلاجاتها في صور نقية مونقة.

فأبيات ابن المرحّل في مقطعاته وقصائده في الأفق الأول تظهره فتى غزلاً، مُولعاً بالحسن مفتوناً به، مُكباً على اللّهو والفراغ، منهمكاً في نشدان اللّذة والبطالة كيفما اتفقت، يكرع من أفاويق الحياة العابثة التي سادت في المجتمع الأندلسي وينغمس في غمراتها ومباذلها، ويشرب من لذاتها مع أترابه من أمثال معاصريه ابن سهل الإشبيلي وابن سعيد وغيرهما من كأسها

---

(1) راجع كتاب مظاهر الثقافة المغربية للدكتور محمد أحمد بن شقرون: 159.

حتى الثمالة. لقد جعل مذهبه في هذا الطور المبكر من حياته مثل أولئك النظراء محصوراً في الجري وراء المتعة، والافتتان بالحسن، والسير في طرائق الهوى بدءاً بتقبيل صفحات الخدود الأسيلة، والذي كان يُعدّه مذهباً له، وانتهاء بما يُفضي اليه هذا المذهب من تهتّك، وقد قال في تورية[1]:

مذهبي تقبيل خد مذهب ... سيّدي ماذا ترى في مذهبي

لا تخالف مالكاً في رأيه ... فبه يأخذ أهل المغرب

ويوشك هذا المذهب أن يصوّر افتتانه بهذه الحياة الصاخبة اللاهية في هذا الطور، ويبين عن اطمئنانه لفراغها فهو ينتقل، كما تصوّر الأبيات، من فنن إلى فنن، لا يقصر هواه على روض واحد بل ينقل فؤاده حيث شاء من الهوى.

وعلى ذلك فإن أشعاره الغزلية التي قالها في هذا الأفق تشتمل فيما نرجح على الغزل بالمذكر على نحو ما شاع في أشعار بعض معاصريه[2] كما تشتمل على الغزل بالمؤنث، ولا تفصح عن تجربة واضحة مع محبوبة بعينها، متفرّدة بصفاتها، وإنما تنم عن تطلبه التصابي، والتغني بكلّ ظريف يمتّع حسه، فجاءت الأوصاف مكتسية بالمادية، والشيوع، وبدت المشاعر غير متحلية في بعض النصوص بالعفة من جهة، وبالحرارة ووهج العاطفة من جهة أخرى، ومن هذا اللون ما نقرأه في أبياته الغزلية التي تماثل في غرضها ووزنها قصيدة الشاعر الرقيق البهاء زهير التي يقول في مطلعها:

يا من لعبت به شمول ... ما ألطف هذه الشمائل

وعلى الرغم من أننا لم نستطع أن نتبين مَنْ مِنْ هذين الشاعرين

---

(1) لست أدري كيف استنتج أستاذنا العلاّمة محمد المنوني أن هذا البيت يعبر عن ارتياح الشاعر وفقهاء المالكية بعودة المذهب المالكي للظهور بالمغرب بعد زوال دولة الموحدين - راجع ما كتبه في «التيارات الفكرية في المغرب المريني» فصلة من مجلة الثقافة المغربية، العدد 5 سنة 1971م مطبعة محمد الخامس فاس.

(2) راجع ديوان ابراهيم بن سهل.

المتعاصرين المشرقي والمغربي كان الأسبق في هذا الخلق الأدبي، وإيقاع المشاعر النفسية على هذا الوزن الفني، فحسبنا أنه يدلُّ على أن هذا النموذج الشعري كان من أغزال مالك بن المرحَّل المبكرة جداً، فهو يطلعنا من حيث التجربة الشخصية على غزله الحسّي المادي الذي لا يعبّر عن عاطفة عميقة صادقة، كماأنه يعبّر من الناحية الفنية التقنية على مجرّد ملكة لسانية قادرة على التوصيف والتصوير، ولكنّها لا تصل في تقديرنا إلى الأفق الأدبي المحلّق لدى البهاء زهير الذي يبدو أن ملكته قد تأصّلت في هذا العمل المشابه، والذي قرّرنا جهلنا بأوليّة السبق فيه.

لقد كتب ابن المرحل هذا النظم الغزلي «في عروض يخرج من دوبيتي مجزوءاً مقصراً» كما قال لسان الدين بن الخطيب[1] واستهله بهذه الفاتحة المطعمّة بضروب من التوشية[2]:

الصبُّ إلى الجمال مائل	والحبُّ لصدقه دلائل
والدمعُ لسائلي جوابٌ	إن روجع سائل يسائل
والحسنُ على القلوب وال	والقلب إلى الحبيب وائل
لو ساعد من أحبُّ سعد	ما حالَ من الحبيب حائل
يا عاذلي إليك عني	لا تقرب ساحتي العواذل

فالذي يؤكّد أن هذه النصّ من شعر البواكير عنده، هذا الرصف الظاهر، الذي لا تجيء فيه الألفاظ بإسماح على نحو ما نقرأه في نصِّ البهاء زهير، الذي جاء في أوله بعد المطلع المذكور:

نشوان يهزّه دلال	كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه الكلام لكن	قد حمّل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنا	والعاذلُ غائب وغافل

(1) الإحاطة 3:310.

(2) م. ن 3:310.

فمائية الشعر، مهما اختلفنا في قيمة الغرض، مجلوّة في هذا النصّ أكثر من جلائها في نصّ ابن المرحَّل، الذي رجّحنا أنه قاله في زمن مبكر فهو يختلف في بنائيته مع ما عُرف له إبّان رسوخ الملكة، وتكامل القريحة.

والذي يعنينا تقريره أيضاً أن شيّات الحبيب في أبيات شاعرنا لا تشير إلى سمات محدّدة، فهي أشبه بالأغزال الصناعية التي تتخذ للمحاكاة، وإظهار الملكة اللسانية، وحتى لو سلّمنا بأنها قيلت في ذات معيّنة، فإن الأبيات اللاحقة لا تدل على أن هذه الذات تتحلى بعفّة أو خفر.

بل تلمح إلى أنها كانت مجرد ذات مباحة له ولغيره من جلسائه، والقصيدة نفسها تطالعنا بهذا المظهر المادي، الذي تتفق فيه مع نصّ الشاعر المشرقي البهاء زهير في هذا المنحى، فهي تسوق إلينا بعد تلك الفاتحة ما رآه الشاعر متسقاً مع صبواته في زمن شبابه العابث بالأندلس، ومتناغماً مع ذلك الجوّ اللاهي في حياتها الاجتماعية حيث تبرز الأبيات (من 6 إلى 9) ثم الأبيات (من 11 إلى 18) حشداً من الأوصاف الحسّية المجسّدة المشابهة لأوصاف البهاء زهير، بل إننا نجد ابن المرحل يحرص على المبالغة في تجسيد فاتنه فيصوّره تصويراً دالاً على أنه لا يقيم للمواضعات الكريمة، والأعراف المحترمة وزناً كما في الأبيات (من 20 إلى 23).

ويلقانا شعره في هذا المظهر أو الأفق بما يلقانا به شعر بعض معاصريه في الدولة الموحدية والدولة المرينية من وصف الغلمان المخنثين في هاتيك المجالس، من ذلك قوله الذي يجده القارىء في الأغزال على لسان غلام ألثغ ينطق السين ثاء كما في النص (11).

وشبيه بهذا النصّ من هذا الغزل نصُّه الآخر الذي نرجّح أنه قيل في هذه المرحلة المبكرة أيضاً وهو النصُّ (14) فقد أودعه محاكاة وتقليداً، المعاني الغزلية المكرورة التي أشاعها الشعراء الغزلون من الانبهار بالحسن وفتنته، ومحاولة التكتّم عن الهيام، وإبداء العجب الذي لا ينقضي عنده وعندهم من القرب الذي يشبه البعد والدنوّ الذي يوازي في مرارته الهجر الممضّ:

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي وروحي وأحشائي وكلّي بأجمعي
وتيهتموني في بديع جمالكم فلم أدر في بحر الهوى أين موضعي
وأوصيتموني ـ لا أبوح بسرّكم فباح بما أخفي تفيُّض أدمعي

وقد اضطره تتبع المعاني إلى استخدام المعاضلة في عرض هذه المعاني الكثيرة المعادة، ولكنّه أتى بها في إسماح:

فلما فنى صبري وقلَّ تجلدي وفارقني نومي وحرمت مضجعي
شكوت لقاضي الحبِّ قلت أحبتي جفوني وقالوا أنت في الحب مدع

ويحاول الشاعر في إطار هذا التقليد من الغزل الصناعي مجاراة الشعراء القدامى فيما يأتونه من التدليل على عمق عواطفهم بمظاهر بلاغية مثل النشر حيث يقول:

وعندي شهود بالصبابة والأسى يزكّون دعواي إذا جئت أدعي
سنهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي ووجدي وسقمي واصفراري وأدمعي

ثم ختمت هذه القصيدة من أغزاله المبكرة بذكر شيء من المفارقات التي أكثر استعمالها الشعراء منذ أقدم العصور ليدلّوا بها على موضع الغرابة فيما يعانون ويقاسون:

ومن عجب أني أحنُّ إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

فهذا اللون وأمثاله من الأبيات والمقطعات والقصائد مما لم ينم عن تجربة عاطفية عميقة هو في تقديرنا من شعر «الغرزمة» الذي يجلو ملكة لسانية، ولا يصوّر عاطفة إنسانية، بل يدل على تشتّت مشاعره وإعجابه بالحسن والمفاتن المباحة، وهيامه باللذاذات من غير انفعال صادق، يثري التجربة الشعرية، ويملأها بالوهج، وأرانا بهذا الاستنتاج نتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ حنّا الفاخوري في تعليقه على هذه القصيدة حيث قال: «ليس في هذا الحبِّ معاناة حقيقية، وليس في هذا الشعر تعبير عن تجربة، وإنما فيه فن

وطرافة وروعة أداء، وهو وإن كان قليل الإثارة، ضعيف التأثير في عالم النفس والحسّ، يعجب بما فيه من زخرفة بيانية وبديعية، وبما يمتاز به من رقة وسلاسة وسهولة[1]».

وعلى الرغم من تكتّم ابن المرحل في القصائد السابقة وفي غيرها من أغزاله عن ذكر الذات السابية الفاتنة، فإنه ألمع في جلاء إليها، أو إلى غيرها في فاتحة مدحيته التي مطلعها[2]:

أَعْدَى عليّ هواه خصم جفونه   مالي به قبل ولا بفنونه

فقد ذكر في فاتحة هذه القصيدة ما يشير إلى محبوبه، ويومىء إلى جنسه، حينما أوضح أنه تركيُّ الأصول، أي أنه فيما يبدو ـ من الغلمان الأغزاز الذين أمدَّ بهم الموحدون جيوشهم، وكانو ـ كما أشارت المراجع ـ حسان الوجوه يضفرون شعورهم. أو أنه على أحسن الاحتمالات إذا استبعدنا أنه تغزّل بالمذكر على نحو ما شاع في شعر بعض أصدقائه كابن سهل الإشبيلي ـ فإن معشوقته كانت إحدى التركيات اللاتي كثر عددهن في المجتمع الأندلسي والمغربي في ذلك العهد، يستنتج ذلك من قوله الصريح[3]:

صابٍ من الأتراك أصبى مهجتي   فعبدت نور الحسن فوق جبينه

وقد نعت الشاعر هذا المحبوب بل الذي عبد نور الحسن فوق جبينه بنعوت معتدلة بارعة، أضفت على القصيدة رونقاً ومائية، يتجلى ذلك في قوله[4]:

متمكّن في الحسن نوّن صدغه   فتبيّن التمكين في تنوينه

---

(1) تاريخ الأدب العربي في المغرب: 192.

(2) الإحاطة 3:308-309.

(3) الإحاطة 3:308-309.

(4) م. ن 3:308-309.

تنساب عقربُ صدغه في جنّة ... لم يجن منها الصبُّ غير منونه
ولوى ضفيرته فولّى مدبراً ... فعل الكليم ارتاع من تبيينه

فمحبوبه التركي هذا رقيق اليدين ناعم الأديم، ليّن القوام، فتان الجفن، وهي المفاتن الحسّية التي أطمعته فيه[1]:

قد أطمعتني فيه رقةُ خدّه ... لو أمكنتني فيه رقّةُ دينه
ورجوتُ لين قوامه لو لم يكن ... كالرمح شدّة طعنه في لينه
شاكي السلاح وما الذي في جفنه ... أعدى عليَّ من الذي بجفونه
ناديته لما بدت لي سينه ... وشعرت من لفظ السلام بسينه
رحماك في دنف غدا وحياته ... ومماته وحراكه كسكونه
إن لم تمنَّ عليَّ منّة راحم ... فمناه أن يلقاه ريب منونه

وعلى الرغم من أن لسان الدين بن الخطيب عدّ قصيدة ابن المرحل التي مطلعها[2]:

يا راحلين وبي من قربهم أمل ... لو أغنت الحيلتان القول والعمل

«من مستحسن نزعاته[3]» فإننا نرى أن استحسانه لها يتركّز بالدرجة الأولى على الناحية البديعيّة والفنّية الظاهرة في الأقسمة الثنائية الطريفة التي بنيت عليها الأبيات، وليس على المضمون الغزلي، الذي لا يجسد شيئاً من العواطف والأحاسيس، بل يؤكد الانتماء إلى ذلك الأفق الذي تحدّثنا عنه.

ولكن النظرة في أغزاله أو في أشعار نسيبه وتشبيبه تفضي بنا إلى الوقوف على شعر غزلي آخر يختلف عن الغزل الآنف الذكر، إذ يتجافى في أسلوبيته عن الإفصاح باللّذة، وعن تزيين المتعة العابرة الشائعة ويعبّر في دقة وجمالية عن تجارب عاطفية، نذهب إلى واقعيتها وحدوتها.

(1) الإحاطة 3:308-309.

(2) م.ن 3:311-312، جذوة الاقتباس 1:330 المحاضرات والمحاورات الورقة: 177.

(3) الإحاطة 3:311.

فالشاعر في هذه الأغزال العميقة يمثّل لنا نزعات صادقة، يربأ خلالها عن عرض محبوبته في معارض الحسيّة والابتذال، فهو في أحيان كثيرة يُكنّي عنها ولا يفصح باسمها كما يظهر الشكوى من الاكتواء بنارها والتوجع من هجرها.

ومن أوضاح هذا الغزل ما نقرأه في قصيدته اللامية التي أوردها لسان الدين بن الخطيب، والتي جعل الشاعر مطلعها، معبّراً في جلاء عما كان يعتمل في نفسه، وعما كان يعانيه من صبابة:

دنفٌ تستّر بالغرام طويلا ... حتى تغيّر رقة ونحولا
بسط الوصال فما تمكّن جالساً ... حتى أُقيم على البساط دليلا

فقد تكتّم في هذه التجربة عن ذكر اسم المحبوب واكتفى بالرمز إليه بلفظ «الحبيب» وأن هجره قد أرمضه، بل نراه يؤثر أن يتحمل فيه قول الوشاة والعدول وأن يتحمل ما يأتيه منه من إقبال وإن قل وصدود وإن كثر حفظاً للعهد ورعاية للودّ[1]:

قالوا تعاطى الصبرَ عن أحبابه ... لو كان يصبرُ للصدود قليلا
ماذاق إلا شربة من هجرنا ... وكأنه شرب الفرات شمولا
أيقول عشت وقد تملّكه الهوى ... لو قال مُت لكان أقوم قيلا
حلف الغرام بحبنا وجمالنا ... إن لم يدعه ميتاً فعليلا
إن الجفون هي السيوف وإنما ... قطعت فلم تسمع لهن صليلا
قل للحبيب ولا أصرح باسمه ... ماذا الملال وما عهدت ملولا
بيني وبينك ذمّة مرعية ... أتراك تقطع حبلها الموصولا
ولكم شربت صفاء ودّك خالصاً ... ولبست ظلاً من رضاك ظليلا

فأنت ترى كيف أن الشاعر حرص على إخفاء اسم من أحبَّ، وأكّد ما بينهما من «ذمّة مرعيّة» يستعظم ويستفظع أن يقطع حبلها الموصولا، والشاعر ينقل بعد

(1) الإحاطة 308,307:3، جذوة الاقتباس 329:1.

ذلك أحاسيسه ومشاعره في تدلّل ظاهر، وخضوع خاشع في الأبيات الأربعة التالية.

ونراه، وقد تحقّق من رحيل هذا المحبوب المغضب، يكاد ينفطر أسىً ولوعة، بل نراه لصدق عاطفته يتدرّع بكل ما يتدرّع به الشعراء من محاولة تطويع مجالي الطبيعة لإرسال أشواقهم اللاهبة، واعتذارهم الناعم إلى من يحبّون:

قل للصبا هيجت أشجان الصبا فوجدت يا ريح القبول قبولا
هل لي رسول في الرياح فكلَّما فارقته بعث النسيم رسولا

كذلك صوّرت الأبيات أن بعد الديار أوحشه وأوجعه وأبصر في عدم عودته هلاكاً محققاً لنفسه الوامقة[1]:

يا ليت شعري أين قرَّ قراره يا قلبُ ويك أما وجدت دليلا
إن لم يعد ذاك الوصال كعهدنا نكّلت عيني بالبكا تنكيلا

ومن قصائد هذا الباب الواصفة أحاسيسه، والناضحة بخصائص التجربة الشعرية بكلِّ ركائزها من مشاعر صادقة وأخيلة بارعة، وتعابير رشيقة، قصيدته اللامية الأخرى التي مطلعها[2]:

هو الحبيب قضى بالجور أو عدلا لي الخيار وأما في هواه فلا

فمن مظاهر واقعيتها، وصدقها في التعبير عن أحاسيسه أن الشاعر يجبهنا فيها بالقسم المنبي عن عمق عاطفته وهواه، والذي لا يعرف فيه السلوّ عن محبوبه، بل إنه يعدُّ السلوّ عنه وعن هواه غدراً حتى وإن لامه العذال[3]:

تاللّه ما قصّر العذال في عذلي لكنَّ أذني أبت أن تسمع العذلا
أما السلوُّ فشيء لستُ أعرفه كفى بخلك غدراً أن يقال سلا
جفون غيري أصحتْ بعدما قطرتْ وقلب غيري صحا من بعدما ثملا

---

(1) الإحاطة 3:307-308، الجذوة 1:329.
(2) الإحاطة 3:309-310.
(3) الإحاطة 3:309-310.

فالحبُّ عنده، كما صوّره هذا الخطاب، غذاء دائم لروحه التي لا تستغني عنه أو تسلوه.

والشاعر مع تجويده في اجتلاب الألفاظ التي تسهم في إثراء موسيقيّة النصّ، لا يكاد يلتفت إلى شيء من تجسيم النعوت أوتجسيد مفاتن المعشوقة على النحو الذي كان يحرص عليه في الأفق الأول، إنما يعنيه في وصفه أن يدلَّ على طهر العاطفة، وعذريّة التعلق، بل ربما غالى في إبراز هذه الفكرة، فتواضع بنفسه الوالهة أمام المحبوبة، وأظهر الانقياد أمام محاسنها[1]:

وقال إيهـا طـفـيـلـي ومـقـتـرح ... ألست عبدي ومملوكي فقلت بلى

يا منَّ تحدّث عن حسني وعن كلفي ... بحسنه وبحبي فاضرب المثلا

تقبل الأرض أعصابي وتخدمه ... إذا تجلّى بظهر الغيب واتصلا

يا من له دولة في الحسن باهرة ... مثلي ومثل فؤادي يخدم الدولا

فهذا هو شعر النسيب والتشبيب فيما تبقى من أشعاره يجلو مذهبين في الغزل لا مذهباً واحداً كما استنتج بعض الباحثين.

ب ـ شعر الوصف:

ارتبط الوصف في النصوص القليلة التي وصلتنا بمظهرين:

أ ـ مظهر وصف الطبيعة ومظاهر الحضارة.

ب ـ وصف بعض حالات الشاعر ووصف أحوال غيره من الناس.

ونحبُّ قبل أن نمضي في تحليل ذينك المظهرين أن نسجل بل أن نضيف إلى ما لحظناه من قلّة النصوص التي انتهت إلينا من آثار شاعر وصّاف كابن المرحل بملاحظة أخرى وهي قصر النصوص، وقصر نفس صاحبها فيها، فقد كان أقصر النصوص بيتاً واحداً، وهو الذي قاله ارتجالاً في وصف نوريّة جامع القرويين، مجيزاً به بعض إخوانه من الشعراء، حسبما تقدّمت الإشارة أما جلُّها فقد

---

(1) الإحاطة 310,309:3.

كانت نتفاً ومقطعات، محصورة بين بيتين أو ثلاثة وإذا كنا نسلّم بأن بعض هذه النتف والمقطعات قد اكتملت الومضة الشعرية أو الدفقة الشعورية فيها، فإن بعضها الآخر يدلُّ بجلاء على أنها جاءت غير مكتملة، أو بمعنى آخر أن الذين أوردوها من الكتّاب القدامى إنما استلوها أو اختاروها بأذواقهم من قصائد مختصرة أو مطولة لم تصل إلينا كاملة.

أماأطول النصوص الوصفية التي أوردها الكاتبون والمصنفون تامة غير منقوصة من شعره الوصفي، فهي شعره الذي وصف فيه عرسه في قالب من الظرف والتهكّم والمجانة، حيث بلغ عدد أبياته خمسة وخمسين بيتاً.

نعود الآن بعد إبداء الملاحظتين السابقتين إلى تناول مظهري الوصف في النصوص المحقّقة:

أ ـ مظهر وصف الطبيعة ومظاهر الحضارة:

عاش شاعرنا كما تقدّم في بيئة أندلسية ومغربية غنية بمظاهر الطبيعة السابية، فيها السهول والبسائط الفسيحة الحفيلة بالغروس والأزاهير، والمخضلّة بالأمواه والأنهار، والعامرة بالثمار والفلح، وهي إلى ذلك كلّه مجلى لحضارة راقية في شتى الوجوه من المباني والعمائر والقصور، وأشكال المطاعم والمشارب، وأنواع الأدوات والمستحدثات والحلي والحلل.

ولم يكن أبو المجد مالك في شبابه وطور رجولته، على الأقل، بمعزل عن هذه الطبيعة الرائقة، والحضارة الفائقة، فقد كان كما أسلفنا شاعراً غزلاً مقبلاً على الحياة وأفاويقها ولذاذاتها، يتصل بأترابه من الشعراء والأدباء في مجالس لهوهم ومسامراتهم. في المنى والرياض والفحوص بالأندلس والمغرب، كمامكنته مكانته الأدبية والاجتماعية وظرفه من ارتياد مجالس الحكام والكبراء ـ بكلٍّ ما تعج به من نعيم وترف ـ في بلاطات سبتة في عهد حكم ابن خلاص والعزفيين، وفي بلاط غرناطة على عهد الغالب باللّه النصري، ثم في بلاط فاس في أثناء حكم الأوائل من سلاطين بني مرين.

ولا مرية في أن هذا الاتصال بمجالس الأدباء في أوضاح الطبيعة، وبمحافل

الكبراء ومباهجهم في القصور والعمائر، يعطي الأديب مثله آفاقاً فساحاً للوصف والتصوير، ولا شكَّ في أن مالكا قد أبدع آثاراً كثيرة في هذا الباب خلّد خلالها الطبيعة الأندلسية والمغربية الساكنة والمتحركة والمنتجات الحضارية البديعة، ومن الأسف أن نقرّر أن جُلّ نتاجه قد ضاع، ولم تصلنا منه إلا قطوف قليلة تدلُّ بشياتها وملامحها على ذلك الإبداع الذي كان يتعاطاه في هذا الغرض.

فمن ذلك ماوصف به مدينة سبتة، وجمال النهر في الأندلس، نهر شنيل بغرناطة أو غيره، والبيداء وما يتصل بها، والبعوض الذي وجده في بعض جهات من العدوتين، وما صوّر به قصر عشية ممتعة وغير ذلك. بين أيدينا في تصوير مدينة سبتة نص قصير مكتمل، يقوم على التصوير التشبيهي الرائع، جسَّد فيه مرآها وكأنّه عود غناء مُلقى على بطنه، والذين يعرفون هذه المدينة وموقعها وشكلها في البحر، يدركون دقّة الشاعر في الوصف وتوفيقه فيه حيث يقول[1]:

أخطر على سبتة وانظر إلى ... جمالها تصبُ إلى حسنه
كأنها عود الغناء وقد ... ألقي في البحر على بطنه

قال الشيخ أبو العباس أحمد القاضي: «لا شك سبتة شكلها في المنظر شكل عود الغناء، موضوعاً موضع القصبة، وهي المعمورة بالنصارى اليوم، وهو الذي يوالي البر، وسائره يدور به البحر من كلّ مكان، والعمران كان فيه من أول العنق إلى آخره، وليس بالبطن العالي منه عمران، وبه الناطور، وهي مدينة بهيجة رائقة الحسن، ساطعة البياض تخطف الأبصار إذا طلعت الشمس عليها، أعادها الله دار إسلام بمنّه وكرمه[2]».

أما النصُّ الآخر في تصوير هذه المدينة التي عاش في أحضانها مالك زمناً ليس بالقصير، فقد كان في الأصل قصيدة مطوّلة كاملة، ولكن لم ينته إلينا منها إلا مطلعها وشطر واحد من البيت الذي يليه:

سلام على سبتة المغرب ... أخية مكة أو يثرب

---

(1) جذوة الاقتباس س 328:1 درة الحجال 20:3.

(2) الكوكب الثاقب 561:3.

سلام على طور مينائها ....

وقد أشار القدامى من المؤرخين والنقاد إلى أن هذه القصيدة الوصفيّة قصيدة طويلة، وأكّد ذلك ابن القاضي الذي اطلع عليها فوصفها بأنها «طويلة[1]». وأحال عليها في كتابه «المنتقى المقصور» إلا أن الصديق محقق الكتاب الدكتور محمد رزوق أخبر بتلفها قال: «وقد بحثنا عن القصيدة طويلاً لإكمال النقص، ولكن لم نعثر لها على أثر، ولعلها ضاعت من جملة ما ضاع من آثار مغربية وأندلسية[2]».

كذلك أشار المقري إلى طول هذه القصيدة في أزهار الرياض بقوله: «قصيدة طويلة بديعة جداً[3]».

كذلك صوّر أرضاً بنهرها المرهف الموّار، وما يحدثه خريره وهو يلامس الحصباء من صوت، يشابه بمرآه القين الذي يستل سلاحه ويجرُّه على الفلاة. كما في النص (34).

ومن براعة التصوير الاستعاري ما صوّر فيه في النص (33) البيداء التي شابهت الأضالع في أكنانها، واستخدم خلال أبياته الأخرى مظاهر من الطبيعة الصامتة مثل الليل والظلماء والإصباح في تقريب أحواله النفّسية والشعورية.

ولا يقل تصويره للعشيّة الممتعة من العشايا التي كان يشهدها في الأندلس والمغرب عن التصوير الاستعاري السابق، فقد جسّد فيه المجرّد غير المحسوس، وجعله مجسماً محسوساً، متصفاً بالحيوية والحركة، والنص عندي من النصوص المُرحلية التي جار عليها الكتُّاب والرواة بالحذف، يقول الشاعر[4]:

وعشية سبق الصباح عشاءها ... قصراً فما أمسيت حتى أسفرا

مسكية لبست حُلى ذهبية ... وجلا تبسمها نقاباً أحمرا

(1) درة الحجال 26:3.

(2) المنتقى المقصور 708:2.

(3) أزهار الرياض 29:1.

(4) رفع الحجب المستورة 235:2.

وكأنّ شهب الرجم بعض حُلّيِّها   عثرت به من سرعة فتكسرا

وليست المظاهر المشرقة الجميلة في الطبيعة هي موضوع الوصف فحسب في هذا الباب، وإنما نجد الطبيعة في مجاليها المختلفة بمظهرها الجميل ومظهرها الآخر مادة صالحة لوصف الشاعر وتصويره، يدلّنا على ذلك نصُّه الوحيد في البعوض، الذي غطّى على ذمامة موضوعه بجمالية شكله الفني وتعبيره[1]:

يؤرقني بعوض في ليالٍ   بها عهد الأمان من ا لشموس

تجيء إليَّ أفواجاً تغني   مجيءَ المطربين إلى العروس

هذا ما تهدّى إليه البحث في شعر وصف الطبيعة من آثاره القليلة، ومن المعلوم أن شعر الطبيعة في عصر الموحدين[2] وشعر عصر بن مرين[3] تناول موضوعات أخرى مثل وصف الأزهار والثمار ووصف الدواليب، والثلجيات وغيرها، ولكننا لم نعثر للشاعر على شيء من ذلك فيما وصل إلينا من شعره.

أما وصف الأدوات والمستحدثات الحضارية في عصره، فقد وقفنا منها على ثلاثة نصوص، ما قاله مجيزاً به بعض أصحابه من الشعراء في وصف نوريّة جامع القرويين بفاس، وهو لا يجاوز بيتاً واحداً وما وصف به حمّالة سيف، وما صوّر به حقاً نفيساً متخذاً لصون رفيع الأعلاق والحلى.

يقول في وصف النوريّة، وهو من باب الارتجال والمبادهة كما سبقت الإشارة إلى المناسبة في الترجمة:

أعيذها من شر ما تبقى   من فجأة العين برب الفلق

وهو بيت يبدو الارتجال في ضعف معناه ومبناه، ونتفق مع الأستاذ عبد الله كنون في تفضيل قول ابن عبدون عليه[4].

---

(1) السحر والشعر (ب) الورقة: 80.

(2) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين: 62.

(3) راجع «الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» لأستاذنا الدكتور عباس الجراري، و«الشعر المغربي في العصر المريني قضاياه وظواهره» للدكتور عبد السلام شقور، و«النبوغ المغربي في الأدب العربي» للأستاذ عبد الله كنون و«تاريخ الأدب العربي في المغرب» للأستاذ حنا الفاخوري و«الأدب الأندلسي في عصر الموحدين».

(4) ابن عبدون المكناسي: 13.

أما وصفه لحمّالة السيف المنمنمة الموشّاة التي أشبهها بالرياض المخضلّة بأمواه النهر، فقد جوَّد فيه تجويداً ظاهراً حينما استعمل خلاله التصوير التشبيهي، الذي يقف من خلاله القارىء على الحركة والانسياح لغياب كلٍّ من السيف والحيّة[1]:

حمالة كرياض جاورت نهراً فأنبتت شجراً رقّت أزاهرها
كحيّة الماء عامت فيه وانصرفت فغاب أولها فيه وآخرها

بيد أن وصفه للحق أو للصندوق النفيس المتخذ لصون الأعلاق والحُلى الكريمة مما كان يذخره أثرياء العدوتين في القرن السابع يبدو وصفاً ساكناً بتشبيهاته الجامدة، انظر النص (48) كذلك يبدو قوله في الكعك المحشوّ الذي يمثل في نظرنا نصاً غير كامل، ساكناً لا يتسم بالإثارة والتأثير. ويفضله من الناحية الفنّية، وصفه للمدامة الذي برع فيه معاصروه من الشعراء في عصري الموحدين وبني مرين الذين صوّروا بعض مطعوماتهم ومشروباتهم، فقد شبّه فيه المذاق بالمشموم، وهو من تراسل الحواس، وأثر من آثار البطالة واللهو التي مرَّ بها في شبابه[2]:

ومدامةٍ ذهبَ السنون بجسمها مما توارثها الجدود قديما
أفرغتها في كأسها فكأنني أجريت منها في الرياض نسيما

ب ـ وصف بعض حالات الشاعر، ووصف أحوال غيره من الناس.

وهو جانب من جوانب شعر الشخصية الذي تتفاوت به قيم الشعراء، وتتباين بنصوصه أقدار فنونهم، وقد رأينا كيف عُني ابن المرحل بهذا الجانب فاستطاع أن يطلعنا على عالمه الخاص، وكيانه المستقل بإظلامه وإشراقه.

وباب الوصف يطلعنا عبر نصوص قليلة على بعض حالاته وهو في مراحل متقدّمة من عمره حينما اشتعل رأسه شيباً، وصار يعمد إلى ستره بالخضاب، يُحسّن به مرآه، ويموّه به على بعض الحسان، كما في النص (31) و(43) و(47) ويكفي أن نمثّل لهذا الوصف، لما وخطه من الشيب، الذي لم يفد الخضاب لكتمه قوله[3]:

---

(1) الإحاطة 315:3، جذوة الاقتباس: 329:1.

(2) السحر والشعر (أ) الورقة: 66 (ب) الورقة: 70.

(3) م.ن (أ): 120، الإحاطة 316:1.

كتمت مشيبي بالخضاب تعلّلا فلم يخطني شيبي وراب خضاب
كأني وقد زوّدت لوناً على الصبا أعنون طرساً ليس فيه كتاب
غراب خضاب لم يقف من حذاره وأعجب شيء في الحذار غراب

وإنعام النظر في الأبيات يظهر طرافة المعنى وجدته. والنصّان (43)، (54) يجلوان ما كان يحسّه الشاعر بعد ذلك من ضعف، بعد أن مسّته الكبرةُ، وخانته بعد تجاوزه السبعين أعضاؤه.

أما النصان الآخران (44) و (60) فقد شكا فيهما من أوصاب الثمانين، التي رأى في بلوغها، ما يشير إلى أنها نصاب للحدِّ، عقاب لسكره من خمر الصبا، وهو من المعاني المبتكرة، التي تعكس ثقافته الدينية، وطبيعة ظرفه[1]:

يا أيها الشيخ الذي عمره قد زاد عشراً بعد سبعينا
سكرت من أكؤس خمر الصبا فحدَّك الدهر ثمانينا
يا ليته زادك من بعد ذا لأجل تخليطك عشرينا

كذلك نقرأ في النصين (29) و(54) الحال والمآل الذي انتهى إليه الشاعر في أخريات حياته حينما تجاوز الخامسة والتسعين من العمر، فصار يُحسُّ بهلاكه ودنوِّ أجله بل أخذ ينعي نفسه ويرثيها، وهو يستشعر غربته وقرب رحيله، فيرجو أن تكتب أبياته على قبره، وأن يترحم زائره عليه، كما في النص(54).

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى النص الوصفي الوحيد الذي صوّر في نسقه غيره من الناس، والذي نحبُّ أن نقف عنده وقفة محلّلة لتميزه في الشعر العربي، ألفيناه القصيد الذي قاله في امرأة شوهاء ولسنا ندري هل تمثل هذه القصيدة تجربته الخاصة أو زيجته الأولى، التي تمّت فيما يبدو أيام عُسرته في سبتة أو الأندلس، أو أنها وصف أمين لحادثة من الحوادث التي مرّت به من أحوال الناس عند اشتغاله

(1) الإحاطة 317:1، السحر والشعر: 177.

بصناعة التوثيق في ذلك الطور؟ وقد سمّى الأستاذ محمد الفاسي هذه القصيدة بل المرأة التي صوّرت فيها «الطامة الكبرى[1]».

والراجح من خلال الوصف الدقيق المحدّد، ورسمه المركّز بالكلمات للمرأة وللدقائق في هذا الزواج، انها تجربة واقعية مرَّ بها الشاعر، فجسمها بريشته لوحة عكست ما في أعماقه من ظلال وأبعاد بلغ بها حدَّ التأثير والروعة، فقد كان على الرغم من فشله الظاهر في هذه التجربة المرّة، ناجحاً إلى حد بعيد في نقل مشاهد الخطبة والزواج، وفي تصوير المفارقة الفاجعة بلغة عميقة رقيقة، لا نكاد نعثر على مثلها في الأدب المغربي والأندلسي والعربي عبر تاريخه الطويل.

إن جمال هذه الأقصوصة الشعرية يكمن في التصوير الفني الدقيق لمرائي هذا العرس المؤسي الحزين من بدايته إلى ختامه، وفي مزج اللقطات المتتابعة باللمسات النفسية الواصفة والمفاجآت التي تبرز في ألفاظها المجانة والدعابة.

يستهل الشاعر مشاهد أقصوصته بفاتحة يعمد إلى إشباعها بشيء غير قليل من المعاني الدينية، ولعلها كانت المسالك والمنافذ عينها التي نفذت منها الخاطبات إلى روحه وقلبه، وإلى إغرائه بالزواج، وهو إغراء كما تبين مقاطع الأقصوصة فيما بعد، لم يدعُ إليه مجرد الإشفاق عليه، وإنما دعت إليه الخديعة والمكيدة والمعابثة على أنه نحا بعد هذا الإجمال، أو إن شئت بعد هذا التمهيد المبتسر إلى التفصيل في خط التنامي التصاعدي، الذي يرسمه موقفه النفسي الانفعالي وتتبعه أطوار الأحداث بدءاً من الخطبة التي برع كيد النساء في حوكها، وانتهاء إلى الليلة التي تمَّ فيها الزفاف، والتي ترك في جوّها البارد القارص بيته الضائع.

لقد جنح في بداية أبيات الأقصوصة إلى شيء من الإسقاط والتبرير اللذين حاول بهما الإقناع بعزوفه عن الزواج، كأنما كان يُحسُّ بحدسه بما ينتظره من خطر داهم[2]: -

والله ما كانت إليه ضرورة　　لكنَّ أمر الله غير مدافع

(1) مجلة الثقافة المغربية ع 7 س 1972.

(2) الإحاطة 317:3.

وإزاء هذا التخلص يبرز في الأقصوصة دورُ النسوة الذي يتّسم بالكثير من الحرية والنشاط في مجريات أحداثها، فيقمن له بالخطبة، ويخترن له الزوجة، ويزعمن أنها من بيت حسن ثم يمضين فيعبثن بمشاعره، ويصوّرن الفتاة تصويراً مادياً حسيّاً جميلاً، يقررن فيه صغر سنها، وما تتسم به من مفاتن المحّيا، ومحاسن الشعر والعيون، وافترار الثغر، وامتشاق القوام، وبراعة الحركة، ولا يكتفين بذلك التصوير فحسب، بل يفزعن إلى التنويه بما تحلّت به من المعاني التجريدية المحبّبة عنده، فيذكرن أنها من اللائي يزيّن كتاب اللّه بأصواتهن في غنّة وفصاحة[1]:

فخطبن لي في بيت حسن قلن لي ... وكذبن بل هو بيت قبح شائع

بكراً زعمن صغيرة في سنها ... حسناء تسفر عن جمال بارع

خوداً لها شعر أثيث حالك ... كالليل تجلى عن صباح ساطع

حوراء يرتاع الغزال إذا رنت ... بجفون خشف في الخمائل راتع

تتلو الكتاب بغُنة وفصاحة ... فيميل نحو الذكر قلب السامع

واستطرد بعد ذلك في إجلاء مثل تلك النعوت كما صوّرتها الخاطبات الموهمات، ويوشك أن يبلغ هذا الوصف بالكلمات ذروته بعد ذلك حينما يثير فينا التوق لمتابعة بقية مشاهد القصة الطريفة حيث صوّرت الشاعر المخدوع بعد ركونه إلى ذلك «الإسقاط» الذي أضحى به كما ترسم الكلمات لا يبدي ولا يعيد أمام سطوة النسوة المخادعات ، شخصاً منقاداً واهناً، ألقى مقاليده إليهن، فهن كما تفصح الأبيات، اللائي حملنه حملاً إلى بيت الولي، ثم جئن له بالشاهدين، وقمن بعد ذلك بواجب الإكرام، كما استغللن ضعفه فاشترطن عليه شروطاً أثقلت كاهله[2].

فحملنني نحو الولي وجئنني ... بالشاهدين وجلد كبش واسع

وبغرفة من نافع لتعادل ... واللهِ عزَّ وجلَّ ليس بنافع

فشرطن أشراطاً عليَّ كثيرة ... ما كنت في حملي لها بمطاوع

---

(1) م. ن 317:3.

(2) الإحاطة 317:3.

ثم انفصلت وقد علمت بأنني أوثقت في عنقي لها بجوامع

وقد جمعت الأقصوصة إلى الحدث بكل تفاصيله عناصر مهمّة من مرتكزات القصة كالزمان والمكان، فنلحظ أن عنصر الزمان يُسهم بتتابعه في إلقاء اللمسات الساخرة على مشاهد الحدث، فقد جاءته الخاطبات بعد يوم واحد من تلك الخطبة، رغبة منهن في جمع شمله في أقرب وقت بعرسه، ولم يتركنه إلا بعد أن حدّد معهن أو حدّدن له موعداً للزواج، لم يتجاوز هو الآخر اليوم الرابع من ذلك اليوم(1):

وتركنني يوماً وعدن وقلن لي خذ في البناء ولا تكن بمرافع

واصنع لها عرساً ولا تحوج إلى قاضٍ عليك ولا وكيل رافع

وقرعت سني عند ذاك ندامة ما كنت لولا أن خدعت بقارع

ولزمنني حتى انفصلت بموعد بعد اليمين إلى النهار الرابع

ثم تصوّر الأقصوصة في وصف جيّد ثوران الهواجس في نفسه، فهو لا يزال مقذوفاً به بين قرار البناء أو الطلاق، فقد عظم ريبه في هذا الزواج الذي تلاحقت وتتابعت فصوله وأحداثه، ومسافات الزمن فيه بما يظهر الشك في أمر النسوة، ولكنّه تاق، في الوقت نفسه إلى معاينة الجمال المحجّب، حتى إنه همَّ أن يلقى عروسه ويراها قبل اليوم الرابع، وهنا تبدو حبكة الأقصوصة وعقدتها، حينما تنهض العادات والتقاليد عائقاً لهذا الأمل(2):

فلو انني طلّقت كنت موفقاً ونفضت من ذاك النكاح أصابعي

لكن طمعت بأن أرى الحسن الذي زوّرن لي فذممت سوء مطامعي

فنظرت في أمر البناء معجلاً وصنعت عرساً يا لها من صانع

وطمعت أن تجلى ويبصر وجهها ويقر عيني بالهلال الطالع

وظننت ذاك كما ذكرن ولم يكن وحصلت أيضاً في مقام الفازع

(1) الإحاطة 317:3.

(2) م. ن 317:3.

ثم جلت الأبيات الوصفية صوراً نتبين من خلالها جوانب بداية حياته الجديدة ومشاهد من مراسم عرسه المتواضع، فنرى أنه لم يكن من ذوي اليسار، في مدينته، يتضح ذلك، ليس في الطريقة التي تمّت بها الخطبة فحسب، بل في مراسم الحفل، وفي الدار التي ابتنى فيها، وفي الأثاث الذي أثثت به، الأبيات (35, 34, 33).

ويدنو النص القصصي، بعد ذلك التصوير للمكان الذي وصف بالخراب والإيحاش والصغر والإظلام، من وصف الشخصية الرئيسة، فيصوّر ليلة البناء بها في ليلة شاتية شديدة البرودة تلتمع ظلمتها بين الفينة والأخرى بوميض البرق، وعزيف الرياح، وهطول الأمطار، وكيف أنه سمع في خلال ذلك حساً لم يتبينه، فارتاع منه وحدّث نفسه ـ وهو كالمقرور ـ بالفرار، ولم يهدىء نفسه القلقة إلا مجيء الخاطبات اللائي جئن إليه بجذوة من نار واستجلسنه، وبادرن بعد ذلك بتجهيز فتاته، وتركنه وحده مع حظه [الأبيات 36 - 42].

على أن القصة تبلغ عقدتها الفنيّة عندما تتم الرؤية والملاقاة، حيث تنهار جميع تصورات الشاعر التي مثلها له خياله المجنح في تجسيد مفاتن فتاته فإذا بالمفارقة المذهلة المضحكة حينما تبدو له شوهاء قميئة على غير ما مثله خياله أو جسمه تلوين المختالات من الخاطبات[1]

فنظرت نحو خليلتي متأملاً ... فوجدتها محجوبة ببراقع

وأتيتها وأردت نزع خمارها ... فغدت تدافعني بجد وازع

فوجأتها في صدرها وحذوته ... وكشفت هامتها بغيظ صارع

فوجدتها قرعاء تحسب أنها ... مقروعة في رأسها بمقارع

حولاء تنظر فوقها في ساقها ... فتخالها مبهوتة في الشارع

فطساء تحسب أن روثة أنفها ... قطعت فلا شلت يمين القاطع

صماء تدعى بالبريح وتارة ... بالطبل أو يؤتي لها بمقامع

(1) الإحاطة 317:3.

بكماء إن رامت كلاماً صوتت ... تصويت معزى نحو جدي راضع

عرجاء إن قامت تعالج مشيها ... أبصرت مشية ضالع أو خامع

ولا شك في أن هذا الوصف البديع البارع يجلو لنا قدرة أديبنا على التصوير الدقيق للمشاهد والأحاسيس، كما يطلعنا على خاصية أخرى في شخصيته وهي خاصية الدعابة، والفكاهة والإطراف بالطرائف والملح مما يندر في شعر شعراء هذا الأفق.

واختتمت هذه الأقصوصة الوصفية لتجربة الشاعر في وصف الآخر بالحلّ، الذي تمثل في صحوه من ذلك الحلم المزعج، حيث نجده يسارع إلى ترك هذا البيت، وإلى الفرار من ذلك الشبح المخيف، وإلى إطلاق ساقيه في الفضاء الفسيح، خارجاً من أبواب البلدة التي لقي فيها المكيدة، مؤثراً السلامة والنجاة:

فلقيتها وجعلت أبصق نحوها ... وأفر نحو دجاً وغيث هامع

حيران أغدو في الزقاق كأنني ... لص أحس بطالب أو تابع

حتى إذا لاح الصباح وفتحوا ... باب المدينة كنت أول كاسع

والله مالي بعد ذاك بأمرها ... علم ولا بأمور بيتي الضائع

وقد نال هذا النص الأدبي المتميز في شعرنا العربي الوصفي إعجاب النقدة، فأثنوا على براعة الشاعر في السرد الحكائي البليغ، وإلمامه بالتفاصيل واللقطات المشبعة بالدعابة والسخرية، فقد نشره الأستاذ محمد الفاسي تحت عنوان «الطامة الكبرى» وحلاّه بقوله «قصيدة بديعة[1]» ثم قال «وهذه القصيدة أجمل أنموذج لما قال عنه ابن الخطيب من أنه كانت له «قوة المؤيد ذلك بخفة الروح، وذكاء الطبع وحرارة النادرة[2]».

وقال الأستاذ حنا الفاخوري مشيداً بطرافة القصيدة «إنها والحق يقال قصّة طريفة فيها تحليل دقيق، وفيها سرد ممتع، وفيها سلاسة وعذوبة ورواء[3]».

---

(1) مجلة الثقافة المغربية ع 7 س 1972م.

(2) م.ن.

(3) تاريخ الأدب العربي في المغرب: 194.

ج ـ الفخر والمدح:

ندرس هنا غرضين من أغراض شعره يتصلان ببعضهما أشدّ الاتصال هما فن المدح وفن الفخر.

والمدح ـ كما هو معلوم ـ هو الثناء على الممدوح وشمائله وتعداد نعوته وأوصافه الحسّية والمعنوية، والإشادة بأياديه ومكارمه حسبما عاينها الشاعر المادح، أو من عايش الممدوح من معارفه[1].

وغير خاف أن أقدار الممدوحين من خلفاء وحكام وكبراء وعلماء وأعيان وغيرهم تتفاوت وتتباين بقدر منازلهم في الفضل، وما خصّوا به من محاسن وخلال، ومقياس العدل فيه ما ذكره الإمام عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ حين امتدح شاعرية زهير بن أبي سلمى فأثنى عليه بأنه: «لا يمدح الرجل إلا بما فيه».

فما طبيعة المدح فيما وصلنا من آثار شاعرنا؟

لقد انتهت إلينا جملة من أمداحه، قال بعضها في الحاكمين في فاس من أمثال أمير المسلمين يوسف بن عبد الحق، وفي سبتة كمدحه الوزير أبا علي بن خلاص، وقال بعضها الآخر في غير الحاكمين من العلماء والأدباء أمثال القاضي عياض وأبي الفضل التجاني التونسي ومحمد بن يربوع وسارة الحلبيّة، وقد أظهر في هذه الأمداح الكثير من عواطفه وأحاسيسه، وصوّر في مجاليها خواطره وخوالج نفسه.

فقد مدح الأمير أبا مالك بن عبد الواحد بن السلطان يعقوب المريني في فاس بقصيدته الميمية الرائعة التي أنشأها بمناسبة فتحه مدينة «مراكش» في سنة (668هـ/1269م) وتجعلنا هذه القصيدة ببنائها نسلم بأنها دالّة على ما افتقدناه من أشعاره المدحية الكثيرة التي قالها في بعض رجال وطنه الأندلس وفي المرينيين وبني العزفي حسبما ذكره أبو جعفر ابن الزبير حيث قال: «واختلف إلى أمراء الأندلس والعدوة مادحاً لهم، وطالباً رفدهم[2]».

---

(1) أسس النقد الأدبي عند العرب: 180 .

(2) صلة الصلة ق 65:3.

والملاحظ على بناء هذه القصيدة خلوصها منذ البدء من المقدمات الغزلية والفواتح الوصفية المعهودة في بعض أشعار المديح، فهي تتغنى بدءاً من الفاتحة بهذا الفتح في أسلوب يعتمد التكرار اللفظي، الذي يؤكد أهمية الحدث «فتح مراكش» ويضفي عليه الجلال والتفخيم كما يقوّي الموسيقية في النص:

فتح تبسمت الأكوان عنه فما ... رأيت أملح منه مبسماً وفما

فتح كما فتح البستان زهرته ... ورجّع الطير في أفنانه نغما

فتح كما انشق صبح في قميص دجا ... وطرّز البرق في أردانه علما

أضحت له جنة الرضوان قد فتحت ... أبوابها وفؤاد الدين قد نعما

ثم التفت بعد هذا التكرار الذي وصل به إلى غايته إلى ذات الممدوح الأمير أبي مالك عبد الواحد بطل هذا الفتح فحمد اللّه له على كمال النصر والظفر الذي عمّ به السرور، وانتشر الفرح بيومه في الأرض والسماء:

الحمدُ للّه هذا ما وعدت به ... يا خير من ولِّي الدنيا ومن حكما

لن يخلف اللّه وعداً كان واعده ... فاشكر يضاعف لك الحظ الذي قسما

بفتح «مراكش» عمّ السرور فما ... يكابد الغم إلا قلب من ظلما

حبا بها اللّه مولانا الأمير كما ... حبا أباه فأسنى فتحها لهما

فلم يزل سعده المألوف متصلاً ... بسعد والده المنصور منتظما

والمدحية في إطارها العام تسير في نسق المدحيات في عهد ملوك الطوائف والمرابطين، والموحدين، من حيث التدفق والجزالة، ومن حيث الإغراق في المبالغة في مدح الممدوح الذي يجتمع في دولته الدين مع الدنيا، ويحيا الناس بعدله، ويقام الإسلام بغيرته:

فدولة الدين والدنيا قد اختلفت ... في الفتح والنصر والتأييد بينهما

أفاقت الأرض من نوم بها وصحت ... وأصبحت وهي تلحى السكر والحلما

لما رأت راية السلطان قد رفعت ... في أفقها قرعت أسنانها ندما

فاستقطفت منه قولاً من سجيته ... أن يحقر الذنب والعوار إن عظما

من سنة اللّه أن يُحيي خليقته ... على يديك وأن يكفيهم النقما

وأن يـقـيـم بـك الإسـلام مـن أود وأن يـديـم بـك الإحـسـان والـنـعـمـا

كذلك يرى في نصره معقد فخر للمسلمين الذين تقر عيونهم بفتحه، ويجدون فيه شفاء وبرءاً لكلومهم وجراحهم، ويتخذ من هذا المعنى منطلقاً ليصف هذا الأمير، من خلال هذا الفتح ـ بالرحمة والعفو عند القدرة، وبالشجاعة التي يراها صنو العرفان، ويؤكّد ضمن هذه الخلال ما عرف به من رجاحة العقل، ونفاذ البصيرة، ونجح الرأي، مما كان مجالاً لألسنة المادحين من الشعراء والكتاب[1]:

وأن يـقـر عـيـون الـمـسـلـمـيـن وأن يشفي الصدور وأن يبري بك السقما

بـشـراك يـا مـالـك الـدنـيـا وحـافـظـهـا فـأنـت أفـضـل مـن آوى ومـن رحـمـا

إنـا نـسـخـنـا مـعـالـيـك الـتـي رأفـت فـلـم نـر الـبـأس فـيـهـا بـزّ لـلـكـرمـا

كـمـا نـظـرنـا إلـى يـمـنـاك مـن كـثـب فلـم نـر الـسـيـف فـيـها يـسـلـم الـقـلـمـا

تـظـافـرت ألـسـن الأقـلام فـيـك مـعـاً وألـسـن الـشـعـر حـتـى أخـرس الأمـمـا

لـلـه تـمـلـيـك أمـرٍ لا نـظـيـر لـه لـولاك كـان وجـود الـديـن قـد عـدمـا

مـلـك بـصـيـر بـأدواء الأمـور لـه رأيٌ نـجـيـح وطـبٌ يـذهـب الألـمـا

وعلى الرغم من أن مالكا كان من شعراء الدولة المرينية، أو على الأقل أن هذا النص قاله في مدح أحد أمرائها، فإننا نلحظ تأثر مدحه بالمعاني التي أجالها الشعراء في العهد الموحدي وذلك فيما نقرأه من إكثاره من ذكر ألفاظ (العدل ـ العلم ـ والأمانة) التي مدح بها أميره وهي الأوصاف التي كثيراً ما أوردها واستعملها شعراء الدولة الموحدية[2].

فهو يصف أبا مالك بالعدل:

عدل الحكومة ماضي العزم معتدل كـالـريـح يـمـضـي بـعـدل كـلّـمـا عـزمـا

وبنعته بالعلم المطلق:

إن غـاب عـنـك فـإن الأذن شـاهـدة وإن تـشـاهـده لـم يـنـطـق وقـد فـهـمـا

---

(1) الذخيرة السنية 119-121.

(2) راجع حسن جلاب «الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب».

الله أعطاه علماً من لدنه فلم   يحتج إلى أحد في علم من علما

كما تأثر شعراء الموحدين ضمن هذه المدحية في ظاهرة التهويل المدحي، وفي المبالغة في توقير الأمير (الإمام) الذي يوشك أن يجعله معصوماً، كما يفيد أيضاً من معانيهم استدعاء السجود، فيطلب من شعره أن يسجد لهذا الإمام:

أنت الإمام لبعض السهو تحمله   وبعضه يحبط الأعمال والحرما

يا بنت فكري ضعي عنك النقاب إذا   بلغت حضرته ثم انثري النظما

ثم اسجدي في بساط غير واطئة   فأصبح الرأس فيه يجهد القدما

ولا شك في أن هذا المعنى معدود من معاني شعراء الدولة الموحّدية[1].

ويبدو أنه كان في أمداحه التي نستشف كثيراً من أجوائها من هيكلية هذه القصيدة ، مدركاً مقومات القصائد المدحية، والأصول التي تنبني عليها، فقد حرص فيها، شأن شعراء الدولة الموحّدية والمرينية، ومن سبقهم من شعراء المشرق والمغرب، على حشد الأوصاف النفسية للمدوح، بل ذهب إلى المغالاة في نعوتها، كما حرص من حيث الموسيقا على الفخامة حينما صبَّ معانيه في البحر «البسيط» المعدود من البحور الطوال، كما اختار لها هذه القافية الميمية المطلقة التي تناسب التهويل والإنشاد، ومال من جهة موسيقاها الداخلية إلى اختيار الألفاظ الجزلة الرائقة، ووشّاها بضروب من البلاغة تمثلت، كما يُرى، في الاستعارات والكنايات والإفراط في الوصف، وحسن التقسيم والجناس والطباق.

وقد عقد الأستاذ حنّا الفاخوري مقارنة بين هذه القصيدة لمالك بن المرحل التي وصفها بأنها «رائعة تجلّت فيها شاعريته بشتى مزاياها»[2]. وبين قصيدة أبي تمام البائية المشهورة، فرأى مالكاً شاعراً «مستوحياً لا مقلداً، ومقتبساً لا مردداً»[3].

وعلى الرغم من وجود المشابه بين هاتين القصيدتين فإن ابن المرحل ، حسب رأيه: «لم يستطع مجاراة أبي تمام في ملحمته الحربية، وفي قرقعته الشعرية

(1) تاريخ الأدب العربي في المغرب: 188.

(2) (3) م. ن: 188، 189 .

ولم يسلك مسلكه في الزخرفة المدوّية التي غمرت أبياته وقوافيه، ولا في التعقيد الفكري واللفظي الذي انطوت عليه قصيدته، بل نزع منزع اللين والسهولة[1]».

وقد أورد لسان الدين بن الخطيب نصاً مدحياً آخر يختلف عن النص السابق في أنه افتتح بفاتحة غزلية اتباعاً للمذهب القديم، وقد عرضنا لهاته الفاتحة قبل قليل في باب الغزل والنسيب، واستنتجنا منها ولوعه في أطوار لهوه ومجانته بأحد الصقالبة، وأن ابن الخطيب اختصره ولم يورده كاملاً، كما أنه يختلف عنه أيضاً في أنه لم يذكر فيه المناسبة، واسم الممدوح الذي أنشأ فيه الشاعر مدحيته، وإن أمكننا أن نعثر في أحد أبياتها على إشارة تلمع إليه باستيحاء.

لقد اشتملت الفاتحة الغزلية في هذه المدحيّة على ثلاثة عشر بيتاً، بينما جاءت من الغرض الرئيس، وهوالمدح ثمانية أبيات فحسب.

ومن علائم التوفيق في إبداع النصّ حسن التخلص من الغرض الغزلي المذكور إلى الغرض اللاحق أو الرئيس وهو المدح، وذلك حينما عرّج بقوله:

سننيخها في باب أروع ماجد ... فيرى محلَّ الفضل حول يقينه

حيث المعارف والعوارف والعلا ... في حد مجد جامع لفنونه

ثم أشار بعد تقرير تلك الأوصاف المجملة إلى ما يقرب لنا إلى حد ما ذات الممدوح حيث وصفه بالحسن، ودلّ على شيء من اسمه فنعته «بالحسن بن أحمد»، وأنه من الفرع اليماني، وحلاّه بالبلاغة والبيان:

بدر وفي الحسن بن أحمد التقت ... نجب مررن على العطا بركونه

تبغي مناها في مناها عنده ... وتطوف بالحاجات عند حجونه

فرع من الأصل اليماني طيب ... ورث البيان وزاد في تبيينه

وحسنة الأبيات الثلاثة الأخرى الباقية من هذا النص، أنها تميل في مدح الرجل بالإضافة إلى ما عُرف من علمه وبيانه إلى وصفه بأوصاف تحدّد معالم أخرى من شخصيته وتدلّنا على مزاياه النفسية المتمثلة في طلاقة المحيا، والمنعة،

(1) تاريخ الأدب العربي في المغرب: 189.

وانبساط الشمائل:

يبدي البشاشة في أسرة وجهه طوراً ويحمي العزَّفي عرنينه
بسط الشمائل للزمان كمثل ما بسط الغناء نفوسنا بلحونه
يثني عليه كلُّ فعل سائر كالمسك إذ يثني على دارينه

وقد تجلّى فن الفخر فيما وصلنا من شعره في بعض المواضع التي فخر فيها ابن المرحل بنفسه من خلال:

1 ـ الفخر بشعره وأدبه وعلمه.

2 ـ الفخر بشموخه وترفعه وهمته.

فقد امتدح شعره بأنه فيض خواطره وأحاسيسه، وليس كشعر الشعراء المقلدين الذين يمتاحون من فيض غيرهم:

خالفني أشهب في مذهبي ومالك وافقه أشهب
فمذهبي مخترع نادر وسرق الشعر له مذهب

وباهى بعد ذلك بعلمه وأدبه كما في النصّ (70) كما افتخر بشموخه وإبائه وعلوِّ همته المعزّزة بالقناعة:

أبت همتي أن يراني امرؤ على الدهر يوماً له ذا خضوع
وما ذاك إلا لأني اتقيت بعزِّ القناعة ذلَّ الخضوع

د ـ الهجاء:

وُصف ابن المرحل بأنه كان «مهيباً مخطوب السلامة، مرهوباً على الأعراض، في شدقه شفرتُه ونارُه، فلا يتعرض إليه أحد بنقد، أو أشار إلى قناته بغمز إلا وناط به آبدة تركته في المثلات[1]» وكان يقضي هذا الوصف أن نعثر له على آثار كثيرة ووفيرة في غرض الهجاء، ولكنّ ما بأيدينا من نصوصه لا يدل على

(1) الإحاطة 305:3.

تلك الصورة الضخمة التي رسمها الوصف المذكور من لسان الدين بن الخطيب.

فهل عمل الرواة أو المهجوون ومن أصابتهم شفرته وناره على إتلاف تلك النصوص الهجائية، وعملوا على طمسها، أو أن الشاعر نفسه عمد إلى هذا الإتلاف والطمس حينما تقدمت به السن، ومال إلى التزهد والتصوّف، فأحبّ ألا يعرف بهذه الخلّة، أو يشار إليه بأنه كان مرهوباً على الأعراض.

قد يكون أحد هذين الاحتمالين أو كلاهما أسهما في ندرة شعر الهجاء، وقلة نماذجه ونصوصه المتبقية.

والهجاء في النصوص القليلة التي يقف عليها القارىء إذا استثنينا نصاً واحداً أو نصين منها اتسما بشيء من الإقذاع والإحماض والخشونة، يعتبر هجاء هادئاً غير صخّاب أو فاحش.

فقد كان بعض النصوص من ولائد الخصام الذي احتدم بينه وبين بلديّه ابن أبي الربيع النحوي[1] كما كان بعضه الآخر من آثار المعركة التي وقعت بينه وبين ابن رشيق التغلبي حينما زار في أخريات حياته مدينة سبتة، وهي المعركة التي أفرط عليه فيها ابن رشيق بالقول والعمل حينما كتب له قصيدة هجائية سالبة أودعها كنانة خشبية كأوعية الكتب علقها في عنق كلب، ثم أوجعه ضرباً حتى لا يلوذ بأحد، إلى أن أخذت الكنانة من عنقه، وقرئ ما فيها، ودفعت بعد ذلك إلى ابن المرحَّل فاطلع عليها، وكان مما أجابه به بيتان يتسقان مع جو المناسبة، والنعوت الخشنة التي رماه بها خصمه على الكبرة، حيث قال[2]:

كـلاب الـمـزابـل آذيـنـنـي بـأبـوالـهـن عـلـى بـاب داري

وقـد كـنـت أوجـعـهـا بـالـعـصـا ولـكـن عـوت مـن وراء جـدار

وقد عقب الدكتور محمد بن شقرون على هذين البيتين بقوله «ذلك جواب ابن المرحل وردّه على ابن رشيق، وبذلك انتهت المعركة التي لولا رزانة الخصم

---

(1) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط(ن).

(2) الإحاطة 475:1.

الأول [يعني مالكاً] وعفته وحشمته ومراعاته للأخلاق لسمعنا من أذيالها الكثير، كما سمعنا عن المعارك اللفظية التي كانت تدور في بيئات أخرى بين جرير والأخطل، لكن روح التسامح والتسامي تغلبت على روح الحقد والضغينة بفضل التربية الإسلامية[1]».

ومن الطريف أن أحد الباحثين قارن هذه النقائض بنقائض جرير والفرزدق. قال الأستاذ سعيد إعراب: «وتذكرنا هذه المناقضات بنقائض جرير والفرزدق، وابن عتيق[2] هنا، يمثل جرير في أسلوبه اللاذع، يتتبع مثالب خصمه، فإن أعيته اخترعها في صراحة قتّالة، وبذاءة وإفحاش لا حدَّ لهما[3]».

وقد مرَّ بنا ما دافع به الأستاذ عبد الله كنون عن مالك بن المرحل[4] وقد كان من الطريف حقاً أن يعود شاعرنا بعد ذلك ليتأمل في طبائع تلك المخلوقات التي هجاها وهُجي بها «الكلاب» والتي اتفق الناس على ذمّها واستنفاصها فلا يرى فيها بعد قوله السابق ما كان يراه، أو ما يراه الناس، وإنما يرتاح إلى معنى جديد فيصفها بما عرفت به من الوفاء، ويرمي الإنسان بالنقيصة، فيصير عنده القمين بالشتم والهجو[5]:

أرى الكلاب بشتم الناس قد ظلمت	والكلب أحفظ مخلوق لإحسان
فإن غضبت على شخص لتشتمه	فقل له أنت إنسان ابن إنسان

فهذا معنى طريف مبتكر، يصوّر شفافية الاعتذار للمخلوق المظلوم، ويسجل مرارة الاستنكار للمخلوق الظالم.

وابن المرحَّل، كما تطلعنا أبياته في النصين (86) (87) سيء الظن بالناس، قليل التقدير لموازينهم غير الصحيحة في تقييم وتقدير الرجال والأشياء لأنهم

(1) مظاهر الثقافة المغربية: 169.

(2) يريد ابن رشيق التغلبي.

(3) مجلة دعوة الحق ع4 س 23-1402.

(4) ذكريات مشاهير رجال المغرب «مالك بن المرحل: 38-39.

(5) الإحاطة 234:3.

ينظرون إليهم من زاوية مصالحهم ومطامعهم.

كذلك يطلعنا النص الآخر (76) على بعض طوائف الطلاّب والمريدين، الذين لا يحفظون العهد، ولا يرعون منازل أشياخهم وأساتيذهم، وقد بيّنا في الترجمة أن هذين البيتين يؤكدان تعاطي ابن المرحل صناعة التدريس، وأنه ربما قالهما في تلميذه ابن عبد الملك المراكشي الذي انتقد بعض شعره:

أرى المتعلمين عليك أعدى ... إذا اعلمتهم من كلِّ عاد

فما عند الصغير سوى عقوق ... ولا عند الكبير سوى عناد

أما في النص (82) فنراه يهجو مقصاً تناوله الرئيس ابن خلاّص فأدمى يده، فنعته باللؤم، وليس من عجب عنده أن يسطو اللئيم على الكريم، وهذان البيتان يمثلان فنّه الشعري في بداية حياته في سبتة أما نصه الآخر (81) فهو لا يخلو من إحماض وإقذاع، تلبّس به فنه في ذلك الطور.

2 ـ الشعر النفسي والمعرفي:

أ ـ شعر الجهاد:

كان الظرف الزماني الذي عاشه الشاعر، كما مرَّ ظرفاً حامياً مليئاً بالأحقاد الصليبية التي جوبهت بالدعوة إلى الجهاد، والتنادي بمناجزة الأعداء الذين تنمّروا وتحالفوا واشتبكوا مع المسلمين في حرب ضروس.

ولسنا نشك في أن شاعرنا الذي واكب ذلك الظرف المتوتّر قد أبدع كثيراً من هذا الشعر النفسي والخلقي الداعي إلى الجهاد والمرابطة في مقاومة زحوف أهل الصليب، كما أننا لا نشكُ أيضاً في أنه صاغ ثناء قوياً في مدح السلاطين والأمراء الذين تولّوا عبء هذه المعارك الجهادية في نصرة الإسلام والمسلمين، وإنقاذ البلاد الأندلسية من الاستسلام والسقوط. ومن المؤلم حقاً ألا يصلنا من هذا الشعر إلا شذارات قليلة تنمُّ عن ملامح من شعره في هذا اللون.

ومن هذه النصوص التي وصلتنا من شعر الجهاد والتي تدلُّ بوضوح عن طبيعته كما عالجه شعراء عصره قصيدتان إحداهما يمكن أن توصف بأنها قصيدة رسمّية ديوانية، والأخرى يمكن أن تنعتها بأنها قصيدة أهلية شعبية، وقد قيلت هاتان القصيدتان في هذا الغرض النفسي المهمّ.

أولاهما قصيدته المتأنقة التي قالها عن لسان أمير الدولة يعقوب المنصور المريني مجيباً عن الرسالة التي وجهها إليه حاكم غرناطة ابن الأحمر[1] والأخرى هي التي أنشأها في سنة (662هـ/ 1263هـ) والتي توجّه فيها إلى مخاطبة جماهير المسلمين في العدوة المغربية، وعمل على تأجيج مشاعرهم، وإثارة حفائظهم وعلى إغرائهم بواجب الجهاد، وقد قرئت هذه القصيدة الحماسية، كما ذكر علي بن أبي زرع الفاسي «بصحن جامع القرويين من فاس يوم الجمعة بعد الصلاة، فبكى الناس عند سماعها، وانتدب كثير منهم للجهاد[2]».

فمن الملاحظ على القصيدة التي نعتناها بأنها ديوانيّة رسمّية أنه تكلم فيها عن لسان أميره يعقوب المنصور في مخاطبة أحد ملوك بني نصر المأزومين في غرناطة «الغالب بالله» وقد توخى الشاعر من حيث المحتوى إيراد المعاني التي أراد الأمير تقريرها بأعيانها دون تغيير أو تبديل، ومن هذا الملحظ فإنه لا يؤاخذ على بعض مظاهر أسلوبه الانفعالي الذي ربما استشف منه أنه لم يراع خلاله بعض التقاليد والمواضعات في خطاب الحاكمين باعتباره مُبلغاً، ولكنّ الذي يؤاخذ عليه الشاعر في مثل هذا الخطاب مدى توفيقه في التصوير وصياغة المعاني المراد أداؤها بألفاظ رقيقة وتعابير دقيقة تحيط بالأفكار الكليّة والجزئية.

فهل بلغ شاعرنا في صياغة هذه القصيدة الرسمية مبلغ الإحاطة والإجادة؟

في الحق إن الشاعر تقيّد بهذا الإبلاغ بالمعاني بالرغم من جهامتها منذ المطلع الخالي من التمهيد والمجاملة ضرورة أن الخطاب أريد به العتب وإظهار

---

(1) ذكريات مشاهير المغرب «مالك بن المرحّل»: 24، الوافي بالأدب العربي في المغرب 343:1.

(2) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: 98.

المنّة من الدولة المرينية على الدولة النصرية الغرناطية.

فقد أشار إلى معاني الأمير يعقوب المنصور إلى ابن الأحمر دون إطالة وأومأ إلى حسنة النجدة المرينية لدولة بني الأحمر التي جحدت فضل بني مرين الذي شهدت به الأرض والسماء[1]:

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي ... أنا أجبنا صرخة المستنجد

لما دعا الداعي وردّد معلناً ... قمنا لنصرته ولم نتردد

ثم حرص على تطعيم هذا الخطاب بألفاظ مناسبة للسياق نوشك أن نسمع منها صليل الأسنّة والعضب، ووقع سنابك الخيول المطهمة، وجلبة اقتحام الفرسان المغاوير عثير المعارك الحامية لنجدة الأندلس المستصرخة[2]:

نسري له بأسّنة قد جرّدت ... من عضبها والصبح لم يتجرد

لولا الأسنة والسنابك مادرى ... أحد بسير خيولنا في الفرقد

والخيل تشكونا ولا ذنب سوى ... أنا نروح بها وأنا نغتدي

لو أنها علمت بنا في قصدنا ... كانت تطير بنا ولم نتردد

الله يعلم أننا لم نعتقد ... إلا الجهاد ونصر دين محمد

ولا يخفى في البيت الأخير من تعريض بالديوان المخاطب الذي توهّم أن المرينيين إنما أنجدوا الأندلس رغبة في الاستيلاء عليها.

ثم صوّر في الأبيات التي تلت تلك الأبيات وقوف الجيش المريني المتوثب للنصرة ومقاتلة الكافرين فوصف في أكثر من سبعة أبيات شوق الفرسان المغاربة للقتال، وكيف تأرن الصواهل مستوفزة لاجتياز البحر لإنقاذ الأهل والديار من الغزاة والإشارة بالفتح الذي هزم فيه الكفار، وتم به اللقاء بين أهل العدوتين من المسلمين الظافرين[3]:

---

(1) درة الحجال 21:3.

(2) م.ن.

(3) درة الحجال 21:3.

واستقبلت بحر الزقاق بعصبة نفذت عزائمها ولم تتعدّد

فاستبشروا في أفقهم بطلوعنا كالشمس يوم طلوعها للأسعد

حتى بغتنا القوم في أوطانهم إن الحوادث لا تجيء بموعد

ثم التقينا بالذين استصرخوا منا بكلٍّ مؤبّد ومسدّد

حتى إذا جئنا وجاؤوا نحونا ودنا المزار وقيل للبعد ابعد

ازورّ جانبهم وأشهد بعدما بسطوا لنا الآمال بسط ممهد

ونلحظ أن هذا النص سرعان ما يخلص بعد ذاك التصوير إلى التباهي بالمنّة، والإشادة بالمحمدة، وإذاعة المناقب والفخر على أولئك الإخوان الأندلسيين المستنجدين ببني مرين، بل يصل هذا التباهي إلى حدَّ التطاول والعجب والتراشق[1]

أو ما رأونا قد تركنا أرضنا ولنا بها ملك رصين المحتد

وأطاعنا قوم كثير أسرعوا فمزود منهم وغير مزود

أترون إن عادوا إلى أوطانهم يبقى لكم في الأرض موضع مسجد

أم تحسبون بوارقاً نشأت لكم أمثالنا في جوّكم لم تعهد

برماحكم نفحت وعنها أمطرت بل كان ذا منا وإن لم نشهد

إنا أردنا إن رعينا قومنا فيكم فيرجع من مضى بتزيد

فهذا الخطاب الجاسي القاسي الذي تضمنته هذه الأبيات وغيرها، لا يؤاخذ عليه الشاعر ابن المرحل ولا غيره من شعراء البلاط المريني كعبد العزيز الملزوزي لأنه لم يكن يملك فيه إلا إبلاغ الخطاب الديواني الرسمي الذي يصوّر أفكار أميره المحتدمة كما هي، ويفرغها في مثل هذا القالب الصارم المباشر الذي يراد به مجرد الإفحام.

على أن الأبيات التالية للأبيات السابقة تسوّغ على نحو ما هذا الخطاب المتجهم، إذ تظهر أن الذي حمل الأمير يعقوب المريني على مثل هذا الفخر

(1) درة الحجال 21:3.

الصارخ الذي أوحى به إلى شاعره ابن المرحل، بل إلى شعراء وأدباء بلاطه جملة مردُّه إلى ما لمسه من تغيّر مودّة بني الأحمر في حمراء غرناطة، ونكرانهم مع بعض الرعية والأعيان صنائع بني مرين في المغرب، وجحودهم أياديهم عليهم، بل محاولتهم إظهار الترفع على العدوة المغربية، ولذلك جاءت قصيدة ابن المرحل، كما يقول الدكتور محمد بن شريفة «حافلة بالعتاب الرقيق حيناً والشديد حيناً آخر، وقد خرج في آخرها إلى التقريع والتوبيخ، وذلك حين ينتقد أخلاق الأندلسيين وجيشهم[1] يستنتج ما ذهب إليه من الحكم من قول أبي الحكم مالك:

لولا رجال من مرين رفّعوا ... منكم لكنتم بالحضيض الأوهد

لولا رجال من مرين قاتلوا ... عنكم لكنتم كالنساء الخرّد

عهدي بجندكم الذين إذا رأوا ... علجاً تولّوا كالنعاج الشرّد

يتشبهون بكلٍّ أغلب كافر ... في زيّهم وكلامهم في المشهد

وطعامهم وخلالهم وشرابهم ... ومناكر يأتونها وسط الندي

ومن المعلوم أن أبا عمرو بن المرابط كاتب قصر الحمراء وشاعره أجاب عن قصيدة مالك بن المرحل وقصيدة عبد العزيز الملزوزي التي جاءت على وزن قصيدة شاعرنا وقافيته نفسها بقصيدة لا تخلو هي الأخرى من شدّة وتقريع، وهي التي جعل مطلعها[2]:

قل للبغاة وللعداة الحسد ... يعقوب والدنا مكان محمد

وقد عدّ الدكتور ابن شريفة هذه القصائد وغيرها من المقامات النثرية كمقامة طرفة الظريف مظهراً من «منافرات العدوتين[3]».

على أن نصَّ قصيدة شاعرنا، وإن اكتسى في عمومه بطابع المباشرة والتقريرية، الذي أملاه تقيّده بمنطوق سلطانه أو أميره، فإنه لم يخل في تقديرنا من

---

(1) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط العدد1، يناير1977م،د. محمد بن شريفة «من منافرات العدوتين».

(2) الذخيرة السنيّة: 109، درّة الحجال 3: 24 .

(3) مجلة كلية الآداب ع1س1977م.

الألفاظ المختارة المعبّرة، ومن المحسنات البلاغية غير المتصيّدة، كما برع في تصوير الأندلسيين الذين أولعوا ـ في أثناء محنتهم وهوانهم ـ ولعاً تاماً بالصليبي الغالب في زيّه وطعامه وشرابه، بل في المناكر أيضاً، ثم أورد غبَّ ذلك التصوير خاتمة النص دالّة صريحة على بعض مواطن الحكمة والهدى.

أما قصيدته الميمية الأهلية الأخرى في الاستصراخ والتي تعدُّ تسعة وأربعين بيتاً، فهي قصيدة عقدية تحريضيّة خاطب بها جموع المسلمين المحتشدين في جامع القرويين بمدينة فاس بمسرد سهل جمعَ فيه المعاني الدينية الحاثة على الجهاد.

وإذا كان بعض شعراء الغرب الإسلامي من أمثال حازم القرطاجي وابن الأبار وغيرهم قد استنفروا بقصائدهم واستصراخاتهم الحكام في تونس والمغرب، فشاعرنا في هذه القصيدة يستصرخ حمّية المحكومين والرعيّة، ويستثير وجدانها نحو نكبة الأندلس، يقول الأستاذ محمد بن تاويت «فهذه أول قصيدة نراها تتوجّه إلى مخاطبة الشعب واستنفاره على أعداء الإسلام، وهي في أسلوبها نراها تنزل عن مستوى الأسلوب الذي عرف لمالك بن المرحل لأنها قصيدة نظمت للشعب، فهو كلام موجّه إلى العامّة وأشباه العامة من المجاهدين الذين يحملون السلاح، ولا يحملون الأقلام[1]».

ومهما يكن من أمر أسلوب هذه القصيدة فما من ريب في أنها بلغت المؤمل منها في التأثير على جموع المؤمنين الذين اعتزوا بهذه الصرخة واستجابوا سراعاً لنداء الجهاد، ونجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس، وقد مرَّ بنا كلام ابن أبي زرع الذي ذكر فيه بكاء الناس عند سماعها في جامع القرويين، وكيف خفّ الكثير منهم إلى تلبية ندائه بالجهاد[2].

لقد خاطب الضمير الديني عند أولئك المسلمين المغاربة ـ في فاتحة القصيدة ـ بأسلوب تقريري لم يلجأ فيه ـ مراعاة للمقام ـ إلى شيء من تنوّق الألفاظ، أو تزيين العبارات بالمحسنات:

---

(1) الوافي بالأدب الغربي في المغرب 1: 343.

(2) الذخيرة السنية 98.

استنصر الدين بكم فاستقدموا ... فإنكم إن تسلموه يسلم
لا تسلموا الإسلام يا إخواننا ... وأسرجوا لنصره وألجموا
لاذت بكم أندلس ناشدة ... برحم الدين ونعم الرحم
فاسترحمتكم فارحموها إنه ... لا يرحم الرحمن من لا يرحم
ما هي إلا قطعة من أرضكم ... وأهلها منكم وأنتم منهم
لكنها حُدّت بكل كافر ... فالبحر من حدودها والعجم

ثم استرسل في مثل هذه المناجاة والمناشدة والعرض لقضية الأندلس المسلمة المجاهدة، وما ينتظر لها من عون مجاهدة المغرب، فصوّر في الأبيات (7-16) أحوالها وما تعانيه من قتل وأسر وجوع وفتنة ماحقة.

ولم ينس ـ وقد خيّم على وجدانه هذا الجو الكالح القاتم من مأساة الأندلس والأندلسيين أن يلتفت في لهفة إلى أهل المغرب ذوي الشوكة والحماسة ليكبر حميتهم ويستدعيها لمقاومة جيوش أهل الصليب:

ما صدقوا أن وراء البحر من ... يغضب للإسلام حين يُظلم
ولا دروا أن لديكم حرمة ... يحفظها شبابكم والهرم
لو عرفوا قبائل العدوة ما ... عدوا على جيرانهم واجترموا
اليوم يدري كلُّ شيطان بها ... أن قد رمتهم بالشعاع الأنجم
تقدّمت نحوهم طليعة ... من نحوكم أخطاهم التقدم
فانتصفوا للدين من أعدائه ... واقترعوا عليهم واقتسموا

ثم مضى بعد تلك الأبيات في الثناء على المغاربة، وزيّن لهم البذل والجهاد، وأغراهم بقطع المفاوز والبحار لقتال الكفار المتنمرين وختمت القصيدة بأبيات دعائية مؤثّرة.

ولقد أصاب الأستاذ حنا الفاخوري في حكمه المنصف الذي قرّر فيه عقيدة مالك بن المرحل الراسخة، وحيويّة الإيمان في قلبه فهو «لايفهم الوجود بغير الإسلام، ولا يفهم الحكم والسلطان إلا بالإسلام على وفق شرائعه ولا يرى في الأرض الواسعة إلا ميداناً للقوات الإسلامية، فإن فتح المسلمون أرضاً هلّل وكبّر،

وإن خسروا أرضاً تألم وتحسّر[1]».

ب ـ الزهد والأمداح النبوية:

الزهد هو ترك التهافت على الدنيا ولذائذها، والتخلي عن زخرفها الخادع وبهرجها الزائف، والإقبال عما ادخره اللّه للصالحين من عباده في الآخرة وسبيله تحسين الصلة باللّه، والاستعداد ليوم المعاد، بالحفاظ على العبادات وفعل الخيرات، والائتساء بالنبي والتعلق به، وبشريعته السمحة.

وقد شاعت أشعار الزهديات والأمداح النبوية في القرنين السادس والسابع الهجريين وفيما بعدهما بالأندلس والمغرب، وكان أبرز أعلامها موسى بن عمران، وأبو بكر التطيلي، ومحمد بن طفيل، وأحمد بن عبد الرحمن السبتي، وأبو القاسم اللخمي، وأبو بكر ابن العربي، وابن سبعين وأبو الحسن الششتري، وعبد الواحد بن الطوّاح وغيرهم من شعراء التصوف السُني والتصوف الفلسفي.

كما تداخلت الزهديات في أشعار أولئك الشعراء والزجالين في شعر المدحيات النبويّة، لشدّة التلازم بين الغرضين، وبلغ الفن بهذا التلازم، وبفضل مواهب أصحابه من ذوي الطبع الأصيل مكانة سامقة تأصّلت بظهور شعر مالك بن المرحل في القرن السابع، والذي أجمع النقدة على عمقه واتساعه وتفرّده.

يمثل شعر الزهد في نماذجه القليلة جانباً من جوانب الشعر النفسي والأخلاقي في شاعرية ابن المرحل فقد طالت حياته، كما أسلفنا، وتقلّبت عليه صروف الدنيا بالحلوِّ والمرِّ والعذب والعذاب، ثم انتهت به تجربته الطويلة الخصيبة، كما يبيّن القدر الذي بين أيدينا من هذا الشعر إلى التعرّف على مواضع الزيف في زخرف الدنيا الخادع، فعمل على تحرير نفسه المخدوعة من أوقاره، وعلى تحذيرها من أقذاره كقوله يخاطب نفسه:

تنام وهذا الدهر إما مصبح ... بجيش الردى يوماً وإما مبيت

تقوت بذكر اللّه تقوى فإنه ... حقيق بأن يقوى الذي يتقوت

---

(1) تاريخ الأدب العربي في المغرب: 190.

تنافس في غير النفيس سفاهة فقدك هوى إن السفاهة تمقت

ويخاطب في موضع آخر المخدوعين بالسراب، فيحذرهم من بريقه، ويصف لهم خلاله الدنيا وصفاً منفراً:

يا خاطب الدنيا طلبت غرورا وقبلت من تلك المحاسن زورا
دنياك إما فتنة أو محنة وأراك في كلتيهما مقهورا
وأرى السنين تمر عنك سريعة حتى لأحسبهن صرن شهورا
بينا تريك أهلّة في أفقها أبصرتها في إثر ذاك بدورا

والشاعر في تأمله ينظر فيما يجيء به الليل والنهار وما يخادعان به الحمقى والمغفلين، فنراه يورد ما أورده شعراء هذا اللون الزهدي من نظرات كقوله:

حتى متى لا ترعوي وإلى متى أو ما لقيت من المشيب نذيرا
أخشى عليك من الذنوب فربما تُلفي الصغير من الذنوب كبيرا
فانظر لنفسك إنني لك ناصح واستغفر المولى تجده غفورا
من قبل ضجعتك التي تلقى لها خدَّ الصغار على التراب حقيرا

والشاعر كثير التذكير، في هذا الباب، بهذه المعاني التأملية، بل إننا نراه في مقام النظر في علاقة المتغير بالمتغير يأسى على السادرين في الأوهام ممن لم يحدّثوا نفوسهم الضالة بتوبة أو أوبة:

جدير بأن يبكي على نفسه أسى فتى كلما ترجى له توبة ترجا
جبان على التقوى جريء على الهوى قريب من المهوى بعيد من الملجا
جرى في مجال اللّهو ملءَ عنانه إلى الآن ما ألقى لجاماً ولاسرجا
جنى ما جنى واستسهل الأمر في الصبا فلما نهاه الشيب عن فعله لجَّا

بل إنه ليعجب أشد العجب من هؤلاء المفتونين الذين لم يركبوا في عباب البحر اللجي سفائن النجاة فيقول في نصٍّ آخر:

بني الدهر أما الدهر فهو عدوكم وإن لاح يوماً في ثياب حبيب
بوارقه لاريَّ فيها لعاطش ولا خصب في أنوائه لجديب
بلاكم وأبلاكم تقلب صرفه فيا ويحها من أنفس وقلوب

بصائرها في الرشد غير ثواقب وأبصارها في الغي ذات ثقوب

بعيد من التوفيق من بات ساهراً رجاء بعيد لا مخاف قريب

وما أروع قوله بعد ذلك:

بطيء لعمري من سرى الليل كله وأصبح حول الحي بعد لغوب

بخيل لعمري من دعاه حبيبه هلمَّ إلينا وهو غير مجيب

وشعر الزهديات في منظومه كان التوطئة لفن الأمداح النبوية التي عرف بها واشتهر في إبّان رجولته وكهولته، بل كانت هذه الأشعار المتداخلة من الزهد في الدنيا، والتعلّق بما يدني من حياة الرسول الطاهرة ردّة فعل صادقة على ما كان قد تلبّس به في بداية أطوار حياته من اللهو والبطالة، وما نعم به من ترف ومتعة.

لقد مرَّ مالك في مرحلة شبابه التي أمضاها بين مدن الأندلس في مالقة وغرناطة وإشبيلية وغيرها، وفي مدينة سبتة بالمغرب بحياة لم تكن خالية، على الراجح، من البطالة والمجانة، كما قدّر له أن يتصل خلالها بمجالس الكبراء في العدوتين، بل أن يعمل ويستخدم في الكتابة في بلاطات سلاطين عصره بسبتة وغرناطة وفاس.

ثم دلفت به السنون الطويلة إلى كهولة وشيخوخة ندم في صقيعها على ما فرط منه في جنب اللّه، وفتح عينيه على واقع الحياة العامة الأليمة التي كان يحياها المغاربة والأندلسيون، وما لابسها من اضطراب وقلق وتوتر، وما صار يفجؤهم به النصارى من غزوات وكوارث، وما كان ينشب بينهم الفينة بعد الفينة من فتن وحروب، فلاذ من ذلك الذي كان يستشعره بالجناب الذي لا يُضام، وأفرغ أحاسيسه في العديد من المقطعات والقصائد الزهّدية، والروائع والمعشرات المدحية ونحوها، يفزع فيها إلى الله مادحاً نبيّه، ومتوسلاً به، ونادماً عن تقصيره، ومتشبهاً بشيوخه الصالحين الذين أشرنا إليهم، وآية صدقه في هذا الزهد أنه يجرّد من نفسه ذاتاً يلهبها بسياط اللوم والتعنيف، ويشتد عليها بالتوبيخ والنكير مثل قوله في قصيدته الرائية المتقدمة[1].

---

(1) الإحاطة 313:3.

وتدلنا قصيدة أخرى من قصائد هذا الباب أنه قد بدأ في سلوك هذا الطريق في الزهادة الصادقة، وارتضى لنفسه هذا التبكيت منذ أن بلغ سن الأربعين[1]:

أشف الوجد ما أبكى العيونا وأشفى الدمع ما أنكا الجفونا
فيا ابن الأربعين اركب سفيناً من التقوى فقد عمّرت حينا
ونح إن كنت من أصحاب نوح لكي تنجو نجاة الأربعينا

وهو يرى الشيب فيها نذيراً مؤذناً بالرحيل، وداعياً إلى نبذ الحياة الغرور، وإلى الاستعداد إلى يوم المعاد[2]:

بداك الشيب في فوديك رقماً فيا أهل الرقيم أتسمعونا
نبات هاج ثم يرى حطاماً وهذا اللحظ قد شمل العيونا
هي الدنيا وإن وصلت وبرّت فكم قطعت وكم تركت بنينا
فلا تخدعك أيام تليها ليال واخشها بيضاً وجونا

وقد أفضت به زهادته إلى نظرات تأملية، أوشكت أن تمثل فلسفته في الحياة، ورأيه الخاص فيها وفي أهلها، وقد بدت هذه الفلسفة تارة مستقلّة في أبيات ومقطعات، وتارة أخرى ممزوجة ومتداخلة مع شعر الأمداح النبويّة، فمن ذلك قوله في الاستيحاش من الناس، وإيثاره الحذر منهم[3]:

وأعدى عدوّ المرء أبناء جنسه وشر صديقيه الصديق المجانس
وأعظم مكسوب الفتى من زمانه عدوٌّ مناف أو صديق منافس

ومن ذلك أنه عاف البطالة وزمن اللهو لما يغطيان به عن أفاعيل الزمان، وتقلّبات الأيام، فيفيق المرء منهما على واقع أليم، ومرارة فاجعة[4]:

وصرت أعاف الصبا والمجون ورب طباع تعاف العسل

---

(1) م. ن 314,313:3.
(2) الإحاطة 314,313:3.
(3) راجع النص رقم (94).
(4) مجلة دعوة الحق ع 277 س1989م.

ومـا زيّـن الـلـهـو إلا الـشـبـاب	ولا حـسّـن الـغـيَّ إلا الـثَّـمَـل
يـدور الـزمـان كـدور الـريـاح	فـطـوراً جـنـوبـاً وطـوراً شـمـل
فـيـومـاً يـعـزُّ ويـومـاً يـذل	فـكـم قـد أعـزَّ وكـم قـد أذل
ومـا الـنـاس إلا كـمـثـل الـنـجـوم	ومـا طـلـع الـنـجـم الا أفـل
ومـا الـمـرء إلا كـمـثـل الـنـبـات	إلـى الـنـقـص يـرجـع مـهـمـا اكـتـمـل

وقد اشتملت هذه القصيدة اللامية بعد ذلك على تأملات ونظرات أخرى عميقة، هدى الشعر إليها طوال حياته، وعمق تجربته.

أما الأمداح النبوية فهي، كما يقول الدكتور زكي مبارك: «من فنون الشعر التي أذاعها الزهد والتصوّف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص[1]».

وقد عُني الشعراء المغاربة والأندلسيون بالأمداح النبوية، وبذكر الشمائل الطاهرة كشعراء المشرق باعتبارها مظهراً يدل على صدق العقيدة، ومجلى يفصح عن المشاعر الروحية النقية نحو ذات الرسول ﷺ، وقد نما هذا الفن الإسلامي وازدهر في الشعر المغربي والأندلسي منذ عصر المرابطين، وتطور في إطاره ومحتواه إلى أن أخذ سماته المميّزة في عهد الدولتين الموحّدية والمرينية اللتين عاصرهما شاعرنا فكان كما يتبين من أبرز المبدعين الذين ساهموا بإبداعهم في هذا الفن وفي تألقه.

لقد سبق أبو الحكم بطائفة من الشعراء ممن أصّلوا الأمداح النبوية في مضامينها وأشكالها خلال العصر الموحدي من أمثال ابن الجنّان الشاطبي، الذي كان له في مدح النبي ﷺ، كما قرّر لسان الدين بن الخطيب، «بدائع ونظم في المواعظ للمذكرين كثيراً[2]» وعبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي الذي ألّف دواوين وأمداحاً وقصائد عشرينيات في شمائل الرسول وحقه[3]، وأبو الحسن الغرناطي

(1) الأمداح النبوية: 6.

(2) الإحاطة 256:2.

(3) التكملة 585:2 برنامج الرعيني: 101، المقتضب من تحفة القادم 133 الإحاطة 517:3، أزهار الرياض 32,31:2، نيل الابتهاج 101 . وراجع آثار أبي زيد الفازازي الاندلسي تقديم وتحقيق الدكتور عبد الحميد الهرامة.

الذي أوقف أشعاره على مدحه عليه الصلاة والسلام. وابن خبازة الذي كفّر عن أمداحه التي قالها في الحاكمين بأمداح نبوية رائقة خصَّ بها الرسول[1]، كذلك نجد من مظاهر العناية بالأمداح النبوية في عصر ابن المرحَّل ظهور فن السير والعناية به لدى الحكام والمؤرخين والأدباء، فقد ألّف أبو العباس أحمد العزفي كتابه الدرُّ المنظم في مولد النبي المعظم[2]» والذي أكمله بعده ابنه أبو القاسم العزفي حاكم سبتة[3] الذي كانت لمترجمنا به صلة كما تقدّم، وألّف أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية الكلبي المعروف بابن الجميل كتاب التنوير في مولد السراج المنير[4]، كما ألّف غيرهما من معاصريهما تآليف وتصانيف في هذا الغرض[5].

ومن المعروف أن البيئة المغربية التي أنفق فيها ابن المرحَّل جُلّ حياته في مدينتي سبتة وفاس، كانت تقيم لذكرى المولد النبوي أو للمولديات، ولسائر الذكريات الدينية أعياداً ومواسم مشهودة، كان يحتفل بها الحكام والأعيان والعلماء والعامة والأدباء ويفتنّون في الاحتفال بمناسبتها بالإكرام والإنشاد، وإيقاد الشموع، وتلاوة الأشعار والقصائد في التغني بالذات الكريمة[6]، والتنويه بشمائلها المتفرّدة، وقد عدّت هذه المناسبات من المقامات التي كان يبرز فيها المبدعون مواهبهم وملكاتهم الأدبية ويظهرون خلالها فنّهم وإلمامهم بالتاريخ والسيرة، وتحصيلهم لمتن اللغة وألفاظها وعبقريتها، فعظم بذلك فن المدح النبوي وقويت مضامينه وأشكاله.

ويرجع هذا الانتشار العريض لفن الأمداح النبوية في شعر شعراء المغرب والأندلس خلال العهدين الموحدي والمريني، في تقديري، إلى باعثين أصيلين

(1) تحفة القادم: 154، رايات المبرزين: 491. الأدب الأندلسي لمارياجنيوس: 136

(2) قامت بتحقيق الكتاب فاطمة اليازيدي بإشراف أستاذنا الدكتور عباس الجراري.

(3) البيان المغرب: 452، الحياة العلمية بسبتة: 49.

(4) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 66,65، ديوان ابن الصباغ 1: 54.

(5) م. ن.

(6) راجع كتاب ورقات عن حضارة المرينيين للأستاذ محمد المنوني. والمغرب عبر التاريخ للدكتور إبراهيم حركات.

أراهما ينسحبان بالضرورة على شعر مالك بن المرحَّل، وينطبقان على فن المدح النبوي في شعره الذي نتناوله في هذا الفصل، وهذان الباعثان هما:

أ ـ باعث ذاتي يتصل بالمبدع الأديب نفسه.

ب ـ وباعث غيري عام يتصل بالبيئة التي عاش فيها الأديب.

أ ـ **الباعث الذاتي**: وهو ما ينهض به هذا الجاذب الديني النفسي المركوز في ذات الشاعر من محبّة عارمة للرسول الكريم، والتغني بنعوته وآثاره، وذكر حقوقه وقد وصل هذا الحبُّ والتقدير به، وبخاصة في أخريات حياته، إلى مرحلة متقدّمة من الشفافية والذوب الروحي حتى صار مجلى سبحاته وتسبيحاته.

ب ـ **الباعث الغيري العام**: ويتمثل في مكانية الشاعر المغربي والأندلسي البعيدة القاصية عن مكانية الحرمين الشريفين، وقد أجّجت هذه المكانية في أعماق شاعرنا اللهفة الظامئة للوصول إليها، وأضرمت الشوق بالتعلّق بالرسول، والتوق إلى زيارة معاهده وقبره.

وبالإضافة إلى تلك المكانية التي نأت بالمغرب الإسلامي عن الحرمين، تبرز ظاهرة الزمانية في القرن السابع الهجري الذي قويت فيه كما أسلفنا شوكة الصليبيين في الأندلس، وتقهقر حال المسلمين فيها، وأفضى هذا الحال المؤسي من التمزّق والتخاذل بالمسلمين إلى الاحتماء بالعقيدة والدين، كما أملى على شعرائهم وأدبائهم ، وفي طليعتهم شاعرنا، إلى هذا المنزع من اللجوء إلى اللّه، والتشفع بالنبي الكريم، بامتداح ذاته الشريفة، طلباً للدعم الروحي والنصرة والنجاة مما حاق بأمته من ذلّ.

إن التأمل في الآثار المدحية في الرسول التي وصلتنا من شعراء الدولة الموحدية، والدولة المرينية من أمثال ابن خبازة وابن الصباغ[1] وعلى بن دنون[2]

(1) راجع ديوان ابن الصباغ بتحقيق نور الهدى الكتاني.

(2) الذيل والتكملة س 5: 1: 372.

وأبي العباس الأقليشي[1] محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري[2] وابن قسّوم الإشبيلي وغيرهم ممن ذكرنا، وأيضاً فيما انتهى إلينا من شعر ابن المرحَّل الذي ازدهر بشعره هذا اللون كما أشار إلى ذلك النقاد، يدلنا بجلاء ووضوح على ذينك الباعثين المحركين لإنشاء هذا الضرب والاتساع في إبداعه.

وقد توسّع الشعراء الأندلسيون والمغاربة في هذا الفن فنظموا في أغراضه المختلفة مثل المولديات والنعليات والحجازيات والتصليات، واتخذوا لذلك أشكالاً مختلفة مطوّلة كالدواوين والمعشرات والعشرينيات والقصائد والمقطعات تناولوا فيها سيرة الرسول وشمائله ونعوته، وما يجب لحقه كما عرّفوا بغزواته وسراياه ومعجزاته، وأشادوا بآثاره وصوّروا مشخّصاته، وأبدعوا في إظهار التشوق إلى دياره والحنين إلى تربته، وبلغ بهم هذا الحنين الظامىء مبلغاً لا مزيد عليه[3]، وبخاصة من أعيته الحيلة وقصرت به القواطع عن الوصول إلى مقامه كشاعرنا.

وحقيق بالذكر أن الذي وصلنا من أشعار هذا الباب كان أوفر أشعاره وأكثرها، وإن كان ضاع منه شيء غير قليل، وحقيق بالذكر أيضاً أن أجلى مظاهر هذه الأشعار هي التي أطلق عليها ابن الطيب الشرقي اسم «الوتريات النبوية[4]» كما وصفها أحمد بن القاضي بـ «التوشيات النبوية».

والتي تفيض بالحبِّ نحو سيّد البشر الذي خصّه الله بالكمال، ويؤججها البعد المكاني الذي شكا الشاعر من قصوره وتقصيره في اللحاق بأرض الحجاز:

يودُّ المعنّى أن يُعاين طيبة ويُقضى له فيها الممات وفي المحيا

يموت بعهد أو يعيش بغبطة ففي كلِّ حال منهما نحمد السعيا

ويقول:

حبائل هذا الدهر عنه حبسنني كأني ما صدّقت نصح النصائح

(1) نفح الطيب 2: 514-599، الذيل والتكملة ق 2 س 1: 545.

(2) الذيل والتكملة 1: 229.

(3) ديوان ابن الصباغ الجذامي 1: 54-57.

(4) الأعلام 7: 201.

ويقول:

برتني يدُ الأشواق برياً وكيف لا | ومثواه في شرق ومثواي في غرب

ولكنه مع هذه الأشواق اللاهبة المصدومة بالضعف وعدم الاستطاعة والمسافات المتناهية في البعد بحبس هواه على حبِّ الرسول في صدق نادر:

وقى اللّه نفسي أن تهيم بغيره | فتدلي في ماء سوى مائه دلوا
وقعت على المعنى اللطيف الذي به | يقربني زلفى ويرفعني علوا

ويقول في هذا المعنى:

تمتعت في الدنيا بنعمي مديحه | فكم أزمة قد فرجتها وغمّة

كما يأخذ نفسه بوجوب التعبير عن خوالجه الوامقة إلى الذات الشريفة، ويلزمها بإرسال هذه العواطف مع الراحلين إلى تلك البقاع:

عققت أبي إن لم تزره قصائدي | مع الركب مهما أزمع الركب تزمع

ومن هذه الخلجات الصافية، نشأت روائع ابن المرحَّل في قصائده المولديّات والمعشرات والعشرينيات والمخمسات والنعليات، وتشكّلت من مضامينها وأشكالها آثار فنّية اعتز بها المبدع وباهى:

لبّيك أنا شعراً وعمراً وذا وذا | يبيدان لكني إلى الفضل مائل

ومن أمثلة مولدياته الواصفة احساسه والمعبّرة عن حبّه المقيم للذات المحمّدية الطاهرة أبياته التي نظمها في الاحتفال بالمولد النبوي والتي يقول في مطلعها:

فحق لنا أن نعتني بولادة | ونجعل ذاك اليوم خير المواسم

وقوله:

كتاب بمدح المصطفى فُضَّ عن مسك | فلله من صك تنفس عن سك
كمائم أزهار وأصداف لؤلؤ | ومعدن تبر ليس ينقص بالسبك

كذلك لم يشذ عن متابعة ومحاكاة تيار فكري وأدبي ظهر في العدوتين،

وبخاصة في مدينة سبتة التي نما فيها وجدانه الأدبي، أعني التيار الذي مدح فيه الشعراء موجودات النبي ﷺ وآثاره التي منها نعاله[1]، يقول الأستاذ محمد بن تاويت «فإذا قلنا إن القرن السابع عصر الأمداح النبوية، والنعال الشريفة والمولدّيات، فإن هذا صادق إلى أقصى ما يكون الصدق، وقد تحقق هذا لأول الأمر بمدينة سبتة التي كانت على اتصال وثيق بالأندلس كماتقدم فكان حامل الأمداح النبوية فيها شاعرنا مالك بن المرحل»[2].

لقد أنشأ هذا الشاعر في غمرة تجلياته، وشوقه إلى الرسول ﷺ ومعاهده، وإلى كل ما ينسب إلى ذاته من ماديات ومعنويات، شعراً مدحياً لا يكاد يختلف في شيء عن الشعر الذي صيغ في مثال النعال المقدسة أمثالها مما قاله شعراء الغرب الإسلامي، يدل على حرارة إيمانه، وصدق توبته وإنابته على نحو مانقرأه في قصيدته المشهورة في مثال النعل الشريفة التي مدحها بمدح صاحبها عليه الصلاة والسلام، والتي يقول في مفتتحها:

بوصف حبيبي طرّز الشعر ناظمه ونمنم خد الطرس بالنقش راقمه

وهي التي أثنى عليها أحمد المقري بقوله الدال على تأثره بها «وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو اسحاق بن الحاج للأديب العلامة أبي الحكم مالك بن المرحل، رحمه الله تعالى وهي قوله[3]» ثم أوردها.

فقد امتدح الشاعر في البدء ذات الرسول الكريم وأوصافه:

نبيء له فضل على الناس كلّهم مفاخره مشهورة ومكارمه
رؤوف عطوف أوسع الناس رحمة وجادت عليهم بالنوال غمائمه
له الحسن والإحسان في كل مذهب فآثاره محمودة ومعالمه
صفيٌّ وفيٌّ لا تمين عهوده حميٌّ أبيٌّ لا تلين شكائمه
وكم نازعته الأمر شمٌّ أعزّةٌ فما أسلمته بيضه ولهازمه

(1) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى 338:1.

(2) م. ن: 1: 341.

(3) أزهار الرياض 3: 264,263 .

غدا العالم العلوي ينزع دونه　　فتقدمه قبل اللقاء هزائمه
أما نصر الإسلام نصراً مؤزراً　　فلم ينج الا مسلم أو مسالمه

ثم خلص بعد أبيات وليت تلك الأبيات إلى هذا الغرض الجديد من مدح الآثار النبوية الشريفة، ومنها مثال النعل الشريف حيث قال:

ومما دعاني والدواعي كثيرة　　إلى الشوق إن الشوق مما أكاتمه
مثال لنعلي من أحبُّ حويته　　فها أنا في يومي وليلي لاثمه
أجرُّ عل رأسي ووجهي أديمه　　وألثمه طوراً وطوراً ألازمه
صبابة مشتاق ولوعة هائم　　نعم أنا مشتاق الفؤاد وهائمه
كأن مثال النعل محراب مسجد　　فوجهي فيه شاخص الطرف دائمه
أمثله في رجل أكرم من مشى　　فتبصره عيني وما أنا حالمه

ومن وصفه الرائع لمواجده، وخطرات روحه المحبّة قوله:

أصكُّ به خدي وأحسب وقعه　　على وجنتي خطواً هناك يلازمه
ومن لي بوقع النعل في حرّوجنتي　　لماش علت فوق النجوم براجمه
تفيض دموعي كلما لاح نوره　　يكابد ذا البرق الذي أنت شاتمه

وهو لا يجتزىء بالإجمال، وإنما يروقه البسط الذي يدعو إليه في هذا المقام التحبّب والتعلّق، فيظل ينثر ما في فؤاده المحب من عشقه الواله للرسول الكريم:

فيا دمع عيني أنت تمنع ناظري　　نعيماً به فارفق فإنك ظالمه
ويا حرَّ قلبي أنت تحرم باطني　　لصوقاً به فاسكن لعلك راحمه
ساجعله فوق الترائب عوذة　　لقلبي لعلّ القلب يبرد جاحمه
وأربطه فوق الشؤون تميمة　　لجفني لعل الجفن يرقأ ساجمه

كذلك يجلو هذا المظهر الشفيف قصيدته الطائية في مثال النعل النبوية التي يبدأها بلون من الموازنة وحسن التقسيم حيث يقول:

أدمعك أم سمط وقلبك أم قرط　　وشوقك أم سقط وجسمك أم خط

أضافرة بعد النزوع عن الصبا وللشيب شهب في عذارك أو وخط
أجل لا ولكن نفحة قدسية أشم لهاترب الجنان فانحط

ثم خلص إلى غرضه في مدح هذا الأثر فقال:

رأيت مثال النعل نعل محمد ثملت ومالي غير ذلك اسفنط
خرقت حجاب السبع عن حسن وجهه فأبصرته في سدرة المنتهى تخطو
رأيت مثالاً لو رأته كرؤيتي نجوم الدجى والليل أسود مشمط
لسرَّ الثريا أنها قدم له يسر الثريا أنها أبداً قرط

والشاعر لا يعظم قيمة هذا الأثر أو مثال النعل النبوي على المخلوقات الجامدة فحسب، بل نراه يظهر من خلال هذا التعظيم أحاسيسه ومواجده:

أرى لثمه مثل التيمم مجزياً فألثمه حتى أقول سينعط
وما هي الا لوعة وصبابة بقلبي لها قسط وفي مدمعي قسط

وقد رأى الأستاذ محمد العلمي حمدان في هذا المظهر الصادق من التعلق بالآثار النبوية كما جلته هذه القصيدة، تعويضاً عما أحسّ به الشاعر مما ضاع عليه من فرصة أداء الفريضة وزيارة قبر النبي ﷺ[1]».

أما قصيدته «نظم السير في مدح سيد البشر» فقد بلغت أبياتها في النص (97) ثلاثة وأربعين ومائة بيت، فتعدُّ بذلك من مطولاته، وهي لامية فيها الكثير من التأمل والإغراء بالزهادة، إلى بيان فضل النبي الكريم، وإظهار بعض معجزاته وخصاله وما عاناه من قومه المعاندين، صاغ الشاعر ذلك في قالب شكلي رتيب ولكنّه أحاط فيه، بموضوعه. على أن هذه العاطفة الدينية التي جلبتها أشعاره في الأمداح والتي وجد فيها متنفساً لأشواق روحه، حملته على أن يفرغ وفرة من أصدائها في أعمال مطوّلة شاعت في عهده وقبله بقليل أعني المعشرات والعشرينيات التي سنعود إلى الحديث عنها مرّة أخرى عند دراسة الأشكال.

(1) مجلة دعوة الحق ع 7,6، س 1974.

فقد كان من أبرز شعراء فن المعشرات يحيى بن محمد بن أحمد التطيلي الهذلي[1] ومحمد بن طاهر بن محمد العامري[2] وعلي بن محمد بن سليمان الأنصاري (ابن الحبّاب)[3] ومن أبرز شعـراء العشرينيات عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي[4] ومحمد بن مفضل بن مهيب اللخمي[5] وغيرهم ممن سنذكره بعد قليل.

والمعشرات ضرب من التجديد في الشكل ينبني على عشرة أبيات لكلّ حرف من حروف الألفبائية يتحدث خلالها عن فضل الرسول وشمائله، وعلى المكفرات الضارعة التي يتوسل بها الشاعر لمدح الرسول، والثناء على محاسنه، طالباً عطفه ورفده.

ومن الملاحظ أن شاعرنا بنى معشراته على الطريقة الألفبائية المغربية[6] وأثراها بالمعاني المذكورة حسبما يأتي بيانه في الأشكال.

أما العشرينيات فقد خصّ فيها كلّ حرف من حروف الألفبائية المغربية والأندلسية بعشرين بيتاً، إلا أنه مع وفائه لتلك المعاني أضاف إليها الحديث عن جوانب من سيرة الرسول ﷺ وغزواته وسراياه، وسمّاها «الوسيلة الكبرى المرجوُّ نفعها في الدنيا والأخرى»

فقد أهدى عمله الشعري في هذه العشرينيات، أو في هذه «الوسيلة الكبرى» كما يتضح من جملة النص المحقق إلى سيّد الخلق سيدنا محمدﷺ،[7]:

(1) الإحاطة 4: 416 . الأدب الأندلسي لمارياجنيوس136.

(2) م. ن نصوص جديدة لم تنشر تحق عبد السلام شقور : 252.

(3) م. ن 4: 128.

(4) م. ن 518:3 آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي.

(5) م. ن 418:2.

(6) نظام ـ الألفبائية ـ المغربية ـ والأندلسية ـ على وفق هذا الترتيب:
أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ک، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، ه، و، لا، ي،

(7) راجع النص (97).

إلى المصطفى أهديت غُرّ ثنائي   فيا طيب إهدائي وحسن هدائي

وأشار بعد ذلك إلى غرضه من إنشائها، فأبان أنها أبدعت لإجلاء ما تحلّى به عليه الصلاة والسلام من مفاخر وكمالات، وما عرفه له التاريخ من خلق وخلق تامين، وما شهده من شرف غزواته وسراياه ومراحمه:

أكاليل من مدح النبي محمد   بها حازت الآداب كلّ بهاء

أضفت إلى ميلاده غزواته   وربي كريم لا يضيع رجائي

أردت رضا ربي بها فهو أرتجي   وربي كريم لا يضيع رجائي

أحق البرايا بالثناء مضاعفاً   نبي له في الوحي كل ثناء

ثم خلص في الأبيات بعدها من هذا الحرف إلى التنويه ببعض أوصافه، ﷺ، فذكر إمامته للرسل الكرام، وأمانته على الوحي الإلهي، وإشراق الدنيا بطلعته ونوره، ولفت أتباعه إلى عظيم حقه عليهم، وهذا المعنى كثير الدوران في بقية أبيات العشرينيات الأخرى بحسب حروفها، فنراه يجيل أبياتها على هذه المعاني الدينية وأمثالها وهي كما في أصل المخطوطة دلائله قبل الولادة والبشارة، وفي انشقاق القمر والإسراء وجفاء قريش، وفي هجرته إلى المدينة ومؤاخاته بين أصحابه، وفي غزوة «الأبواء» و«بدر الأولى» و«غزوة بني سليم» و«بني نجران» و«بني قينقاع» وغزوة «أحد» وغيرها من الغزوات كما يظهر في تحقيق النصّ كما تضمنت المطوّلة معجزاته ووفاته عليه السلام.

ومزية النصّ «الوسيلة الكبرى» لا يكمن من حيث المضمون فيما نظمه الشاعر من تلك المعاني والأحداث فحسب، وإنما يبدو فيما عكسه من الأحوال النفسية لمبدعه، فقد أظهره شاعراً مغرماً بحبّ النبي وذكره، هائماً متفانياً بآثاره وأخباره وأحاديثه:

ثنائي عليه طاعة وعبادة   فعن كلّ فن من معاليه أبحث

ثلاث أمان لي زيارة قبره   ورؤياه في نومي وفي يوم أبعث

ويقول في حرف الجيم:

جدير بمدح المادحين محمد   ولِلّه إلجامي بذاك وإسراجي

جعلت على نفسي وظائف مدحه فزكيت أشعاري بهن وإهزاجي

ويقول في حرف الطاء:

طمحت بآدبي إلى مدح أحمد فاسمعته شدواً وأثنيته خطا

والوسيلة الكبرى ترينا مالكاً شديد الشوق إلى ديار الرسول، والتعلق بمشخصاته، والمواضع التي وطئتها قدماه، وحظيت من ذاته الكريمة بالحلول والنزول، يقول في حرف الثاء:

ثرى أرضه طيب ويا ليت أنني أعفّر خدي في ثراها وأمغث

ثراء عظيم أن أعُدَّ على الثرى ليالي دمع من جفوني تنيث

ويقول في حرف الحاء منها:

حداة المطايا إن عسفان منزل تأرّج من طيب النبي وفاحا

حلالي ورد في قديد فأوردوا ولا تتركوا ماء هناك أقاحا

حنين إلى تلك المعاهد كلِّها يحول بقلبي بينهن مراحا

ويقول في المعنى نفسه ضمن حرف الصاد:

صفوا لي أوطان الأحبة أبردوا حشاي بعتبٍ إن تمكن أومصَّا

صديت وفي وادي العقيق لبانتي فما غيره يقضي صداي فيستقصى

ومن ذلك قوله في حرف الضاد:

ضعوني على أرض مشى في عراصها لعلي على ترب اللطيمة قابض

ضرام اشتياق في الفؤاد محرّك وصرف زمان للجناحين هائض

وابن المرحَّل كثير الإجالة لهذا المعنى الذي يجلو شفافية روحه، وصوفيته وصفاءه، ويرسم بوضوح غرامه الغريم بالرسول ومنازله، يكفي أن نورد من ذلك قوله في حرف الغين:

غفرت ذنوب الدهر إن زرت طيبة وعفرت خدّي في ثراها ممرغا

غرامي شديد واشتياقي مبرح فياليتني أعطى السبيل فأبلغا

وقوله في حرف الواو مظهراً رغبته في الزيارة:

وددت ولـو أحـبـى بـمـا قـد وددتـه   أتـيـت إلـى قـبـر الـرسـول ولـو حَـبْـوَا

بل جعل غاية أمانيه أن يكحل ناظريه بمرأى طيبة، التي يحركه إليها حنين العشّاق الصادقين، وبرق الحجاز كلّما لاح له:

يـقـرّ بـعـيـنـي أن أرى أرض طـيـبـة   وذلـك أقـصـى مـا أحـبُّ مـن الـدنـيـا

يـجـنُّ فـؤادي كـلّـمـا حـنَّ راكـب   فـفـاحـت عـلـى أزراره تـلـكـم الـريّـا

يـحـركـنـي بـرق الـحـجـاز إذا سـرى   فـأدعـو لأوطـان الأحـبّـة بـالـسـقـيـا

وقد تقدّم في الترجمة أن الشاعر لم تكتب له رغم هذا الشوق والتوق ـ الرحلة إلى خارج العدوتين الأندلس والمغرب، مما أضرم في طواياه نار الحنين إلى ديار الرسول البعيدة النائية عن دياره، وقد أبدى في مواضع مختلفة من الوسيلة اعتذاره عن عدم القيام بالحج، وقصد الحجاز في عبرات تنضح بالخضوع ولوم الزمان، والتعلّل بالشواغل والموانع، مثل قوله في حرف الزاي:

زيـارتـهـا حـقٌّ ولـكـنْ تـعـذّرت   عـلـيـنـا بـأسـبـاب حـجـزنـا بـهـا حـجـزا

زمـان مـضـى لـم نـقـضِ مـنـه لـبـانـة   سـوى أنـه يـعـدو ويـحـفـزنـا حـفـزا

يماثله في حرف الصاد قوله ـ:

صـدعـتُ بـحـبـي مـن بـلاد بـعـيـدة   ورفـرفـت فـي وكـري وريـشـي ذو قـص

وقوله في حرف القاف:

قـوادم تـتـلـوهـا خـوافٍ بـهـيـظـة   يـحـركـهـا بـيـن الـضـلـوع الـتـشـوّق

وتجلو لنا بعض أبيات هذه الوسيلة بعد ذلك أنه بباعث من هذا الإحباط من الزمان، أو من التقصير الذي أحسّه من نفسه ـ قد لاذ بهذه الأمداح النبوية في هذا العمل من العشرينيات أو في غيره، حيث أفرغ مواجده، وسكب عبراته، ورجا بإبداعها التكفير عن سابق ذنوبه وخطاياه، نجتزىء في الدلالة على ما ذكرناه بهذه الأبيات الأربعة في حرف الباء:

بـردت بـهـا قـلـبـاً تـفـور ضـلـوعـه   وعـزّزتـهـا بـالـدمـع سـكـبـاً عـلـى سـكـب

بـداراً إلـى تـخـفـيـف ذنـب حـمـلـتـه   لـعـل إلـهـي أن يـخـفـف مـن ذنـبـي
بـبـوحـي لـه اسـتـشـفـعـت ثـم مـحـبـتـي   أمـالـي فـي مـدحـي شـفـيـع وفـي حـبـي
بـلـى إن فـي مـدح الـنـبـي وسـيـلـة   وفـي حبّه أخرى فحسبي بهـا حسبي

وقد لاحظ أستاذنا الدكتور عباس الجراري أن ابن المرحَّل تأثر في الوسيلة الكبرى بأحد معاصريه من أعلام القرن السابع وهو ابن رشيد البغدادي، الذي أقام في المغرب وعرف بوترياته التي هي «عبارة عن تسع وعشرين قصيدة على عدد حروف المعجم، في كل قصيدة واحد وعشرون بيتاً[1]». وعلى الرغم من هذا التأثر، فإن عشرينيات شاعرنا أبرزته أديباً قادراً على المجاراة، مالكاً لأزمة اللغة ومائية الشعر، فقد قرّر بعض النقاد القدامى ومنهم لسان الدين بن الخطيب أن رونق الشعر يقلُّ في تناول الأغراض الدينية[2]، ولكن ابن المرحَّل استطاع بقدرته العجيبة أن يوفّر من هذا الرونق شيئاً غير قليل، وقد تباهى في هذه المطوّلة الدينية بهذا التوفيق بقوله:

جلوت الـمـعـانـي فـي الـقـوافـي كـأنـهـا   دراريُّ لاحـــت فـــي مـــطـــالـــع أبـــراج
جـــوارٍ عـــلـــيـــهـــا بـــزّة عـــربـــيّـــة   يـقـصّـر عـنـهـا كـلُّ وشـي وديـبـاج
جـمـعـت لـكـم فـيـهـا عـيـون حـديـثـه   وأدمـجـتـهـا فـي الـنـظـم أعـجـب إدمـاج

وقوله:

كتاب بمدح المصطفى فُضَّ عن مسك   فـلـلّـه مـن صـك تـنـفـس عـن سـك
كـــمـــائـــم أزهـــار وأصـــداف لـــؤلـــؤ   ومـعـدن تِبْرٍ لـيـس يـنـقـص بـالـسـبـك

ويبدو أن لابن المرحَّل أعمالاً عشرينية أخرى مشابهة غير التي وصلتنا، ذلك أننا عثرنا على أربعة أبيات من حرف الجيم يمثلها النص (91) المثبت في التحقيق، وقد انبنت أبياته على نسق هيكلية الوسيلة، ولكنّه ليس من أبياتها لاكتمال عدد أبيات الحرف فيها، وهو ما يدلنا على أنه مقطع من نص عشريني مفقود.

---

(1) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه: 154, 155.

(2) راجع كتابنا فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب.

الشعر المعرفي والتعليمي:

لقد عني مالك بن المرحَّل بهذا اللون من الشعر بل من النظم المعرفي والتعليمي، الذي يراد به عند الإطلاق نظم العلوم والفنون المعرفية المختلفة في قوالب موزونة مقفاة، تعرض فيها الحقائق في تقص وسهولة ووضوح ليسهل حفظها، ويبدو أن هذا اللون غلب في زمن الشاعر، وانتشر في العدوتين إلى أن عُدّ عنوان القدرة والبراعة، ومجلى لكمال المعرفة وأصالة الشاعرية، فاهتم به أمثال ابن معط، وابن مالك، وحازم القرطاجني، وعبد العزيز الملزوزي، وأبي القاسم بن فيره الرعيني وغيرهم، وقد عالج مالك هذا النظم المعرفي، وتفوّق فيه على الكثير من معاصريه بما برز به في الإحاطة بالحقائق والدقائق العلمية التي استطاع عرضها في قوالب سهلة، بل سخّر قريحته الخصيبة في مضماره حتى طغى على شعره الذي لم يصلنا منه إلا القليل.

فقد ذكر الذين ترجموه أنه كان متوفراً على نظم العديد من العلوم والفنون وكتبها التي كانت تدرس في الأندلس والمغرب، كثير النتاج في ذلك، قال ابن الخطيب من هذا النظم «أرجوزته المسمّاة سلك المنخل لمالك بن المرحَّل، نظم فيها منخل أبي القاسم بن المغربي والقصيدة الطويلة المسمّاة بالواضحة، والأرجوزة المسمّاة «اللؤلؤ والمرجان» والموطأة لمالك، والأرجوزة في العروض»[1].

كذلك ذكر محمد بن الطيب الشرقي في آخر كتابه المسمّى «موطأة النصيح لموطأة الفصيح» زيادة على ما ذكر ابن الخطيب «القصيدة الطويلة المسمّاة بالتبيين والتبصير في نظم التيسير، عارض بها الشاطبية وزناً وقافية[2]». وقال «من كتبه نظم غريب القرآن لابن عزيز، ونظم اختصار إصلاح المنطق لابن العربي، والثلث من آداب الكتّاب[3] بعد ترتيبه، وكتاب الحلى، ورتب الأمثال لأبي عبيد على حروف المعجم[4].

---

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة 3 :306-307.

(2) نقلاً عن كتاب الأعلام للزركلي 5 :263.

(3) النبوغ المغربي في الأدب العربي 1 :219.

(4) م. ن.

وقد اختلفت كلمة الدارسين حول قيمة هذا النظم فعدّه بعضهم مظهراً من مظاهر إبداع الأديب والشاعر وتفوقه، وعدّه آخرون غير ذلك لأنه لا يبين عن شاعرية، فمن الفريق الأول يطالعنا الأستاذ عبد الله كنون بقوله: «وآية ذلك النظم فصيح ثعلب الذي بأيدينا، فإنه من السهل الممتنع لا تكاد تعثر فيه على لفظة زائدة، ولا تكميل للبيت كما يقولون ـ ليس له معنى ولا ما أشبه ذلك، مع ما ضمّنه من شرح الكلم الغريب وتفسير المعاني المشتبهة، وجمع النظائر، فجاء أحسن من الأصل وأفيد[1]».

وقرّر الأستاذ هلال ناجي أن ابن المرحَّل « يُعد رائداً من رواد الشعر التعليمي، وإماماً من أئمته، وقائمة آثاره التي تقدّم ذكرها تشهد بذلك»[2].

أما الأستاذان محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي فإنهما يريان غير هذا الرأي، ويذهبان إلى خلاف هذا المذهب تجاه عناية ابن المرحَّل بهذا النظم المعرفي والتعليمي، حيث يقرران بإطلاق ضعف هذا اللون الذي لا يظهر ـ حسب رأيهما ـ إلا في عصور الانحدار حيث قالا «وابن المرحَّل كان إلى جانب كونه شاعراً من الدرجة الأولى مشاركاً في علوم شتى وقد استغل قدرته على النظم في نظم كثير من العلوم التي لا تهمنا بقدر ما تطلعنا على مرحلة الشيخوخة في التأليف، تلك المرحلة التي تنتهي إلى نظم العلوم[3]».

ومهما اختلفت الكلمة حول هذا النظم وقيمته وجدواه، فإن الذي ينبغي التسليم به أنه كان كما ذكرنا مظهراً من مظاهر طبائع الأدب، واهتمامات بعض الأدباء في تلك العصور، ومن المقاييس التي كانت تقاس بها مواهب المبدعين وقرائحهم، كما أنه دالٌ من ناحية أخرى على إلمام ابن المرحَّل بمعارف عصره وثقافته المتمثلة في العلوم الشرعية الإسلامية، والعلوم العربية بألوانها المختلفة، وما من شكٍّ في أنه قد جوَّد في نظم تلك المعارف والعلوم بفضل قدرته ومساعفة قريحته، فقد سلّم له النقاد القدامى والمحدثون بالتفوق فيها بما أدخلته شاعريته

(1) ذكريات مشاهير المغرب مالك بن المرحل: 9.

(2) مجلة المورد «المعشرات اللزومية» العدد 4 المجلد 4-1401-1981م.

(3) الأدب المغربي 207

برفيفها على هذا النظم الذي يتّسم في الكثير من نصوصه بالتطليس والإغراب من أنساقَ لا تستروح إلا في مثل إبداعه، قال الشيخ عبد القادر بن عبد الرحمن السلوي: «وله نظم الفصيح لثعلب في اللغة أجاد فيه ما شاء[1]».

ولا نريد الإطالة في هذا اللون من النظم التعليمي فالكثير من نماذجه التي نظمها شاعرنا صار كما ذكر الدارسون ـ مفقوداً، وحتى إن وصلنا كاملاً فإنه لا يدلّنا إلا على مجرد حسنة أسلوبه في نقل الجانب المعرفي، وطريقته الأسلوبية في عرض حقائق العلوم التي تناولها، لذلك نكتفي في هذا المقام من أنماط هذا النظم الدّال على سيولة شاعريته فيه بهذه المقاطع القليلة من نظمه «فصيح ثعلب» والذي قام بشرحه، كما شرحه بعده آخرون منهم[2]: محمد بن الطيب الشرقي في عمله الذي سمّاه «موطئة النصيح لموطأة الفصيح». وقد بلغت أبيات هذه الموطأة التي حققناها في الباب الأخير واحداً وأربعين وثلاثمائة وألف (1341) بيتاً، بدأها بقوله:

حمد الإله واجب لذاته ... وشكره على علا هباته

نحمده سبحانه ونشكره ... ومن ذنوب سلفت نستغفره

ثم نوالي أفضل الصلاة ... على الرسول الطاهر الصفات

محمد ذي الكلم الفصيح ... والفضل والتقديس والتسبيح

صلّى عليه ربنا وسلّما ... كما هدى بنوره وسلّما

وخلص بعد ذلك إلى بيان الغرض من هذا النظم فقال:

وبعد هذا فجرى في خاطري ... من غير ندب نادب أو آمر

أن أنظم الفصيح في سلوك ... من رجز مهذّب مسبوك

وبعض ما لا بدَّ من تفسيره ... وشرحه والقول في تقديره

من غير أن أعدو ذاك المعنى ... واللفظ فيه لاضطرار عنَّا

---

(1) إدراك الأماني من كتاب الأغاني: 23 60-61.

(2) توجد هذه النسخة مخطوطة في مكتبة خير الدين الزركلي: راجع الأعلام 7: 201. ود. عبد العلي الود غيري «ابن الطيب الشرقي».

فالمرء قد تنتابه الضرور فتصبح النفس بها مقهور
رجوت فيه من إلهي الأجرا والذكر في عباده والشكرا

وبعد أن وضّح منهاجه في النظم، شرع في عرض الحقائق والدقائق اللغوية التي أثبتها ثعلب متتبعاً فصولها فصلاً فصلاً، ومادة مادة دون إخلال أو تقصير، ومن نماذج نظمه الدالّة على ذلك قوله في باب «فعلت»:

ورعدت سماؤنا وبرقت كأنها قد بسمت ونطقت
كذلك الإنسان في الوعيد وفي المخيف منه والتهديد
وقد يقال في الوعيد أرعدا وأبرق الإنسان إن تهددَا
قال الكميت بعد كسر السجن وهرب صار به في أمن
أبرق وأرعد يا يزيد إنني ليس الوعيد ضائري فأمعن
هذا يزيد وأبوه يُشهر بخالد القسري ليس ينكر

وهكذا تمضي هذه المنظومة في نظم الحقائق اللغوية كما جمعها ثعلب إلى أن تنتهي في آخر مقاطعها إلى «باب في الفرق» فتورد أمثلة مختلفة فارقة فيما يصلح لشيء لا يصلح لغيره مثل الشفة الخاصة بالإنسان، والمشافر الخاصة بالبعران، والجحفلة التي لا تصلح إلا للحمار والبغل، والزيار للجواد وغير ذلك مما يناسب غيره من الحيوان:

تقول تلك شفة الإنسان وهذه مشافر البعران
وحبست جحفلة الحمار والبغل والجواد بالزيار
وفي ذوات الظلف قل مقمه للشاة والمعز وقل مرقه
ومثلها فنطيسة الخنزير فافهم كلامي واستمع تحبيري
والخطم والخرطوم للسباع إن كلام العرب ذو اتساع

يقول الأستاذ عبد الله كنون معقباً على بعض أبيات هذه الموطأة: «وهكذا يمضي مسترسل النفس، ناظماً زهاء 1300 بيت، فلا ينقطع ولا ينبهر، ويكون نظمه مع ذلك إنما هو خاطر يخطر (من غير رأيٍ نادب أو آمر) فما أحسن الصدق،

وعدم التكلّف»[1].

ومن نماذج هذا النظم قصيذته المطوّلة التي أوردها أحمد بن القاضي في جذوته، والتي جعل موضوعها توثيق عقد نكاح أبي الوفاء بن محمد بن العباس العزفي الذي شهده ـ كما ذكرنا في مدينة سبتة سنة (658هـ/ 1259م) وضمّنته الشرائط المرعيّة في توثيق عقود النكاح من حمد وصلاة على الرسول ﷺ، وعرض وقبول، وذكر الصداق المعجّل والمؤجّل، وأسماء الوليين والشهود والدعاء والتاريخ.

وهذا النظم ضرب نادر ليس في إطار المنظومات في الغرب الإسلامي فحسب، بل في منظومات التراث العربي بعامة، وغاية ما يحمد لأديبنا مالك بن المرحَّل في هذه المنظومة النادرة أنه أظهر قدرة فائقة في إيراد تلك المعاني أو الشرائط مجتمعة ضمن قصيدة منظومة على وزن واحد وقافية رائية واحدة في أبيات تعدُّ أكثر من خمسة وثمانين بيتاً، فيها مع طول نفس الشاعر تدفق ألفاظه وانسيابها، ولقد أصاب الأستاذ محمد بن تاويت في حكمه على مثل هذا النظم الذي أبدعه ابن المرحل حيث قال «فنظمه للعلوم نجده مشرقاً على غير ما نجده عليه عند الناظمين فيها، بل إننا نجده يعقد صداقاً يشهره بذلك الإشراق[2]».

---

(1) عبد الله كنون «ذكريات مشاهير رجال المغرب مالك بن المرحل» :11.

(2) الوافي بالأدب العربي في المغرب 1 :343.

المبحث الثاني

(الأشكال)

يُراد بالأشكال في فنون المنثور والمنظوم ـ كما هو معلوم ـ القوالب أو الأطر اللغوية والبلاغية والموسيقية التي يختارها الأديب ليفرغ فيها مضامينه وأغراضه، وهي دائماً موضع عناية وتأنّق من المبدع لأن المعنى البديع حقّه المجلى الرفيع، وهذا ما أكّده نقد النقدة القدامى والمحدثين[1].

لذلك فإننا سنتناول بالدرس في هذا المبحث الأشكال في آثار مالك بن المرحّل من خلال ثلاثة محاور أو بنيات هي:

أ ـ البنية الموسيقية.

ب ـ البنية اللغوية.

ج ـ البنية البلاغية.

لنرى من تحليلها ودراستها مدى صناعته في الأشكال كما رأينا طبائع أعماله في المضامين.

١ ـ البنية الموسيقية:

تتكوّن البنية الموسيقية في أشعاره وفي أشعار أمثاله من الشعراء من الموسيقا الخارجية التي تشكلّها الأوزان العروضية والقوافي، ومن الموسيقا الداخلية التي تسهم في تشكيلها عدّة عناصر منها الألفاظ والحروف والتراكيب اللغوية والبلاغية.

---

(1) راجع د. بدوي طبانه «قضايا النقد د. محمد زغلول سلام» «قضايا النقد» «د. أحمد بدوي» «أسس النقد الأدبي عند العرب».

سندرس في البداية الموسيقا الخارجية في النصوص التي بين أيدينا من خلال مظهرين:

أ ـ مظهر الهيكلية.

ب ـ مظهر الأوزان والقوافي.

ثم ندرس بعد ذلك الموسيقا الداخلية في تلك النصوص من خلال بعض العناصر المكوّنة لها.

أ ـ مظهر الهيكلية:

تدلُّ القرائن المتوفرة من نتاج قريحة مالك بن المرحَّل في المنظوم على أنه أسهم بفنّه في الهيكلية الشعرية الخليليّة التقليديّة المتمثلة في البيت المفرد وفي النتف والمقطعات والقصائد القصيرة والمطولة، كما أسهم في صناعة الفنون المستحدثة مثل الموشحات والدوبيت وربما في غيرهما من ألوان هذه الفنون المستحدثة[1].

فمن أمثلة ما وصلنا فيما حققناه من أبياته المفردة ضمن الهيكلية الخليلية التقليدية بيته المطرب المشهور الذي تغنّى فيه بـ «سبتة» والتي عدّها فيه أخية مكة والمدينة المنوّرة معبراً به عن حب أهل سبتة لوطنهم:

سلام على سبتة المغرب   أخيّة مكة أو يثرب

وإن كان هذا البيت ـ على الراجح ـ مطلع قصيدة أثبتها ابن القاضي في كتابه: «المنتقى المقصور» ثم ضاعت القصيدة من كتابه ومن غيره من المصادر ولم يصلنا منها إلا هذا البيت وصدر البيت الذي يليه حسبما تقدّم. ومن أبياته المفردة قوله يفخر بنفسه، ويعتد بمواهبه:

وما أنا إلا عالم كلّ عالم   ففي الشعر حسان وفي الفقه مالك

ومنها قوله في غرض الغزل والنسيب:

(1) الفنون المستحدثة هي: الموشح، الكان كان، المواليا الدوبيت والسلسلة والزجل والقوما راجع «سفينة الشعراء» و«النقد الحديث» للدكتور محمد غنيمي هلال.

ترفّق أيُّها الحادي بعشّاق نشاوى قد تعاطوا كأس أشواق

وقوله فيه:

الشوق أسَال دمعي يا ليت مُعذبي معي

ومما ورد في المقطعات الثنائية قوله في الوصف، ليكتب على حمّالة سيف:

حمّالة كرياض جاورت نهراً فأنبتت شجراً راقت أزاهرها

كحيّة الماء عامت فيه وانصرفت فغاب أولها فيه وآخرها

وربما نظر إلى هذا المعنى الطريف أحمد بن عبد الحق الغرناطي المتوفى سنة (765هـ/ 1363م) حيث يقول[1]:

ومقارب الشطين أحكم صقله كالمشرفي إذا اكتسى بفرنده

فحمائل الديباج منه خمائل ومعانق فيها البهار بورده

وقد اختفى طرف له في دوحة كالسيف رد ذبابه في غمده

ومن قول ابن المرحّل في الثنائيات، يصف حاله وقد بلغ الثمانين:

يا أيها الشيخ الذي عمره قد زاد عشراً بعد سبعينا

سكرت من أكؤس خمر الصبا فحدّك الدهر ثمانينا

ومن الثلاثيات قوله في الخضاب المموّه:

سترت مشيبي بالخضاب تعلّلا فلم يخطني شيب وراب خضابي

كأني وقد زوّرت لوناً على الصبا أعنون طرساً ليس فيه كتاب

غراب خضاب لم يقف من حذاره وأغرب شيء في الحذار غراب

ومن أمثلة الهيكلية الثلاثية في بنائه الشعري قوله في الكبرة يصوّر ضعفه وقد أسنّ:

يا من لشيخ قد أسَنَّ وقد عفا مذ جاوز السبعين أضحى مدنفا

خانته بعد وفائها أعضاؤه فغدا قعيداً لا يطيق تصرّفا

(1) الإحاطة 1: 182.

هرماً غريباً ما لديه مؤانس   إلا حديث محمد والمصطفى

وقد عمد ابن المرحل إلى استعمال هذه المقطعات في المعاني المحدودة المكثفة، التي يقصد فيها الإيجاز على نحو ما مرّ من الفخر أو الوصف الذي لا يقتضي الإطالة.

وقد يوظف هذه المقطعات أيضاً إلى إجلاء معنى من المعاني الإنسانية والخلقية الدالّة على التأمل والنظر أو سوق الحكمة وضرب المثل كقوله وما أروع ما قال:

أبت همتي أن يراني امرؤ   على الدهر يوماً له ذا خضوع
وما ذالك إلا لأني اتقيت   بعزِّ القناعة ذلّ الخضوع

أو قوله في تقرير حقيقة ميل الفؤاد إلى جهة معينة وهو الذي وصفه لسان الدين بن الخطيب بأنه من «البديع المخترع»[1]:

لا بد من ميل إلى جهة فلا   تنكر على الرجل الكريم مميلا
إن الفؤاد وإن توسط في الحشا   ليميل في جهة الشمال قليلا

أو قوله في انتقاد بعض طلبة العلم الذين تغلب عليهم في بعض الأحيان الجهالة والشقوة فيجنحون إلى العناد:

أرى المتعلمين عليك أعدى   إذا أعلمتهم من كلِّ عاد
فما عند الصغير سوى عقوق   ولا عند الكبير سوى عناد

وشبيه بهذا التأمل كلمته في بيان قيمة ذي الجاه عند الناس، وكيف ينظرون إليه ويزنونه:

يضع الناس صاحب الجاه فيهم   كل يوم في كفة الميزان
إن رأوه يوماً ترجّح وزناً   ضا عفوا البر فهو ذو رجحان

كذلك نجد من هيكلية النصوص المنظومة في آثاره القصائد الآخذة بخصائص

(1) الإحاطة 3: 316.

عمود الشعر العربي، وبين أيدينا منها مما جمعناه أكثر من عشر قصائد، عرضنا لطائفة منها في أثناء درسنا طبائع المضامين في الشعر الوصفي، والشعر النفسي والمعرفي، وما من شك في أن لابن المرحّل ـ الذي تفرّغ لنظم الشعر خلال رحلة حياته الطويلة ـ قصائد كثيرة أخرى في أغراض مختلفة، قالها في مناسبات متعدّدة خاصة وعامة، وما من شك أيضاً في أنه راعى في تلك القصائد الضائعة والموجودة مقتضيات عمود الشعر العربي من جهة الفواتح وحسن التخلص وتوفية المعاني والتدفّق والعناية بالتصوير والتخيل وإقامة الوزن، واختيار القافية على نحو ما يأتي بيانه في البنيات الموسيقية واللغوية والبلاغية، فهو يعنى بفواتح هذه القصائد فيختار المطالع الشائعة المطربة نحو قوله في غرض الغزل:

دنفٌ تستَّر بالغرام طويلاً   حتى تغيّر رقة ونحولا

وقوله:

هو الحبيب قضى بالجور أم عدلا   لبّى الخيار وأما في هواه فلا

أو قوله في مدح الرسول ﷺ:

إلى المصطفى أهديت غر ثنائي   فيا طيب إهدائي وحسن هدائي

أو قوله في مدح الأمير أبي مالك عبد الواحد بمناسبة فتح «مراكش»:

فتح تبسّمت الأكوان عنه فما   رأيت أملح منه مبسماً وفما

ومن مطالعه المطربة ما قاله في تشوّقه إلى بيت اللّه الحرام:

شوق كما رفعت نار على علم   تشبُّ بين فروع الضال والسلم

أو فاتحة قصيدته المشهورة التي قالها في النجدة والاستنفار والفخر:

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي   أنّا أجبنا صرخة المستنجد

وقد ذكر النقدة في القديم ممن اطلع شاعرنا على نقداتهم وأحكامهم ما يجب على من يروم إنشاء الشعر من مراعاته من حيث المعاني والمباني مثل قول ابن رشيق القيرواني في وجوب مراعاة حَدٍّ وبناء القصيدة وموافقتها لأغراضها[1].

(1) العمدة: 118-135.

وقد راعى ابن المرحل في بناء قصائده الكثير من هذه الشرائط والمواضعات النقدية، مع ما أثراها به من سيولة الألفاظ وجزالتها.

والأخيلة التفسيرية التي ألمَّ خلالها بالتحاسين البلاغية المتجليّة في التصوير البياني والتصوير البديعي.

كذلك نجد من هيكلية أشعاره «المخمسات» التي بناها على خمسة أشطار عمد فيها إلى ابتداء كلِّ مخمسة منها بحرف من الحروف الألفبائية على الترتيب المشرقي فبدأ بدأة ذي بدء بالألف، وانتهى بالياء، وقد التزم الحرف نفسه روياً في الأشطار الثلاثة من كلِّ قسم، ومتقيداً بحرف الميم في الشطرين الأخيرين الباقيين، جاعلاً عبارة «صلّوا عليه وسلّموا تسليما» خاتمة متكرّرة لسائر الأقسمة في التخميس.

وابن المرحل في مخمساته هذه ذات اللازمة «صلّوا عليه وسلّموا تسليما» يتّبع تياراً أدبياً أندلسياً كان سائداً في عصره وقبله، من شعرائه: ابن الجنّان المرسي، وابن سهل الأندلسي، وابن الصبّاغ الأندلسي الجذامي[1].

ونكتفي للتمثيل من تخميسه الذي تبع فيه ذلك التيار بقوله في حرف الألف مادحاً رسول الله ﷺ:

(ألف) أجل الأنبياء نبيء ... بضيائه شمس النهار تضيء

وبه يؤمل محسن ومسيء ... فضلاً من الرَّب العظيم عظيما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وقوله في حرف الباء بعده:

(باء) بدا في أفق مكة كوكبا ... ثم اعتلى فخلا سناه الغيهبا

حتى أنار الدهر منه وأخصبا ... إذ كان فيض الخير منه عميما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

---

(1) ديوان ابن الصبّاغ الجذامي 1 :25.

وهكذا يمضي هذا التخميس إلى أن يصل بالحروف إلى حرف (الياء).

وقد أورد أحمد المقري في كتابيه «أزهار الرياض» و«نفح الطيب» جملة من هذه المخمّسات التي أنشاها الأندلسيون والمغاربة في مدح الرسول الكريم، وأورد فيها تخميس مالك بن المرحل وعدّه «من غرر القصائد»[1]. وقد سمّى الأستاذ محمد العلمي حمدان هذه التخميس موشحاً وهو كما رأيت ليس على شروط الموشّح ومعماريته المعروفة.

كما نطالع من حيث الهيكلية التركيبية التي بنى عليها إبداعه بعض الأعمال المطوّلة الأخرى التي تختلف في نسقها عن تلك المقطعات والمخمّسات والقصائد غير المشروطة بشيء الإشراط الكمِّ، أعني إبداعاته التي اشتهر بها وجارى فيها معاصريه وسابقيه المسمّاة «المعشرات» و«العشرينيات».

ومجمل القول في «المعشرات» - كما تقدّم - أنها ضرب من التجديد في القالب الشعري، مبني على عشرة أبيات وبذلك سمّيت، يوظفها الشاعر للحديث عن غرض من الأغراض بحيث تكون متّحدة في وزنها وقافيتها المشتركة مع حرف أول الصدور، وهو - كما لا يخفى - ضرب من ضروب «الإعنات» أو لزوم مالا يلزم.

وقد ظهر هذا الشكل المجدّد - كما قرّر بعضُ الباحثين في الغرب الإسلامي مثل فن الموشحات قبل المائة الخامسة[2] أي قبل مائتي سنة من وفاة شاعرنا أديب العدوتين مالك بن المرحَّل، وذكر أن أبا الحسن علياً الحصري الضرير كان الرائد في ابتداع هذا اللون، وأنه نظم فيه عملاً تاماً في غرض استوفى فيه الأحرف الألفبائية كاملة، ثم نحا نحوه من عاصره ومن جاء بعده في صناعة هذا اللون أو الهيكلية من شعراء الغرب الإسلامي مثل الكلاعي وابن الغماد والبطليوسي[3]، ثم اتسعت شهرة هذه المعشرات التجديدية فعالجها العديد من الشعراء مثل أبي زيد

(1) نفح الطيب 10: 305-307.

(2) راجع مصطفى عوض كريم «فن التوشيح».

(3) أبو الحسن القيرواني 206.

الفازازي ومحيي الدين بن العربي وابراهيم بن أبي بكر التلمساني الوقشي[1]، كما شملت أغراضاً جديدة بالإضافة إلى الأمداح النبوية مثل الزهد والتشبيب وغيرهما فقد ذكر أنه كانت لكلٍّ من عبد الله بن السِّيد البطليوسي، وأحمد الأقليشي الزاهد معشرات في الزهد، كما نظم أبو بكر العبدري معشرات في الغزل كفّرها بعد ذلك بأشباهها في الزهد، ثم قام على شرحها في سفر كبير[2].

ويبدو أن هذه المعشّرات المعتبرة منذ القرن الخامس عصر علي الحصري القيرواني إلى القرن السابع عصر أديب العدوتين - مظهراً من مظاهر البراعة والتجديد لدى الشعراء المغاربة والأندلسيين قد راق لابن المرحل فنظم بعض المعشرات التي لم نطلع منها إلا على ما قاله فيها في غرض المديح النبوي.

ومن الانطباعات على إبداعه في هذه المعشرات أنه لم يأخذ في بنائها بالمسلك السهل، بل أخذ فيها بشيء من التصعيب والتعمّل الدّالين على امتلاكه أزمّة اللغة وحسن التصرف فيها.

فقد بنيت هذه المعشرات على ما بنيت عليه سائر المعشّرات في الأخذ بالكمّ المطلوب في الأبيات «عشرة أبيات» ولكن مظهر التعمل تجلّى في «الإعنات» أو بعبارة أخرى في أنه التزم فيها - مثل البطليوسي - لزوم ما لايلزم، على نحو ما نلمسه في هذه المعشّرة التي تقيّد فيها والتزم بحرف «الميم ثانياً في أول كلّ كلمة من صدور الأبيات، وحرفاً ثانياً قبل حرف الروِّي»:

أمالي إلى قبر النبي مبلغ	سلاماً فقد أفنى الزمان ذمائي
أمانة مشتاق حمى الدمع جفنه	فماطاف طيف النوم خوف حمائي
أماني كانت لي زيارة قبره	وأرضى بروض يانع وسمائي
أمال قناتي بعد حسن اعتدالها	زمان أراني النقص بعد نمائي
أمات قوى الأعضاء إلا أقلها	وأعطش روضي حين أنضب مائي

(1) ديوان ابن الصباغ الجذامي 1 :68, 69.

(2) أبو الحسن القيرواني 206, 207.

ثم يسترسل بعد ذلك في نظم خمسة أبيات أخرى مكمّلة على ذلك الشرط، تتلوها معشرة أخرى وهكذا حسبما يتضح في النص المحقّق رقم (104).

قال الأستاذ عبد الله كنون ـ في التعقيب على هذه المعشّرة: «وهذا الالتزام تبعه في كلِّ قصائد المعشرات، فمثلاً حرف الباء التزم فيه الراء بعد الباء أولاً، وقبل حرف الروي ثانياً، وهكذا بقية الحروف إلى النهاية[1]». ورأى مع تسليمه بالتعمّل الظاهر فيها، وهو ما أشرنا إليه بـ «الإعنات». أن هذه الطريقة مبينة عن ملكة الشاعر دالّة «على شدّة عارضته، ومتانة أسره»[2]. وقال الأستاذ هلال ناجي مؤكداً المعنى نفسه: «فالمعشرات فن له أصوله وقواعده، ولكن ابن المرحَّل أسرف في صنعته اللفظية مدلّلاً على قدرته اللغوية، ومكنته في تطويع الألفاظ»[3].

ولم يقف ابن المرحل في هذا التجديد الشكلي المبني على الإعنات عند هذا اللون المسمّى «المعشرات» الذي عُني به المغاربة والأندلسيون، بل نراه يرتقي مرتقى آخر من هذا الإعنات ولزوم ما لا يلزم بنظم «العشرينيات» وهي الهيكلية التي تعدُّ عشرين بيتاً مراعى فيها لزوم ما لا يلزم في القافية والفواتح حسبما تقدّم في المعشرات وقد جعل مالك غرض هذه العشرينيات التي سمّاها «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى» في السيرة النبويّة وشمائل الرسول، قال في مفتتح هذه العشرينيات التي تتبع فيها الألفبائية المغربيّة:

إلى المصطفى أهديت غرّ ثنائي ... فيا طيب إهدائي وطيب هدائي
أزاهر روض تجتنى لعطارة ... وأسلاك درٍّ تصطفى لصفاء
أكاليل من مدح النبي محمد ... بها حازت الآداب كل بهاء
أضفت إلى ميلاده غزواته ... وما عنّ لي من آية وإياء
أحق البرايا بالثناء مضاعفاً ... نبيٌّ له في الوحي كل ثناء
إمام الهدى صلّى النبيون خلفه ... وصلّى عليه أهل كلِّ سماء

(1) ذكريات مشاهير المغرب مالك بن المرحل 19.
(2) المصدر نفسه 19.
(3) مجلة المورد، العدد 4 المجلد 9-1401-1981.

فقد رأيت في الأبيات الستة المتقدمة من مجموع أبياتها العشرين كيف جعل القافية «همزة» ملتزمة وكيف التزم بها أيضاً في فواتح الأبيات جميعاً، ثم انتقل بعد ذلك إلى حرف الباء (في دلائله قبل الولادة والبشارة) ملتزماً به في القافية والفواتح

بنفسي رسول طاهر المجد طيّب ... تنقّل من صلب كريم إلى صلب
به أبرأ اللّه العيون من العمى ... به أبرز الله القلوب من الحجب
بشير لمن لبّى نذير لمن أبى ... سراج الذي لحظ دليل لذي لبّ
بشارة عيسى حين أخبر باسمه ... وقال ارقبوا هذا النبي من العرب

وهكذا تمضي العشرينيات في استقصاء مسرد السيرة النبوية الطاهرة عبر الحروف الباقية، إلى أن تنتهي عند حرف الياء (في رثائه ﷺ) والدعاء لتربته بالسقيا:

يقر بعيني أن أرى أرض طيبة ... وذلك أقصى ما أحبُّ من الدنيا
يحنّ فؤادي كلما حنّ راكب ... ففاحت على أزراره تلكم الرّيا
يحركني برقُ الحجاز إذا سرى ... فأدعو لأوطان الأحبة بالسقيا
يقاود قلبي من وفاة محمّد ... تباريح أشجان ترى في الحشا وريا
يميناً لقد حنّت غداة وفاته ... جبال حنين حين أسمعت النعيا

وما من ريب في أن الدارس لهذه العشرينيات المرحليّة يعجب من قدرته فيما انتهى إليه من دقة في استيفاء المعاني، ومن روعة في صناعة المباني.

وأما إسهاماته في الفنون المستحدثة، فإننا نذهب إلى أن له فيها أعمالاً وبخاصة في فن الموشّحات الذي ازدهر في العدوة الأندلسية والعدوة المغربية، وبدأ في الضمور في ارن السابع عصر أديبنا وبعده[1] وفي فن الدوبيت الذي عُدّ فيه مع صهره ابراهيم التلمساني وبعض تلاميذه مثل أبي بكر القللوسي من أشهر المهتمين به تنظيراً وإبداعاً، فقد وصفه القاضي أبو عبد الله عبد الملك بأنه كان مكثراً من النظم، مجيداً فيه إلى أن كلفت به «ألسنة الخاصة والعامة، وصار رأس

(1) نفح الطيب 7 :65 وفيه قول ابن الخطيب من أعلام القرن الثامن «ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون، وطمس الآن رسمها».

المستمعين والمغنين، وهجير الصادرين والواردين، ووسيلة المُكدين، وطراز أوراد المؤذنين[1]».

وظاهر من كلامه في وصفه أن شاعرنا كان مشاركاً في ألوان كثيرة من النظم التقليدي والتجديدي.

ولئن لم نقف على شيء من إبداعه في فن الموشحات الأندلسية التي أشرنا إلى أن العناية بها قد قلّت في القرن السابع[2]، فإن حقائق وشواهد لا تردُّ دلّت على اهتمام ابن المرحل بفن الدوبيت على مستوى التنظير وعلى مستوى الإبداع أيضاً.

فأما على مستوى التنظير فقد كتب رسالتيه في الدوبيت، وهما من أحسن ما كتب في هذا الفن المستحدث وفي أوزانه وتفعيلاته[3] وقد أثبتنا في الباب الثالث رسالتيه في الدوبيت. وأما على مستوى الإبداع فنثبت هذه الشواهد لما مثّل به من أوزان هذه الدوبيتات أو هيكلية هذا الفن المستحدث فمما قاله فيها في غرض الغزل[4]:

الحسن مُعذّب كل قلب   اللّه قضى به فحسبي

... [5] عن ملامي   كان قبل الملام حبي

ومما قاله مندرجاً في العروض الخامسة[6] التي يدخلها الوقص[7]:

---

(1) الإحاطة 3: 307.

(2) أرجع الدكتور أحمد سليم الحمصي في كتابه حول «ابن زمرك الغرناطي ص 128» سبب انطماس الموشحات في القرنين السابع والثامن إلى أحوال نفسية وظروف مرحلية تاريخية عامة من أبرزها الهجمات الإسبانية المتوالية لاسترداد الديار وسيطرة الدين والجهاد.

(3) راجع في طبائع هذا الفن كتاب «ديوان الدوبيت من الشعر العربي في عشرة قرون» للدكتور كامل مصطفى الشيبي و«ذيل الدوبيت» للمذكور مجلة المورد ع 1، 1395، 1975 .

(4) النص 3 .

(5) بياض في الأصل.

(6) هو في العروض حذف الثاني المتحرك متفاعلن تصبح مفاعلن.

(7) النص 7 .

مـــولـــى بـــأَ غـــيـــد كـــالـــغـــصـــن أمـــلـــد
يـــــروح نـــــحـــــوَه قـــلـــبـــي ويـــغـــتـــدي

ومما استخرجه من العروض الخامسة المشطورة[1] قوله[2]:

أهـــلاً بـــك يـــا رشـــا يـــا أحـــســـن مـــن مـــشـــى
أمـــلـــك لـــك مـــا تـــرى وأحـــكـــم لـــك مـــا تـــشـــا

وقد أثبتنا في النصوص المحقّقة نصوصاً أخرى مما نظمه في الدوبيت، ولا شك في أن هذا القدر القليل من دوبيتاته قليل من كثير مما أبدع، ولم يصل إلينا.

ب ـ مظهر الأوزان والقوافي:

يدلّنا المقدار الذي جمعناه من شعره وحققناه أنه كان يتقيّد ـ مثل فحول الشعراء في المشرق والمغرب ـ بعمود الشعر العربي، ويجنح في جُلّ أعماله وتجاربه إلى الالتزام بالأبحر الخليلية المعروفة وأوزانها، وإن كانت روحه الأندلسية المنفتحة أباحت له في بعض تجاربه معالجة بعض الفنون المستحدثة التي وصلنا منها عمله في فن الدوبيت. كما سبقت الإشارة.

وما منّ شك في أن الأوزان والقوافي التقليدية الموروثة، والتي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزناً، وزاد عليها الأخفش بحراً أو وزناً آخر هو المتدارك لتصير ستة عشر بحراً[3]، معدودة من أظهر عناصر الموسيقا الخارجية في الشعر العربي لأنها قائمة على تفعيلات نغمية منسجمة لها أثرها الموسيقا في أذن المتلقي[4].

لقد هدانا الاستقراء في أشعاره التي حققناها في هذا الكتاب إلى أنه استعمل

---

(1) راجع النص (110).
(2) النص 13 .
(3) راجع سفينة الشعراء 17 .
(4) راجع «موسيقا الشعر» لابراهيم انيس و«المرشد إلى فهم أشعار العرب» لعبد الله الطيب وموسيقا الشعر العربي لشكري عياد.

من تلك البحور الخليلية ذات التأثير في الإيقاع والبنية الموسيقية للنصوص عشرة رتبناها حسب كثرة أبياتها فجاءت كالتالي: الكامل البسيط، المتقارب، الطويل، الرجز، الخفيف، الرمل، الوافر، السريع، المجتث.

ومعنى ذلك أنه استعمل من البحور الطوال: ـ الخفيف، الرجز والكامل والمتقارب، والوافر والطويل والبسيط، واستعمل من البحور أو الأوزان القصار: ـ الخفيف والرمل والسريع والمجتث[1]، أي أن استعماله للبحور الطوال فيما وصلنا من شعره أكثر من استعماله البحور القصار. ولسنا نريد أن ندخل بعد ذلك في درس وبحث قضيّة مدى مناسبة تلك البحور والأوزان لأغراضها وموضوعاتها المختلفة[2]. وهي القضية التي اختلفت فيها كلمة النقاد والباحثين والتي لا تزال إلى اليوم موضع تباين الآراء، إنما نريد أن نسجّل ما لاحظناه من إلمام الشاعر بمعرفة البحور الخليلية وموسيقا الشعر التقليدية والتجديدية المتمثلة في بعض الفنون المستحدثة التي استخدمها مثل فن الدوبيت، كما ننبّه أيضاً إلى أن بعض قصائده ومقطعاته لم تسلم من العيوب الوزنية والموسيقية، ولعلّ مردّ ذلك عائد إلى تحريف النسّاخ وتصحيفهم.

ولا خلاف بين الدارسين في أن القوافي وحروف الرويّ لها الأثر البارز في الموسيقا الخارجية للشعر وإيقاعه[3]، ولا يزال المفهوم الذي عرّف به ثعلب القافية والمتمثل في أنها حرف الروي أي الحرف الذي يتكرر في آخر كلّ بيت من أبيات القصيدة رائجاً إلى اليوم ومستعملاً.

قال الدكتور ابراهيم أنيس في بيان دورها النغمي قي الإيقاع إن: «تكرّرها يكون جزءاً هاماً من الموسيقا الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقيّة، يتوقع السامع تردّدها، ويستمتع بمثل هذا التردّد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معيّن من مقاطع ذات نظام خاص يُسمّى بالوزن»[4].

---

(1) راجع في هذا التقسيم كتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب» للدكتور عبد الله الطيّب.

(2) راجع في ذلك: موسيقا الشعر للدكتور ابراهيم أنيس والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور عبد الله الطيب وموسيقا الشعر العربي للدكتور شكري عياد.

(3) موسيقا الشعر العربي: 89. المرشد إلى فهم أشعار العرب.

(4) موسيقا الشعر 246.

وصفوة رأي الدكتور عبد الله الطيّب فيها وفي أهميتها في البنية الموسيقية للأشعار أن التزامها في الشعر العربي جاء نتيجة لتجارب طويلة من الشعراء جعلتهم يعتمدونها أساساً في نظمهم وأن اللغة العربية بمخزونها اللغوي الضخم تتطلبها وتعين عليها، بل إن خلوّ الشعر العربي والشعر غير العربي منها كثيراً ما يجرّ إلى الثرثرة والجموح والإسهاب[1].

وقد عُني شاعرنا التزاماً منه بخصائص عمود الشعر العربي بقوافيه وحروف روّيه في قصائده التقليدية ومقطعاته فحافظ عليها ولم يخرج عن نسقها المقرّر الا في تجاربه القليلة في فن الدوبيت الذي يسمح فيه بتنوع القوافي. وباستقراء النصوص المحقّقة تبيّن أنه استعمل القوافي المطلقة، وهي ما يكون فيها حرف الرويّ متحركاً أكثر من استعماله القوافي المقيّدة التي يكون حرف الرويّ فيها ساكناً.

وقد استعمل القوافي المطلقة في إحدى وثمانين قطعة، بينما استعمل القوافي الأخرى في ثماني عشرة قطعة، وانتهى إلينا من نصوصه نصٌ واحد زاوج فيه بين القافية المطلقة والقافية المقيّدة، كذلك يمكن القول إذا استثنينا نصوص الدوبيت والمخمسات إن الشاعر استعمل جميع أحرف الروي مما يدل على خصوبة رصيده اللغوي، وعلى قدرته على التصرّف في القوافي التي تنوّعت تبعاً لهذا الاستعمال فكان منها القوافي الذلل[2] والقوافي النفر[3] والقوافي الحوش[4] ولكن بنسب متفاوتة في عدد الأبيات، وكان أكثر أبياتها عدداً بالطبع القوافي الذلل التي بلغ عدد أبياتها اثنتين وأربعين وسبعمائة بيت تقريباً، تليها القوافي النفر التي بلغ عدد أبياتها واحداً وستين ومائتي بيت، ثم القوافي الحوش التي بلغ عدد أبياتها تسعين ومائة بيت.

---

(1) راجع الباب الأول من كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها.

(2) القوافي الذلل هي، الباء، التاء، الذال، الراء، العين، الميم، الياء المتبوعة بألف الإطلاق، والنون في غير التشديد والهمزة.

(3) القوافي النفر هي: الزاي، الصاد، الضاد، الطاء، الهاء الأصلية، الواو.

(4) القوافي الحوش هي: الثاء، الخاء، الذال، الشين، الظاء، الغين.

ولا يخفى أن في كثرة استخدامه القوافي «الذلل» يليها استخدامه للقوافي «النفر» وقلّة استخدامه القوافي الأخرى «الحوش» التي اضطره إلى استخدامها أحياناً لزوم ما لا يلزم يعد حرصاً ظاهراً على توفير الشاعر الموسيقا والإيقاع في نصوص شعره.

وقد لاحظ الباحث عز الدين سلاوي أن الشاعر أوجد في لزومياته أيضاً ضرباً محبباً من الموسيقا مثّل له بما نقرأه في حرف الجيم من معشراته النبويّة التي تكرّر فيها ثلاث حركات + ثلاثة حروف، مما أكسب القافية «إيقاعاً موسيقياً عالياً أو خافتاً من خلال تكرار هذه الأصوات الستة على امتداد القصيدة كلّها بحسب طبيعة صوتيات الحروف، وما استلذه السمع منها، وهي ملاحظة تنسحب بوجه عام على سائر عشريات القصيدة[1]».

بيد أن تلميذه محمد بن عبد الملك المراكشي أخذ على بعض قوافيه بعض المآخذ المعدودة ضمن عيوب القافية منها التضمين أو المعاضلة[2] في قوله: «ومما دعاني والدواعي كثيرة» حيث رأى توقّف معنى قافية هذا البيت ومعناه على البيت الموالي، كما أخذ عليه الإيطاء[3] في صوارمه في النصّ المذكور (95) ويراد به إعادة كلمة الروي بلفظها ومعناها مرتين في القصيدة من غير أن يفصل بينهما بسبعة أبيات على الأقل، قال ابن عبد الملك المراكشي في نقده قصيدة شيخه «وفي هذه القصيدة على ما بها من إجادة تعقّب من وجوه، منها التضمين وهو من عيوب النظم، وذلك في قوله «ومما دعاني» والبيت الذي بعده، ومنها «الإيطاء» في «صوارمه» في بيتين بينهما بيتان». ». كما أخذ عليه مأخذاً لغوياً في القصيدة نفسها حيث قال: «ومنها إعادة ضمير «نواسمه» وهو مذكر على الأرض وهي مؤنثة، وحملها على إرادة التذكير بتأول المكان أو المحلّ أو شبههما، أو إعادته على النبي - ﷺ - بأدنى نسبة كل ذلك تكلّف بعيد المتناول، ولو جعل الربع عوض الأرض لخلص من هذا الانتقاد، وأحرز فضل الصقالة في اللفظ والله أعلم[4]».

(1) شعر النبويات في عصر بني مرين: 535, 536.
(2) التضمين: أن تتعلق قافية البيت بصدر البيت الذي يليه.
(3) الإيطاء: أن يعيد الشاعر القافية بلفظها ومعناها قبل أن يفصل بينهما سبعة أبيات.
(4) راجع الذيل والتكملة للمراكشي.

وقد تساءل الأستاذ اسماعيل الخطيب بقوله«هل شافه المراكشي شيخه ابن المرحَّل بهذا الانتقاد؟ وإن كان كذلك فما هو رد الشاعر؟[1]».

ومن أسف أننا لم نقف على شيء يتصل بردّ الشاعر على تلميذه وقصارى ما وقفنا عليه أن أبا عبد الله بن رشيد السبتي قد انتصر لشيخه، وردّ على صديقه ابن عبد الملك المراكشي منتقداً انتقاده. قال ابن رشيد «هذا ما قاله صاحبنا جرياً على عادته ـ عفا اللّه عنه ـ من انتقاص الأفاضل، واعتساف، وترك الصافي الزلال، وورود الكدر والعكر من المناهل، وكلُّ ما قاله فاسد، والنقد عليه عائد»[2].

ثم تولّى ـ بعد ذلك ـ نقض تلك النقدات بردٍّ نوافق العلامة عبد الله كنون في وصفه بأنه «سديد كلُّه»[3]، ولكن يؤخذ عليه أنه خلط نقده بشيء من الانفعال والحدّة، قال الدكتور محمد بن شريفة بعد أن أبان نقدات ابن عبد الملك لشعر شيخه ابن المرحّل: «ولا داعي لأن تثور ثائرة ابن رشيد على صاحبه، ويفور غضبه فيخرج عن حدِّ التعقيب الرزين الرصين إلى حدِّ التعريض المعيب، والتصريح المشين»[4].

الموسيقا الداخلية:

وتعني الموسيقا السارية في داخل النصوص الشعرية أو النثرية، والمتولّدة عن التراكيب اللغوية والبلاغية التي يختارها المبدع ليحدث من تأليفها وتجانسها وتجاورها تأثيراً نغمياً في المتلقي، وقد استعان مالك في موسيقاه الداخلية بعناصر متعدّدة كالألفاظ وأساليب المحاذاة والتكرار والتعطّف وردّ الأعجاز على الصدور والموازنة وحسن التقسيم وغير ذلك.

إن ثقافة الشاعر اللغوية والبلاغية تشترك هنا وتتمازج لتسهم في خلق هذه

---

(1) راجع الحركة العلمية في سبتة.

(2) فتح المتعال: 285, 286.

(3) ذكريات مشاهير المغرب 8 مالك بن المرحل: 41.

(4) الذيل والتكملة ق 1 :44.

الموسيقا الداخلية التي نحسُّ أنغامها وتموجاتها في سياقات الهيكلية في الأبيات المفردات وفي النتف والمقطعات والقصائد القصيرة والمطولات.

الألفاظ:

تعتبر الألفاظ الحسنة السهلة المخارج والمتجانسة من عناصر الموسيقا الداخلية في النصوص الأدبية، وقد وفق الشاعر كثيراً في اختيار ألفاظه وتنوقها في شعره، حيث توخّى في جلّ الأغراض والموضوعات التي تناولها في المضامين الوصفية والغنائية، بل في الأغراض المعرفيّة والتعليمية أيضاً ـ وهذا ما سنتوسع في شرحه في البنية اللغوية ـ إلى التعبير عن معانيه وأفكاره بألفاظ اكتست في الأفشى بالسهولة والإيحاء، ولا تكاد تتخلف هذه الظاهرة الغالبة إلا في مواضع معينة آثر فيها لأسباب تتضح فيما بعد ـ أن يجلو رصيد حافظته من غريب اللغة، ومخزون ذاكرته من كلام العرب سواءٌ أكان في مقامات جادّة، أم في مقامات أخرى ، دعت إليها الدعابة والمعابثة، ومن أمثلة المنحى الغريب المستخدم في الجدّ ما جاء في مواضع من لزومياته ـ كما سيتضح ـ أو في بعض قصائده التي نمثّل لها بقصيدته «الطائية» في مدح نعل خير البريّة، والتي نحلها بألفاظ غريبة غير مألوفة، أو إن شئت الدقة غير متّسقة مع معظم معجمه الشعري:

أخافرة بعد النزوع عن الصبا ... وللشيب شهب في عذاريك أو وخط
رأيت مثال النعل نعل محمد ... تمثلت مالي غير ذلك اسفنط
رأيت مثالاً لو رأته كرؤيتي ... نجوم الدجى والليل أسود مشمط
أرى لثمه مثل التيمم مجزياً ... فألثمه حتى أقول سينعط

ومن أمثلة ما خرج به عن السياق اللفظي السهل الشائع في أشعاره من الغريب في مقام الدعابة والظرف ما قاله معابثاً على لسان ألثغ ينطق بالسين ثاء:

عمرت ربع الهوى بقلب ... لقوة الحب غير ناكس ث
لبثت فبه أجر ذيل النحـ ... ـول أحبب به للابس ث
إن مت شوقاً فلي غرام ... نباته بالسقام وادس ث
أما حديث الهوى فحق ... يصرف بلواه كلّ حادس ث

تـعـبـت بـالـشـوق فـي حـبـيـب   أنـا بـه مـا حـيـيـت يـابـس ث

ونحن إذا استثنينا هذه الأمثلة القليلة مما أظهر فيها الميل إلى استخدام الغريب والألفاظ الحوشية في بعض مقامات الجدِّ ومقامات الهزل، فإننا نحكم بأن الشاعر كان يحرص في مجموع شعره إيثار الألفاظ السهلة الواضحة المتجانسة باعتبارها عنصراً إيجابياً في تشكيل الموسيقا الداخلية للنصوص، ومن أمثلة هذا الاستخدام والإيثار قوله في غرض النسيب والتشبيب:

اعطف على المضنى الذي أحرقته   في نار هجرك لوعة وغليلا
فارقته فتقطّعت أفلاذه   شوقاً وما ألقى إليك سبيلا
لو لم يكن منك التغيّر لم يسل   بالناس لو حشروا إليه قبيلا
يا راحلاً عني بقلب مغضب   أيطيق قلبي غضبة ورحيلا

فأنت ترى أن سهولة مخارج الحروف ووضوح الألفاظ والتجانس بينها أحدث ضرباً من الموسيقا والتنغيم في النصِّ، ومن ذلك ما قاله في باب الوصف وهو يمدح تلك المرأة التي زيّنها له إطراء النسوة الخاطبات والتي سماها محمد الفاسي «الطامة الكبرى»:

بسّامة عن لؤلؤ متناسق   في ثغرها في نظمه المتتابع
أنفاسها كالراح فُضّ ختامها   من بعد ما ختمت بمسك رائع
شمّاء دون تفاوت عربية   ببسالة وشجاعة ومنازع
غيداء كالغصن الرطيب إذا مشت   ناءت بردف للتعجل مانع
تخطو على رجلي حمامة أيكة   مخضوبة تسبي فؤاد السامع

وسوف نورد أمثلة متنوعة في مقامات مختلفة تؤكد جنوحه إلى اختيار الألفاظ في البنية الموسيقية لأشعاره بوصفها عنصراً مهماً فيها، وقد تنبّه النقدة في القديم والحديث إلى عنايته بألفاظه فامتدحوه بها، فقد وصفه أبو جعفر بن الزبير من أعيان القرن السابع بأنه «شاعر رقيق مطبوع[1]»، ونعته ابن خلاّد من أعلام

---

(1) صلة الصلة 3: 65.

القرنِ المذكور بأنه: «الجامع بين سهولة اللفظ وسلاسة المعنى، وإفادة التوليد، وإحكام الاختراع، وانقياد القريحة، واسترسال الطبع، والنفاذ إلى الأغراض وردّ ذلك إلى أن مالكاً إنما استعان على ذلك الإبداع «بالعلم بالمقاصد اللسانية لغة وبياناً وعربية وعروضاً وحفظاً واضطلاعاً إلى نفوذ الذهن، وشدة الإدراك، وقوة العارضة[1]».

ووصفه أحمد بن القاضي المكناسي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري بقوله مادحاً لغته الشعرية وألفاظه الجيّدة: «شاعرٌ رقيق مطبوع ـ سريع البَديهة، رشيق الألفاظ، ذاكر للآداب واللغة[2]».

كذلك أعجب بلغته المستخدمة في أشعاره، والمؤثرة في موسيقاها ـ كما نذكر ذلك في البنية اللغوية. الأستاذ عبد الله كنون[3]، والأستاذ محمد الفاسي[4] وحنا الفاخوري[5]، ويقول الباحث نجيب الجباري فيها: «تميّزت لغة ابن المرحل بالسهولة والموسيقية بحيث لا نكاد نعثر على الغريب والوحشي فيها وإنما جمع في شعره الجزالة والوضوح في أسلوب سلس[6]».

التعطف:

وهو الترديد، قيل سُمي التعطف لأنه يتعطف على الكلمة الواحدة فيوردها مرتين[7]» ويجلو التعطف قول مالك في الغزل:

إن لـم تـجـرنـي مـنـه رحـمـة قـلـبـه   مـن ذا يـجـيـر عـلـيـه مـلـك يـمـيـنـه

(1) الإحاطة 3 :305.

(2) م.ن 3 :305.

(3) جذوة الاقتباس ق 1 :327.

(4) النبوغ المغربي في الأدب العربي.

(5) مجلة الثقافة المغربية ع 7س 1972م.

(6) مالك بن المرحل حياته وشعره: 34.

(7) معجم البلاغة العربية 2 :546.

وقوله في الأمداح النبوية:

صبابة مشتاق ولوعة هائم نعم أنا مشتاق الفؤاد وهائمه

والتعطف على ذلك التعريف والتمثيل يفيد ما يفيده التكرار وردُّ العجز على الصدر من تقوية المعنى وتوكيده، وأيضاً ما يحدثه من التنغيم الداخلي الملموس في قول شاعرنا في الوصف:

أنفاسها كالراح فضَّ ختامها من بعد ما ختمت بمسك رائع

أو قوله في شعر الجهاد:

باعوا من الله الكريم أنفساً كريمة ففاض منها الحكم

ومما لاحظناه أن أكثر ما جاء من التعطّف في شعره كان في بابي النسيب والأمداح النبوية، نورد من أمثلته في النسيب والتشبيب قوله:

من قال للقلب في طي الجوانح طر فطار والله لم يخلقه طيّارا

وقوله أيضاً:

يا راحلاً عني بقلب مغضب أيطيق قلبي غضبة ورحيلا

أو قوله فيه:

بسطت شمائله الزمان كمثل ما بسط الغناء نفوسنا بلحونه

يثنى عليه كلُّ فعل سائر كالمسك إذ يثني على دارينه

ومن أمثلة التعطّف وأثره الموسيقي في باب الأمداح النبوية قوله في مثال النعل:

أرى لثمه مثل التيمم مجزياً فألثمه حتى أقول سينعط

وقوله في المعشرات:

أمان الورى مما يخافون حبّه فيا حبُّ شعشع أدمعي بدماء

وقوله:

صدحت بشعري من بعيد ولم أطر وكيف مطاري والجناحان قد قصا

وقوله فيها:

هوانك غبن فاطلب الفوز بالتقى فإن التقى نهج تلوح صواه

ومن ذلك قوله في العشرينيات:

تهلّل بشراً واستهل مُسبّحاً فهللت الأملاك ثم استهلت

وقوله في حرف الثاء:

ثبوركم إن تعدلوا عن طريقه فلا تعدلوا فهو الطريق المريث

المحاذاة:

هي ـ كما عرّفها ابن فارس ـ: «أن يجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتي به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين فيقولون: «الغدايا والعشايا» وهو كما ترى من المحسّنات البلاغية، إلا أنه يحدث كذلك تأثيراً نغمياً ـ في سياق الكلام المنظوم والمنثور ـ كما سنرى في بعض أبيات شاعرنا وهذا ما جعلنا نعدّه من عناصر موسيقا نصوصه، قال مالك في وصف الرسول ﷺ:

سنيٌ سريٌ سيّدٌ متواضع يواكل مولاه ويحكم في اللبس

فلفظتا (سنيُ وسريُ) على وزن واحد إلا أنهما مختلفان من حيث المعنى، وقد كان لهما بالإضافة إلى اعتماد اللفظين على حرف من الحروف الصغيرية التي لها دورها في التنغيم تأثير موسيقي تولّد من وحدة الوزن والتجاور.

وأكثر استخدام الشاعر لهذه «المحاذاة» في شعر الجهاد، وفي شعر الأمداح النبوية، ومن أمثلة ما قاله في شعر الجهاد قوله:

وطعامهم وخلالهم وشرابهم ومناكر يأتونها وسط الندى

وقوله فيه:

سيف وسيب وعفو بعد مقدرة وبطشة وأناة تجمع الحكما

وقوله فيه أيضاً:

وقــتّــلــوا ومــثّــلــوا وأســروا وأثــكــلــوا وأيــتــمــوا وأيــمــوا

فلا خفاء في الأمثلة السابقة و أثر المحاذاة في التنغيم وموسيقا الأبيات.

ومن شواهد المحاذاة التي نقرأها في شعر الأمداح النبوية، قوله في قصيدته «نظم السير في مدح سيّد البشر»:

فـفـي الـرزق سـاوى الـذكـي الـبـكـيُّ وفـي الـحـيـن سـاوى الـجـبـان الـبـطـل
فــعـــال عـــطـــوف رؤوف رحـــيـــم كـــريـــم إذا قـــال قـــولاً فـــعـــل

وقوله في قصيدته:

رؤوف عـطـوف أوسـع الـنـاس رحـمـة وجـادت عـلـيـهـم سـحـبـه وغـمـائـمـه
حــفــيٌّ وفــيٌّ لا تــمــيــن عــهــوده حــمــيٌّ أبــيٌّ لا تــلــيــن ســكــائــمــه

التكرار والتكرير:

عرَّف البلاغيون التكرار بقولهم: «هو أن يكرّر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذمّ أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد، أو أي غرض من الأغراض[1]».

والتكرار والتكرير بمعنى واحد يسري عليهما ذلك التعريف إلا أن الأول يطلق على تكرار اللفظ، بينما الآخر يطلق على إعادة الجمل، وللتكرار والتكرير فوائد بلاغية في أساليب الأدباء[2]، كما أن لهما تأثيراً في سياق الموسيقا الداخلية للنصوص أيضاً، وقد استفاد شاعرنا من القيمة الفنية للتكرار والتكرير فاستعملهما في إطار تقوية موسيقاه، فمن أمثلة ما جاء في شعره من التكرار قوله في غرض التشبيب:

مـن أيـن لـلـقـلـب ذنـب إنـمـا امـتـحـنـوا بـأعــيــن تــجــتــنــي الأنــوار نــوارا
من قيّد الـلـحـظ في روضات أوجـهـهـم مـن أرسـل الـدمـع فـوق الـخـد مـدرارا

---

(1) معجم البلاغة العربية 2 :750.

(2) م. ن: 2 :750, 735 معجم المصطلحات العربية: 66 ,67.

من قال للقلب في طي الجوانح طر   فطار والله لم يخلقه طيارا

فللتكرار هنا فائدة بلاغية هي التقوية، كما أن له فائدة موسيقية داخلية ملحوظة، ومن أمثلة ما جاء من التكرار في شعر الجهاد قوله:

فتح تبسمت الأكوان عنه فما   رأيت أملح منه مبسماً وفما
فتح كما فتح البستان زهرته   ورجَّع الطير في أفنانه نغما
فتح كما انشق صبح في قميص دجا   وطرز البرق في أردانه علما

ومن ذلك ما جاء في مقام الاعتبار والتزهّد:

وآهِ ثمَّ آهِ ثمَّ آهِ   على نفسي أكرّرها مئينا

وقوله في التكرار في الضراعة:

يا ربِّ وفقنا وألهمنا لما   فيه لنا الخير فأنت الملهم
يا ربِّ أصلح حالنا وبالنا   أنت بما فيه الصلاح أعلم
يا ربِّ وانصرنا على أعدائنا   يا ربّ واعصمنا فأنت تعصم

ومن أمثلة التكرير الذي جاء في أشعاره ما قاله في الوصف ضمن قصيدته القصصية في وصف العروس أو «الطامة الكبرى» حسب تسمية محمد الفاسي:

اللّه أكبر في منار الجامع   من سبتة تأدين عبد خاشع
اللّه أكبر للصلاة أقيمها   بين الصفوف من البلاط الواسع
اللّه أكبرُ محرماً وموجهاً   وجهي إلى ربي بقلب خاشع

فالتكرير - كما رأيت هنا - مبني على إعادة الجملة. جيء به لمدح اسم الجلالة وتعظيمه.

ومن هذا التكرير قوله في شعر الجهاد بغرض المدح والتهويل في إطراء جنود بني مرين:

لولا رجالٌ من مرين رفعوا   منكم لكنتم بالحضيض الأوهد
لولا رجالٌ من مرين قاتلوا   عنكم لكنتم كالنساء الخرد

وقوله في التسليم على الرسول ﷺ ومدحه:

سلامٌ عليه كلّما افترّ بارق   فراقت عيون المجد بين مباسمه
سلامٌ عليه ما تقاوحت الربى   بزهر كأن المسك نحوي كمائمه

ولا يخفى ما أحدثه التكرير في الأمثلة المذكورة من تنغيم وتطريب.

الموازنة وحسن التقسيم:

ويراد بها «تساوي الألفاظ في الوزن دون القافية»[1].

ولا يخفى ما للموازنة وحسن التقسيم من أثر في الموسيقا الداخلية للنصوص، بالإضافة إلى ما لهما من أثر بلاغي ظاهر.

ولئن كان استخدام الشاعر لهما قليلاً فيما وصل إلينا من نصوص شعره، فإن الأمثلة التي بين أيدينا تدلّ على إدراكه ما لهذا المحسّن من تأثير يظهر هذا الاستخدام والتأثير قوله في شعر الجهاد:

وقتّلوا ومثّلوا وأسروا   وأثكلوا وأيتموا وأيّموا

وقوله في شعر النبويات:

أدمعك أم سمط وقلبك أم قرط   وشوقك أم سقط وجسمك أم خط

ومن أمثلة ما جاء في المعشرات والعشرينيات قوله:

جبان عن التقوى جريء على الهوى   قريب من المهوى بعيد عن الملجا

وقوله:

يلملم ململوم ويذبل دابل   ورضوى بحزن الحزن لا يرتضى بقيا

(1) راجع معجم البلاغة العربية 2 :940 معجم المصطلحات العربية :216.

2 ـ البنية اللغوية :

لقد تأثرت البنّية اللغوية في أشعار مالك بن المرحّل ومنظوماته بعوامل تتصل بذاتية الشاعر نفسه مثل ثقافته الخاصة والروافد التي أمدَّت لغته بمكوناتها حيث نجد في أنساق هذه اللغة :

أ ـ أثر الثقافة الشرعية الإسلامية.

ب ـ أثر التحصيل اللغوي الواسع.

ج ـ أثر الثقافة التاريخية.

ح ـ أثر الثقافة الاجتماعية.

كما كان لطبيعة الحياة التي عاشها خلال رحلة حياته الطويلة، متقلباً في مختلف البيئات أثرها في معجمه، ومفردات لغته، فقد تبيّن لنا من ترجمته أنه كان أديباً ظريفاً ممراحاً، انطلق في التعامل مع لداته ومعاصريه من منطلق سجيته وروحه الأليفة الظريفة، فقد غشي في أوائل حياته مجالس العامة في الأندلس، واختلف على أهل البطالة واللهو، وألّف في ذلك قصائد تغنى المغنون بها في مجالسهم ومنتدياتهم ثم اتصل في رجولته بمجامع الخاصة، والكبراء، وواكب أحداثاً ومناسبات كبرى، فعالج بشعره أغراض الجدِّ من مدح وشعر جهاد وأمداح نبوية ووصف وغير ذلك، ولا شكّ في أنّه قد راعى في نظم أشعاره التي نظمها في الطورين طبائع كلِّ مقام من ذينك المقامين، وعبّر عن موضوعاتهما باللغة المناسبة لكلٍّ منهما، مع ملاحظة ومراعاة المتلقي، أو «جمالية الألفة» في الخطاب، باعتبار أَن هذا العنصر معدودٌ من العناصر المهمّة في التواصل أو العمل الأدبي المرتكز ـ كما هو معروف ـ على دعائم الخطاب الأدبي «الباث» و«الأثر الأدبي» و«المتلقي» إذ نجد فيما يتصل بالعنصر الأخير أن ما يصلح للعامة لا يصلح للخاصة، وما تستسيغه الخاصة من المتلقين لا تستسيغه طبقة العامة منهم فلكلٍّ مقام مقال.

سنتحدث عن مظاهر البنية اللغوية في شعر ابن المرحَّل من خلال مظهرين :

1 ـ مظهر روافد هذه البنية اللغوية ومكوناتها.

2 ـ مظهر مستوى الوضوح ومستوى الغموض فيها.

1 ـ مظهر روافد البنية اللغوية ومكوناتها:

تشكّلت ملامح هذه الروافد والمكونات من العناصر التي تأصّلت بها ثقافة الأديب، وهي ـ كما ألمحنا قبل قليل مظاهر ثقافته اللغوية وثقافته الشرعية الإسلامية، وثقافته اللغوية، وثقافته الاجتماعية التي تشرّبها في العدوتين، ونحن نجتزىء هنا بذكر أمثلة وشواهد قليلة، تظهر أثر هذه الثقافات المختلفة على لغته، فمن أمثلة ثقافته الإسلامية المنعكسة على البنية اللغوية لأشعاره قوله:

وقالوا بعت نفسك لا بشيء ... ويفسخ بيع مغبون بجهل
فقلت أنا أديب للفقيه ... ونقض العهد عندي شر فعل

فألفاظ البيع (الصحيح والفاسد) والغبن والفقيه، ونقض العهد جميعها ألفاظ مستمدة من ثقافته الشرعية الفقهية الإسلامية المعدودة من روافد هذه البنية اللغوية، وشبيه بهذا قوله:

خالفني أشهب في مذهبي ... ومالك وافقه أشهب

فقد جسّد فيه معرفته بالفقه المالكي وأعلامه المشهورين. وفي النماذج الكثيرة المحقّقة من شعره في هذا الكتاب مثل نظم الإجازات وشعر الجهاد، والعقد الذي كتبه لابن أبي القاسم العزفي، بل في شعره القصصي الذي تحدّث فيه عن العروس، دليل لا يردُّ على أن ثقافته الإسلامية كانت من الروافد الظاهرة للبنية اللغوية المتأثرة بثقافته الإسلامية في أشعاره، بالإضافة إلى ما فصّلنا القول فيه في أشعاره في التزهّد والأمداح النبوية.

ومما تبيّن من الحديث عن مظاهر ثقافته أنه كان إخبارياً مؤرخاً، يعرف الأنساب، ويدرك تفاصيل السيرة النبوية حتىٰ إن عبد الرحمن بن خلدون استشهد به في مسألة وحدة أصول العرب والبربر[1] كما تقدم.

(1) كتاب العبر 6: 152، البربر لعثمان الكعّاك: 7 ـ 65

وقد انعكس شيء من أثر هذه الثقافة على لغته في أشعاره بالمقدار الذي نعتبره يشكّل رافداً من روافد البنية اللغوية فيها، ومن أمثلة ذلك مدحه أمير المسلمين يوسف بن عبد الحق وإرجاع نسبه وأجامه إلى أصول عربية:

أنتم لأبناء عبد الحق كلّهم ... فخروهم للورى فخراً إذا افتخروا

فحسبكم شرفاً أن كان جدكم ... برُّ بن قيس وقيس جده مضر

أو قوله في تخليد انتصار الأمير أبي يعقوب في معارك الأندلس على الصليبيين:

أتى الأمير أبو يعقوب أندلساً ... والروم فيها قد اشتدت أماكنهم

فلم يزل بسيوف النصر يضربهم ... فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم

على أن أظهر ما يرى من أثر هذا الرافد، ما جاء ضمن أبياته في النبويات التي أرّخ فيها ميلاد الرسول وظهور رسالته وغزواته وسراياه، والأحداث الإسلامية الكبرى، وأيضاً لوفاته، فقد أبان خلالها عن إلمام كبير بمجريات التاريخ الإسلامي وملابساته، وعكس هذا الإلمام على البنية اللغوية لقصائده ومعشراته وعشرينياته، يكفي أن نورد من ذلك هذه الأمثلة:

يقول في قصيدته «نظم السير في مدح سيّد البشر» متحدثاً عن مولده ومعجزاته ﷺ:

لقد كان مولده رحمة ... أقمنا بها بين نهر وظلْ

له المعجزات التي بيّنت ... لعين البصير المزاج العللْ

فمن قمر شق حتى استبا ... ن من بين شقيه جرم الجبلْ

وإسراء روح وجسم معاً ... إلى حضرة القدس ذات الأزلْ

وقابله بالسلام الجماد ... وأقبل يشكو إليه الجملْ

وأعطى علياً لواء الفتوح ... وأبرأ عينيه لما تفلْ

وقد تضمنت هذه القصيدة بعد ذلك معلومات وحقائق تاريخيّة كثيرة عن أحوال الفرس والروم وفتح مكة وأخبار هوازن واليهود والقرضيين وبني النضير وغيرهم فعكست ظلال التاريخ على نسق لغة شعره.

ومن أمثلة ذلك مما جاء في المعشرات النبويّة اللزومية قوله في حرف السين:

سمام العدا إن حاربوه فإنما تحاربهم عنه الرياح الروامس
سمائم سمتهم وأصلتهم لظى فما منهم من شدّة الكرب هامس

على أن أوضح ما نصادف فيه هذا الأثر لثقافته التاريخية هو في العشرينيات اللزومية التي أفرغ فيها شيئاً غير قليل منها كقوله في طالعتها يذكر اعتراف سيّدنا عيسى عليه السلام برسالة محمد ﷺ:

إليه يشير ابن البتول إذا رأى ضجيج الورى في حيرة وعناء
إشارته من قبل ذاك إلى اسمه وكان الحواريون في الشهداء

أو قوله في حرف الباء في ذكر الإرهاصات التي سبقت مولده عليه السلام:

بدا أمره للفرس عند ولادة فأصبح كسرى ذا انكسار من الرعب
بكى إذ رأى الإيوان مرتحباً به ولاحت له الآيات في الشرق والغرب
بيوت من النيران باتت خوامداً وبحر بعيد القعر أضحى بلا شرب
بوارق لاحت بعد حرب فشامها سطيح فنادى حين أيقن بالخصب

وقد ظهرت في بنية لغة أشعاره ـ كما يبدو في باب التحقيق ـ آثار ثقافته الاجتماعية التي استقاها في بعض أطوار حياته، وبخاصة في الأندلس، ونحن لا نحبُّ الإطالة بنماذجها إنما نحيل على النصوص (1) و(26) و(35) و(36) و(47) و(51) و(73) و(74) و(78) وغيرها.

كذلك ظهرت آثار ثقافته اللغوية الضخمة على بنية أشعاره، من حيث إدراكه التّام كلام العرب وفقه اللغة وهو ما يجلوه إبداعه في اللزوميات ونظمه موطأة فصيح ثعلب حسبما نفصّله بعد قليل، أو من حيث إدراكه لعلوم البلاغة (البيان ـ المعاني ـ البديع) كما سنوضحه في البنية البلاغية.

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى استجلاء المظهر الآخر، وهو طبيعة اللغة في شعره المزاوجة بين الوضوح والغموض، فإننا نقف على أن شاعرنا قد صاغ بعض

نصوصه بلغة إبلاغية سهلة واضحة لا تحوج قارئها إلى معاناة التأمل ومراجعة المعاجم، بينما جنح في نصوص أخرى إلى لغة غريبة وأحياناً حوشية معجمية متصعّبة غير مألوفة.

فمن أمثلة اللغة السهلة الواضحة ما مرّ من نماذجه وما نقرأه في كل من شعر الغزل وشعر الزهد والحكمة وبعض من الأمداح النبوية.

يقول في باب النسيب والتشبيب مصوّراً أحوال عواطفه ووجدانه في لغة مجلّوة واصفة:

تملكتم عقلي وطرفي ومسمعي	وروحي وأحشائي وكلّي بأجمعي
وتيهتموني في بديع جمالكم	فلم أدر في بحر الهوى أين موضعي
وأوصيتموني لا أبوح بسركم	فباح بما أخفي تفيُّض أدمعي
فلما فنى صبري وقلَّ تجلدي	وفارقني نومي وحرمت مضجعي
شكوت لقاضي الحب قلت أحبتي	جفوني وقالوا أنت في الحب مدع
وعندي شهود بالصبابة والأسى	يزكون دعواي إذا جئت أدعي
سهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي	ووجدي وسقمي واصفراري وأدمعي

فقد أحاط الشاعر بالمعاني الكثيرة المتصلة بغرضه بلغة سهلة غير متعمّلة، كشفت عن أدق الخواطر بجلاء.

ومن أمثلة ما نمّثل به لهذه اللغة الواضحة التي غلبت على صياغة شعره في باب الوصف قوله مصوّراً تشوّقه وحنينه:

ربّ ربع وقفت فيه وعهد	لم أجاوزه والركائب تسري
اسأل الدار وهي قفر خلاءٌ	عن حبيب قد حلّها منذ دهر
حيث لا مسعد على الوجد إلا	عين حُرٍّ تجود أوساق حُر

أو قوله في بعوضها كان يؤرقه:

يؤرقني بعوض في ليال	بها عهدالأمان من الشموس
تجيءُ اليَّ أفواجاً تغني	مجيء المطربين إلى العروس

وقد مرّت بنا من شعر الجهاد نصوص متعدّدة تؤكّد طبيعة هذه الألفاظ واللغة السهلة المأنوسة التي كان الشاعر يحرص على استعمالها في أشعاره نحو القصيدة التي مطلعها:

شهَد الإلهُ وأنت يا أرض اشهدي ... أنا أجبنا صرخة المستنجد

وقصيدته في نجدة أهل الأندلس:

استنصر الدين بكم فاقدموا ... فإنه إن تسلموه يُسْلَم

وقصيدته التي أنشأها بمناسبة فتح «مراكش» والتي يقول في طالعتها:

فتح تبسّمت الأكوان عنه فما ... رأيت أملح منه مبسماً وفما

فإن تلك القصائد في هذا الباب ـ على طولها ـ تؤكد جنوح ابن المرحل إلى أداء معانيه وعواطفه في قالب لغوي سهل كاشف بعيد عن التصعيب.

كذلك نجد من أشعاره في باب أو غرض الزهد والحكمة والأمداح النبوية شواهد غير قليلة تبين عن ميله إلى استعمال الألفاظ غير المتوعّرة، واللغة غير المتقعّرة، وحسبنا في التدليل على ذلك هذه الأمثلة الموضحة من هذا الباب، يقول في النص (90) حاثاً على مجانبة السفيه، وعلى البعد عن مخالطته لما يجرّه من ضرر:

لا تصحبنَّ سفيهاً ما حييت وكن ... لذي التأدب والأفضال مصطحبا

فكم أديب كساه خلّه سفهاً ... وكم سفيه كساهُ خله أدبا

فاختر لنفسك خلاً لاتعاب به ... لا خير في صاحب يستجلب الريبا

فقد حثَّ ـ كما رأيت ـ على البعد عن صحبة السفهاء وأغرى بالاقتران بالفضلاء، وتبيّن أن الإنسان في كلِّ الأحوال يُعدى بل يتشرّب أخلاق من يعاشر من الاصحاب وحرّض في الختام على اختيار الأخلاّء الذين لا يعاب بهم، ولا تنجرُ منهم الريب، وقد أدّى الشاعر هذه المعاني الكثيرة في بيان رائق واضح في غير تكلّف لغوي، وشبيه بهذا الأداء ما نقرأه أيضاً ضمن هذا الباب في النص (89) وأيضاً النصّ(90) الذي يورد فيه هذا المعنى الطريف:

وأَعدى عدوٌ المرء أبناء جنسه ... وشرُّ صديقيه الصديق المجانس

وأعظم مكسوب الفتى من زمانه عدوٌ منافٍ أو صديق منافس

على أن الأمداح النبوية ضمن هذا الباب لا تسير جميع قصائدها في هذا المهيع من السهولة والوضوح والسلاسة، إذ يقف فيها المتأمّل على نماذج اتخذت هذا الطابع اللغوي الذي يجلو المعاني في وضوح تام، بينما اتخذت نماذج أخرى الطابع اللغوي المتعمّل.

ويمكن أن نشير باختصار وإحالة إلى أن النصوص (93)(96)(97)(98) تجسّد من هذا الغرض طابع السهولة والوضوح.

وإلى أن النصوص اللزومية في المعشرات والعشرينيات قد تلبّست - مراعاة للإعنات أو لزوم ما لا يلزم - ببعض الإغراب والغموض على نحو ما نوضحه بعد قليل.

على أن بنية لغته الواضحة السهلة لا نجدها خصيصة لأشعاره الغنائية والنفسية فحسب، بل نجدها تمتد أيضاً بأجنحتها الرقيقة إلى فضاء شعره أو نظمه المعرفي والتعلمي، فقد نظم ابن المرحل موطأة الفصيح بهذه اللغة القريبة المأنوسة السهلة التي تكشف عن أدق دقائق اللغة في أسلوب جلي طلي، وقد سقنا قبل قليل نماذج من أبياتها الواضحة السهلة، وما أثنى به عليها بعض النقاد، وندعم هنا رأيه ورأينا فيها بحكم الأستاذ محمد الفاسي على نسقها السهل حيث قال عن المترجم به: «كان متظلعاً من العلوم اللغوية، وله فيها كتابات منها نظم الفصيح لثعلب، واسمه الموطأة وشرحه وتوجد من المنظومة عدّة نسخ بالمغرب وهي كاسمها سهلة لتفهيم كتاب ثعلب الشهير[1]».

أما اللغة المتصعّبة غير المأنوسة التي نجد بعض أوضاحها وأشكالها في شعره، بل في مواضع منه، فلها بعض الأمثلة يقف عليها القارىء في الباب الثالث ضمن تحقيق النصوص الشعرية.

ومن أسباب لجوء الشاعر إلى هذا الإغراب والتصعب في استخدام الألفاظ

---

(1) تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى مجلة دعوة الحق ع 10 س 1380 - 3هـ - 1960م.

الحوشية، واللغة غير المأنوسة إظهار سعة تحصيله الواسع من كلام العرب، ورصيده الضخم من مخزونه كما يجلو ذلك قوله في شعر النبويات ما جاء في النص(94) الذي حفل بالكثير من الألفاظ المعجمية التي ألقت بظلالها غموضاً على سياقه:

أدمعك أم سمط وقلبك أم قرط ... وشوقك أم سقط وجسمك أم خط

أخافرة بعد النزوع على الصبا ... وللشيب رشق في عذارك أم وخط

رأيت مثالاً لو رأته كرؤيتي ... نجوم الدجى والليل أسود مشمط

أرى لثمه مثل التيمّم مجزياً ... فألثمه حتى أقول سينعط

قذفت الكرى في الدمع والصبر في الأسى ... وهيهات أن يطفى وموقده الشحط

ومن ذلك لجوؤه إلى مذهب التصنّع في صياغة الشعر، وأخذه كبعض شعراء عصره ليس في الغرب الإسلامي فحسب بل في المشرق المعروف بفن «الإعنات» أو «لزوم ما لايلزم»، فمما لا ريب فيه أن هذا المذهب يحمل أصحابه على ورود موارد الغريب، نحو قول ابن المرحّل في معشراته اللزومية في حرف الثاء بالتزام الميم ثانياً، والهمزة المكسورة قبل الرويّ:

ثمال الورى ذاك النبي فإنه ... سريع إذا نادوا به غير رائث

ثمامة جسمي أرتجي أن يُغيثها ... إلهي بقرب منه للشوق غائث

ثماد اصطباري شفها حرُّ أضلعي ... ولوعات أشواق إليه حثائث

ثمائن درٍّ الدمع أثمان حبّه ... فأجني الأماني من رياض أثائث

وقوله في حرف الظاء بالتزام اللام ثانياً والهمزة المكسورة قبل الرويّ:

ظلال الأماني والأمان تفيأت ... بأحمد خير الخلق والكل قائظ

ظلام ظلامات العباد بنوره ... تجلّت وزالت بالإخاء الحفائظ

ظللنا به بعد الضلالة في هدى ... وحيّت به تلك النفوس الفوائظ

ظلوم العدى مثل الظليم تشرداً ... وفعلاته الشوأى جواف وشائظ

ظليف بأقصى الغرب أمست جفونه ... وهن شوات والظلوع فوائظ

فقد تبيّن لك كيف اضطر الشاعر بداعي الوفاء لمذهب (الإعنات) إلى جلب العديد من الكلمات المعجمية غير المأنوسة في هذه المعشرات مثل: الحفائظ والفوائظ والوشائظ والقوائظ وغيرها مما نقرأه في هذه المعشرات اللزومية من بقية الحروف الأخرى.

ولم يقتصر على جلب هذه الألفاظ الحوشيّة وأمثالها في المعشرات فحسب، بل اضطر إلى استعمال أكثر منها وأغرب في العشرينيات النبويّة اللزوميّة التي سمّاها «الوسيلة الكبرى المرجوّ نفعها في الدنيا والأخرى» التي استخدم في سياقها المطوّل ألفاظاً غامضة، تحوج إلى الرجوع إلى مظانها من كتب اللغة كقوله في حرف الخاء:

خذوا سِيَرَ المختار منظومة الحلى   تطيب بها أمداحها وتضمخ

خلوق خليق أن يُخصَّ بسيّد   به الدهر يبني والخليقة تشمخ

خبا كلُّ نور حين لاح لنوره   وأصبح بغي الكفر وهو مروخ

خدت ناقة المختار مأمورةً به   لدار أبي أيوب ما إن تنوخ

أو قوله في حرف الذال متحدثاً عن غزوة بدر الكبرى:

ذكرت فذكّر تجمع الفضل كلّه   فشحذ بلا قطع كقطع بلا شحذ

ذر الخوض فيما لا يفيدك وانتبذ   فإن كنت في ذنب فأجدر بالنبذ

ذلاقة حدٍّ حذّت الكفر بعدها   فيا شقوة الأعداء بالحدّ والحذ

ذنابهم قُدت وقُدَّت رؤوسهم   فدانوا لأمر اللّه بالقد والقذ

ذميلاً ووخذاً نحو أرض ترابها   بروداً لأجفان غدت فقدت تفذ

أو قوله اتباعاً للإعنات الجالب للغة الغموض في حرف الصاد يُصوّر غزوة بني لحيان وذي قرّة في النص المذكور:

صبور على طول الجهاد محافظ   على البر والتقوى جليد على الخمص

صدوق بني لحيان أوجب غزوهم   وصلب خبيث فوق جدع على دعص

صوافنه عنّت لهم فتمنعوا   فعاد وقوراغ والقنيص على الشص

صوارمه لاحت لعين عيينةٍ   فخلّى الخلايا ثم ولى بلا شقص

والذي يمكن الحكم به على البنية اللغوية لشعره على وجه الإجمال إذا استثنينا هذه النصوص التي أملتها رغبته في التدليل على وفرة تحصيله من اللغة وكلام العرب، أو فرضها مذهب «الإعنات» أو «لزوم ما لايلزم» الذي عُدّ في عصر «التصنيع الأدبي» مظهراً من مظاهر الشاعرية الكاملة[1] ـ أن شعره في النصوص التي وصلت إلينا، وحققناها في هذا الكتاب تتسم في الغالب بالسهولة والتلقائية وبالبعد عن التكلّف والتَّعمُّل حسبما عرضناه من أمثلة متعدّدة، وهو ما ذهب إليه أيضاً من سبقنا من النقاد والدارسين، قال الأستاذ عبد الله كنون: «يمكننا أن نقول إن نظمه متين منسجم خالٍ من الحشو والتكلف ضرورة أنه صادر عن قريحة شاعرة وملكة قادرة» وقال الأستاذ محمد الفاسي: «أما شعره فقد قدمنا أنه يصدر عن سجية بديهية، وطبع رقيق، وكان مكثراً مع الإجادة، وقلما يجتمعان[2]».

(1) راجع الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف وأدب الدول المتتابعة لعمر موسى باشا.

(2) مجلة الثقافة المغربية ع 8 س 1972م.

3 ـ البنية البلاغية:

استعان مالك بن المرحَّل في القدر الذي وصلنا من أشعاره ببنية بلاغية متماسكة أسهمت بمكوناتها من التصوير البياني بما فيه من تشبيهات مختلفة، واستعارات متنوعة، ومن التصوير البديعي بما تضمنّه من محسنات لفظية ومحسنات معنويّة وغيرهما من الصور البلاغية الأخرى التي أدّت في سياقات فنّه الشعري ـ كما سيتضح ـ دوراً تحسينياً في التجميل والتخييل وإغناء أبعاد الصور الشعرية.

وفي الحق فإن مالكاً ـ كما تفصح الشواهد فيما بعد ـ كان مالكاً لأدواته وآلياته الفنّية، عارفاً ببلاغة ما يشيعه من ألوان هذا التصوير والتزيين الأدبي والفنّي.

1 ـ التصوير البياني:

أ ـ التصوير بالتشبيه:

لقد استغل شاعرنا بلاغة التصوير بالتشبيه ـ المعدود من التصوير البياني ـ على مختلف أشكاله لما له من طاقات أدائية في تقوية المعنى في المشبّه المراد اظهاره، ولما فيه من شحنات إيحائية من شأنها أن تنقل القارىء والسامع من صورة الشيء المقصود تشبيهه إلى صورة أخرى طريفة تشبهه بل تفضله لأنها أجلى في الوصف.

كقوله:

بسطت شمائله الزمان كمثل ما ... بسط الغناء نفوسنا بلحونه
يثني عليه كلُّ فعل سائر ... كالمسك إذ يثني على دار فيه

أو قوله:

كأن الدم الجاري بصفحة خدّه ... عطارة ورد في عبير وفي مسك

أو قوله يصوّر بالتشبيه أفواج البعوض

تجيء اليَّ أفواجاً تغني ... مجيء المطربين إلى العروس

أو قوله يصوّر زحوف جيوش المسلمين إلى ساحات الجهاد:

نسري بأجنحة البزاة إلى العدا ... مثل الحمام الحائمات الورّد

أو قوله في القصيدة نفسها يصف البحر المعترض تلك الزحوف:

ثم اعترضنا البحر وهو كأنّه ... ملكٌ تقدّم بالجيوش لمرصد

فلا يخفى ما في تلك الأمثلة من تصويره بالتشبيه من بلاغة التأثير لصورة المشبّه حيث ألحقته بصورة تماثله بل تزيد عنه، والموجدة أجواء من الإيحاء المؤثر في نفس المتلقي.

والناظر في التصوير بالتشبيه في شعره يراه مقسماً بين التشبيه المفرد القريب، وبين التشبيه التمثيلي المركّب.

ومن أمثلة القسم الأول قوله في جواب النصرة الذي بعثه سلطانه يعقوب المنصور إلى سلطان غرناطة ابن الأحمر، يصوّر به ابتهاج الأندلسيين بجيوش المغاربة:

فاستبشروا في أفقهم بطلوعنا ... كالشمس يوم طلوعها للأسعد

وقوله في مقام التشبيب وهو من المعاني المكرورة:

غيداء كالغصن الرطيب إذا مشت ... ناءت بردفٍ للتعجل مانع

أو قوله واصفاً تلك العروس:

بكماءُ إن رامت كلاماً صوّتت ... تصويت معزى نحو جدي راضع

أو قوله في التشبيب:

واللين يهز معطفيه ... كالغصن تهزه الشمائل

والكأس تلوح في يديه ... كالنجم بأسعد المنازل

ومن أمثلة هذا التصوير التشبيهي في مجالي الطبيعة قوله يصف نهراً:

فاسمع إلى غربيه في حصبائه ... كالقين جرَّ على الفلاة سلاحا

وقوله يصوّر النور:

فالنور في غسق كالنور في فلق قد استوى طيّب الآصال والبكر

كما كان مدركاً إدراكاً كاملاً الروعة التي يجتلبها التشبيه الآخر المركّب الذي تقارن فيه الصورة ذات الأجزاء بصورة أخرى ذات أجزاء، أعني التشبيه التمثيلي الذي تتماوج فيه الصور، وينطلق خلاله الخيال إلى أبعد مما يحلّق فيه التصوير بالمفرد، لذا جاء منه بالكثرة الكاثرة لتوضيح المعاني وتقويتها، ومن أمثلة ما جاء من هذا التصوير قوله في مدينة سبتة الجميلة الممتدة في أحضان البحر:

أخطر على سبتة وانظر إلى جمالها تصب إلى حسنه
كأنها عود غناء وقد ألقي في البحر على بطنه

أو قوله في وصف قصر الليل:

وعشية سبق الصباح عشاءها قصراً فما أمسيت حتى أسفرا
مسكية لبست حُلى ذهبية وجلا تبسمها نقاباً أحمرا
وكأن شهب الرجم بعض حليّها عثرت به من سرعة فتكسرا

أو قوله في وصف العضو الهالك:

كالحنش المقتول يُلقى على عود لكي يلقى على مزبله

أو قوله يصف تقلّبات الزمان:

يدور الزمان كدور الرياح فطوراً جنوباً وطوراً شمل

ومن أمثلة تصويره بالتشبيه التمثيلي قوله في تصوير بعض مظاهر الطبيعة الأخرى:

كأن فؤادي كلّما مرّ ذكره من الورق خفاق أصيب قوادمه

أو قوله:

ظنابيبها قد حرفت في رؤوسها كأعين حيّات عطاش تلظلظ

وما أروع قوله في هذا التصوير بالتشبيه التمثيلي يصف حمّالة سيف:

حمالة كرياض جاورت نهرا فأنبتت شجراً راقت أزاهرها
كحيّة الماء عامت فيه وانصرفت فغاب أولها فيه وآخرها

وهو التصوير الذي نعته لسان الدين بن الخطيب بأنه من «مقطوعاته العجيبة[1]». وعدّه من «المخترع المرقص[2]».

ب ـ التصوير بالاستعارة:

ومن المعلوم أن بلاغة الاستعارة في أشكالها المختلفة أبلغ وأروعُ في التصوير من بلاغة التشبيه، وذلك لما لها من مزيّة التوكيد وشرح المعنى بالقليل من اللفظ.

وقد وشّى مالك الكثير من فنون شعره باستعارات بليغة جاء بها في إسماح على نحو ما جاء في مدحيته الميمية حينما تحدّث عن بهجة الأرض:

أفاقت الأرض من نوم بها وصحت ... وأصبحت وهي تلحي السكر والحلما

ثم حديثه بعد ذلك عن يوم «فتح مراكش» الذي تغيّرت به مجريات التاريخ، إذ تلاشت به الدولة الموحّدية، وسيطرت خلاله الدولة المرينية:

فتح تبسمت الأكوان عنه فما ... رأيت أملح منه مبسماً وفما

ومما جاء من هذا التصوير البليغ في الأغزال قوله:

والروض يعير وجنتيه ... ورداً كهواي غير حائل

يسقيك بريقه مداماً ... ما أملح ساقياً مواصل

أو قوله في مقام المعاتبة يصوّر عروسه ويصفها:

بسّامة عن لؤلؤ متناسق ... من ثغرها في نظمه المتتابع

وطمعت أن تجلى وأبصر وجهها ... وتقر عيني بالهلال الطالع

وقد أشاع ابن المرحل الاستعارات بكثرة في إبداعاته مفيداً من بلاغة كلٍّ من الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية، فمن أمثلة الأولى قوله في وصف محبوبه:

---

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة 3: 315.

(2) المصدر نفسه 3: 315.

فأقول عند الليل يا قمر الدجى   وأقول عند الصبح يا شمس الضحى

وقوله فيه:

وغصن بانٍ تثنّى من معاطفه   سقيته الدمع حتى أثمر العذلا

وقوله يصوّر بالاستعارة ما يعانيه من ذلك المحبوب في حالي الوصال والهجر:

ولكم شربت صفاء ودّك خالصاً   ولبست ظلاً من رضاك ظليلا

وقوله في أخرى:

يسقيك بريقه مُداماً   ما أملح ساقياً مواصل

وقال في غير الوصال:

يا غصن بانٍ بانَ عنّي ظلُّه   عند الهجير فما وجدت مقيلا

وقال:

إن لم تجرني منه رحمة قلبه   من ذا يجير عليه ملك يمينه

كذلك أفاد شعره ببلاغة التصوير بالاستعارة المكنية، ولكنَّ ما جاء منها كان أقلَّ من التصوير بالتصريحية، نمثل لذلك بما قاله في غرض الغزل:

من أين للقلب ذنب إنما امتحنوا   بأعين تجتني الأنوار نوارا

وقوله:

وأوصيتموني لا أبوح بسرّكم   فباح بما أخفي تفيّض أدمعي

وقال:

حتى إذا باحت بنا شمس الضحى   للعين غبنا في العيان الأربد

ومن هذا التصوير بالاستعارة المكنية قوله في الغرض المذكور:

جنى ما جنى واستهلل الأمر في الصبا   فلما نهاه الشيب عن فعله لجّا

وقوله يصوّر الجوى والشوق لمحبوبه:

برتني يد الأشواق برياً وكيف لا   ومثواه في شرق ومثواي في غرب

كما استعمل هذا التصوير في أغراض أخرى غير الغزل والأمداح النبويّة نحو قوله في الفخر:

والخيل تشكونا ولا ذنب سوى　　أنَّا نروح بها وأنَّا نغتدي

أو قوله في باب الحكمة:

لو كنتَ في قعر بير　　أو كنتَ في رأس نيق
لجاءك الرزق يجري　　من كلِّ فج عميق

2 ـ التصوير البديعي:

أثرى مالك بن المرحَّل أشعاره بضروب من المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية، قصداً لإغناء إبداعاته في الفنون المختلفة بتحاسينها البليغة والمؤثرة.

أ ـ المحسنات اللفظية:

فما نطالعه من هذه المحسنات التي لها تأثيرها في نسق الموسيقا الداخلية للنصوص قوله في الجناس في مدح الرسول الكريم:

إلى المصطفى أهديت غُرّثنائي　　فيا طيب إهدائي وحسن هدائي

وقوله في مدحيته للأمير أبي مالك عبد الواحد المريني:

سيف وسيب وعفو بعد مقدرة　　وبطشة وأناة تجمع الحكما
ومن تخيّره للدين خالقه　　أعطاه نوراً يُجلِّي الظلم والظلما
كم من مُصرّ يلاقي ما جنت يده　　وتائب آئب بالتوبة اعتصما

والجناس في نصوصه الشعرية له تأثيره ودلالته في تجلية المعنى وتقويته بالإضافة إلى أنه محسن لفظي كما ظهر ذلك في الأمثلة السابقة، وكما يظهر من الأمثلة اللاحقة، كقوله في مقام الفخر ضمن قصيدته التي أجاب بها على لسان سلطانه يعقوب المنصور على رسالة الاستنجاد من ابن الأحمر، فقد نعت أخبار بني مرين بالقوة المحلقة الماحقة من خلال محسن الجناس:

تسري بأجنحة البزاة إلى العدا　　مثل الحمام الحائمات الورّد

والشاعر لا يأتي بهذا الجناس في مقام الأمداح والفخر فحسب، وإنما يشيعه في بقية الأغراض التي تناولها مثل غرض الزهد:

بداراً إلى هدي الدموع فربما غسلت ذنوباً جمّة بذنوب
بصائرها في الرشد غير ثواقب وأبصارها في الغي ذات ثقوب

ومثل غرض الغزل:

إن أقصدني فذاك قصدي أو جدلني فلا أجادل
والدمعُ لسائلي جواب إن روجع سائل بسائل

ونراه يستعمل من هذا المحسّن اللفظي كالجناس أنواعه المختلفة كالجناس التام والجناس المطرف والجناس المصحّف، والجناس المحرّف، والجناس اللفظي، والجناس المقلوب، مما يدلّ على عنايته به، وإدراكه التام لتأثيره في نسق الإبداع.

فمن الجناس التام قوله في الغزل والتنسيب الذي أسرف في معالجته إبان صباه وشبابه:

قل للصبا هيّجت أشجان الصبا فوجدت يا ريح القبول قبولا

وقوله:

ناديته لما ندت لي سينه وشعرت من لفظ السلام بسينه

وقوله في المدح مجانساً بين الحرف والاسم:

فتح تبسمت الأكوان عنه فما رأيت أملح منه مبسماً وفما

ومن الجناس التَّام في الأمداح النبوية قوله:

صديت إلى وادي العقيق فأدمعي عقيق فهل لي أن أمصَّ به مصّا

وقوله:

وقوتي به معمورة وهو لذتي وقوتي ومن يسلو إذا طعم السلوى

وقوله:

رحى الحرب بعد ذاك دارت على العدا ببدر فتمّ البدر للناس في بدر

ومن أمثلة الجناس المطرّف [المذيّل ـ الناقص] قوله في الغزل، مظهراً عدم احتفاله بقول العذّال:

تالله ما قصّر العذّال في عذلي   لكنْ أبت أذني أن تسمع العذلا

وقوله في باب المدح:

حيث المعارف والعوارف والعلا   في حدِّ مجد جامع لفنونه

وقوله:

هو الذي أشرقت أنواره فهدت   ساري الظلام بفخر منه منفجر

وقوله في الحكمة والزهد:

وأعظم مكسوب الفتى من زمانه   عدوٌّ منافٍ أو صديق منافس

وقوله في لاميته:

فشاركتهن لإني رأيت   خلال المودّة فيها خلل

ومن أمثلة استعماله الجناس المصحّف، وهو الذي يكون في الحرف قوله في الوصف:

أنا أحوي ذخائر الأعلاق   وأصون الحليّ في أغلاق

وقوله:

والطير يجاوب المزاهر   والحِلي يفاخر الأزاهر

ومن أمثلته في المدح والحكمة:

حفي وفيّ لا تمين عهوده   حميٌّ أبي لا تلين شكائمه

وقوله:

ظاء ظهير للعباد حفيظ   حظ له أدب العباد حظيظ

وقوله:

كم من مصرٍّ يلاقي ما جنت يده   وتائب آئب بالتوبة اعتصما

وقوله:

ففي الرزق ساوى الذكي البكي وفي الحَين ساوى الجبان البطل

وطاروا إليه بشهب الرماح كمثل الرياح تطير الشعل

ومن أمثلة بلاغة الجناس المحرّف وهو ما يكون في الحركة والذي أفاد الشاعر من بلاغة قوله في النسيب:

مذهبي تقبيل خدٍّ مُذهب سيّدي ماذا ترى في مذهبي

وقوله:

يا غصن بانٍ بانَ عني ظلُّه عند الهجير فما وجدت مقبلا

وقوله في المدح:

تبغي مناها في مناها عنده وتطوف بالحاجات عند حجونه

وقوله في الحكمة والزهد:

أجل أجل الروض مستأنف ومالصبا بعد فوت أجل

أما الجناس اللفظي فمن أمثلته التي نوردها هنا قوله في الأمداح النبوية:

يلملم ملموم ويدبل دابل ورضوى بحزن الحزن لا يرتضى بقيا

ينادي ثبير بالثبور تأسفاً ويعيا حراء وهو أحرى بأن يعيا

وقوله فيه وهو كالبيتين السابقين من قبيل الإعنات:

حبوري في تحييرها بقريحة إذا سوجلت كانت أجم القرائح

ونطالع مما استعمله من الجناس المقلوب شواهد كثيرة، نقتصر منها على هذه الأبيات. فمما أورده في الوصف قوله:

كيف يخلو عاسل من لاسع وحروف اللسع في لفظ العسل

وقوله فيه:

كفّ تسالم من يلقاه مستلما كما تقاسم من يأتيه ملتمسا

ومما جاء من هذا الجناس المقلوب في الأمداح النبوية قوله:

تقلّد سيفي مصحف وصفيحة فدان الورى ما بين عزّ وذلّة

وقوله:

جهالة قوم جادلوا في نبيّهم جدالاً رماهم في جلاد وإدلاج

وقوله ضمن هذا الغرض أيضاً:

دواعٍ إلى التقوى عوادٍ عن الهوى حوالٍ من الذكرى لواح على الرِّد

وقوله:

كبا وبكى الإسلام عند سقوطه وبالحق إن يكب وبالحق إن يبك

الاقتباس والتضمين:

كما نقرأ من المحسنات اللفظية: «الاقتباس والتضمين» اللذين أوردهما في نصوصه على إقلال، ولكنّه أحسن استخدامهما، وأثرى سياقات نصوصه ببلاغتهما، من ذلك قوله مضمّناً بعض الآي القرآني والأحاديث النبوية:

أتى الأمير أبو يعقوب أندلساً والروم فيها قد اشتدت أماكنهم

فلم يزل بسيوف النصر يضربهم فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم

وقوله:

وذكّر فإن الذكر منفعة وذاك في محكم التنزيل قد رسما

وقوله:

واسترحمتكم فارحموها إنه لا يرحم الرحمن من لا يرحم

فمما لا شك فيه أن قوله «فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم» مأخوذ من قوله تعإلى «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم»[1] وقوله في البيت «وذكر فإن الذكر منفعة» ملاحظ فيه قوله تعإلى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»[2] أما قوله « لا يرحم الرحمن من لا يرحم» فمستقى من قوله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن»[3].

ومما تم اقتباسه من أمثال العرب قولهم «سحابة صيف» الذي قوّى به معناه حيث قال:

مررت عليها والخضاب لمائه وبيض وريح المسك قد كاد يسطع

(1) الآية: 25 سورة الأحقاف.

(2) الآية 55 سورة الذاريات.

(3) مسند أبي داود: أدب: 58، الترمذي: برّ: 16 .

فقالت مليح ما أرى غير أنه ... سحابة صيف عن قليل تقشع

ب ـ المحسنات المعنويّة:

وكما استخدم ابن المرحّل المحسنات اللفظية وتأثيرها استخدم المحسنات المعنويّة وأثرى إبداعه ببلاغتها المتمثلة في الطباق والمقابلة وحسن تعليل والمبالغة والكناية والتلميح والتورية وغير ذلك.

فمن أمثلة ما نقرأه من الطباق الذي دلّ على ولوعه به قوله في شعر الجهاد:

لهفي على أندلس من جنة ... دارت بها من العدا جهنم
أستخلص الكفار منها مدناً ... لكل ذي دين عليها ندم
ولا دروا أن لديكم حرمة ... يحفظها شبابكم والهرم
ميتهم قد فرَّ من رحمته ... وحيهم بين يديهم يخدم

ومما ورد في غرض المدح:

فالغرب يعلو على شرق البلاد به ... وقومه يرهبون العرب والعجما

وقوله:

سريع إلى العافي وإن كان جائعاً ... فيؤثره جوداً ويضحي كما يمسي
سواء لديه العبد والحرُّ إن دعا ... أجاب خفياً للوليمة والعرس

ومن الطباق الذي أورده في غرض الحكمة قوله:

بني الدهر أما الدهر فهو عدوكم ... وإن لاح يوماً في ثياب حبيب

ونقرأ من أمثلة المبالغة أو الإفراط في الصفة ضمن هذه المحسنات المعنوية قوله:

لله منك مليك لا نظير له ... لولاك كان وجود الدين قد عُدما
الله أعطاه علماً من لدنه فلم ... يحتج إلى أحد في علم من علما
فللورى أن يقولوا عند رؤيته ... ما كان ذا بشراً بل أملكاً كرما

فهذا ضرب من المبالغة، أفرط فيه في مدح ممدوحه على عادة شعراء الدولة

الموحّدية في مدح حكامهم، على أن مالكاً لم يكثر من هذه المبالغات غير المقبولة.

واستخدم ضمن هذه المحسنات المعنوية «الكنايات» كقوله في التعبير عن الإسراف في تتبع اللذاذات والبعد عن وجوه الحق في طور من أطوار حياته:

جرى في مجال اللهو ملء عنانه   إلى الآن ما ألقى لجاماً ولا سرجا

وهو يأتي بالكنايات لبيان حالة من أحواله، أو وضع من أوضاعه تارة على سبيل اللّهو والتهكم كقوله في معرض الحديث عن «عروسه» وعن فقرها:

فقعدت في بيت صغير مُظلم   لا شيء فيه سوى حصير الجامع

أو قوله في مقام الجد:

جناحي مقصوص فمالي قدرة   على قطع أرض نحوه ولجاج

وقوله في مقام آخر:

صدحت بشعري من بعيد ولم أطر   وكيف مطاري والجناحان قد قُصّا

كما تأتي كناياته مستقاة من النسق التراثي الذي كثر دورانه في الشعر العربي حسبما يجلوه هذان الشاهدان:

وقامت الحرب على ساق فما   زلّت لأهل الصدق منهم قدم

وقوله:

أضحت له جنة الرضوان قد فتحت   أبوابها وفؤاد الدين قد نعما

لما رأت راية السلطان قد رفعت   في أفقها قرعت أسنانها ندما

فلا خفاء في أن قيام الحرب على ساق كناية عن اشتدادها والتحام المقاتلين فيها، وأن قرع السن كناية عن الندم من الكنايات التراثية الموروثة التي تناقلها الأدباء جيلاً بعد جيل.

وأكثر الشاعر من استخدام «التلميح» وهو ما يطلق عليه النقدة المحدثون «الاستدعاء» حيث نراه يستدعي أسماء مشاهير في التاريخ مثل الأنبياء كسيدنا «نوح» عليه السلام:

ونح إن كنت من أصحاب نوح لكي تنجو نجاة الأربعينا

وسيّدنا «عيسى» عليه السلام:

بشارة عيسى حين أخبر باسمه وقال ارقبوا هذا النبي من العرب

وسيّدنا «محمد» ﷺ:

هرماً غريباً ما لديه مؤانس إلا حديث محمد والمصطفى

واستدعى «أهل الكهف» في قوله:

لأنتم أهل كهف قد ضربنا على آذانهم فيه سنينا

كما استدعى مواقع مشهورة مثل فتح مكة:

وسل فتح مكة عنهم وقد أتاهم فماتوا لفرط الوجل

أو يوم بدر:

فقل فيهم يوم بدر وقد جزاهم بضرب الطلى والقلل

أو أعلاماً لهم وزنهم في سياقات التاريخ العربي والفارسي والتركي: -

كلوني لمدح المصطفى وحديثه فكسرى وخاقان لفارس والترك

كما استدعى أسماء قبائل وأسماء سور قرآنية وأسماء مواضع كان لها - كما تبيّن - تأثيرها البليغ في إثراء النصوص وتحسينها.

وعلى الرغم من ازدهار فن التوريّة في شعر شعراء القرن السابع بالغرب الإسلامي[1] فإننا نرى حظ شعره من هذا المحسّن قليلاً، ويظهر أنه لم يعتن بإشاعته، ومن أمثلة ما يطالعنا من توررياته القليلة قوله:

متمكّن في الحسن نوّن صدغه فتبيّن التمكين في تنوينه

وقوله:

خالفني أشهب في مذهبي ومالك وافقه أشهب

(1) راجع ظاهرة التورية في الشعر المغربي الأندلسي في القرنين الـ 7 و8 الهجريين.

فمذهبي مخترع نادر وسرق الشعر له مذهب

كما أنه لم يستعمل كثيراً التوشيع في شعره، وربما اقتصر من ذلك على النص الوحيد الذي وصلنا منه، والتوشيع أو التوسيع من أشكال الإطناب، ويُعدُّ من الإيضاح بعد الإبهام وهو في مصطلح علماء البيان «أن يأتي المتكلم بمثنى يفسره بمعطوف ومعطوف عليه، وذلك أن التثنيه أصلها العطف فيوسّع الاسم المثنى بما يدل على معناه[1]».

وقد أورد ابن الخطيب نصّ ابن المرحل في التوشيع ومطلعه:

يا راحلين وبي من قربهم أمل لو أغنت الحيلتان القول والعمل

وعدّه «من مستحسن نزعاته[2]» وربما اعتبر صالح بن يزيد بن شريف النفزي سابقاً له في معالجة هذا التوشيع[3].

ويتضح من خلال ذلك العرض والاستقراء لملامح البنية البلاغية في آثاره عمق تحصيله لعلم البلاغة، وتفننه الظاهر في استخدام ضروبها المتنوّعة في مقاماتها المناسبة، وقدرته على التأثير بها في سياقات نصوصه، وهو ما يجعلنا نتفق مع الأحكام الدقيقة التي حكم بها الأستاذ عبد الله كنون على هذا الجانب في إبداعه حيث أكدّ ما في شعر مالك بن المرحَّل من «تنوّع المقاصد والأغراض، واختلاف الأساليب والأوضاع، والتجديد والابتكار سواء في المعاني أو الأساليب، مع ما يتعمده أحياناً من ارتكاب فنون البلاغة، ومحسنات البديع، فيأتي بها مقبولة مستساغة، بل محبوبة مرغوباً فيها، بالعكس مما تقع لبعض المتكلفين[4]».

(1) معجم البلاغة العربية 2 :950.

(2) الإحاطة 3 :311.

(3) المصدر نفسه 3 :364.

(4) ذكريات مشاهير المغرب «مالك بن المرحل» 35.

الفصل الثاني

نظرات في نثره

لم نتوصل بآثار قلميّة كاملة من نثر مالك بن المرحل وإنما وصلتنا قطوف متفرقة مما كتبه، فقد كان معروفاً بالكتابة، بارعاً في النثر كما شهد له كبار الكتاب، قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير أحد تلاميذه في تحليته «وكان حسن الكتابة إذا كتب، والشعر أغلب عليه»[1].

كما أظهر لسان الدين إعجابه الشديد بنثره الذي غطّت عليه شهرة شعره وكثرته حيث قال: «وفضّل الناس نظمه على نثره، ونحن نسلّم ذلك من باب الكثرة لا من باب الاجادة[2]».

وقد رأينا أن من تمام التعريف بهذا الأديب وإظهار مكانته ودوره بين أدباء العدوتين في القرن السابع أن نجمّع ما انتهى إلينا من قطوف وفصول نثره المتفرقة، وأن نحقّق أصولها مع أشعاره ومنظوماته، كما رأينا دراستها وتحليلها لمعرفة طبائعها فقد ألمع مترجموه كابن أبي زرع وابن الخطيب[3] وابن القاضي وغيرهم إلى أنه كان من كتّاب الرسائل الديوانية السلطانية، وقد أوقفنا ابن الخطيب على نصٍّ نثري من نصوص رسائله تمثل في رسالته الإخوانية إلى الأديبين أبي بكر الفخار وأبي القاسم القبتوري[4].

وكنت أعلم وأنا أنهض بعبء جمع ابداعات أديب العدوتين - أن خزانة العلاّمة محمد عبد الهادي المنوني تضمُّ - كما تقدّم في الطالعة - أوراقاً مخطوطة

(1) الإحاطة 3: 304.

(2) م. ن 3: 320.

(3) الإحاطة 3: 304 - 320 .

(4) الإحاطة 3 :320 ونشرها محقق الإحاطة متلبسة بالكثير من الاخطاء التي صححناها في هوامش التحقيق.

قديمة، ربما تعود إلى القرن السابع الهجري، تشتمل من أعماله على رسالته «الرمي بالحصا والضرب بالعصا[1]» وعلى المقامة النجدية[2] أو الزهدية كما تصفها بعض المصادر وعلى رسالته المذكورة للأديبين الفخار والقبتوري. وأخرى غيرها، وأذكر أني فاتحته ـ عندما شرفت بزيارته أول مرّة في بيته العامر ـ باهتمامي بابن المرحّل وآثاره، ورغبتي في الاطلاع على ما تضمه مكتبته منه، فخفّ بأريحيته ـ كعادته في الفضل المحمود الذي أدركه فيه من اتصل به من الباحثين وأمدني بمصوّرة من مخطوطات تلك الأوراق، التي تعدّ ـ حسب ترقيمه خمساً وثلاثين ورقة، لم تسلم لقدمها من التآكل والتلاشي والمحوّ في كثير من المواضع، وبخاصة في الجزء الذي تشغله رسالة «الرمي بالحصا والضرب بالعصا».

ولقد أصاب الأستاذ اسماعيل الخطيب حيث قال في وصفها: «تصعب الاستفادة منها نظراً لما أصابها من تلف في كلِّ أوراقها»[3].

وبالرغم من ذلك فقد بذلت جهداً في مكابدة قراءتها لأجل توفير نصوص نثرية من آثار هذا الأديب فأثبتت المقامة النجدية، ورسالته إلى الأديبين الفخار والقبتوري والجزء المقروء من مناظرته لابن أبي الربيع النحوي في مسألة «كان ماذا» التي سمّاها «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» ورسالة أخرى قصيرة، كما أثبتت له من خارج تلك الأوراق ما كتبه في عروض الدوبيت الموجودة بمكتبة الأسكوريال بمدريد بعنوان: «رسالتان في الدوبيت» تحت رقم (288).

وقد تسنّى لنا من قراءة تلك النصوص النثرية وتحقيقها أن نكتب العرض الآتي في تحليلها تحليلاً موجزاً كاشفاً في فن رسائله وفن مقامته النجدية، وفي فن النقد والمناظرة من خلال المتوافر من آثاره.

وفي الحق فإن تلك النظرات في نثره الذي أغفله الدارسون ـ قد جلت أنه كان في عداد كبار كتّاب العدوتين والناثرين فيهما، كما كان من أفذاذ الشعراء ومبرزيهم في القرن السابع حسبما تقدّم بيانه في تحليل مضامين شعره ومبانيه.

---

(1) نشر الأستاذ عبد الله كنون جزءاً من هذه الرسالة في النبوغ المغربي 2: 56 .

(2) نشرتها محققة في مجلة البحث العلمي.

(3) راجع كتاب الحركة العلمية بسبتة.

المحبث الأول: فن الرسائل:

أ ـ الرسائل الديوانية:

لقد ألمح لسان الدين بن الخطيب ـ في غير تفصيل ـ إلى أنه كان من الكتّاب في دواوين الإنشاء في بعض البلاطات حيث قال «وتولّى القضاء، وكتب عن الأمراء، وخدم واسترفد[1]».

وأغلب الظن أنه أشار بذلك إلى اشتغاله بالكتابة الديوانية في العدوة المغربية التي أمضى فيها جُلَّ حياته وبخاصة في مدينتي «سبتة» و«فاس».

ولم تحدثنا المراجع عما إذا كان تولّى الكتابة الديوانية أو السلطانية للرئيس علي بن خلاص أو لأبي القاسم العزفي أو لمن سبقهما أو عاصرهما من حكّام المغرب أو الأندلس، ولكنَّ ابن المرحّل أشار في رسالته المسمّاة «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» إلى حاكم سبتة بقوله «سيّدي ومخدومي[2] وتأدبَّ في خطابه فذكر اسمه مقروناً بـ «المملوك[3]» وما من شك في أن تلك الإشارة دلّت على خدمته في البلاط السبتي وقد مرَّ بنا أنه نظم بهذا البلاط عقد زواج ابن حاكم سبتة أبي القاسم العزفي في سنة (658هـ/ 1295م).

وقد تقدّم في ترجمته من خلال ما أكّده علي بن أبي زرع أنه كان من أبرز كتّاب الرسائل الديوانية في الدولة المرينية بفاس في العقد السابع من القرن السابع يكتب للأمير أبي مالك بن يعقوب ثم الأمير عبد الواحد الذي اشتهر بفضله وعلمه وتوقيره العلماء الذين كان منهم مترجَمنا «الفقيه الأديب مالك بن المرحل، وكان يكتب له الرسائل[4]». وأكّد ذلك أيضاً في كتابه الآخر «الأنيس المطرب بروض القرطاس».

---

(1) الإحاطة 3 :305.

(2) مخط (ن).

(3) م. ن.

(4) راجع الذخيرة السنية 102 .108 وابن عذاري. البيان المغرب 419:3, 423, 424, 430, 439.

ومن المؤسف أن مالكاً لم يحتفظ لنا بشيء من رسائله الديوانية الكثيرة، كما أن المراجع لم تحتفظ لنا بقليل أو كثير من إبداعاته فيها، فهل يجوز لنا الافتراض هنا ـ بعد أن تأكدت خدمته في ديوان الإنشاء بسبتة ـ أن الرسائل العزفية غير التي ثبتت نسبتها إلى صديقه الكاتب خلف القبتوري، والتي ظلّت غفلاً من اسم كاتبها تعدُّ من إبداعاته وآثاره المجهولة التي عملت الظروف على طمسها؟ وهل تفصح الخزائن المغلقة في المستقبل عن وجود عدد من رسائله الديوانية الأخرى التي حبّرها قلمه لحكام سبتة أو لحكام وأمراء بني مرين في فاس؟

تلك افتراضات نثبتها نظراً لغياب آثاره النثرية في هذه الرسائل التي عرفت في عصره تألقاً في المعنى والمبنى؟ ومهما يكن من شيء فإن نثره فيها لا يختلف في نظرنا عن مساقات نثر المبدعين في القرن السابع والمتميّز بمراعاة أقدار من يكتب لهم أو إليهم من الحاكمين، وبالحفاظ على التقاليد المرعيّة من التزام فن التحميد والصلاة على الرسول ﷺ، وذكر البلاط المرسل وتوضيح المراد من غرض الإرسال ثم الختم بالدعاء، مع التمسك بالتفنن في الصناعة، وحسن السبك[1].

ب ـ الرسالة المزاوجة:

نعني بالرسائل المزاوجة المصطلح الذي اقترحناه لتسمية الرسائل الأدبية غير الديوانية وغير الإخوانية، والذي يتم فيه الخطاب بين رئيس ومرؤوس أو من أعلى إلى أدنى أو بالعكس بمعنى أن المخاطِب والمخاطَب غير متناظرين أو متساويين في المنزلة الاجتماعية، وقد فصّلنا القول في أن هذا اللون من الرسائل الأدبية كثير وواسع في تراثنا الأدبي، إلا أنه ظلّ منذ القديم مجهولاً ومغفولاً عنه في تراثنا الأدبي والنقدي ولم يُخصَّ بمصطلح نقدي خاص فوضعنا له المصطلح وأثبتنا له المعالم والنماذج[2].

(1) راجع في ذلك «المثل السائر» لابن الأثير، و«صبح الأعشى» للقلقشندي.

(2) راجع هذا المصطلح وما كتبته عنه في البحث الذي شاركت به في ندوة «التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة» كلية الآداب تطوان وفي فن الرسائل في أطروحتي لدكتوراه الدولة «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب ، المضامين والخصائص الأسلوبية».

ولم تصلنا من آثار أديبنا وكاتبنا في هذا اللون إلا رسالة مزاوجة واحدة وقفنا عليها ضمن الأوراق الموجودة في مكتبة الأستاذ المنوني، وهي المرقمة في التحقيق برقم (103).

ومن الأسف أن هذه الرسالة المزاوجة الوحيدة لم يذكر فيها الكاتب ابن المرحل اسم سلطانه أو أميره الذي خاطبه، وإن كان دلّ فيها على مكانته كمخاطب تواضع بنفسه أمام مخدومه المخاطب «وبعد فإن خديم مجده ومديم حمده[1]» و«فهم الخديم ما تضمنه من نكث البيان[2]».

وقد أنشأ الكاتب رسالته المزاوجة هذه في غرض الشكر والثناء على تقدير وتقريظه المخدوم لأعماله الأدبية «في شأن القريض[3]». وأيضاً «في شأن الموطأة» والنصُّ قصير والراجح أنه مبتور وغير كامل.

ج . الرسالة الإخوانية:

أغلب الظن أن مالك بن المرحّل عالج فن الرسالة الأهلية الإخوانية كما عالج الرسالة الديوانية، وفي تقديرنا أنه أكثر من الكتابة في هذا اللون إلى كثير من إخوانه وعشرائه الأدباء والعلماء في المغرب والأندلس وربما في غيرهما من الأمصار وأنه قد جوّد فيه بما اختاره لها من مضامين وأشكال، ولئن لم يصل إلينا شيء من رسائله الديوانية، فإن الرسالة الأهلية الإخوانية التي احتفظ بها لنا لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة[4] دالّة على براعته واختيار الأساليب المؤثرة، والمظاهر البيانية التي تحمل متلقيها على الإقرار له بالإبداع، وهذا ما حمل ابن الخطيب على الثناء عليها وعلى نثره بعامة في حكم نقدي يدل على بعد الغور ودقة الملاحظة والترجيح، قال رحمه الله: «وفضل الناس نظمه على نثره، ونحن نسلّم ذلك من

---

(1) مخط (ن) الورقة 35.

(2) م. ن 35.

(3) م. ن35.

(4) الإحاطة 3 :320 وراجع ما كتبناه عن فن النقد في آثار ابن الخطيب في أطروحتنا «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب».

باب الكثرة لا من باب الإجادة، وهذه الرسالة معلمة بالشهادة بحول الله[1]».

والرسالة التي أوردها ابن الخطيب وأعجب بها هي رسالته التي كتبها إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبي بكر يوسف بن الفخار[2]، وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري[3] كاتب الإنشاء لأبي القاسم العزفي[4].

ويبدو أن هذه الرسالة قد كتبت في بداية إقامة ابن المرحَّل بمدينة سبتة، إذ يتجلى محور مضمونها في الثناء على شخصيتي ذينك العالمين المقربين من حاكم سبتة، والإشادة بعلمهما وفضلهما وطلب القرب من مجالسهما حتى يُعدَّ بهذا الانتظام في سلك المريدين المنتسبين لشرف التعلق بهما.

وقد عرضت الرسالةُ ـ كما يتبين ـ في معرض حسن من البيان والصياغة مراعاة لبلاغتهما، ما عدا مواطن قليلة خاست فيها أقلام النساخ. استهل الكاتب رسالته بمدح هذين العالمين، وبالثناء على أصولهما الرفيعة، وما جمع بينهما من مودّة ومواهب علميّة عالية وملكات لسانية وظرف:

«لّله درّكما حليفي صفاء، وأليفي وفاء، يتنازعان كأس المودّة تنازع الأكفاء، ويتهاديان ريحان التحية تهادي الظرفاء، قسيمي نسب، وقريعي حسب، يتجاوزان بمطبوع من الأدب ومكتسب، ويتواردان على عَلَم من الظرف ونسب، رضيعي لبان، ذريعي لُبان، يحرزان ميراث قس وسحبان، ويبرزان من الذكاء، ما بان على إبان، قسيمي مجال، فصيحي روية وارتجال، يترعان في أشطان البلاغة سجالاً بعد سجال، ويصرعان في ميدان الفصاحة رجالاً على رجال[5]».

ثم خلص بعد ذلك التنويه إلى غرض آخر هو غرض العتب والشكوى،

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) تقدمت ترجمته

(3) الإحاطة 3 :320 ووردت الرسالة في تحقيقها مليئة بالتصحيف والتحريف كما يتضح ذلك من تحقيقنا لها.

(4) الإحاطة 3 :320.

(5) راجع الرسالة المزاوجة في الكتاب ص 492 .

فأبدى لومه لهما إذ لم يقرباه من مجالسهما ليجعل هذا العتاب بعد الثناء وسيلة إلى بلوغ الأمل[1].

ثم يأتي بعد هذا اللوم إلى الاعتداد بمواهبه وملكاته فيرى فيها خير شفيع يدنيه من هذين الشيخين المهيبين، وطريقته في هذا الاعتداد إظهار التواضع بسلب ما عرف به بين أهل زمانه وشهر، ثم بإبراز علومه التي حذقها، ليدلّ على أنه ليس خالي الوفاض، وأنه أهل للانتظام في مجالس العلم والفضل التي عرفا بها.

«وإن قلت إن باعي في النظم قصير، ومالي على النثر ولي ولا نصير، وصنعة النحو عني بمعزل، ومنزل الفقيه ليس لي بمنزل، ولم أقدم على العلم القديم، ولا استأثرت من أهله بنديم، فأنا والحمد لله غني بصنعة الحفر وأقتني اليراع كأنها سبائك التبر، وأبري البريّة تنيف على الشبر، وأزين خدود الأسطار المستوية، بعقارب اللامات الملتوية ولا أقول كأنها[2]».

ونراه يصرّح بعد ذلك بما أصابه من جور في لهجة حادة «فما هذا الازدراء والاجتراء في هذا الأمر، تاللّه لقد ظلمتماني على علم، وأسندتماني إلى غير حلم أما رهبتما شبابي، أما رغبتما في حسابي، أما وقفتما بين نفح صبابي، ولفح صبابي، لعمري لقد ركبتما خطرا وهجتما الأسد بطرا، وأبحتما حمى محتضراً، ولم تمعنا في هذا الأمر نظرا:

أعد نظراً يا عبد قيس لعلما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

وكلمة الملاحة السابقة التي تشدّد فيها على سبيل التحبّب، يجعلها توطئة للتدلل والاسترضاء والإغراء بالإقبال عليه، وخصّه بالإنعام والإكرام من عالمين شهد الناس بفضلهما:

«ونفسي عين الحمار في هذا المضمار، لا أعرف قبيلاً من دبير، ولا أفرق بحسّي بين صغير ولا كبير، ولا أعهد أن حصاة الرمي أخف من ثبير، أليس في

(1) م. ن 3:320-321.

(2) الإحاطة 3: 321.

ذوي كبد رطبة أجر، وفي معاملة أهل التقوى والمغفرة شجر، وإذا خولتماني نعمة، أو نفلتماني نفلاً فاليد العليا خير من اليد السفلى وما نقص مال من صدقة، ولا جمال من لمح حدقة، والعلم يزيد بالإنفاق، وكتمه حرام باتفاق[1]».

وتعمد الرسالة في الإقناع إلى البرهان الخطابي النافذ الذي يحمل المجادل على التسليم «فإن قلتما لي إن فهمك سقيم، وعودك على الرياضة لا يستقيم، فلعلّ الذي نصب قامتي يمن باستقامتي، وعسى الذي شقّ سمعي وبصري أن يزيل عييّ وحَصَري فأعي ما تقصان، وأجتلي ما تنصان، وأجني ثمار تلك الأغصان، فقد شاهدتما كثيراً من الحيوان يناغي فيتعلم، ويلقن فيتكلم، هذا والجنس غير الجنس، فكيف المشارك في نوعية الأنس[2]».

وتنحو الرسالة بعد ذلك منحى المبالغة في إبداء الخضوع والتذلل، وتصوير السكون المحمود الذي يحسنه المريد أمام الأشياخ، ووصف المسكنة التي يقذفها الله في قلوب طلاب العلم النابهين تلقاء الأساتيذ المتقين، واقتصر في إجلاء هذا المنحى على نقل وجيز من المظهر الذي غلب على هذه الرسالة، بقوله: «فما ضركما أيُّها السيّدان، أن تحسبا تحويجي وتكتسبا الأجر في تدريجي، فإنكما إن فعلتما ذلك نسبت إلى ولائكما، كما حسبت على علائكما، وأضفت إلى نديكما كماعرفت بمنتداكما، ألم تعلما أن المرء يعرف بخليله، ويقاس به في كثيره وقليله، ولعلي أمتحن في مرام، ويعجم عودي رام، فيقول هذا العود من تلك الأعواد، وما في الحلبة من جواد فأكسوكما عاراً، وأكون عليكما شعاراً. . . الخ[3]».

والكاتب يلجأ في المقطع الموالي من رسالته المثبتة في تحقيق النصوص - إلى نسق من القول جميل، حيث يوظّف ككتّاب المغرب الإسلامي الطبيعة في الإبانة عن مقاصده، فهو يحلُّ المخاطبين في روض حافل بالمنازه، وشدو الطير، وبهاء الأزاهير، ونعومة العيش ليقابل ذلك بحالة المجرّد في العراء لا ينعم بحياة أو

---

(1) الإحاطة 3 :321.

(2) م. ن 3 :321, 322.

(3) الإحاطة 3 ,322.

صفو[1] على نحو ما سبقت إليه الإشارة في ترجمته.

ومن الطريف أن يعمد الكاتب بعد وصف حاله الذي استنتجنا منه في ذلك الموضع ما كان يعانيه من إهمال ـ إلى الدعاء حيث يسأل الله في سطوره أن يرقق قلبيهما ويبسط وجهيهما حتى يكون بهما «ثالث القمرين في الآيات، وثالث العمرين في عمل البر وطول الحياة[2]».

ذلك هو محور الرسالة وموضعها ـ وهو دون شك محتوى طريف يمثل شكل الرسائل الإخوانية والأهلية التي سطرها مالك بن المرحَّل ليلفها التاريخ في ألفاف الضياع والنسيان وليس بخاف ـ من خلال النماذج المعروضة منها ـ أن ابن المرحَّل الكاتب استخدم فيها ألواناً من البلاغة والتصوير والتوشية، ارتقت بمضمونها ـ إلى مصاف الرسائل الأدبية الموصوفة بالإجادة على ما ذكره ابن الخطيب.

فألفاظ الرسالة وتعابيرها ـ كما تبيّن ـ تنمُّ عن أن كاتبها كان يتحلى بمخزون واسع من العربية وتراكيبها وهي ألفاظ تكشف عن معانيها ـ في الأفشى ـ بجلاء ولا تحوج قارئيها إلا في مواضع عمد فيها إلى الإغراب الاستعراضي ـ إلى مراجعة وتأمل.

وقد آثر في جُلّها إن لم نقل كلّها فن السجع الذي كان فاشياً منتشراً في عهده، فالعبارات متقابلة بهذا التسجيع الذي أضفى على النص موسيقية سارية محسوسة من بدئه إلى ختامه، كما أنه يحفل في داخله بالجناس «رضيعي لبان» ذريعي لُبان» وقوله «لم تسمحا لي من عقود كما بدره، ولم ترشحاني من نقودكما بدره» وقوله: «ولو كنت من أصحاب طالوت لأفسحت لي غرفة واتيحت لي ترفه» وقوله: «تالله لقد ظلمتماني على علم، وأسندتماني إلى غير حلم» وأيضاً قوله: «أما رفعتماني بين نفح صبابي، ولفح صبايي».

وبالمطابقة في مثل قوله «لم تفسحا لي بحلوة ولا مرّة» وقوله: «ناطق بلسان

---

(1) م.ن 3: 322, 323.

(2) الإحاطة 3: 323.

أفرق بين الإساءة والإحسان» وقوله: «لا أعرف قبيلاً من دبير، ولا أفرق بحسّي بين صغير وكبير، ولا أعهد ان حصاة الرمي أخف من ثبير»

والنثر إلى ذلك حافل بالكثير من التشابيه والاستعارات والتوشيات البديعية والكنايات، فمن التشابيه قوله في التشبيه العادي في آخر الرسالة: «مثلي كمثل الفروج أو ثاني البروج » أو التشبيه التمثيلي، «وأنا بينكما كالمحجوب بين طلاب يشاركهم في البكاء لا في التراث».

ومن الاستعارات قوله: «ويتبرج الليل والنهار، ويقرأ الطير صحفاً منشّره، ويجلو النور ثغوراً موشرة، ويغازل عيون النرجس الوجل خدود الورد الخجل».

وفيها من الكنايات قوله في إظهار ما مني به من نبذ: « لا يدني محلّى، ولا يعتني بعقدي ولا حلي ولا أدرج من الحرور الى الظل» وفي تصوير حرمانه من الشيخين «كم أستسقي فلا أسقى، وأسترقي فلا أرقى» أو قوله في ختام الرسالة «ويقال استتب الفصال، وتعاطى البيذق ما تفعل النصال».

فضلاً على ما ورد في هذه الرسالة من البرهان الخطابي، ومن استدعاء الشخصيات التراثية والمواضع والأمثال التي تقوّي معاني الكاتب نحو استدعائه قساً وسحبان وإبّان اللاحقي وطالوت وابن أبي سفيان وغيرهم من الأعلام.

على أن النصّ يبلغ ذروته بالإفادة من دلالات الأحاديث النبوية الشريفة المثبتة في المواطن التي تليق بها في السياقات كقوله: «وإذا خولتماني نعمة، أو نفلتماني نفلاً «فاليد العليا خير من اليد السفلى» و«ما نقص مال من صدقة» و«العلم يزيد بالإنفاق» أو اختلاسه منه مثل «وكتمه حرام باتفاق»[1].

وبهذا النظر في مضمون رسالة مالك بن المرحل الإخوانية وشكلها، نصل إلى التسليم بما أراده لسان الدين بن الخطيب من قوله في تحليتها: «وهذه الرسالة معلمة بالشهادة بحول اللّه»[2] يعني الشهادة بالإجادة. ولقد رأت الباحثة رزقي جميلة في هذه الرسالة أنها من أجود وأبلغ ما تمثل به للنثر الفني عند ابن

(1) الإحاطة 3 :321

(2) م. ن 3 :320.

المرحل[1]، وذلك لما اتسمت به من الوضوح والاسترسال والعذوبة[2] وعدتها «تحفة فنّية، وكنزاً نثرياً نادراً، أراد ابن المرحَّل بواسطته إثبات وجوده الأدبي، ومزاحمة فرسان الإنشاء[3]».

(1) مالك بن المرحل أديباً 159.

(2) م. ن 159.

(3) م. ن 160.

المبحث الثاني: فن المقامة:

المقامة النجدية:

تعتبر المقامة النجدية لأديب العدوتين مالك بن المرحّل في مقدمة آثاره التي تؤكد مظهر «الأدبية» في نتاجه الفكري المتنوّع.

وقد أشارت المراجع القديمة والحديثة إلى هذه المقامة، ونسبتها إليه[1] ولكنّ أصلها المخطوط ظلّ - على الرغم من تلك الإشارات سارباً مستكناً في المجاهل والخزائن، مستغرقاً طوال قرون في نومة عميقة في أطواء القماطر كباقي آثاره وآثار الكثيرين من الأعلام الذين سبقوه ولحقوه، وما من شك في أنه لو كتب لها أن ترى النور والظهور[2] لكان لها أثرها البارز بطوابعها المميّزة في تقرير ما حرّره النقاد من الأحكام وتوجيهها الوجهة الموضوعية.

على الرغم من ظهور فن المقامات في المشرق خلال القرن الخامس للهجرة أو قبله بقليل وبلوغه مبلغ الشهرة على يد بديع الزمان الهمذاني وتلميذه أبي محمد الحريري[3] فإن الأندلسيين والمغاربة لم يفتهم - كما تومىء بعض الدراسات - هذا النوع الأدبي خلال القرن الخامس، ولم يُبدوا حماسة ظاهرة في تأثره، وتشرّب أوضاحه وملامحه، إلى أن حلّ القرن السادس، حيث ظهر لهم فيه التأثر بهذا الفن، والانفعال به وبأعلامه المشارقة، وبخاصة أبي محمد الحريري[4]، فكتبوا في ذلك آثاراً غير قليلة محاكاة للبديع، ولأستاذه المذكور، تمثلها مقامة أبي محمد بن

---

(1) راجع: برنامج أبي القاسم التجيبي، الذيل والتكملة لابن عبد الملك الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، جذوة الاقتباس لأحمد بن القاضي، والأنيس المطرب بروض القرطاس، والذخيرة السنية لابن أبي زرع، و«بغية الوعاة» لجلال الدين السيوطي وغيرها.

(2) نشرتُ هذه المقامة بمجلة البحث العلمي ع س.

(3) راجع فن المقامات بين المشرق والمغرب للدكتور يوسف نور عوض، فن المقامات في الأدب العربي للدكتور عبد الملك مرتاض، أصول فن المقامات للدكتور ابراهيم السعافين.

(4) ذكر ابن الآبار «أن كثيراً من الأندلسيين سمعوا من الحريري مقاماته الخمسين ببستانه ببغداد، ثم عادوا إلى بلادهم حيث حدثوا بها عنه».

مالك القرطبي التي خاطب بها ابن صمادح ومقامة محمد بن عبد العزيز المعلم في الحديث عن الرحيل والانتقال، ومقامة عمر بن الشهيد التي تحدّث فيها عن فقيه اسمه ابن الحديد، ومقامات أبي المطرف بن فتوح، وأبي حفص ابن برد الأصغر، وغيرهم من الأدباء ممن أورد ابن بسام نماذج من مقاماتهم في ذخيرته[1].

كذلك نجد من مقامات هذا القرن المقامتين الانتقاديتين الأولى المسمّاة (المقامة القرطبية) أو«ميزان الأعيان بحكم الزمان» لمؤلف مجهول انتقد فيها علماء قرطبة[2]، والأخرى (المقامة الشلبية)، وتنسب لأبي الوليد بن سيّد أمير، وقد وظفها صاحبها لهجاء رجالات شلب من أعيان وقضاة وأدباء وانتقدهم فيها.

ولئن كان من أظهر خصائص المقامة المشرقية تأسسها على محورين أساسيين هما الكدية والتخّيل من حيث المضمون واللذان يتنامى بهما المسرد الحكائي والقصصي بسلوك كلٍ من الراوي والبطل والشخصيات الثانوية. وعلى المحور الفني الإبداعي الذي يُبرز القدرة اللغوية واللّسانية للأديب[3] فإن الإبداع الأندلسي والمغربي في فن المقامة تركّز أساساً ـ وكما تلمع بعض الدراسات ـ على المحور الثاني، بحيث لا يكاد يرى الأول إلا بشيء من إنعام النظر والتكلّف.

وقد استطاع ابن المرحل أن يتجاوز هذا القصور، وأن يثري مقامته النجدية بمعطيات المحورين، خلافاً لمن تقدّمه في العدوتين.

مضمون المقامة:

سمَّى ابن المرحَّل مقامته «المقامة النجدية» أو هكذا عرفت المقامة في المراجع الأدبية والتاريخية القديمة والحديثة[4]، نسبة إلى راويها أبي عوف

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 2 :254, 256, 257, 258.

(2) رسائل ومقامات أندلسية للدكتور فوزي سعد عيسى 139, 160.

(3) راجع فن المقامات بين المشرق والمغرب، فن المقامات في الأدب العربي، فن المقامة للدكتور شوقي ضيف، أصول المقامات.

(4) أشار الشيخ أبو القاسم التجيبي تلميذ مالك بن المرحل إلى أن هذه المقامة من إنشاء شيخه، وهي معروفة باسمها في حياته، وكانت في جملة ما أخذ عنه قال« وجزء فيه المقامة النجدية في الزهد وهي من إنشائه أيضاً ـ رحمه الله تعالى» برنامج التجيبي: 289.

النجدي[1]، الذي اختيرت نجد مكاناً لولادته، ونؤثر قبل المضي في القراءة السياقية للمقامة، وما جرى فيها للراوية والبطل من أحداث وملابسات أن نتساءل هذا السؤال. ترى هل جاء اتخاذ ابن المرحَّل هذا الراوية النجدي لمقامته من قبيل التسميات الفنّية العابرة، التي لا تشي إلا بمجرد المحاكاة لمن سبقه، أو أنه كان يصوّر براويته النجدي، وبطله الذكي المحتال، واقعاً أندلسياً ومغربياً معيشاً، لم يشأ أن يفصح عن شخوصه إلا من خلال هذه الرموز البعيدة الموهمة الصارفة، والتي ربما أوحت بالمعنى القريب غير المراد؟

إن الذي أرتاح إليه أن أديبنا اتخذ من شخوص مقامته وأحداثها تصويراً للواقع الأندلسي والمغربي المأزوم في القرن السابع والذي تقلّب في حياته العامة، بل ربما جعل أبا عوف النجدي الراوية رمزاً لذاته ومعاناته الخاصة في تلك البيئة التي عايشها، وعانى الكثير من ضوائقها ومضايقاتها في بعض أطوار حياته كما تفصح ترجمته.

ومما تهدّى إليه بحثنا في ترجمته، أنه كان ـ على خلاف ما كادت تجمع عليه المراجع والمظان في القديم والحديث، والتي تشير إلى أنه نشأ خامل السلف والذكر، خفي المنزلة، إلا أن أدبه وعلمه عوضاه عن ذلك ورفعا مكانته[2]. فقد تبيّن أنه ينتمي إلى سلف مشهور بالحكم والسياسة، وأنه يرجع بأصوله إلى أجذام عربية صريحة في الجزيرة العربية كما جاء ذلك في رسالته أو مناظرته «الرمي بالحصا والضرب بالعصا[3]» التي جادل فيها أبا الحسين ابن أبي الربيع النحوي.

ومعنى ذلك أنه تدرّع في هذه المقامة بنوع من الإسقاط ـ حسب المصطلح المعروف في علم النفس ـ اذ أسقط حالته النفسية وعذاباته في وسط كان يجهل

---

(1) سمى الأستاذ اسماعيل الخطيب هذه الرواية في كتابه الحركة العلمية في سبتة: 303 أبا عون النجدي.

(2) مظاهر الثقافة المغربية للدكتور محمد بن شقرون: 59، مالك بن المرحل للأستاذ عبد الله كنون: تاريخ الأدب العربي في المغرب للأستاذ حنا فاخوري 186. رثاء المدن في الشعر الأندلسي للأستاذ عبد الله الزيات: 382.

(3) مخط ن، الورقة: من 1 - 29.

أوليته على هذا البدوي النجدي الذي أُهين وغبن بحيل المحتالين، كما أنه أظهر من خلال هذا الإسقاط أيضاً اغترابه وحنينه وتوقه إلى منشأ أعراقه وأجداده الأولين.

فابن المرحل يبدو ـ على هذا التفسير ـ من فاتحة مقامته أديباً ذكياً في اعتماد أسلوب التلويح دون التصريح، وتوظيف الرمز الهامس مكان التعبير الصريح الصارخ، بحيث لا يهتدي إلى مكمن مقصده إلا من ألمَّ إلماماً كاملاً بأطوار حياته، وأبعاد نفسيته، وهو ما يليق بنسق الأدب والفن.

تبدأ المقامة النجديّة بوصف فني للراوية موغل في الإغراب اللفظي، فتصف منبت أبي عوف النجدي ومرباه القريب من شظف العيش، وقساوة الحياة البعيدة كلَّ البعد عن أسباب النعيم في المأكل والمشرب والملبس ـ وهو ما كان عليه الأديب في أوائل حياته بمالقة وإشبيلية وفي نزوله الأول بسبتة، ثم تبيّن كيف رمت الأقدار بأبي عوف إلى سوق الحاضرة، وهو في تلك الهيئة القميئة الرثّة، حيث أحاط به الشطّار وطائفة من الناس اقتحمته أنظارهم، وسخروا من مظهره أشدّ السخر، بل تطاولوا عليه لهوانه عليهم، فعبث به بعضهم، وتجرأ على ضربه آخرون، وعمد فريق غيرهم إلى إذايته وإهانته، مما دعاه إلى الثورة عليهم، والانتقام منهم، فعادوا إلى الإحاطة به مرّة أخرى، وأوسعوه ضرباً وطعناً، وكالهم وسط اللكاك بمثله، واختار الأديب هذا الظرف موعداً لظهور بطل مقامته الذي لم يخصّه باسم مُعيّن ـ على نحو ما نقرأه في المقامات المعروفة ـ ولكنّه وصفه بنعوت دالّة ومناسبة لمقام الزحام والضراب، فهو رجل بل فتى «حسنُ الشارة، مليحُ الإشارة، عليه قلنسوة وطيلسان، وله [شيّة] ولسان، زاحمهم بمنكب، وقاومهم من النجدة بموكب، وجعل [يدفعهم] بيده، ويرميهم بعضده، حتى اختلط بغمارهم، وتوسّط في غمارهم[1]».

وهنا تبلغ المقامة، أو السرد الحكائي فيها مبلغ العقدة منها، وتظهر براعة الحبكة، وروعة الإثارة في السياق، فقد جنح البطل بعد إظهار فتوته وشدّة قوته، وبعد أن تأكدَّ من إرهابهم وظهوره عليهم إلى أسلوب العظة والزجر، وإلى سبيل

---

(1) مخط ن: الورقة: 30.

المسالمة والتوجيه ليصل إلى مآربه الخفّية، موظفاً في خطابه التناصَّ، المعتمد على الشواهد القرآنية، والأحاديث النبوية، والتذكير بمآل الإنسان وصيرورته، ومعنفاً إياهم على موقفهم الجافي من هذا الأعرابي الغريب الذي آذوه وحاربوه، وكان حقيقياً بمروءتهم. كما تفصح زواجره ـ أن يكرمو ا وفادته، وأن يؤنسوا غربته فربَّ «أخلاق خشنة تحتها ـ كما يشير كلامه ـ أخلاق حسنة «وخلّة دنيّة فوقها حلّة سنيّة، ونفوس نفائس في جسوم يوائس، ووجوه غضاض على قلوب مراض، ورجال مرجلين وهم عند الله من الغرّ المحجّلين»[1].

وقد برع أديبنا بعد ذلك في سوق جملة من المواعظ البليغة، والتذكير بما ينتهي إليه المخلوق المغرور من موت وفناء، تتلاشى بهما الأعضاء والأشلاء، ويصير بهلاكه أثراً بعد عين، وأورد في ذلك أبياتاً من الشعر، وقطوفاً من النثر، موشّاة بآيات من القرآن الكريم ـ تضميناً واقتباساً ـ ترقق الأرواح، وتستثير في النفوس سواكن العواطف والأحاسيس، وهو ما جعل الراوي في المقامة يصوّر مشاهد القوم الذين ابتلي من قبل بجفائهم وفظاظتهم بالتبدّل والتغير، نتيجة ما سمعوه من البطل صاحب السنان واللسان من التعنيف والتقريع «قال أبو عوف: «فجعل الناس يبكون ويتلهون، ويتوجّعون ويتأسفون[2]» ثم مضى السرد في وصف أدبي هو من خصائص فن المقامة يجسّد أحوال القوم في الخضوع للحق، والاستكانة لليقين، ليعرّج على منعطف الحلِّ للعقدة الفنيّة، حيث أظهر طليهم الخاضع الضارع، يلتمسون فيه من البطل أن يدلّهم إلى وسائل المُكفّرات عما بدر منهم من تعدٍّ، وأن يرشدهم إلى الطرائق لمعالجة قصورهم وتقصيرهم في حقِّه، فبادرهم بما كان يخفيه في طواياه من رغبة في حملهم على العطاء لهذا المسكين، وعلى بذل الوسع في السخاء له، وإيناسه بما يطيّب خاطره ويذهب وحشته، فتسارع الناس ـ انخداعاً بسمته إلى ما طلبه منهم هذا البطل، وبخاصة عندما أبان عن مواهبه الأخرى حينما «غنّى بصوت شائق و [شعر] رائق[3]» ثلاثة أبيات من النظم أجراها الأديب على لسانه، قال الراوي «فطرح كلُّ إنسان كيسَه، وفضّ

---

(1) مخط ن: الورقة: 30.

(2) مخط ن الورقة 31.

(3) مخط ن، الورقة: 31.

فضته، وخلع لبوسه، حتى لم يبق إلا إزاراً يحرم نزعُه، أو حذاء لا يجدي خلعُه، ثم عكّروا على السوق، فجاء بالخمير والفطير، والشواء والغزير، واليابس والرطب، والمزّ والعذب[1]».

هنالك دعا البطل دهاءً، وأمّن الراوي انخداعاً، ثم خفّ البطل فجمع ما جاءت به أريحية القوم المبهورين واستعان على ذلك ببعض غلمانه، الذين يطلق عليهم في بنية المقامات «الشخصيات الثانوية» - وطلب إلى هذا الراوي أن يتبع خطاه، فإذا به يدخله إلى خان منزوٍ، يمتلئ بأهله وسكانه من عارفي هذا البطل ومغامراته، فيناشدهم أن يخلو بينه وبين ضيفه، أو إن شئت بينه وبين ضحية كديته - فآنسه طوال الليل، ثم تركه اختياراً ليهنأ بالنوم، وعندما تنفّس الصباح، وأفاق الراوي من عميق نومه، تبيّن ما كان يجهله من أمره، ومن مواقف بطله فقد وجد «في كسر البيت دريهمات معدودة، ورغيفات منضودة، ورقعة فيها مكتوبة[2]» واكتشف - ولات حين مناص - أن البطل الذي أنقذه من الشطار في سوق الحاضرة، إنما هو رجل محترف من أصحاب الكدية والتحيّل، استفاد في ذلك الظرف من محنته وانتفع من نكبته، ولكنّ أبا عوف قبل ما جرى له بارتياح، ولم يخف إعجابه ببطله بالرغم مما أصابه منه إذ قال في نفسه في ختام المقامة بعد أن قرأ أبياته المسطورة في الرقعة «صدق لافُض فوه، وأحسن للّه أبوه[3]».

البناء الفني:

من الأصول المقرّرة في المقامة، أن يُعنى كتابها بالشّكل البنائي، وذلك من طريق اختيار الألفاظ والعبارات المنتقاة، واعتماد السجع والازدواج وسائر المحسنات اللفظية والمعنوية، وإتحافها بالتصوير التشبيهي والتصوير الاستعاري، وتوشيتها بتداخل النصوص، والاحتشاد لذلك كلّه يظهر براعة الكاتب، وضخامة رصيده في البيان.

(1) مخط ن، الورقة: 32.

(2) مخط ن، الورقة: 32.

(3) مخط ن، الورقة: 33.

والناظر في نسق المقامة النجدّية يرى أن ابن المرحل قد راعى الكثير من تلك الأصول، وكان على الشرط منها في البناء الفني، كما كان كذلك في مراعاة ذلك من حيث المضمون الذي يقوم في مقامات الرواد من كتاب المشرق على مذهب الكُدية والتحيل.

فقد راوح في أسلوب المقامة اللفظي بين الإغراب والسهولة، الإغراب الذي يحُوج القاريء إلى مراجعة المعاجم، والسهولة القريبة التي لا تضطره إلى شيء من ذلك. فمن أمثلة الضرب الأول فيها ما جاء في فاتحتها: «حدث أبو عوف النجدي قال: كان مولدي بنجد، ومنبتي بين شيح وزبد، أسكن البيد، وآكل الهبيد، وأحترش الضباب، وأفترش التراب[1]» وقوله: «متوشح بعباءة، فنحصرُ بأباءة، مغبّر الشعر، مصفو العثنون من دخان البعر، في كلامي تقعير، وفي خدّي تصعير[2]» ويماثله كلامه الموّزع فيها الذي أعتمدت الهوامش لشرح ألفاظه الحوشية.

كذلك جاء بيان المقامة في بعض المواضع سهل المكسر لا يضطر قارئه إلى البحث عن معاني ألفاظه كقوله في مقام التقريع للقوم: «أيُّها الناس ألهاكم النعيم والترفُ، وأطغاكم الغنى والشرفُ، فأكلتم اللين ولبستم الناعم، وركبتم الفاره، حتى سمنت الأبدان وهزلت الأديان، وكثرت اللحوم، وقلّت الحلوم، ولانت الجلود، وقست الكبود[3]» ولهذا الأسلوب نظائر في المقامة.

والمقامة مؤسّسة كسائر المقامات المشرقية والمقامات المغربية والأندلسية على السجع، ومراعاة الفواصل، وقد حقق الأديب باستخدام ذلك لمقامته مظهراً موسيقياً مستملحاً، فأتى السجع فيها تارة منفرداً لمجرد تحقيق الفاصلة كقوله: «فلا أدري متى سقطت لقفاي، وسلّمت إلى الهواء ساقاي» وقوله: «ثم همّ وزجر، ونهى وأمر، وصاح بأعلى صوته: يا أهل البطالة، والتعدّي والاستطالة، ما هذا

(1) مخط ن، الورقة: 29.

(2) مخط ن، الورقة: 29.

(3) مخط ن، الورقة: 30.

البغي العظيم والفضل الذميم؟[1]» وتارة يأتي مجتمعاً مع الجناس فيكون أكثر ايقاعاً وتأثيراً، كقوله يصوّر حال أبي عوف«أسكن البيد، وآكل الهبيد، لا عهد لي بطيب ولا بعيش رطيب، فانحدرت مع السعاة، وأنا في زيّ الرعاة[2]» وقوله في موضع آخر: «وداروا بي أفلاكاً، وصاروا لي أسلاكاً[3]» وقوله: «فحلّوا عقود العزائم، وجرّوا ذيول الهزائم[4]».

ومن مظاهر المحسنات اللفظية الأخرى التي كان لها تأثيرها في البناء الفني للمقامة التضمينات والاقتباسات التي تمثلها الشواهد القرآنية، والشواهد الحديثية، فمن أمثلة الشواهد القرآنية الصريحة، الآية المتعلقة بالتحذير من السخرية من الناس، والهزء بهم[5]، والآية المشيرة ببيانها إلى ما يلقاه الإنسان مما يقدمه في دنياه[6].

ومن أمثلة الشواهد القرآنية المقتبسة أو المختلسة، المعنى المؤكّد أن التقي عند الله هو الأكرم[7] ويشابهه في الحديث النبوي الشريف، قوله عليه الصلاة والسلام، «ربَّ أشعثَ مدفوع بالأبواب لو أقسم على اللّه لأبرّه»[8].

ولا شك في أن هذه الشواهد مجتمعة ـ مضمّنة ومقتبسة ـ قوّت أفكار السياق، ودعّمت معانيه.

وقد أشرنا قبلاً إلى الجناس اللفظي المتداخل مع السجع، ونشير هنا إلى جناس الاشتقاق المستقل الذي جاء بقلّة، ولكن بفنيه، على نحو ما نقرأه في قوله:

---

(1) مخط ن، الورقة: 30.

(2) مخط ن، الورقة: 29.

(3) مخط ن، الورقة: 29.

(4) مخط ن، الورقة: 30.

(5) مخط ن، الورقة: 30.

(6) مخط ن، الورقة: 31.

(7) مخط ن، الوقة: 30.

(8) صحيح مسلم: 138.

«فض فضته[1]» وقوله «وتخددت خدودهم[2]».

وأثرى مقامته ببعض الشواهد الشعرية، منها الشعر الذي نرجح نسبته إلى ابن المرحل، وقد ورد في ثلاثة مواضع[3]، ومنها من شعر غيره، ولم يورد منه إلا قول الشاعر[4]:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

كذلك حفلت المقامة بمظهر من المحسنات المعنويّة كالطباق في قوله: «تفّرق اتصالهم»[5]» وفي قوله: «واضطربوا يميناً وشمالاً[6]»، واللّف والنشر في قوله: «أيُّها الناس لا تغتروا بالجمال ولا بالمال، أما الجمال فلا يسود، ولا إلى الآخرة يزود، وأما المال فيشقى ويسعد، ويضل ويرشد الخ[7]» كما وظّف لإثراء المقامة عنصر الاستدعاء المكاني، «نجد» الذي كان له إيحاؤه كما قدّمنا، والشخصاني في قوله: «كأني أبو مهدية في الاعتبار، أو أبو أمية عند الاختيار»[8] أو استدعاء الشخصيات مقرونة بالأحداث والأيام الشهيرة: «شدّة قيس يوم الهباءة، أو عاصم عند الإلاءة[9]».

وفي النصّ من البيان، التصويران التشبيهي، والاستعاري البليغان الظاهران، غير المحوجين للتدليل على أثرهما في البناء الفني للنص.

---

(1) مخط ن، الورقة: 30.

(2) مخط ن، الورقة: 31, 32, 33.

(3) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي.

(4) مخط ن، الورقة: 30

(5) مخط ن، الورقة:

(6) مخط ن، الورقة: 31.

(7) مخط ن، الورقة: 29.

(8) مخط ن، الورقة: 30.

(9) راجع مظاهر الثقافة المغربية للدكتور ابن شقرون، الأدب المغربي للدكتور عباس الجراري، مالك بن المرحل، والنبوغ المغربي للأستاذ عبد الله كنون تاريخ الأدب العربي في المغرب للأستاذ حنا الفاخوري. نظرات في شاعرية مالك بن المرحل لمحمد مسعود جبران ـ مجلة كلية الآداب ـ بتطوان ع 3 س 3 ـ 1410 ـ 1989 .

وهكذا يتوضّح من التحليل قدرة أديب العدوتين على معالجة فن المقامة، على وفق الشرائط الإبداعية المقرّرة لها، كإبداعه الذي قرّره الأدباء له في صناعة الشعر والنظم[1]. وأنه استطاع بالرغم من قلّة نتاجه في هذا اللون الأدبي من النثر الفني أن يحقق للمقامة الأندلسية والمغربية خلال المقامة النجديّة أصلاً مهماً من الأصول المفتقدة فيها قبله، بل الذي لا يلحظ إلا بشيء من التكلّف وإنعام النظر، وذلك عندما جمع بصورة متفرّدة وواضحة بين محور الكُدية والتحيّل لبطل المقامة، كما يرويه الراوي المعدود من الشخصيات الرئيسة في المقامة، مع ما انضاف إليه من الشخصيات الثانوية، وبين محور البناء الفني البليغ، الذي عمّق «الأدبية» في نص المقامة.

(1) راجع في ذلك د. محمد عبد المطلب مصطفى: «اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين» د. عبد السلام شقور، «من مصادر النقد الأدبي في العصر المريني» مجلة كلية الآداب بتطوان ع 1-1986 د. علال الغازي «مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن» د. علي لغزيوي: «مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق محمد أديوان «قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني» محمد مسعود جبران «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب».

المبحث الثالث: فن النقد والمناظرة: ـ

على الرغم من أن بعض الباحثين قد ألقى أحكاماً متسرعة تقرّر أن حركة النقد الأدبي قد خمدت وضعفت في القرنين السابع والثامن الهجريين، فإن دراسات أكاديمية جادّة أثبتت بالاستقراء استمرارية حركة النقد وحياته خلال ذينك القرنين، وأنها قد أخذت صوراً مختلفة في تراث الغرب الإسلامي نذكر منها[1]:

أ ـ التأليف في علم البلاغة.

ب ـ التأليف في نقد الشعر وعلومه.

ج ـ التأليف النقدي في الشروح الأدبية.

هـ ـ التأليف في النقد من خلال كتب التراجم.

د ـ التأليف المتأثر بالفكر اليوناني.

هـ ـ التأليف النقدي من خلال كتب الاختبارات.

وقد توسّع الدارسون ضمن أطروحاتهم في تفصيل تلك الألوان النقديّة، وفي ذكر طبائع التصانيف فيها.

وفي الحق فإن ابن المرحل ـ على تبريزه في صناعة الأدب، وامتلاكه ملكة اللغة واللسان ـ لم يصنّف تأليفاً مستقلاً في فن النقد، ولم يترك آثاراً تأليفية أخرى في فن التراجم الطولية أو العرضية، أو في فن كتب الاختبارات أو في الشروح الأدبية يمكن أن نطلع من خلالها على رؤيته النقدية سواء أكان في الاتجاه اللغوي أم الاتجاه التأثري أم النقد التطبيقي.

وقصارى ما يتسنّى لنا أن نجسّده من رؤيته النقديّة لمحاته القليلة الدالّة من خلال نتاجه الإبداعي في المنظوم والمنثور، أو من خلال القطوف المتبقية من مناظرته مع ابن أبي الربيع والذي يمكن تأكيده في إطار الإبانة عن رؤيته النقدية

(1) الإحاطة 3 :307 إشارة إلى جملة من أطارح الباحثين المغاربة الموظفة لدراسة النقد الأدبي في المغرب والأندلس. راجع دليل الرسائل الجامعية في المغرب بعناية الأستاذ عمر آفا من منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس.

التي لم يتفرّغ للتأليف فيها وتأصيلها وترسيخها أن الأدب منظومه ومنثوره في هذه الرؤية صناعة بيانية محترمة لأنها تعبّر عن الوجدان، وتخدم غايات دينية ودنيوية كبرى، ولذلك فهي جديرة بأن يبذل فيها الإنسان الوسع، وأن يخصّها بنفيس الوقت والعمر وهو ما نلحظه في سلوكه حيث تفرّغ كثيراً لهذه الصناعة بالرغم من أنه كان مجلياً في حقول أخرى كعلم الفقه والحديث والتاريخ وغيره على نحو ما أشرنا إليه في ملامح ثقافته، وقد أخبرنا تلميذه أبو عبد الله بن عبد الملك بولوعه بالأدب بعامة والشعر بخاصة، واستغراقه في إبداعه الأدبي والشعري بما يؤكد ذلك حيث قال: «شاهدت ذلك وأخبرني أنه دأبه وأنه لا يقدر على صرفه من خاطره، وإخلاء باله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرض من الأمراض المزمنة».

فالأدب بفنّيه ـ على ذلك ـ فن من القول المخلّد الذي ينبغي لمبدعيه وشداته أن يأخذوه بقوّة، وأن يسيطر على فكرهم واهتمامهم ليكون نتاجهم جاداً مؤثراً وخالداً.

كذلك يرى ابن المرحّل أن الملكة أو الموهبة شرط أساس في عملية الإبداع الأدبي الرفيع، وأنه لا بدَّ لهذه الملكة من دربة طويلة، ومران مستمر حتى ترسخ، وتصير قادرة على نتاج الأدب الجدير بالإعجاب، وقد سخر أديبنا من ذلك الشيخ الذي عاش ببلده يقرئ الفقه، ولا يتعاطى فن الشعر ولا يتذوقه، فلما تقدّمت به سنوات العمر على ذلك الحال أحبَّ أن يُعرف بعد ذلك به، وأنتج كلاماً فيه حسبه منه، وليس منه في شيء فكان عمله ـ عنده ـ مجلبة للهزء والتعجيب بل التشهير حيث قال: «كان ببلدي أستاذ يقرئ الفقه، فلما بلغ ثمانين سنة أو تسعين قال الشعر، فعمل أبياتاً وكتبها على ديوان ألّفه في الفروع أوله:

يا طالب العلم التزم سبعاً تنل علماً جسيم

طعام من تدعى إليه فاحترز.... [1]

وإن دعيت إلى شهادة فلا تشهد تكن أثيم

---

(1) كلمة غير مقروءة.

ولا تــكــن يــومــاً وصــيــاً عــلــى يــتــيــم

قال مالك «ثم عدَّ سبع خصال ينهى عنها، وقد ندب الشرع إليها[1]».

فظاهر من نقده ذاك تعويله في العمل الأدبي على الموهبة الراسخة، والطبع المركوز المدعومين بالمران الموصّل إلى القدرة على التمييز بين الغث والسمين ليس من جانب فحسب بل من الأشكال الفنية أيضاً.

وقد انتقد في مواضع متفرقة صديقه النحوي ابن أبي الربيع الإشبيلي الذي عرف بالإمامة في النحو ولم يعرف بشيء في صناعة الشعر وتذوقه ولكنّه التجأ إلى نظمه في مسألة الخصام حول «كان ماذا» حيث أنشأ أبياتاً جاءت في نظر مالك مدعاة للانتقاد، قال يخاطبه: «أراك أيها الرجل تتمثل بأشعار، وتستشعر الأدب ولم يكن لك بشعار، أبعد الكبرة، وبياض الشعرة علقت بهذه الطريقة، وآثرت المجاز على الحقيقة؟![2]».

وقد أخذ مالك على خصمه ما وقع فيه من خطأ عروضي وخبن وعجب له كيف صار يقرئ العروض!، كما تهجّم في موضع آخر من مناظرته على عمله الذي عري ـ حسب رأيه ـ من الفصاحة في النثر والشعر لافتقارهما للطبع الذي أكّد خلوّ شخصه منه، والدربة التي لم يأخذ نفسه بها، ولهذا وصف نثره وشعره بقوله: «نثر كما تنثر الأنوف، ونظم كما تكنف الكنوف، نثر في وجه الأدب منه بثر، ونظم في صدره منه كظم نثر كما زنخ اللحم، ونخر العظم، وتسجيع كأنه الرجيع[3]».

فأنت تلحظ ـ مع تعويله الشديد على الطبع والدربة ـ ملاحظته أن للشعر والنظم العربيين أصولاً، وأن للترسل والسجيع تقاليد وضوابط يجب أن تراعى، لكيلا يكون العطاء أو النتاج جالبين للسخرية وهذا مظهر من مظاهر نقده.

أما من حيث الأغراض فيظهر أنه كان في أوائل حياته الأدبية ينشد أن يسهم

---

(1) م. ن.

(2) م. ن.

(3) م. ن.

المبدعون في كل الأغراض بلا استثناء ولا يحظر عليهم شيء منها، وآية ذلك أن ما وصلنا من آثاره المبكرة كانت في الفنون الجادة والهازلة على حد سواء، ففيها إلى جانب الأمداح النبويّة والمدائح والوصف ما يتصل بأبواب الغزل والهجاء والمعاتبة، إلا أنه مال في نظراته النقدية المتزامنة مع أخريات حياته إلى التوقر، وأقام وزناً كبيراً للأساس الديني والأخلاقي.

كذلك يتيسر لنا أن نستنتج أنه تميّز في رؤيته النقدية بتفتح وجدانه الأدبي واتساع المشاركة، فهو ـ كما تفصح إبداعاته ـ يميل إلى الإبداع في فنون الشعر كما يميل إلى الإبداع في فنون النثر المختلفة، فقد شارك في مجال المنظوم ـ كما تقدّم ـ وبخاصة في بداية حياته في متنوع أغراضه وفنونه ضمن ما يعرف بالشعر التقليدي العمودي كما شارك في بعض الفنون المستحدثة مثل فن «الدوبيت»» الذي أبدع فيه جملة من النصوص أثبتناها ضمن النصوص المحقّقة، ولم يقتصر على مجرد الإبداع في هذا الفن من الفنون المستحدثة فن الدوبيت فحسب، بل ساهم مساهمة إيجابية مبكرة ورائدة في التقعيد له وإظهار أوزانه وتفعيلاته غير المعروفة، وذلك فيما نقرأه في النصين المحققين رقم (110-111) والذي أطلق على مخطوطه الفريد في الأسكوريال[1] «رسالتان في الدوبيت» وسوف نلحظ أن هذا التصنيف داخل في التأليف في نقد الشعر وعلومه.

وقد رأى الأستاذ هلال ناجي محقق هذا النص[2] أن «من عجيب الصدف أن أقدم ما وصل إلينا من مصنفات في عروض الدوبيت في الأدبين العربي والفارسي تعود لقرن واحد هو القرن السابع الهجري»[3]» ثم أشار بعد ذلك إلى الأثرين القديمين وهما «المعجم في معايير أشعار العجم الذي صنفه شمس الدين محمد بن قيس الرازي، وعمل مالك بن المرحّل في الدوبيت[4]» ووصف عمله بأنه

(1) موجود في هذه المكتبة تحت رقم (288).
(2) راجع تحقيقه الجيّد في مجلة المورد ع 4س 1394-1974.
(3) م. ن.
(4) م. ن.

«اخترع هذه الميزان وأحكمها، وهو اختراع نبيل لم يسبق إليه[1]» وأنه ضرب من المنظوم المستساغ الصالح للغناء، والقابل للوزن والتفعيل كان أديبنا الناقد الرائد في تقعيده، وهذا يذكرنا بريادة ابن سناء الملك قبله في وضع وبيان عروض الموشح[2].

والرسالتان منسوبتان لابن المرحل نسبة صريحة إلا أن الأستاذ هلال ناجي أكّد نسبة الرسالة الأولى إليه، وشكّك بأدلة في الرسالة الأخرى[3].

ومزيّة عمل أديبنا الناقد في دراسة فن الدوبيت بالإضافة إلى سبقه وأولويته تأكيده أن هذا الفن لون من القول محبب غير غريب فيما اختاره من نماذجه الكثيرة عن القياس العروضي العربي غير معروفة في المراجع التي عدنا إليها[4] فاستنقذ بذلك نصوصاً أوشكت أن تضيع، كما أردفها بإبداعات مهمة تتمثل في الخروج عن المألوف المعروف عند الكثير من الدارسين والباحثين الذين تصوّروا أن للدوبيت وزناً واحداً ثابتاً وهو[5]:

فعلن متفاعلن فعولن فعلن فعلن متفاعلين فعولن فعلن

فقد توصّل مالك إلى أن للدوبيت أوزاناً أخرى أثبتها، ومن حسنات هذا الناقد في استخراجاته، وفي ملامح رؤيته النقدية جمعه فيها بين الاصالة والتفتح أو قُلْ: بين التقليد والتجديد، فمع تسليمه بأن الدوبيت فن فارسي أو عجمي، فقد أخضعه إلى علم العروض العربي وأوزانه ومصطلحاته، كما تقيّد بأقوال علماء العربية الذين استدعى في بعض المواضع أسماءهم وآراءهم، كأنه أراد بهذا الالتزام أن يجعل هذا الفن «الدوبيت» علامة تطوّر في داخل الأوزان العربية، وأن يجعل الاتباع قاعدة وأصلاً، والابتداع ملجأ وفرعاً.

وابن المرحّل الناقد يخالف بهذا التفتح الناقد ابن رشيق القيرواني من أعلام

(1) م. ن.

(2) عمر فروخ تاريخ الأدب العربي 3: 451 .

(3) مجلة المورد ع 4س 1394, 1974.

(4) راجع على سبيل المثال ديوان الدوبيت.

(5) راجع سفينة الشعراء: ديوان الدوبيت.

القرن الخامس الهجري الذي رفض في كتابه: «العمّدة» قبول الألوان المستحدثة التي عدّها مظهر عجز الشاعر وقلة قوافيه وتصرفه[1].

ولم يكن أديبنا الناقد ـ كما أوضح البحث أو الدرس عاجزاً أو قليل القوافي في صناعة الشعر العربي التقليدي، وإنما عالج فن الدوبيت إبداعاً وتنظيراً مؤكداً بذلك تفتح وجدانه على الإبداع الجيّد المقبول، واتساع الذوق الأندلسي للطرب والغناء من جهة ولبيان أن الأدب العربي كائن حي يتسع للتجارب المشابهة لأنساقه من جهة أخرى، يؤيد ذلك قوله: «رأيت النوع المعروف بالدوبيت من أوزان الكلام المنظوم مستقيم البناء، مستعذباً في الغناء، إلا أن بعض الناس يخلط في النظم عليه، ويسلك مسلك العجم في الزيادة فيه والتقصير منه حتى يخل به، فصنعت له ميزاناً، وبنيت ما يجب أن يلتزم فيه، وما يحسن وما يقبح قياساً على الأنواع العربية»[2].

ومع ذلك فإننا نلحظ أن أديبنا الناقد كان منحازاً مع تفتح وجدانه واتساعه ـ إلى الأصالة الخالصة في الإبداع، والميل إلى المصطلحات العربية وتقاليدها الفنية يدلنا إلى ذلك مما جاء في رسالتيه في الدوبيت.

1 ـ النص السابق الذي ورد فيه قوله: «وبنيت ما يجب أن يلتزم فيه، وما يحسن وما يقبح قياساً على الأنواع العربية[3]».

2 ـ إنكاره أن يخرج الشاعر في نظمه من نوع إلى نوع في الأوزان، وهي معارضة منه قديمة لما نسميه اليوم شعر الحداثة، لأن ذلك مخالف في رأيه عمود الشعر العربي قال «فهذا أو ما أشبهه ينبغي ألا يجوز ولا يستعمل، وإنما استعمله من استعمله اتباعاً للعجم في تعويلهم على الصوت والنغمة[4]، فلم يبالوا بزيادة الحروف ولا بنقصها كما لم تبال العجم بذلك، ويلزم من اتبعهم في مبدأ أن يتبعهم في اختلاف

---

(1) العمدة 1: 120, 121.

(2) مخط (ن).

(3) م. ن.

(4) مخط (ن)

القوافي، فإن العجم لا تلتزم قافية وإذا عمل شعر غير موزون ولا مقفى، فليس يُسمّى شعراً فإذا أراد من له حذق ومعرفة وطبع حسن أن ينظم على ذلك الوزن، فإنما يتبع العرب في قوافيها، ويستعمل ما استعملت حتى يكون البناء بحروف كما هو في أوزان العرب».

3 ـ كذلك يدلنا على انحيازه إلى التقاليد العربية في صناعة الشعر والنظم ضمن مقاييسه النقدية استعماله شبكة أو حصيلة مصطلحات نقدية وعروضية وفيرة غصت بها رسالتاه في «الدوبيت» نوردها حسب الترتيب الألفبائي وهي: الاتصال، الاذالة، الإسقاط، أشطار، أضرب، الإضمار، أعاريض، اعتراض، الإلحاق، الانقطاع، التأخير، التخريج، التخفيف، الترفيل، التشعيب، التقديم، الحشو، الحوايا، الخبل، الخبن، الخزل، الخط، الرفل، الزحاف، سبب ثقيل، سبب خفيف الطي، العروض الثقيلة، العروض الخفيفة، العلة، اللحن المجزوء، المذال، المصرّع، المقطوع، الوتد، الوقص. وغيرها من المصطلحات التي يأتي بيانها فيما بعد.

وأحسب أنه شارك أيضاً ـ من ذلك المنظور النقدي الجامع بين الأصالة والتفتح ـ في فنون نظميّة أخرى قريبة إلى الأنساق الإبداعية العربية، وبخاصة فن الموشح في أشكاله الجيّدة.

أما في مجال النثر فقد شارك ـ كما سيأتي ـ في بعض فنونه المختلفة، فقد وقفنا له على نصوص قليلة في فن الرسائل، وفي فن المقامة، وفي فن النقد والمناظرة وهي على قلتها تؤكد اهتماماته الأدبية، وتفتح وجدانه وعقله، وتنوّع عطائه، وميل رؤيته النقدية إلى المرونة، والقدرة على المعالجة.

والراجح في رؤيته النقديّة المستخلصة، أن المقامات المختلفة تفرض على الأديب المبدع فنون القول التي تلائمها، وتلزّه لزاً إلى مراعاتها، ومن هذا المنظور ظهر في أدبه المنظوم والمنثور القول السمح السهل الواضح الذي يتلقفه العامة والبسطاء كما ظهر فيه فن القول الحوشي والغريب الذي لا يفهمه إلا الخاصة على نحو ما وضحنا ذلك في مواضعه.

أما فن المناظرة وهو شديد الصلة بفن النقد، فيراد به: «تبادل الكلام والآراء المتعارضة في موضوع ما يثير الجدل[1]» وهو فن شاع في الأدب العربي منذ أقدم العصور.

وقد تقدّم أن مدينة «سبتة» التي وصفها ابن الخطيب بأنها «بصرة اللسان».

شهدت حركة فكرية نشيطة في القرن السابع ازدهرت في ظلها المناظرات والمنافرات والمحاورات العلمية في العديد من القضايا المختلفة[2] ومن بينها هذه المناظرة التي جرت بين أكبر عالمين فيها ابن أبي الربيع النحوي، ومالك بن المرحَّل الأديب اللذين هاجرا إليها من العدوة الأندلسية.

وقد أشرنا إلى أجواء الصفاء التي كانت سائدة بينهما قبل الاختلاف في هذه المسألة التي عرفت في تاريخ الحياة الأدبية في سبتة بـ «كان ماذا؟» وهي مسألة انحاز فيها النحوي إلى القياس، والأديب إلى السماع، وخلاصة القضية والخلاف أن ابن المرحَّل ألقى قصيدة كان من ضمن أبياتها قوله:

وإذا عشقت يكون ماذا هل له ... دين علَيَّ فيغتدي ويروح

بتقديم كان على اسم الاستفهام، فأنكر عليه أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع ذلك «جرياً على قاعدة النحو في منع تقديم العامل على اسم الاستفهام[3]» فردّ ابن المرحل عليه بما أسعفه به محفوظه مما سمع من كلام العرب في جواز ذلك، ثم نظم بيتيه المشهورين:

عاب قوم كان ماذا ... ليت شعري لم هذا

وإذا عابوه جهلاً ... دون علم كان ماذا؟

فكتب ابن الربيع تقييداً في الرد على ابن المرحَّل، انتصر فيه إلى قاعدة وجوب تقديم اسم الاستفهام على العامل، ودعمه بالشواهد، ولئن لم يصلنا الأثر الذي كتبه أبو الحسين بن أبي الربيع في هذه المناظرة التي اتسمت بالعلمية في مواضع، والتأثرية التي جافت آداب البحث والمناظرة في مواضع وهو مما أثار ثائرة

(1) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 214.

(2) راجع الحركة العلمية في سبتة للاستاذ اسماعيل الخطيب.

(3) المحاضرات والمحاورات: 166.

ابن المرحل في المناظرة فقد وصلنا شيء غير قليل من عمل مالك وكتابته في مسألتها، وقد أثبت أحمد المقري طرفاً منها في النفح[1] كما أورد الأستاذ عبد الله كنون ـ رحمه الله ـ بعضها أو الجزء الأول منها في كتابه النبوغ المغربي[2]، وقد وقعت على أوراق قديمة كتبت فيها مناظرة ابن المرحل موجودة بمكتبة الأستاذ محمد المنوني تحت رقم (395) يتعذر الانتفاع بها[3] كما أسلفنا.

قال الأستاذ محمد المنوني في وصف هذه المناظرة وأوراقها «أما رسالة ابن المرحل فقد سمّاها: «الرمي بالحصى والضرب بالعصا» وهو يقسّمها إلى ثلاثة أجزاء صغيرة يخصُّ كلَّ واحد منها بعنوان، فالأول: «جزء يا مال» والثاني: «جزء الواعظ» والثالث: «جزء الرميلة» ولا نعرف منها نسخة تامّة، وإنما وردت قطعة من الجزء الأول في حاشية أبي حفص الفاسي على المغني لابن هشام، وهناك قطعة أخرى منها تشتمل على آخر الجزء الأول مع الجزأين الثاني والثالث[4]، مخطوطة خاصة تقع ضمن محفظة صغيرة من ص1 إلى 29 بخط أندلسي مليح مدموج عتيق خال من تاريخ النسخ، واسم الناسخ، ويتخللها بتر[5]».

لذلك سأقتصر في باب التحقيق ـ كما تقدّم ـ على إثبات الجزء الأول من هذه الرسالة المسمّى: «جزء يامال» نظراً للبتر والوهي الغالبين على أوراقها واللذين ذهبا بجزء كبير من مساقات النص في هذا الجزء وفي الجزأين الآخرين، ولكني سأستعين بما تسنّت قراءته من تلك الأجزاء الثلاثة في تكوين صورة واضحة عن أبعاد هذه المناظرة والتعرف على بواعثها، وعلى منحى كتابة المترجم به في المناظرة والحجاج.

لقد كان مستهل النزاع أو الخصومة ـ كما تدل الأوراق صادراً من ابن أبي الربيع حينما تعقّب في مجلس حاكم سبتة الذي لم يسم اسمه ـ ما ورد في أحد

(1) نفح الطيب، كما جاء ذلك في كتاب ذيل مشتبه النسبة.

(2) النبوغ المغربي في الأدب العربي 2: 56 .

(3) الحركة العلمية في سبتة: 311.

(4) يشغل الجزء الاول من الأوراق من الورقة 1إلى 3. والجزءان الآخران من الورقة 3إلى 29.

(5) ورقات عن الحضارة المغربية: 224.

أبيات ابن المرحل الذي أنشدت قصيدته في ذلك المجلس وبها تركيب كان ماذا؟ يستفاد ذلك من قول ابن المرحل: «إن هذا الرجل [يعني ابن أبي الربيع] سمع شعراً ينشد ما بين يدي سيدي ومخدومي، وفي مجلسه الذي [ ][1] وبعض جماعة من الطلبة والعوام، وكان فيه: «وإذا عشقت يكون ماذا؟» فقال: [ ] الملأ لحن هذا القائل، لا يجوز يكون ماذا؟ فأجابه مالك بما حضره من محفوظه من استعمال هذا التركيب في كلام الأنبياء الفصحاء، فلم يقنع ابن أبي الربيع ذلك، وشرع لمواصلة المناظرة بكتابة رسالة في الردّ والتفنيد، ولكنّه نحا فيها ـ كما ذكر ابن المرحَّل ـ منحى غير موضوعي لجأ فيه إلى اللجاج «قلت: هذا الرجل ملأ تقييده من شتمي تصريحاً وتعريضاً[2]» ولم يكتف بمجرد التقييد وانما تفرّغ ـ كما ذكر المترجم «لإملائه، وقعد لإقرائه، وأذن في انتساخه لديه، وأجاب إلى الإجازة عليه، ووجّه منه نسخاً إلى البلاد، وفرح به فرح أطفال الكنائس بالميلاد[3]».

وكلام ابن المرحل في ذكر بواعث هذه المناظرة يصحّح ما رمي به من بعض مترجميه في القديم والحديث من أنه كان مصدر الخصومة والمفرط في الإقذاع، فقد كتب رسالته «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» بأجزائها الثلاثة بعد تقييد ابن أبي الربيع المشتمل على هجائه، والذي انتشر في مدينة سبتة وفي بلاد المغرب الإسلامي[4] بدليل أنه كان يورد فيها الفقر والقطوف من كلام ابن أبي الربيع ويتعقبها بالمحاجّة، ثم وجّهها بعد إتمامها إلى حاكم سبتة الذي كان يجيل اسمه أمامه تواضعاً بلفظ «المملوك».

نعود الآن إلى عرض النقاط البارزة المقروءة من هذه المناظرة التي جمعت في ألفاظها نتيجة للأجواء المشحونة بالشنآن بين المتناظرين من جهة، وبين المهاجرين الإندلسيين: الإشبيليين وغيرهم من جهة أخرى ـ بين الطوابع العلميّة

---

(1) مخط ن. : 4.

(2) مخط ن. 11.

(3) مخط ن: 11.

(4) يدلنا على ذلك أن عبد الواحد بن الطوّاح التونسي من أعلام القرن السابع اطلع عليه وأشار إليه في سبك المقال لفك العقال، وهو الكتاب الذي قمنا بتحقيقه. ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1996.

الموضوعية، والطوابع التأثرية الانفعالية.

بدأت مناظرة مترجمنا في الجزء الأول «يامال» بتوجيه الخطاب إلى ابن أبي الربيع بتعنيفه نظراً لإكثاره من الإبداء والإعادة في هذه المسألة، ولميله في ذلك إلى أسلوب السباب والتجريح، وذكر أن جماع صبره وحلمه وإغضائه حمل خصمه على التمادي في ذلك التهجم حتى ظن الناس أن ابن المرحَّل إنما آثر السكوت لضعف حجته، وقلّة بضاعته، ووهن مقالته، فدعاه ذلك إلى كتابة هذا الرد بأجزائه الثلاثة.

قال مالك في فاتحة المناظرة مخاطباً مناظره في أسلوب تأثري قوي، مستعيناً في تقويته بمدلول آية كريمة مناسبة لغرضه «أيها القائل:

كان ماذا ليتها عدم ... جنبوها قربها ندم

ليتني يا مال لم أرها ... إنها كالنار تضطرم

يقول مالك: لا بدَّ أن تصيح من تحت طبق على طبق نيران: كان ماذا؟ «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون، لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون[1]».

إلى كم تقيَّد في كان ماذا تقييداً بعد تقييد؟ لقد حصلت منها في أمر شديد. إلى كم تعيد فيها وتبدي، وتنظم وتنشي؟ غرّك احتمالي لقدحك ومزحك، وصبري على ألم جرحك حتى قلت:

ما لجرح بميت إيلام[2]

انتهزت الفرصة في إذاية صبور، ودلاّك حلمه بغرور، حتى قلت:

كلُّ حلم أتى بغير احتمال ... حجةٌ لاجئ إليها اللئام

تالله لو نهيت الأولى لانتهت الآخرة، ولم تكن الفاقرة تتبعها الفاقرة، ولكن

(1) الآية 77 سورة الزخرف.

(2) عجز بيت لأبي الطيب المتنبي، صدره:

من يهن يسهل الهوان عليه

أغضبت على القذى وصبرت على الأذى، حتى قيل: لو قدر لانتصر، واتصل الأمر فصار ديناً فلا جرم أن أتعقب كلامك وألفت عليك لامك[1]».

ثم مضى في هذه الفاتحة ليدلّ على منشأ هذا الخصام وباعثه، وكيف أنه ساق لصاحبه في المجلس الذي أثيرت فيه المسألة الحجج التي استحضرها فرفض قوله وقول أصحاب الشواهد، فدعاه ذلك إلى التحرير وتحبير مناظرته، التي شرع فيها بالقول مخاطباً مخدومه «فأقول وإنما أخاطب من سمع خطابي، ونظر في كتأبي، اعلم أعزّك اللّه أن هذا الرجل المشار إليه هو الذي أثار نار «كان ماذا» التي احرقته حتى صاح: ليتني يا مال لم أرها. البيت، وذلك أنه سمع رجلاً ينشد لي قصيدة في محل كريم جمعني وإياه، فكان فيها:

وإذا عشقت يكون ماذا هل له ... دين عليّ فيغتدى ويروح

فقال لحن هذا الناظم، لا يقال كان ماذا؟ ولا يكون ماذا؟ ولا فعل ماذا؟ ولا يجوز ما كان على هذه الطريقة ولا سمع، فاستشهد عليه ببيت الجارية وهو:

فعاتبوه فذاب شوقاً ... ومات عشقاً فكان ماذا؟

وبقول الشاعر:

فعدّك قد ملكت الأرض طراً ... ودان لك العباد فكان ماذا؟

فقال: هذا ألحن، ولا يحتج بمثل هذا. فقلت له: إيراد العلماء لهذا الشعر وقبولهم له حجّة على جوازه، وهذا كثير[2]».

ولم يسع ابن المرحل بعد سوقه ذينك الشاهدين اللذين لم يقنعا ابن أبي الربيع إلا أن عمد إلى كتابة جمع فيها الأقوال والشواهد التراثية السماعية المؤيدة فأورد فيها بالاستقراء أقوال أبي علي البغدادي، وسعيد بن المسيّب، وابن قتيبة، وثعلب، والزبيدي، وحكايات أخر ذكر فيها اللفظ بشكله وترتيبه الذي سبق فيه العامل اسم الاستفهام، من ذلك: «ذكر أبو علي البغدادي في الذيل من النوادر،

---

(1) مخط (ن).

(2) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط ن.

أنبأنا الزبير، حدثنا أخي هارون بسنده عن وهب بن مسلم عن أبيه، قال دخلت مسجد النبي ﷺ، مع نوفل بن مساحق، فمررنا بسعيد بن المسيّب، فسلمنا عليه فردّ ثم قال: يا أبا سعيد من أشعر أصاحبنا أم صاحبكم؟ يريد عمر بن أبي ربيعة وقيس الرقيات.

فقال له ابن مساحق حين يقولان ماذا؟ قال حين يقول صاحبنا:

خليلي ما بال المطايا كأننا نراها على الأدبار بالقوم تنكص

الأبيات، ويقول صاحبكم ماذا؟ فقال له وهب: صاحبكم أشعر بالغزل، وصاحبنا أكثر أفانين شعر، فلما انقضى ما بينهما استغفر سعيد مائة مرّة يعدُّ بالخمس».

وقد عقَّب الكاتب على الخبر المذكور الذي تضمّن الشاهد المؤيّد بما يعرّض بابن أبي الربيع النحوي الفقيه الذي غالى في الغيبة والهجاء دون الإحساس بما يجران من الإثم «قال المملوك ـ رضي الله عن سعيد بن المسيّب، لم يزد على أن فاوض صاحبه في مباح لم يجر في كلامه فحش ولا غيبة مسلم، ثم استغفر الله مائة مرَّة:

هكذا هكذا وإلا فلا لا

أين هذا من الذي قيّد فيه؟ وكم فيهم من فقيه سوء خبيث كثير الأذى والمضرّة، يعيب ويغتاب من غاب عنه ألفاً، ولا يستغفر الله مرّة».

ومن شواهد مالك في المناظرة وتأييد مذهبه هذه الحكاية «وحكى أبو علي قال: قرع باب ابن الرقاع فخرجت بنية له صغيرة، قالت: من هنا هنا؟ قالوا: نحن الشعراء، قالت: وتريدون ماذا؟ قالوا: نهاجي أباك. فقالت:

تجمعتم من كلِّ أوب ووجهة على واحد لازلتم قرن واحد

قال: فاستحيوا ورجعوا.

قال المملوك: وكذلك حالي الآن بسبتة، اجتمع كلُّ من فيها من أصحاب هذا الرجل، وأهل بلده[1] للنقد عليّ ولم يبلغوا أن يكونوا قرن واحد، والله

(1) أي أهل إشبيلية الذين هاجروا منها وسكنوا مدينة سبتة.

المستعان».

فأنت تلحظ كيف استثمر الخبرين السابقين في مناظرته استثماراً بارعاً، إذ قوّى بما جاء فيهما من تركيب «كان ماذا» ما ارتآه وفنّد به قول مناظره، كما كشف ـ من جهة أخرى ما تمسّك به خصمه ومن معه من الأذى والمضرّة.

ومضت المناظرة ـ كما سيرد في النص المحقّق في حشد أدلّة أخرى، حيث ساقت ما جاء من هذا التركيب على ألسنة بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى لسان عبد الملك بن مروان، وما أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، وغيره من أئمة العربية.

ويبدو أن تلك الشواهد ـ على كثرتها وإجماعها وتنوعّها ـ لم تقنع ابن أبي الربيع يستفاد موقفه هذا من قول مالك «فلما بلغه ذلك قال: لا يتنزل نطقهم لهذه الألفاظ منزلة نقلهم. قلت: فيظهر من قولك أيُّها الرجل أن الزبيدي وابن قتيبة وثعلب وأبا الفرج الأصفهاني وغيرهم كانوا لحانين أيضاً، فالحمد لله استوى الماء والخشبة، ولا عار على من لحن مع هؤلاء[1]».

فما من شك في أن الطرح الذي طرحه ابن المرحّل بمقدماته ونتائجه مذهب أصيل في فن المناظرة تقوّم بتقوية الأدلّة وتعدّدها المفضية دون شك إلى الإفحام.

وقد عمد بعد ذلك ـ عند حديثه عن حديث أم حبيبة إلى التدليل على قلّة إلمام مناظره ابن أبي الربيع بعلم الحديث رواية ودراية، وهو العلم الذي كان فيه مشاركاً ـ كما تقدّم في ملامح ثقافته، ليدلّ على أن عدم إلمام مناظره بهذا العلم جعله لا يفقه ما فيه من لفظ يتصل بالمناظرة، كما عمد المترجم في نهاية هذا الجزء أيضاً إلى إظهار ضعف ملكة خصمه فيما نظمه من أبيات ارتكب فيها الضرورات، وبخاصة في البيتين اللذين ردَّ بهما عليه، وقال مهوناً من شأنه وجرأته «ومع هذا فإنه صار يقري العروض، كما صار يقري الحديث[2]» بل ذكر أن ابن أبي الربيع لم يستقل بنظم تلك الأبيات، وإنما شاركه فيها أحد أصحابه ممن

---

(1) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط ن.

(2) مخط ن: 1.

يعرفهم فاشتد عليهما بالتعنيف لما بدا من قصورهما في النظم «فيظهر أن الأبيات مما تشاركا في نظمه، وتعاونا على وضعه، وناهيك سخفاً وضعفاً بمن تصدر هذه الأبيات عن رويته، وتبدو هذه الهنات من طويّته، وكفى بذلك شاهداً على حماقتهما، وقلّة لباقتهما، وفقرهما من الأدب[1]».

وذكر في بداية الجزء الثاني المسمّى بجزء «الواعظ» ما التجأ إليه ابن أبي الربيع من الشتم والتعريض، بل الكذب الطويل العريض ـ حسب عبارته ـ [2] وما رماه به من المجون، وكيف شبّهه بالواعظ الجاهل الذي لا يبين، وكان من جوابه له في سياق حقائق عن سلفه الذين أثنى عليهم وعلى خلاله النفسيّة لم يخل أيضاً من غمز خصمه وثلبه «إن كنت أيها الفاضل أردت التعريض والقدح في نسبي وحسبي، فأقول لك: أما الدين فإني رجل من أهل القبلة وعريق الآباء في الملّة. . . أخفض إذا مشيت قوامي، الظاهر مني كالباطن، والباطن كالظاهر، ثم أني أسالم وأسلم، ولا يغتاب عندي مسلم[3]».

ثم أفاض في ذكر حسبه ونسبه، وأعقبه بما يفيد إعجابه بشرفه وبانتمائه إلى أصول عربية، وهي إفادات في ترجمته تخلو منها المصادر والمراجع حيث قال «وأما الحسب فإن كنت أطلقته على المجد [ ] بين تهامة ونجد، كان لي سلف لم يرث منصبه خلف، وكان جدُّ جدّي له الوزارة، وتلقى إليه مقاليد الإمارة، وإذا قرأت في [ ] أخبار بني ذي النون، ونظرت في تلك الأمور والشؤون، وجدت ذكر ابن الفرج طيّب الشذى والأرج[4]». ثم أخبر أن ابن أبي الربيع وصفه بأنه كان يتلون تلّون الحرباء، ويتقلّب تقلّب الطائر في الهواء، فكان من إجابته له أنه إنما رماه بدائه وخلع عليه فضل ردائه، وعجب ـ في أسلوب انفعالي مما نعته به من نعوت عدّها من خصائصه «فكيف تنسبني إلى التقلُّب، وهو ظاهر في كلامك، بيّن في نقضك وإبرامك، أترميني بأحجارك؟ أنا والله أكشف من عوارك، وأطوقك بعارك:

(1) مخط ن: 2.

(2) مخط (ن)3.

(3) م. ن: 5.

(4) مخط (ن): 5.

فلا تحتشم من سيرة أنت سرتها فأول راضٍ سيرة من يسيرها

ومضى في هذا الأسلوب المتفجر الحاد[1] «فصبراً للجلا والمصاع حتى أكيلك صاعاً بصاع، بل أزيدك كيل بعير إن ذلك كيل يسير، لأحشرنَّ مساويك حشراً، ولأخزينك بالسيئة عشراً، وجزاء سيئة سيئة مثلها[2]» ولكن لست أرضاها لك، وإن ثقل حملها:

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وما من ريب في أن التجاء المترجم به إلى مثل هذا الأسلوب إنما كان ردّ فعل لأسلوب ابن الربيع الذي غالى في تجريحه كتابة في مناظرته المفقودة، ومشافهة في مجالسه بسبتة والذي جاء فيه استشهاده بقول الشاعر:

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

وقد تمثّل ابن أبي الربيع بهذا البيت ليظهر به فساد ذوق مناظره أبي الحكم في فهم الأدب، واستكناه الشعر.

وقد رآها ابن المرحّل جرأة مذمومة أجاب عنها بقوله في هذا الجزء «أراك أيُّها الرجل تتمثل بأشعار، وتستشعر الأدب ولم يكن لك بشعار، أبعد الكبرة، وبياض الشعرة، علقت بهذه الطريقة، وآثرت المجاز على الحقيقة؟[3]».

وأتى بعد ذلك بكلام طويل متّصل بالغرض ذهب بالكثير منه ما أصاب الأوراق المخطوطة من عوارض القدم، يستشف من سياقه أنه كان معرضاً لانفعاله وأيضاً لثقافته اللغوية والتاريخية التي وظّفها في مناقدة خصمه الذي ذكر أنه «ملأ تقييده من شتمي تصريحاً وتعريضاً[4]» ليسوّغ بذلك ـ أمام سيّده ومخدومه ـ أسلوبه الذي لا يقل عليه في الإفراط نجتزىء منه بقوله في تقييم أدب ابن أبي الربيع الذي

---

(1) مخط ن.

(2) الآية 40 سورة الشورى.

(3) مخط (ن): 6.

(4) م. ن: 11.

صار يتعاطاه ـ كما تقدّم ـ في سنٍّ متقدمة قال واصفاً منثوره ومنظومه «نثر كما تنثر الأنوف، ونظم كما تكنف الكنف لا الكنوف، نثر في وجه الأدب منه بثر، ونظم في صدره منه كظم نثر كما زنخ اللحم، ونخر العظم، وتسجيع كأنه الرجيع[1]».

ومنه في إظهار أن ابن أبي الربيع لم يحسن المحاجّة ولم يوفق في جلب الشواهد المقنعة في المناظرة: «قلت هذا الرجل جمع أمثالاً، وأعدّ نبالاً، فلما أراد وضع الأمثال، والنزع بالنبال لم يعرف الوضع، ولا أطاق النزع، فجاءت أمثاله باردة، ونباله غير قاصدة، فلو كانت فطرة سليمة، أو تمييز صحيح، لم يأت بأمثال غير موافقة، وأبيات غير مطابقة[2]».

وقد أسهب بعد ذلك في إيراد اعتراضات أخرى ذكرها ابن أبي الربيع النحوي الإشبيلي في رسالته وعمل على ردّها ونقضها بالشواهد التاريخية واللغوية واشتدَّ عليه في ذلك إلى أن قال في معرض المقارنة بينه وبين المعرّي «وكان المعرّى أعمى البصر كما أنك أعمى البصيرة عند النظر، فلا غرو قد جمعت بينكما نسبة «إن الديانات لأرحام[3]» وفي ذلك تعريض بزندقته وإلحاده.

ولم يكتف الكاتب بذلك بل رجع في الجزء المسمّى «الرميلة» إلى الطعن في خصمه، والدعوى بأنه كان قليل التحصيل، وأنه نشأ في إشبيلية بين أعاجم لا يفقهون العربية إلا قليلاً، وأنه بسبب ذلك كلّه مع ما انضاف إليه من عدم القدرة على ترتيب أفكاره سقط في تلك المهاوي الفظيعة التي تجلوها مناظرته، وكأنه أراد بهذا التهجّم أن يحطم صاحبه أمام أصحابه تحطيماً، وأظهر تعجبه من التغير الذي طرأ عليه، وخاطبه بهذا الأسلوب الانشائي المؤسس على الاستفهام «أين تلك السكينة والعفاف، والالتفاف في جناحي الخشوع والانكفاف والانحناء ـ كما تفعل الأساقفة والانعقاف، قسماً لقد كنت أخشى عليك إذا مشيت من الانجعاف[4]».

وختم الرسالة أو الكتاب المسمّى «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» عقب

---

(1) مخط (ن): 11.

(2) م. ن: 15.

(3) مخط (ن): 20.

(4) مخط (ن).

كلام أورده بعد ذلك ـ بقوله: «قال المملوك، وهنا أقطع الكلام، وأغمد الأقلام، وأهدي إلى محمد الصلاة والسلام و [ ] أعتذر عنه أني لم أنظر عند وضع هذا الرد في كتاب، وإنما كتبت ما فيه من [نثر] وشعر وغير ذلك من حفظي، فربما أوردت الحكاية بالمعنى فزدت أو نقصت، وربما اقتضبت كلاماً طويلاً لأجل الاختصار فعذراً [1]» تلك إذن ومضات من مناظرته في مناقدة ابن أبي الربيع تبين أسلوبه ومنهجه.

والذي يستنتج من السياقات المقروءة في هذه المناظرة التي ذهب البتر والوهي والانقطاع بمعظمها ملاحظات عامة وأخرى خاصّة بطبيعتها:

أما العامّة، فإن المناظرة تعكس دون شك بعض الأجواء الفكرية الحافلة بصور المناظرات والمطارحات العقلية التي كانت تعجُّ بها مدينة «سبتة» التي سمّاها لسان الدين في القرن السابع، «بصرة المغرب» كما أنها تصوّر بوضوح بعض ألوان الصراع بين العلماء الكبار البلديين وغيرهم في سبتة وأجواء التنافس بين المهاجرين الأندلسيين إلى العدوة المغربية، وبخاصة بين الإشبيليين الذين يمثلهم ابن أبي الربيع وغيرهم من الأندلسيين الذين يمثلهم في هذه المناظرة ابن المرحل أصيل مالقة.

أما الملاحظات الخاصة المتصلة بطبيعة المناظرة نفسها فإننا نلحظ أن هذه المناظرة «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» لابن المرحل، وكذلك مناظرة ابن أبي الربيع المفقودة ـ اكتست كلٌ منهما طابع العلميّة في مواضع وطابع التأثرية والانفعالية في مواضع أخرى.

يتجلى طابع العلميّة فيما قرأناه من أجزاء هذه المناظرة في الآتي:

أ ـ وضوح العبارات ورصانة الإنشاء ودقته فيها فالنصُّ ـ كما رأيت مما سقناه منه ـ محكم الصوغ، بعيد عن الإظلام، يؤدي المعنى المراد التناظر به بجلاء كما أن المساواة بين اللفظ والمعنى ملحوظة.

ب ـ اعتماد ابن المرحل على ثقافة واسعة وقراءات مختلفة معمّقة في كتب السنة واللغة والأدب والنحو أمثال كتب الصحاح وعيون الأخبار

(1) مخطط ن: 29.

والأغاني وتاريخ النحويين واللغويين وصفوة الصفوةوانتقائه منها بذكاء الأخبار والشواهد التي تخدم غرضه في الحجاج والجدل، وقد استطاع بتلك القراءة وذلك الانتقاء أن يثري موضوعه بعلميّتة، وينحله الطرافة، قال الأستاذ اسماعيل الخطيب، «يظل كتاب» «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» من الكتب الطريفة بموضوعه، يعطي صورة عن ثقافة ابن المرحل العامة، وسعة اطلاعه، فقد استطاع في موضوع يمكن أن يقال عنه أنه تافه أن يتناوله من أوجه مختلفة[1]».

جـ ـ ومن الموضوعية الملتزمة فيها سوقه حجج خصمه ابن أبي الربيع، وإثبات استشكالاته وردوده، ثم تعقبه على ذلك كلّه تارة بحوار جدّي وتارة أخرى بالتهكم والسخرية، بعد أن أظهر في الطالعة ما تدرّع به خصمه من إيذائه وجنوحه إلى الانتقاص منه، وكيف أتبعه الكثير من أنصاره وبخاصة الإشبيليين الذين تمالؤوا عليه، واتبعوا في هذا الخلاف، أو في هذه المناظرة القائل لا القول حتى قال ابن حيّان مؤيداً ابن أبي الربيع «وألسنة الشعراء حداد، وإلا فلا نسبة بين ابن أبي الربيع، وابن المرحَّل، فإن ابن أبي الربيع ملأ الأرض نحواً».

كما يتجلى طابع التأثرية والانفعالية في مناظرة مترجمنا في المواضع المتفرقة من أجزائها الثلاثة التي ذهب فيها مذهب التجريح والتشهير تعقيباً على مواضع الإساءة والتشويه في مناظرة خصمه وقد كان مذوده في ذلك الهجاء ـ كما رأيت ـ شديداً، فقد سلب بعض فضائل ابن أبي الربيع ورماه بالقصور في بعض العلوم مثل علم الحديث والأدب، كما وصف حججه بأنها جاءت «في كلام مفقر بارد[2]» وصوّر اعتراضه على بيت الجارية بأنه «اعتراض بليد لم يفهم من البيت إلا ما وقع في أذنيه[3]» ثم عرّض به عند ذكر البيت الذي أنكره ابن أبي الربيع تعريضاً صريحاً حيث قال: «وأنا بعون الله أبيّن للمبتدئين كيف يخرج البيت الذي فيه الكلام عند

(1) الحركة العلمية في سبتة: 295.

(2) مخط ن.

(3) م. ن.

أهل الصناعة العربية[1]» ونعت نثر ابن أبي الربيع بأقبح النعوت وأشنعها، وربما بالغ في هذا المذهب الذي أملاه الانفعال من خصمه وأتباعه، فذهب فيه أشواطاً بعيدة خرجت به كما خرجت بمناظره عن آداب البحث والمناظرة، وهذا ما دعا عبد الواحد بن الطوّاح التونسي[2] إلى استنكار هناتها، وهو ما أيّده فيه أحمد المقري[3]، ومن المعاصرين اسماعيل الخطيب[4]، والعجب أنهم أغفلوا ما فيها من علم مالك وقدرته.

أما عن اللغة التي كتبت بها مناظرة «الرمي بالحصا والضرب بالعصا» فقد حرّرت سطورها فيما قرىء منها بقلم أديب مالك أدواته، متميز بأسلوبه في الإقناع والتأثير على نحو ما طالعناه في ألوان نثره السابقة، إلا أنه هنا آثر مراعاة لمقام النقد والجدل والحوار استخدام لغة مطلقة، تتسم بالحيوية والتفجر والتدفق، وتجنح ـ مع الحرص على إيراد الأدلة المقنعة ـ إلى الإنشائية وتتبع آراء مناظره ومحاصرتها بأسلوب بعيد عن الإغراب.

---

(1) مخط ن.

(2) سبك المقال لفك العقال مخط خع: 134، تحق محمد جبران: 140 ,141 وابن الطوّاح هو من أعلام القرنين السادس والسابع الهجريين، راجع ما كتبناه عن ترجمته وآثاره في تحقيق كتابه المذكور وفي كتابنا الآخر«عبد الواحد بن الطواح من الأعلام المغمورين في القرن الثامن الهجري».

(3) راجع كتاب نفح الطيب للمقري.

(4) الحركة العلمية بسبتة: 295 ـ 296.

الباب الثالث

التحقيق



الفصل الأول

تحقيق الأشعار والمنظومات

(1)

النسيب والتشبيب

شعر لابن المرحل ـ رضي الله عنه ـ [متقارب]

1 ـ تمام السرور بحور القصور	لدى روض نور يرق الظبا
2 ـ بحسن عجيب وجسم رطيب	حكاه القضيب إذا ما انثنى
3 ـ حياة النفوس بطيب الجلوس	بقرب عروس كشمس الضحى
4 ـ بتعديل قدٍّ وتوريد خدٍّ	كحمرة ورد علاه الندا
5 ـ وخصر رقيق وقدٍّ رشيق	وحسن أنيق يفوق الورى
6 ـ وطيب المقيل بقرب الخليل	وظل ظليل بدار العلا
7 ـ سيلقى مناه وأقصى رضاه	بمولىً يراه فذاك المنى

(1) أثمد العينين ونزهة الناظرين ورقة 154 و ـ ظ.

1 الحور: جمع أحْوَر وحوْراء والحور اشتداد بياض العين وسواد سوادها، وأن تستدير حدقتها، وترق جفونها.

6 المقيل: النوم في القائلة وهي نصف النهار.

(2)

وقال مفصحاً عن مذهبه في زمن الشباب [الرمل]:

1 ـ مذهبي تقبيلُ خدٍ مُذهب سيّدي ماذا ترى في مذهبي
2 ـ لا تخالفْ مالكاً في رأيه فبه يأخذُ أهلُ المغربِ

(3)

وقال في غرض النسيب [دوبيت]:

1 ـ الحسنُ معذب كلَّ قلب اللّه قضى به فحسبي
2 ـ . . . . [1] عن ملامي كانَ قبلَ الملام حُبّي

(4)

وقال [الكامل]

1 ـ وإذا عشقت يكون ماذا هل له دين عليَّ فيغتدى ويروح

(5)

وله في الكناية بمحبوبه: [الكامل]

1 ـ إني لأكنى عنه خيفة أن يشي واشٍ فأفضح في الهوى أو يُفضحا

---

(2) السحر والشعر (أ) الورقة 55 (ب) الورقة: 61 وسلوة الأنفاس 100:3 ومخط الوافي بالوفيات 120,25 واقتطاف الأزهار في حدائق الأفكار الورقة 36 وكتاب في البلاغة والأدب لمؤلف أندلسي مجهول: 276 بغية الوعاة 271:2 والبدر السافر في أنس المسافر لوحة: 56 أ.

(3) رسالتان في الدوبيت مخطوطة الأسكوريال

(4) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط (ن): وهو البيت الذي كان سبباً في عقد المناظرة بينه وبين ابن أبي الربيع في مدينة سبتة ـ كما سيأتي تفصيل ذلك.

---

1 - 2 ـ المذهب: الذهيب، والفرس المذهب هو ما تعلو حمرته صفرة، ومراد الشاعر الوجنة النقية المشربة بالحمرة.

1 - 2 ـ فراغ في الأصل.

1 - 5 ـ الواشي: المخبر النام.

2 ـ فأقول عند الليل يا قمر الدجى   وأقولُ عند الصبحِ يا شمس الضُحى

(6)

ومن أبيات له في قصيدة لم تصل إلينا كاملة: [الكامل]

1 ـ حق وإن جعل النصيحُ يصيح   أنا عاشقٌ هذا الحديثُ صحيحُ

2 ـ وإذا عشقتُ يكون ماذا هل له   دَيْنٌ عليَّ فيغتدى ويروح

3 ـ فيه قضاء؟ لا ولا كفارة   فأرحْ فؤادي إن قولك رِيحُ

(7)

قال مما يدخل في العروض الخامسة، التي يدخلها الوقص [دوبيت]:

1 ـ مولى بأغيدِ   كالغُصن أملدِ

2 ـ يروحُ نحوَه   قلبي ويغتدي

---

(5) الشعر والسحر (أ) الورقة: 42 (ب) الورقة 42.

(6) الرمي بالحصا والضرب بالعصا مخط (م):

(7) رسالتان في عروض الدوبيت مخط الاسكوريال

---

2 - 5 ـ الدجى: سواد الليل وظلمته، ويوصف به على لفظه فيقال ليلة دجى، وليالٍ دجى. والصبح الصباح.

1 - 6 ـ النصيح: الناصح والجمع نصحاء.

2 ـ غدا غدواً: ذهب غدوة أي وقت الغداة.

3 ـ الكفارة: ما يستغفر به الآثم من صدقة وصوم ونحوها.

1 - 7 ـ الأغيد: الوسنان المائل العنق، والمتثنى في نعومة. والأملد: الناعم اللين من الناس، ومن الغصون. ومثله الملد.

(8)

وله قوله [دوبيت]:

1 ـ ألا يا نسيم الصبا خبّري   بحال الأحبة أو عبري

(9)

قال النميري نقلاً عن شيخه «وأنشدني له» [الكامل]:

1 ـ قال الوشاةُ وقد بدتْ في مفرقي   للشيب آياتُ تدلُ على الكبر

2 ـ كمْ قد التصابي والشباب قد انقضى   والشيبُ قد عمَّ المفارق وانتشر

3 ـ فأجبتُهم إن التصابي للفتى   كالنّوْر أحلى ما يكون مع السحر

(10)

ومن رقيق أشعاره في وصف حاله [البسيط]:

1 ـ ضلَّ المحبُون إلا شاعراً غزلاً   يُطارح المدحَ بالتشبيب أوطارا

2 ـ لا يشتكي الحبَّ إلا في مدائحه   دعوى ليصغي أسماعاً وأبصارا

3 ـ كضارب العود وشّىَ فيه توشيّة   وبعدَ ذلك غنّى فيه أشعارا

---

(8) مخط البدر السافر في أنس المسافر 2: لوحة 56أ.

(9) مذكرات ابراهيم بن الحاج النميري 2 :198

(10) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 2 :257 والسحر والشعر (أ) الورقة: 155 (ب) الورقة: 160 وجعل البيت الأول ثانياً، مع أوطاراً باطوارا سنن المهتدين في مقامات الدين.

---

1 - 8 ـ نسيم الصبا، نسيم رقيق مهبها من مطلع الثريا يكثر الحديث عنها في الأغزال.

1 ـ الوشاة: جمع واش من وشى يشي وشياً ووشاية بمعنى نم به وسعى بالكذب.

1 - 9 ـ التصابي: تكلّف الصبا والتظاهر بالصغر. المفارق: من الرأس حيث يفرق الشعر.

3 ـ النور: الزهر الأبيض، واحدته نورة.

1 - 10 ـ الغزل: المشغوف بمحادثة النساء، والتودد إليهن.

3 ـ وشى: وشى فلان الثوب نقشه وعلمه.

(11)

ومن شعره في التشبيب والشكوى [البسيط]:

1 ـ طافَ الخيالُ بوادينا فمازارا إلا وواقعُ سرب النوم قد طارا

2 ـ لا ذنبَ للنوم بل للعين تدفعُه بل للحشا من حشاشات الحشا نارا

3 ـ لا واخذَ الله أحبابي بما صنعوا إن الحبيب لمحبوب وإن جارا

4 ـ وإنَّ من حكمة المولى ورحمته ألا يحمّل أهل الحسنِ أوزارا

5 ـ مِنْ أينَ للقلبِ ذنبٌ إنما امتحنوا بأعينِ تجتني الأنوارَ نوارا

6 ـ مَنْ قيّد اللحظَ في روضات أوجههم من أرسل الدمعَ فوقَ الخدِ مدرارا

7 ـ مَنْ قالَ للقلبِ في طيّ الجوانح طِرْ فطار، والله لم يخلقه طياراً

8 ـ يجني المحبُّ بعينيه منيتَه عمداً ويطلبُ من أحبابه الثارا

9 ـ قد كان يبصر ما يأتيه من خطأ لو يجعل الله للعشاق أبصارا

(12)

ومن قوله على لسان ألثغ، ينطق بالسين ثاء، ويقرأ بالرويين [مُخلع البسيط]:

1 ـ عَمَرت ربعَ الهوى بقلبِ لقوة الحبِ غير ناكس ث

2 ـ لبثتُ فيه أجرُّ ذيل الذ حول أحببْ به للابس ث

3 ـ إن متُّ شوقاً فلي غرامٌ نباتُه بالسقام وادس ث

---

(11) مخطوطة الوافي لأبي البقاء الرندي: 45، الكوكب الثاقب 3 :559 اقتطاف الأزهار في حدائق الأفكار: 36 ويقرأ المسك السهل: 290 وليس فيه إلا البيتان الثاني والثالث.

(12) الإحاطة 3 :313,312.

---

6 - 11 ـ المدرار: الهتّان.

7 ـ الجوانح: جمع جانحة، وهي الضّلع القصيرة مما يلي الصدر.

1 - 12 ـ نكس الشي: قلبه، والناكس: المطأطئ رأسه من ذل. نكث: العهد: نقضه.

3 ـ ودست الأرض: ظهر نبتها.

4 ـ أما حديثُ الهوى فحقٌ يصرف بلواه كلُّ حادس ث
5 ـ تعبت بالشوقِ في حبيبٍ أنا به ما حييتُ بائس ث
6 ـ يختالُ كالغصنِ ماسَ فيه طرفٌ فأزرى كلُّ مائس ث
7 ـ دنيا تبدّت لكلِ وأي فهو لدنياه أيُّ حارس ث
8 ـ يلعبُ بالعاشقين طُراً والكلُّ رضوانُ وهو عابس ث

(13)

وقال «وأما العروض الخامسة المشطورة [من الدوبيت] فأنا استخرجتها، وعملت عليها»:

1 ـ أهلاً بك يا رشا يا أحسن من مشى
2 ـ املك لك ما ترى وأحكم لك ما تشا

(14)

ونسب إلى نفسه في هذا الفن [الدوبيت] قوله الذي استخرج به العروض الرابعة المحذوفة منه:

1 ـ الشوقُ أَسالَ أدمعي يا ليتَ مُعذّبي معي

(15)

وله في التشبيب: [الطويل]

1 ـ تملّكتم عقلي وطرفي ومسمعي وروحي وأحشائي وكلّي بأجمعي

---

(13) رسالتان في الدوبيت مخطوط الأسكوريال (288).

(14) رسالتان في الدوبيت مخطوطة الاسكوريال (288).

---

4 ـ الحادس: الذاهب على غير هداية.

13 - 1 ـ الرشا: ولد الظبية إذا قوي، والجمع أرشاء.

14 - 1 ـ الشوق: نزوع النفس إلى الشيء، أو تعلقها به.

2 ـ وتيهّتموني في بديعِ جمالكم فلمْ أدرِ في بحر الهوى أين موضعي
3 ـ وأوصيتموني لا أبوحُ بسرّكم فباحَ بما أُخفي تفيُض أدمعي
4 ـ فلما فنى صبري وقلَّ تجلّدي وفارقني نومي وحرمت مضجعي
5 ـ شكيت لقاضي الحبِّ قلتُ أحبتي جفوني وقالوا أنت في الحب مُدّع
6 ـ وعندي شهودٌ بالصبابة والأسى يزكّون دعوايَ إذا جئت أدعي
7 ـ سُهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي ووجدي وسقمي واصفراري وأدمعي
8 ـ ومن عجب أني أحنُّ إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهمُ معي
9 ـ وتبكي دماً عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

(16)

قال أبو بكر القللوسي [وقال شيخنا أبو الحكم]: [دوبيت]

1 ـ ترفق أيُها الحادي بعشّاق نشاوى قد تعاطوا كأس أشواق

(17)

وله قوله: [الكامل]

1 ـ في الصدر من عهد الحبيب علائق ومثيرها نظر وطيف طارق

(16) الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض: 69.

(17) مخط البدر السافر في أنس المسافر 2: لوحة 56 أ وكتب عجز البيت (5) في المخطوط يبني بموضعه وحبيب ناطق.

15 - 5 ـ شكيت وشكوت بمعنى واحد.

16 - 1 ـ الصبابة: الشوق أو حرارته، والنوى: البعد.

1 ـ النشاوى: جمع نشوان، وهو السَّكران في أول أمره.

17 - 1 ـ علائق: جمع علاقة وهي الصداقة وما يتعلق بها.

2 ـ فالطيف إن أغفيت يوماً هائج والطرف إن أصغيت يوماً شائق
3 ـ يا منكر الأشواق لست بعاشق ما يعرف الأشواق إلا العاشق
4 ـ ممن له نَفَسٌ كمثلي خافت أو من له قلب كمثلي خافق
5 ـ ما بين أضلعه حبيب قاطن يثني بموضعه وحبُّ ناطق
6 ـ إن يذكر السلوان قال خطيبه عند المحبّة يوم يسلو آبق
7 ـ كيف السلو عن الذي أهوى و في عنقي عهود للهوى ومواثق؟
8 ـ زعم الحبيب بأن دمعي كاذب والله يعلم أن دمعي صادق
9 ـ من ذا يسابق لوعتي أو زفرتي وكلاهما عند التذكر سابق

(18)

وقال في الغرض نفسه: [الكامل].

1 ـ أسر الفؤاد ودمع عيني أطلقا والوجدُ جرّده وصبري مزّقا
2 ـ حُلوُ الشمائل ما أمرَّ صدودَه مُتنعّم قد لذّ لي فيه الشقا
3 ـ بعث الغرام إلى المنام فردّه عن عين عاشقه فبات مؤرقا
4 ـ إن قلتُ مالي بالتجني طاقة ولّى وباب الصبر عني أغلقا
5 ـ ظبيٌ من الأتراك ينفر خيفةً في الحبِّ من شرك به أن يعلقا
6 ـ وتصحُّ نسبته إذا حققتها للترك لحظاً والأعارب منطقا
7 ـ طرحَ الذؤابة خلفه فحسبتها حنشاً بغصن أراكة متعلقا
8 ـ تصل الركاب إذا تمّثل راكبا فإذا ترجّل ضمّها متمنطقا

---

(18) من مجموع مخطوط أوله «غاية المرغوب ونهاية المطلوب في سر شمائل المحبوب» لأبي محمد عبد الواحد البوعناني وفيه أنس القلوب ومنادمة المحل والمحبوب: غير مرقم ملك الأستاذ عبد العزيز الساوري.

---

6 ـ السلوان: ما يشرب ليُسلي أو دواء يسقاه الحزين فيفرح.

7 ـ مواثق: جمع موثق وهو العهد.

9 ـ طالت وزاد سوادُها فظننتها ليلَ الصدود فلم أزل متعلقا
10 ـ للحسن ماءٌ جال في وجناته كم فيه من إنسان عين أغرقا
11 ـ يسمو بطلعته على قمر السما وبلين قامته على غصن النقا
12 ـ وإذا تكلّم أو تبسّم ثغرُه لا يترك السالي بأن لا يعشقا
13 ـ في مهجتي جمرُ الأسى متلهّبٌ وبثغره ماءُ الحياة مُروّقا
14 ـ يا طيبه ماءٌ ويا ظمأي فهلْ أروي به وأعبُّ حتى أسرقا
15 ـ يا عاذلي أقصرْ وتبْ عما مضى ما أنت في عدل المحبِّ مُوفقا
16 ـ قد قلتُ لي يسلوك عنه مثلُه وصَدقَت لكنْ مثلُه ما يلتقى
17 ـ يا فاتر الأجفان أحرقت الحشا مني فذبتُ صبابةً وتشوقا
18 ـ يمضي الزمانُ وما أزور دياركم من كثرةِ الرقباءِ عند الملتقى
19 ـ وأُريد أسبحُ في الدموع إليكم فأخاف من ضعف الهوى أن أغرقا
20 ـ وأردُّ عن برد النسيم تنفسي أخشى يهبُّ لكم لهيبا محرقا
21 ـ أما غرامي في هواك فإنه حيٌّ ولكنْ في السلو لك البقا

(19)

ولأبي الحكم مالك بن المرحَّل في قصيدة له كافية فيما ينظر الى هذا المعنى [الكامل]

1 ـ يا شدَّ ما يلقى المحبُّ من الهوى هُوَ مالك وحبيبُه متهالك

(20)

قال ابن رشيد السبتي «وقد استعمله شيخنا الأديب أبو الحكم ابن المرحَّل

(19) كتاب «اقتطاف الزهر واجتناء الثمر» (اختصار زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق الحصري (رحمة الله عليه) مخطوط خح رقم (374).

19 - 1 ـ متهالك: من يرمي نفسه في التهلكة.

مختلف الحركة في لغز له، واعتمد جعل الكاف، فقال [الرجز]

1 ـ يا سائلي عن اسم من تملّكا   قلبي أنا والحبّ أبْديه لكا
2 ـ اسم حبيبي ظاهرٌ مقلوبُه   في ثغره فابصُر له إن ضحكا

(21)

وقال مفصحاً عن ميله، ومؤكداً أن الهوى غلاب [الكامل]:

1 ـ لا بدَّ من ميْل إلى جهةٍ فلا   تُنكر على الرجل الكريم مُميلا
2 ـ إن الفؤاد وإن توسَّط في الحشا   ليميلُ في جهة الشمال قليلا

(22)

قال في وصف فاتنه [الطويل]:

1 . قلائدُه من ثغره وحديثه   وإلا فقلْ فيها صنوف لآل
2 . وليلتُه من شعره وخماره   وإلا فقلْ فيها ثلاث ليال

(23)

قال أبو بكر القللوسي «وقد جرى شيخنا أبو الحكم على مهيع ابن الحدّاد(*) فيه[ ] فصنع على المحذوف منه قوله: [الكامل]

---

(20) وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي، مجموع خع (D3507).

(21) الإحاطة 1 :316 وجذوة الاقتباس1 :329.

(22) الشعر والسحر (أ) الورقة: 48 (ب) الورقة: 56.

(23) الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض: 66 ,67. وأورد منه صاحب الروض «الأريض: 507 صدر البيت الأول ولم يقف محققه على شيء سواه.

(*) ابن الحداد هو محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، شاعر أندلسي له ديوان شعر كبير مرتب على حروف المعجم، وتوفي في حدود عام ٤٨٠ هـ راجع التكملة لابن الأبار: ١٣٣ .

20 - 1 ـ أبدية: أظهره وأجلوه.

21 - 2 ـ الحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال، والكرش وما تبع ذلك.

22 - 1 ـ قلائد: جمع قلادة، وهي ما يجعل في العنق من حلى وغيره.

2 ـ الخمار: كل ما ستر، والخمرة: الرائحة الطيبة ومن أمثال العرب «إن العوان لا تعلم الخمرة».

1 ـ ما وقوفُك بالركائب في الطلْل ... ما سؤالكَ عن حبيبكَ قد رحلْ
2 ـ يا فؤادي ما أصابك بعدَهم ... أين صبرُك يا فؤادي ما فعلْ
3 ـ كنتَ محتملاً لكلّ مشقةٍ ... والكريمُ من الرجال من احتملْ
4 ـ هيجتك حمامةٌ سجعتْ على ... فنن فبكيت من جزعٍ نزلْ
5 ـ يا حمامة حاجز بحياة مَنْ ... تحفظين عهوده لمن الطللْ
6 ـ كلُّ دار بلى تمرُّ برسمها ... دار خولةَ فاندبنّ ولا تسلْ

(24)

ومن مستحسن نزعاته [البسيط]:

1 ـ يا راحلينَ وبي من قربهم أملٌ ... لو أغنت الحيلتان القولُ والعملُ
2 ـ سرتم وسار اشتياقي بعدكم مثلاً ... من دونه السامران الشعرُ والمثلُ
3 ـ وظلَّ يعذُلني في حبّكم نفرٌ ... لا كانت المحنتان الحبُ والعذلُ
4 ـ عطفاً علينا ولا تبغوا بنا بدلاً ... فما استوى التابعان العطفُ والبدلُ
5 ـ قد ذقتُ فضلكمُ دهراً فلا وأبي ... ما طاب لي الأحمران الخمرُ والعسلُ
6 ـ وقد هرمتُ أسى من هجركم وجوىً ... وشبَّ مني اثنتان الحرصُ والأملُ

---

(24) مخط «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي مخط خع ج 25 (565) الإحاطة 3: 311 ـ 312

وجذوة الاقتباس 1 :330 والمحاضرات والمحاورات الورقة: 177.

---

23 - 1 ـ الركائب: جمع ركاب وهو ما توضع فيه رجل الراكب.

4 ـ هيجتك: أثارتك.

5 ـ الطلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار وغيرها. حاجر: الأرض ترتفع جوانبها وينخفض وسطها واسم موضع.

6 ـ خولة: اسم امرأة أو رمز لصاحبته.

24 - 3 ـ العذل: اللوم والعتب، والنفر: القوم يسارعون إلى أمر.

4 ـ العطف والبدل: من التوابع في الإعراب.

7 ـ غدرتم أو مللتم يا ذوي ثقتي   لبئست الخصلتان الغدرُ والمللُ
8 ـ قالوا كبرتَ ولمْ تبرح كذا غَزلاً   أزرى بك الفاضحان الشيبُ والغزلُ
9 ـ لم أنسَ يوم نادوا للرحيل ضحىً   وقُرّب المركبان الطرفُ والجملُ
10 ـ وأشرقت بهواديهم هوادجهم   ولاحت الزينتان الحليُ والحللُ
11 ـ وودّعوني بأجفانٍ ممرضةٍ   تغضها الرقبتان الخوفُ والخجلُ
12 ـ كم عفّروا بينَ أيدي العيسِ من بطلٍ   أصابه المضنيان الغنجُ والكحلُ
13 ـ دارت عليهم كؤوس الحبِّ مترعةً   (. . .) المسكران الخمرُ والمقلُ
14 ـ وآخرين اشتفوا منهم بضمّهم   يا حبذا الشافيان الضمُّ والقبلُ
15 ـ كأنما الروضُ منهم روضةٌ أنفٌ   يُزهي بها المثبتان السهلُ والجبلُ
16 ـ من لمسترق الروابي والوهاد بهم   ما راقه المعجبان الخصرُ والكفلُ
17 ـ يا حاديَ العيس خُذْني مأخذاً حسناً   لا يستوي الضدان الريث والعجلُ!!
18 ـ لم يبق لي غيرُ ذكرٍ أو بكا طللٍ   لو ينفع الباقيان الذكرُ والطللُ
19 ـ يا ليت شعري ولا أنس ولا جذل   هل يرفع الطيبان الإنسُ والجذلُ

(25)

قال يصور حاله مع محبوبه: [البسيط]

1 ـ هو الحبيبُ قضى بالجوْرِ أمْ عدلا   لي الخيارُ وأما في هواه فلا
2 ـ تاللّه ما قصّر العذّال في عَذَلي   لكنَّ أذني أبت أن تسمع العذلا

(25) الإحاطة 3: 309, 310.

6 ـ الجوى: المرض وشدة الوَجد.
10 ـ الهوادي: جمع هادية، وهي المتقدمة من الخيل والإبل. والهوادج: جمع هودج، القبة على الجمل تركب فيها النساء.
12 ـ العفر: وجه الأرض. والعيس: الكريم من الإبل، وقيل ما خالط بياضه شقرة. الغنج الدلال.
13 ـ الكلمة الأولى في العجز غير مقروءة.
15 ـ الروضة الأنف: الجديدة التي لم ترع من قبل.

3 ـ أما السلوُ فشيءُ لستُ أعرفهُ ... كفى بخلّك غدراً أن يقال سلا
4 ـ جفونُ غيري أصحت بعدما قطرت ... وقلبُ غيري صحا من بعدما ثملا
5 ـ وغصنُ بانٍ تثنى من معاطفه ... سقيتُه الدمع حتى أثمر العذلا
6 ـ إثره نسيم الشعر آونةً ... فكلّما مالَ من أعطافه اعتدلا
7 ـ أمّلت والهمةُ العلياء طامحة ... وليسَ في الناس إلا آمل أملا
8 ـ وقالَ إيهاً طفيلي ومقترح ... ألست عبدي ومملوكي فقلت بلى
9 ـ ما من تحدث عن حسني وعن كلفي ... بحسنه وبحبي فاضرب المثلا
10 ـ نبطت خدي خوف القبض من ملك ... إذا أشار بأدنى لحظه قتلا
11 ـ تقبّل الأرضَ أعضائي وتخدمُه ... إذا تجلّى بظهر الغيب واتصلا
12 ـ يا مَنْ له دولةٌ في الحسن باهرة ... مثلي ومثلُ فؤادي يخدمُ الدولا

(26)

وله في وصف ما يعانيه حملة الهوى [الكامل]:

1 ـ دنفٌ تستّر بالغرام طويلا ... حتى تغيّر رقةً ونحولا
2 ـ بسطَ الوصالَ فما تمكّن جالساً ... حتى أُقيم على البساط دليلا
3 ـ يا سادتي ماذا الجزاءُ فديتكم ... الفضلُ، لو غير الفتى ما قيلا
4 ـ قالوا تعاطى الصبرَ عن أحبابه ... لو كانَ يصبرُ للصدودِ قليلا

---

(26) الإحاطة 3: 307، 308 والجذوة 1: 329 وورد البيتان الأولان فيها على هذا النحو:

حب تستر بالغرام طويلا ... حتى تغير رقة ونحولا
بسط الوصال فما تمكن حالها ... حتى غدا على البساط ذليلا

المجموع رقم (د2949) خع الورقة 132.

---

3 ـ السلُو والسلوى: كلُّ ما سلاّك.
4 ـ أصحت من الصحو، والمراد الصفاء بعد السحاب والمطر.
5 ـ المعاطف: جمع عطاف. 6 ـ في صدر البيت سقط.
8 ـ الطفيلي: الذي يغشى المآدب من غير دعوة.
26 - 1 ـ الدنف: المريض الذي لزمه المرض الشديد.

5 - ماذاق إلا شربةً من هجرنا وكأنّه شربَ الفرات شمولا

6 - أيقولُ عشتُ وقد تملكه الهوى لو قالَ مِتُّ لكان أقومَ قيلا

7 - حلفَ الغرامُ بحبنا وجمالنا إن لم يدعه ميتاً فعليلا

8 - إن الجفونَ هي السيوفُ وإنما قطعت فلم تسمغ لهن صليلا

9 - قل للحبيب، ولا أصرحُ باسمه ماذا الملالُ وما عهدتَ ملولا

10 - بيني وبينك ذمةٌ مرعيةٌ أتراك تقطعُ حبلها الموصولا

11 - وَلَكم شربتُ صفاءَ ودّك خالصاً ولبستُ ظلاً من رضاكَ ظليلا

12 - يا غصنَ بانِ بانَ عنّي ظلُّه عند الهجير فما وجدتُ مقيلا

13 - اعطف على المضنى الذي أحرقته في نارِ هجرك لوعةً وغليلا

14 - فارقتُه فتقطعتْ أفلاذُه شوقاً وما ألفى إليك سبيلا

15 - لو لم يكن منك التغيُّر لم يسل بالناس لو حشروا إليه قبيلا

16 - يا راحلاً عني بقلبٍ مُغضب أيطيقُ قلبي غضبةً ورحيلا

17 - قلْ للصبا هيّجت أشجان الصبا فوجدت يا ريح القبول قبولا

18 - هلْ لي رسولٌ في الرياح فارقته بعث النسيم رسولا

19 - يا ليت شعري أين قرّ قراره يا قلبُ ويك أما وجدت دليلا

20 - إن لم يعدْ ذاك الوصالُ كعهدنا نكّلْت عيني بالبكا تنكيلا

---

4 - الصبر: التجلد والاحتمال.

5 - الشمول: الخمر.

8 - الصليل: الصوت.

10 - الذمة: العهد.

12 - الهجير: نصف النهار في القيظ.

13 - المضنى: من اشتد مرضه حتى نحل جسمه.

14 - الأفلاذ: جمع فلذة، وهي القطعة من الكبد واللحم.

18 - آخر كلمة في الصدر غير مقروءة وفي الصدر سقط.

20 - التنكيل: شدّة العقاب.

(27)

قال مشبّباً ومعارضاً البهاء زهير في قصيدته المشهورة: [دوبيت]

1 ـ الصبُّ إلى الجمال مائل | والحبُّ لصدقه دلائل
2 ـ والدمعُ لسائلي جوابٌ | إن روجع سائل بسائل
3 ـ والحسنُ على القلوب والٍ | والقلب إلى الحبيب وائل
4 ـ لو ساعدَ مَنْ أحبُّ سعدٌ | ما حالَ عن الحبيب حائل
5 ـ يا عاذلي إليك عني | لا تقربْ ساحتي العواذل
6 ـ ذا نازل كمثل ظبي | يشقي بلحظه المنازل
7 ـ ما بين جفونه حسامٌ | مخارقُه له حمائل
8 ـ والسيفُ يُبت ثم ينبو | واللحظُ يُطبق المفاصل
9 ـ والسهمُ يُصيب ثم يُخطى | واللحظُ يمر في المقاتل
10 ـ مهلاً فدمي له حلالٌ | ما أقبلُ فيه قولَ قائل
11 ـ إن أقصدني فذاك قصدي | أوجدّ لني فلا أجادل
12 ـ يا حسن طلوعه علينا | والسكر بمعطفيه مائل
13 ـ ظمآن مُخفّف الأعالي | ريّان مثقل الأسافل
14 ـ قد نمَّ به شذا الغوالي | اذ هبَّ ونمت الغلائل
15 ـ والطيبُ مُنبّه عليه | من كانَ عن العيان غافل

(27) الإحاطة 1: 310.

27 - 5 ـ إليك عنّي: بمعنى ابعد عني ولا تدنُ.
9 ـ المقاتل: المكان الذي يتأتى منه القتل.
11 ـ أقصد السهم: اصاب. جدّله: صرعه.
14 ـ الغوالي: جمع غالية، وهي الأخلاط من الطيب كالمسك والعنبر. الغلائل: الأثواب الرقيقة تلبس تحت الدثار.

16 - والفتحُ محرّك إليه ... من كان مسكن البلابل
17 - والسحرُ رسولُ مقلتيه ... ما أقربَ عهدَه ببابل
18 - والروضُ يعير وجنتيه ... ورداً كهواي غير حائل
19 - واللينُ يهزُّ معطفيه ... كالغصنِ تهزُّه الشمائل
20 - والكأس تلوح في يديه ... كالنجم بأسعد المنازل
21 - يُسقيك بريقه مُداماً ... ما أملحَ ساقياً مواصل
22 - يُسبيك برقة الحواشي ... عِشقاً ولطافة الشمائل
23 - ما أحسن ما وجدت خداً ... إذ نجم صباي غير آفل

(28)

قال أبو الطيب الرندي «ولابن المرحَّل من أهل عصرنا قصيدة طويلة كلها على هذه الصفة (أي النقص، وذلك أن تنقص قوة العروض عن قوة الضرب، فتكون في البيت الذي لم يصرّع تامّة أو محذوفة في الطويل، أو بتراء في المديد والمتقارب منها: [الرمل]

وعلى الأعلام من شرقي سُليمى ... حذق النيّران ما غمّض جفنا

(29)

ومن شعر صباه في الغزل والبطالة [الكامل]

1 - أعدي عليَّ هواه خصمُ جفونه ... مالي به قبلٌ ولا بفنونه
2 - إن لم تُجرني منه رحمةُ قلبه ... من ذا يجيرُ عليه ملكُ يمينه

---

(28) الوافي في نظم القوافي : 324.

(29) الإحاطة 3: 308، 309 .

---

16 - البلابل والبلابلة: جمع البلبال: شدة الهم والوسواس.

17 - بابل: مدينة قديمة في العراق.

18 - حائل: متغيّر.

3 - صابٍ منَ الأتراك أصبى مهجتي	فعبدت نور الحسن فوق جبينه
4 - مُتمكّنٌ في الحسنِ نوَّن صدغه	فتبيّن التمكينُ في تنوينه
5 - تنسابُ عقربُ صدغه في جنّة	لم يجن منها الصبُّ غير منونه
6 - ولوى ضفيرته فولّى مُدبرا	فعل الكليم ارتاع من تبيينه
7 - قد أطمعتني فيه رقةُ خدّه	لو أمكنتني فيه رقة دينه
8 - ورجوتُ لينَ قوامِه لو لم يكُن	كالرمحُ شدة طعنه في لينه
9 - شاكي السلاح وما الذي في جفنه	أعدى عليَّ من الذي بجفونه
10 - ناديتُه لما ندت لي سينه	وشعرتُ من لفظ السلام بسينه
11 - رحماك في دنفٍ غدا وحياتُه	ومماتُه وحراكُه كسكونه
12 - إن لم تمنَّ عليَّ منة راحمٍ	فمناه أن يلقاه ريبُ منونه
13 - ولذا أبيت سوى سمات عدوه	فأمانه من ذاك ظهر أمونه
14 - سننيخها في باب أروع ماجدٍ	فيرى محلّ الفضلِ حق يقينه
15 - حيث المعارف والعوارف والعُلا	في حدّ مجد جامع لفنونه
16 - بدرٌ وفي الحسن بن أحمد التقت	نُجُبُ مررن على العطا بركونه
17 - تبغي مناها في مناها عنده	وتطوفُ بالحاجات عند حُجونه
18 - فرعٌ من الأصلِ اليماني طيّبٌ	ورثَ البيانَ وزادَ في تبيينه
19 - يُبدي البشاشة في أسرّة وجهه	طوراً ويحمي العزَّ في عِرنينه
20 - بسطت شمائله الزمان كمثل ما	بسطَ الغناءُ نفوسنا بلحونه

---

3 - أصبى: رماه بالعشق.

5 - المنون: الموت.

6 - الكليم: من يكالمك وكليم الله هو سيدنا موسى عليه السلام.

13 الأمُون: المطية المأمونة لا تعثر، ولا تفتر، والجمع أُمن.

17 - الحجون: جبل بمكة.

19 - العرنين: أول كل شيء، وما صلب من عظم الأنف موضع الشمم.

20 - الشمائل: الخلال.

21 ـ يُثني عليه كلُّ فعل سائرٍ   كالمسكِ اذ تُثني على دارينه

الوصف: ـ

(30)

وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطرسوني في مراجعة [السريع]:

1 ـ يا سيدي شاكركُم مالكٌ   قد صيّرتْ ميمُ اسمه هاءَ

2 ـ ومن يعش خمساً وتسعينَ   قد انهى في التعمير إنهاءَ

(31)

قال: وأنشدني لمالك بن المرحل قصيدته التي مطلعها [المتقارب]:

1 ـ سلامٌ على سبتةِ المغربِ   أُخيّة مكةَ أو يثرِبِ

2 ـ سلامٌ على طور مينائها   ....

(32)

ومن شعره في كتم الشيب بالخضاب [الطويل]:

1 ـ كتمتُ مشيبي بالخضابِ تعلّلاً   فلمْ يخطني شيبي ورابَ خضابُ

---

(30) الإحاطة 3: 317.

(31) المنتقى المقصور 2: 708 ودرة الحجال 3: 26 قال د. محمد رزوق محقق «المنتقى المقصور 2: 708 «وقد بحثنا عن القصيدة طويلاً لإكمال النقص، ولكن لم نعثر لها على أثر، ولعلها ضاعت من جملة ما ضاع من آثار مغربية وأندلسية». وعجز البيت الثاني مفقود أيضاً.

(32) السحر والشعر (أ) الورقة (120) والإحاطة1: 316 وفيها «سترت مشيبي» في صدر البيت، وفي عجزه «فلم يخط فشيب وراب خضابي» والمعنى والوزن غير مستقيمين. وفي البيت الثالث من=

---

21 ـ الدارين: ضرب من الزهر.

30 - 1 ـ يريد أنه صار هالكاً ببلوغه هذه السن.

31 - 1 ـ يثرب: المدينة المنوّرة.

32 - 1 ـ راب: كذب.

2 ـ كأني وقد زوّرت لوناً على الصّبا   أعنون طرساً ليس فيه كتابُ
3 ـ غراب خضاب لم يقف من حذاره   وأعجب شيء في الحذار غُرابُ

(33)

وقال: [الطويل]:

1 ـ وبيداء قد كانت ضلوعاً تُكنني   كأني فيها لوعةٌ ووجيبُ
2 ـ وتحت قميص الليل مني مجمّر   وفوق رداءِ الصبح مني طيبُ
3 ـ وفي مُقْلة الظلماءِ مني مرود   له بينَ أهدابِ السحابِ دبيبُ
4 ـ وفي مبسم الإصباحِ مسواكُ أسحلٍ   ولكنّه مهما عجنت طبيبُ
5 ـ فيغضي عليَّ الليلُ والليلُ أدعج   ويَبْسمُ عني الصبحُ وهو شنيبُ

(34)

قال في وصف النهر واصطكاك مائه بالحصباء: [الكامل]

1 ـ والأرضُ قد ضربتْ بمرهفِ نهرها   صفحاً وألقى في المكان فصاحا
2 ـ فاسمع إلى غربِه في حصبائه   كالقيْن جرَّ على الفلاةِ سلاحا

=الشعر والسحر «فراب» والصحيح كما جاء في الإحاطة «غراب» لما عرف به هذا الطائر من الحذر والبعد ومن الأمثال: «فلان أحذر من الغراب».

(33) الشعر والسحر: (أ) الورقة 27 (ب) الورقة 20 ـ 21 .

(34) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 2: 365 .

(35) الشعر والسحر: (ب) الورقة: 79 .

---

3 ـ غراب الشيء: أوله، يقال غراب السيف ونحوه بمعنى ألأله.

33 - 1 ـ اللوعة: حرقة في القلب. الوجيب: الخفقان والرجف.

4 ـ الأسحل: شجر يُستاك به، يشبه الأثل.

5 ـ الأدعج: من اشتد سواد عينه وبياضها مع الاتساع.

الشنيب: من رقت أسنانه وابيضت.

(35)

وقال في وصف الكعك المحشو [الكامل]:

1 ـ أضحت أجنتُها أتمّ فصيلة ... منها كذاك أجنّة الأحرارِ

2 ـ حَمِيت على مثل الأهلة أولاً ... ثم اتصلنَ فصرنَ كالأقمارِ

(36)

في تشبيه حمالة سيف [البسيط]:

1 ـ حمالةُ كرياضٍ جاورتْ نهراً ... فأنبتتْ شجراً رقَّتْ أزاهرها

2 ـ كحيّة الماءِ عامتْ فيه وانصرفتْ ... فغابَ أولُها فيه وآخرُها

(37)

وقال في التاريخ لميلاده: [الرجز]

1 ـ يا سائلي عن مولدي كي أذكره ... ولدتُ يومَ سبعة وعشره

2 ـ من المحرَّم افتتاح أربعِ ... من بعد ستمائة مفسّرة

3 ـ في يومِ الاثنين طلوعُ شمسه ... من شهر آب إن أردت خبره

---

(36) الإحاطة 3: 315 والشعر والسحر (ب) الورقة: 81, 80 وجذوة الاقتباس 1: 329، وورد فيها البيتان بشيء من التحريف حيث كتبت لفظة عامت عادت.

(37) الإحاطة 3: 324 والمغرب المبين: 88 وجذوة الاقتباس 1: 329 والبيت الثالث مما انفرد بذكره نقلاً عن ابن القاضي ابن عبد الملك المراكشي.

---

34 - 2 ـ القين: الحداد أو العبد.

الفلاة: الأرض الواسعة المقفرة.

35 - 1 ـ أجنّة: يريد بذلك جمع جنّة الحديقة الوارفة ذات النخل والشجر.

37 - 1 ـ شهر آب: الشهر الحادي عشر من الشهور السريانية يقابله شهر أغسطس من الشهور الرومية الميلادية.

(38)

[الكامل]

1 ـ قالَ الوشاةُ وقد بدتْ في مفرقي ... للشيب آياتٌ تدلُ على الكبرْ

2 ـ كمْ ذا التصابي والشباب قد انقضى ... والشيبُ قد عمَّ المفارق وانتشرْ

3 ـ فأجبتُهم: إن التصابي للفتى ... كالنوْر أحلى ما يكونُ مع السحرْ

(39)

وله في وصف قصر الليل [الكامل]:

1 ـ وعشيةٍ سبقَ الصباحُ عشاءَها ... قِصراً فما أمسيت حتى أسفرا

2 ـ مسكيّةٍ لبستْ حُلَى ذهبية ... وجلا تبسُّمها نقاباً أحمرا

3 ـ وكأنّ شهبَ الرجم بعضُ حليِّها ... عثرتْ به من شرعةٍ فتكسرا

(40)

وقال في الشوق والحنين [تام الخفيف]:

1 ـ ربَّ رَبعٍ وقفتُ فيه وعهدٍ ... لمْ أجاوزه والركائبُ تسري

---

(38) مذكرات ابن الحاج النميري 2 :198.

(39) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 2 :235 والكوكب الثاقب 3 :560 وإدراك الأماني من كتاب الأغاني 23 :61,60.

(40) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 2 :212 والكوكب الثاقب 3 :560 وإدراك الأماني من كتاب الأغاني 23 :63,62.

---

38 - 1 ـ المفرق: وسط الرأس حيث يفرق الشعر.

3 ـ النور: الزهر والسحر: الفجر وهو آخر الليل.

39 - 3 ـ الشهب: جمع شهاب، النجم اللامع المضيء، وفي القرآن الكريم «فأتبعه شهاب ثاقب».

40 - 1 ـ الربع: الموضع ينزل فيه زمن الربيع، وأيضاً الدار وما حولها.

الركائب: جمع ركاب، وهو ما توضع فيه الرِّجل، وهما ركابان.

2 ـ أسألُ الدارَ وهي قفرُ خلاءٌ   عن حبيب قد حلّها منذُ دهرِ
3 ـ حيثُ لا مسعدُ على الوجدِ إلاّ   عينُ حرٍّ تجودُ أو ساقُ حر

(41)

وصف عقد زواج ابن حاكم سبتة أبي القاسم العزفي [البسيط]:

1 ـ الحمدُ لله شكراً بانَ في البشرِ   ودارَ في النسل من أنثى ومن ذكرِ
2 ـ وخالقِ الخلق بدّاعاً بحكمته   وواهب العقل والأرواح والصورِ
3 ـ وجاعلِ الناس فيما خوّلوا رتباً   لا تستوي رتبة الأحجال والغررِ
4 ـ تفاضلَ الناسُ في الحظ الذي رزقوا   كما تفاضلت الأشجارُ في الثمرِ
5 ـ وخيرُ ما رزقوا دين يُطهّرهم   من كلِ رجس ويُصفيهم من الكدرِ
6 ـ له علينا بمشروع النكاح ومم   نوعِ السفاح امتنان غير منحصرِ
7 ـ فكمْ أنال بهذا الشرعِ من وطرٍ   وكمْ أزالَ بهذا المنع من قذرِ
8 ـ شكراً يكافيء ما أولاه من نعمٍ   والشكر من نعمةِ المولى على البشرِ
9 ـ ثم الصلاةُ على شمسِ النبوءة إنْ   كانَ النبيئون من نجم ومن قمرِ
10 ـ والمُصطفى من قريش بعد خيرتها   من القبائل والمختارُ من مضرِ
11 ـ محمدٌ خاتمُ الرسلِ الذي خُتمتْ   منه بطيبةَ مِسكٌ طيب ذفرِ
12 ـ فكانَ أطيبهم نشراً وأكرمهم   نشراً إذا نشر الموتى من القبرِ
13 ـ وكانَ آخرهم بعثاً وأولُهم   بعثاً إذا ما غدوا للعرض في زمرِ
14 ـ هو الذي أشرقت أنواره فهدت   ساري الظلام بفجر منه منفجر

---

(41) جذوة الاقتباس 1: 330, 333.

---

2 ـ القفر: الموضع لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ.
ساق حر: ذكر القماري.
41 - 3 ـ الأحجال: جمع حجل الخلخال أو مكانه من الساق، والغرر جمع غرة وهي البياض في جبهة الفرس.
6 ـ السفاح: الزنا.

15 ـ فأوضحَ السنة المُثلى وبيّنها بالذكر طولاً وبالصمصامةَ الذكرِ
16 ـ وحضَّ إذ خصَّ بالتشريف أمته على النكاح لما قد جاء في الأثرِ
17 ـ وبيّن القصْد في هذا وجملته قرب من النفع أو بعد من الضررِ
18 ـ فالبعدُ عن ضرر كالبعد عن غنت والبعدُ من ألم التخييل والنظرِ
19 ـ فالنفعُ إحراز نصف الدين أن لهم بذاك إن حفظوه ربحَ متجرِ
20 ـ وكمّل القصد فيما خصّهم ودعا إلى تحيّز أهل الدين والخيرِ
21 ـ هذا لهم ولهُ قصدُ التكاثر في يومَ القيامة اذ يأتي من النذرِ
22 ـ وبعد هذا الذي قدّمت من كَلم أرجو به النجح في ورد وفي صدرِ
23 ـ فإن عالمنا الأهدى وفاضلنا الأتقى وواليـنا الموعود بالظفرِ
24 ـ بحر الهدى مزنةَ الجود الذي شهدتْ لطرفه حلبةُ الأجداد بالحصرِ
25 ـ ومن به يقطع الساري مفازته به الحداءُ وفيه لذةُ السمرِ
26 ـ ومن أتمت صلاة الحمد فيه فلا يكونُ في سفر قصر ولا حضرِ
27 ـ أعني أبا القاسم المقسوم نائلُه في كل رفع وخفض قسمة المطرِ
28 ـ محمدَ بن إمام الصالحين أبي العباس أحمد قطب العلم والأثرِ
29 ـ المرتقى من ذرى نجم إلى شرف تزلُّ عنه جميعُ الأنجم الزهرِ
30 ـ ومنْ حمى العزِّ من بيت الكرام إلى بيت حكى البيت ذا الأركان والحجرِ
31 ـ دامت عُلاه ولا زالت مآثره تُجلْى على الدهر أو تتلى مع الزبرِ

---

15 ـ الصمصامة: السيف.

16 ـ إشارة إلى الحديث الشريف «من تزوج فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله في الشطر الآخر».

17 ـ إشارة إلى الحديث الشريف الآخر «تناكحوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة».

24 ـ المزنة: السحابة.

25 ـ الحداء: الغناء.

27 ـ أبو القاسم يريد به حاكم سبتة أبا القاسم العزفي الذي تولّى حكم المدينة في الفترة الواقعة بين سنة (647 هـ) وسنة (677 هـ) والنائل: العطاء.

31 ـ الزبر: جمع زبور وهو الكتاب.

32 - لما رأى نجله الندبَ السريَ أبا الوفاءِ بلغ ما يبغيه من وطرِ
33 - قد نالَ رتبة آباءٍ له كرمُوا في عنفوانِ الشباب الناعم الخضرِ
34 - وأحرز المجدَ والعلياءَ منقطعاً وإن يكن من حجاه لازم العذرِ
35 - وكان قرّةَ عينيه ونورهما ولم يزلْ منه بينَ السمع والبصرِ
36 - دعاهُ دعوةَ من يرجُو المزيد له وأن يراه من الأبناء في نفرِ
37 - إلى الذي حفظوا أحسابهم وحموا منه العُلا من بطاح طيب الأزرِ
38 - فقالَ أمركَ يا مولاي أملك لي فالعبدُ في كبر كالعبدِ في صغرِ
39 - كذلك النجباءُ الأزكياء لهم لله والأب تسليمُ وللقدرِ
40 - فاختار صهراً كريماً واستخار له مولى متى يستخره عبدُه يخرِ
41 - في خطبة خطبت فيها السّعود على منابرِ العزِّ في حفل وفي حضرِ
42 - سعيدةُ صحب التوفيق خاطبها وخطبها باقتراب اليمن واليسرِ
43 - غنَّت لها عرب الأشعار من طرب كما شدت عجم الأطيار من حبرِ
44 - وأصبح الزهر في حِلْي وفي حُلل على العقائد من آس ومن شجرِ
45 - فالنورُ في غسقٍ كالنور في فلقٍ قد استوى طيِّب الآصال والبكرِ
46 - فليس يعدو مدى الدنيا السرور بها صدراً من الليل أو سحراً من السحرِ
47 - زارتْ وقد أنفت من كلِّ محصنة عقيلة الخير ذات الصدق والخفرِ
48 - كريمةٌ من بني حجاج اُصطفيت منهم كما تُصطفى الأعلاق من دررِ
49 - يدعونها فعلة الفعّال والدُها كانوا يكنونه فيهم أبا عمرِ
50 - نجلُ الفقيه الرضي القاضي أبي حكم وهو كذلكَ من نجم من الغُررِ
51 - فأحمدُ اللهَ بالتوفيق بينهما عقد النكاح فأضحى موثق المررِ

---

34 - الحجا: العقل.

37 - طيب الأزر: كناية عن الطهر والعفاف.

45 - البكر: أول كل شيء، والبكرة أول النهار.

48 - الأعلاق: النفائس من كل شيء.

51 - المرر: جمع مرّة بمعنى القوة.

52 ـ على الكتاب الذي بالحق أنزله إلـهـنـا وبـتـيـسـيـر لُـمـذّكـرِ
53 ـ وسنةُ المصطفى المصفي لأمّته مشارعَ الشرع إذحاموا على نـهرِ
54 ـ صلّى الإلهُ عليه ما سرتْ إبلٌ وطاف بالبيت ذو حج ومعتمرِ
55 ـ على صداق دنانير وجملتُها من المئين ثلاثُ صرفها عشرِ
56 ـ النقدُ من ذاكَ ثلثاه وقد برئتْ مِنْ ذاك ذمتُه بالدفع فهو بري
57 ـ إلى ثلاث إماء فائنتان من السـ ودان من وسط العالي من الصُورِ
58 ـ تتلونها من بنات الروم واحدةٌ ليستْ إلى صغر تُعزى ولا كبرِ
59 ـ وصارَ ذلك في قبضِ المصونة أم الزوجة الحرّة المرضية السيرِ
60 ـ بنتِ الكرام التي عزّت بمنصبها في آل خلدون عزاً خالد الأثرِ
61 ـ وفي أبي زكرياء الوزير لها إذ كان والدُها فخراً لمفتخرِ
62 ـ من حاضري الحضرميين الذين لهم في المجدِ والجودِ نجم غيرُ مُنكدرِ
63 ـ لتورد الكلَّ في بيت البناءِ بها مع الذي يشتري بالنقد من مهرِ
64 ـ وذاكَ عن إذن قاضينا الأجل أبي عبيد الله أخي فهر بني النضرِ
65 ـ وبعدما صحّ من محمودِ سيرتها لديه ما أوجب التقديم للنظرِ
66 ـ والكالىء الثلث الباقي وفي حجج معدودةٍ أربع تأتي على الأثرِ
67 ـ وأن تكون لديه بالأمانةِ والمأ خوذِ عهداً على الأزواج في السيرِ
68 ـ وذاكَ معروفُ إمساك لمسكته مرّت وإلافتسريح بلا غيرِ
69 ـ وحسنُ صحبتها حقُّ عليه لما إليه منْ ذاكَ من أمر لمؤتمرِ
70 ـ ومثلُ ذاك عليها في الوجوب له وللرجالِ شفوفُ في الكتاب قُري
71 ـ أمضى النكاحَ عليها عن مؤامرة وعن حماة يؤدي الأذن في خفرِ

---

53 ـ مشارع: جمع مشرعة، وهي شريعة الماء وغيرها.

60 ـ آل خلدون من الأسر التي أقامت بمدينة سبتة، وصاهرت آل العزفي، وأصلها من حضرموت ثم استوطنت الغرب الإسلامي ومن مشاهيرها أبو زيد وأبو زكريا ابن خلدون المؤرخان المشهوران أحدهما صاحب «المقدمة» و«العبر» والآخر صاحب «بغية الرواد». .

66 ـ الكالئ: المتأخر.

72 ـ المقرئُ الفاضلُ القاضي بسبتة قد ذكرته عند ذكر الإذن في سطرِ

73 ـ بكراً وقد بلغتْ في السن سالمةً في العقل والجسم من وهم ومن ضررِ

74 ـ يتيمة كنفيس الدُّر مهملةً لا تحت حجر ولا تقديم ذي نظرِ

75 ـ خلواً من الزوج حلالاً ولى لها في سبتة غير قاضيها من البشرِ

76 ـ وبعدَ أن صحَّ هذا الوصف أجمعه لديه لم يلفَ من عذر لمعتذرِ

77 ـ وأنها استؤمرت في ذاك سافرة والقبض للنقد والإحراز للضررِ

78 ـ بذاكَ يشهدُ في هذا الكتاب على القاضي الألى سمعوا الأشهادَ بالحضرِ

79 ـ وأشهد الزوجُ أبقى الله عزّته إياهم بالنكاح فيه مستطرِ

80 ـ في صحة وجواز كالذي عهدوا منهُ وحسنُ فعال طيِّب عطرِ

81 ـ في شهر ذي حجة يومَ الخميس ضحى وذاكَ في سادس من عشرة الأخرِ

82 ـ في عام خمسين زدْ لها ثمانية من بعد ست مئات كلُّها قمري

83 ـ واللّه يجمعُ هذا العقدَ مقترناً بالآل والمالِ والنعماءِ والعمرِ

84 ـ فيه الذي مصلحاً والعز قد كتبا فيه ببشر صحيح عنهما عدرِ

85 ـ فأحمدُ شاهد بالعقد فيه على شقيقة الزوج إبراهيم بالمهرِ

86 ـ ومالكٌ عابدُ الرحمنِ والدُهُ من الشهودِ بمنظوم ومنتثرِ

(42)

وله في بعوُض يؤرقه: [الوافر]

1 ـ يؤرقني بعوضٌ في ليالٍ بها عهدُ الأمان من الشموس

2 ـ تجيءُ إليَّ أفواجاً تغنّي مجيء المطربين إلى العروس

---

(42) الشعر والسحر: (ب) الورقة: 80.

---

1 ـ الشموس: جمع شمس وهي الكوكب النهاري.

(43)

وقال مصوراً ضعف أعضائه لتقدم سنه [السريع]:

1 ـ عدمتُ منْ [ ] قوى حسّه يا حسرة الشيخ على نفسه

2 ـ تراه منقضّاً على سفله كحائط خرَّ على سفله

(44)

في تصوير أن ما أفسده الدهر لا يمكن إصلاحه [الطويل]

1 ـ مررتُ عليها والخضابُ لمائه وبيضٌ وريح المسك قد كادَ يسطع

2 ـ فقالتْ مليحٌ ما أرى غير أنه (سحابةُ صيف عن قليلِ تقشّع)

السحر والشعر (أ) (ب)

(45)

في تصوير عروس، ووقائع حفل زفاف [الكامل]:

1 ـ اللهُ أكبرُ في منارِ الجامعِ من سبتةٍ تأذينَ عبد خاشع

---

(43) السحر والشعر (أ) الورقة: 101 (ب) الورقة: 112 والإحاطة 2: 230 وأورد فيها البيتين على هذا النحو:

عدمت من [ ] قوى حسه يا حسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله كحائط خرَّ على أسه

مخط ريحانة الكتاب 2: 240 بدون نسبة.

(44) السحر والشعر (أ) و(ب).

(45) الإحاطة 3: 317.

---

43 - 1 ـ الحسُّ: الإدارك بإحدى الحواس الخمس. أو فعلها. الحسرة: شدة التلهف والحزن.

2 ـ منقضاً: متقطعاً منكسراً ومتفرقاً.

خرّ: سقط من علو إلى سفل بصوت.

44 - 1 ـ الخضاب: الحناء. الوبيض: اللمعان والبريق.

2 ـ أقشع السحاب: تصدع وأقلع.

2 . الـلـهُ أكـبـرُ لـلـصـلاة أقـيـمُـهـا	بـيـن الـصـفـوفِ مـن الـبـلاطِ الـواسـعِ
3 . الـلـهُ أكـبـر مُـحـرمـاً ومـوجـهـاً	وجـهـي إلـى ربـي بـقـلـب خـاشـع
4 . الـحـمـدُ لـلّـه الـسـلامُ عـلـيـكـمُ	آمـيـن لا تـفـتـح لـكـلِّ مـخـادعِ
5 . إنّ الـنـسـاءَ خـدعـنـنـي ومَـكَـرْنَ بـي	ومـلأنَ مـن ذكـر الـنـسـاءِ مـسـامـعـي
6 . حتى وقـعـتُ ومـا وقـعـتُ لـجـانـب	لـكـنْ عـلـى رأسـي لأمـر واقـعِ
7 . والـلّـهِ مـا كـانـت إلـيـه ضـرورة	لـكـنَّ أمـرَ الـلّـه دونَ مُـدافـعِ
8 . فخطبْنَ لي في بيتِ حُسنٍ قلنَ لي	وكـذبـنَ بـلْ هـوَ بـيـت قـبـحٍ شـائـعِ
9 . بـكـراً زعـمـن صـغـيـرةً فـي سـنّـهـا	حـسـنـاءَ تُـسـفـرُ عـن جـمـالٍ بـارعِ
10 . خَـوْد لـهـا شـعـرٌ أثـيـثٌ حـالـكٌ	كـالـلـيـلِ يـجـلـو عـن صـبـاحٍ سـاطـعِ
11 . حـوراءُ يـرتـاعُ الـغـزال إذا رنـتْ	بـجـفـون حـشـفٍ فـي الـخـمـائـل راتـعِ
12 . تـتـلـو الـكـتـاب بـغـنّـة وفـصـاحـةٍ	فـيـمـيـلُ نـحـوَ الـذكـر قـلـبُ الـسـامـعِ
13 . بـسَّـامـةٌ عـن لـؤلـؤ مـتـنـاسـق	مـن ثـغـرهـا فـي نـظـمـه الـمـتـتـابـعِ
14 . أنـفـاسُـهـا كـالـراح فُـضَّ خـتـامـهـا	مـن بـعـد مـا خُـتـمـت بـمـسـكٍ رائـعِ
15 . غيداءَ كالغصنِ الرطيب إذا مشت	نـاءَتْ بـردفٍ لـلـتـعـجـل مـانـعِ
16 . تـخطو على رِجْلي حمامة أيكة	مـخـضـوبـة تُـصـبـي فـؤاد الـخـاشـعِ
17 . ووصفنَ لي من حُسنها وجمالها	مـا الـبـعـضُ مـنـه يُـقـيـم عـذرَ الـخـالـعِ
18 . فـدنـوتُ واسـتـأمـنـتُ بـعـد تـوحّـش	وأطـاعَ قـلـبٌ لـم يـكـن بـمـطـاوعِ
19 . فـحـمـلـنـنـي نـحـو الـولـيّ وجـئـنـنـي	بـالـشـاهـديـن وجـلـد كـبـشٍ واسـعِ
20 . وبـغـرفـة مـن نـافـع لـتـفـاؤلٍ	والـلـهِ عـزَّ وجـلَّ لـيـس بـنـافـعِ

---

2 ـ البلاط: ضرب من الحجارة تفرش به الأرض.

3 ـ الخاشع: الراكع الخاضع.

10 ـ الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق. الشعر الأثيث: الغزير الطويل.

11 ـ الحوراء: هي من النساء البيضاء. الخشف: ولد الظبية أول ما يولد.

15 ـ الغيداء: المتمايلة في لين ونعومة.

21 ـ فشرطنَ أشراطاً عليَّ كثيرةً ... ما كنتُ في حملي لها بالطائعِ
22 ـ ثم انفصلتُ وقد علمتُ بأنني ... أوثقت في عنقي لها بجوامعِ
23 ـ وتركنني يوماً وعدنَ وقلنَ لي ... خذ في البناءِ ولا تكنْ بمدافعِ
24 ـ واْصنعْ لها عرساً ولا تحوج إلى ... قاضٍ عليك ولا وكيل رافعِ
25 ـ فقرعتُ سنّي عندَ ذاك ندامةً ... ما كنتُ لولا أن خُدعت بقارعِ
26 ـ ولزمنني حتى انفصلتُ بموعدٍ ... بعد اليمين إلى النهار الرابعِ
27 ـ فلو انني طلّقتُ كنتُ موفقاً ... ونفضتُ من ذاك النكاح أصابعي
28 ـ لكنْ طمعت بأن أرى الحسن الذي ... زوّرن لي فدممتُ سوءَ مطامعي
29 ـ فنظرتُ في أمر البناء مُعجّلاً ... وصنعتُ عُرساً يالهامِنْ صانعِ
30 ـ وطمعتُ أن تُجلى وأبصر وجهها ... وتقرُّ عيني بالهلال الطالعِ
31 ـ فذكرنَ لي أن ليسَ عادةُ أهلها ... جَلْوَ العروس وتلك خدعةُ خادعِ
32 ـ وظننتُ ذاكَ كما ذكرنَ ولم يكنْ ... وحصلتُ منه في مقام الفازعِ
33 ـ وحملنني ليلاً إلى دار لها ... في موضع عن كلِّ خير شاسعِ
34 ـ دار خراب في مكان موحش ... ما بينَ آثار هناكَ بلاقعِ
35 ـ فقعدتُ في بيتٍ صغير مُظلم ... لا شيءَ فيه سوى حصير الجامعِ
36 ـ فسمعتُ حساً عَنْ شمالي مُنكراً ... وتنحنحاً يحكي نقيقَ ضفادعِ
37 ـ فأردتُ أن أنجو بنفسي هارباً ... ووثبتُ عند الباب وثبةَ جازعِ
38 ـ فلقيتهنَ وقد أتينَ بجذوةٍ ... فرددنني وحبسنني بمجامعِ
39 ـ ودخلنَ بي للبيت واستجلسنني ... فجلستُ كالمقرور يوم زعازعِ
40 ـ وأشرنَ لي نحو السماء وقُلنَ لي ... هذي زويبعةُ وبنت زوابعِ

---

25 ـ قرعت سنّي: كناية عن الندم.

38 ـ الجذوة: الجمرة الملتهبة (ج) جذاً وجذاء.

39 ـ الزعازع: الرياح الشديدة، وزعازع الدهر: شدائده.

40 ـ الزويبعة: تصغير زوبعة وهي الإعصار.

41 ـ هذي خليلتُك التي زوجتها فاجلس هنا معها ليوم السابعِ
42 ـ وتهنأ النُّعمى التي خولتها فلقدْ حصلتَ على رياضٍ يانعِ
43 ـ فنظرتُ نحو خليلتي متأملاً فوجدتُها محجوبةً ببراقعِ
44 ـ وأتيتُها وأردتُ نزع خمارها فغدتْ تدافعني بجدٍ وازعِ
45 ـ فوجأتُها في صدرها ونزعته وكشفتُ هامتها بغيظ صارعِ
46 ـ فوجدتُها قرعاءَ تحسبُ أنها مقروعةٌ في رأسها بمقارعِ
47 ـ حولاء تنظرُ قرنها في ساقها فتخالها مبهوتة في الشارعِ
48 ـ فطساءَ تحجو أن روثةَ أنفها قطعت فلا شلّت يمين القاطعِ
49 ـ صماءَ تُدْعى بالبريح وتارةً بالطبلِ أو يؤتى لها بمقامعِ
50 ـ بكماءَ إن رامت كلاماً صوّتتْ تصويتَ معزى نحو جدي راضعِ
51 ـ عرجاءَ إن قامتْ تُعالج مشيها أبصرت مشية ضالع أو خامعِ
52 ـ فلقيتها وجعلتُ أبصقُ نحوها وأفرُّ نحو دُجى وغيث هامعِ
53 ـ حيرانَ أعدو في الزقاقِ كأنني لصٌ أحسَّ بطالب أو تابعِ
54 ـ حتى إذا لاحَ الصباحُ وفتحوا بابَ المدينة كنتُ أول كاسعِ
55 ـ واللّه مالي بعدَ ذاكَ بأمرها علمٌ ولا بأمور بيتي الضائعِ

---

48 ـ الفطساء: من انخفضت قصبة أنفها.

49 ـ البريح: يريد الصراخ، والبريح في اللغة التعب ويقصد به ارتفاع الصوت هنا. المقامع: جمع مقمعة، وهي خشبة أو حديدة معوجة الرأس.

50 ـ البكماء: العاجزة عن الكلام، أو من لا تبين ولا تفصح.

51 ـ الخامع: من مشى كأنّ به عرجاً، والخماع: اسم ذلك الفعل.

54 ـ الكاسع: يريد ذاهب، وللفظ معان آخر.

(46)

وله في وصف حال الكبرة والضعف [الكامل]:

1 ـ يا مَنْ لشيخ قدْ أسنَّ وقد عفا مذْ جاوزَ السبعين أضحى مُدنفَا

2 ـ خانته بعدَ وفائها أعضاؤه فغدا قعيداً لا يُطيق تصرّفا

3 ـ هَرِماً غريباً ما لديه مؤانسٌ إلا حديثُ محمدٍ والمصطفى

(47)

وقال في وصف نورية جامع القرويين بفاس ضمن إجازة [السريع]:

1 ـ أُعيذها من شرِّ ما يُتقى من فجأةِ العيْن بربِ الفلقْ

(48)

وله في الشيب ووقعه في العيون [المتقارب]:

1 ـ فتحتُ عيونَ المَها بالخضاب ولم تدر أني أرفو الخلق

2 ـ فلما بدا الشيبُ أضحى العيون بنصلِ فلا جفن إلا انطبق

3 ـ فياعجباً من نصالِ النصولِ غدوتُ بها من رماة الحدق

---

(46) الإحاطة 3: 317.

(47) الإحاطة 3 :28 والمنتقى المقصور 1 :423, 424 وجنى زهرة الآس :70.

(48) الشعر والسحر (أ): (ب).

---

46 2 ـ القعيد: المقعد العاجز

47 - 1 ـ الفجأة: المباغتة الفلق: الصبح ينشق من ظلمة الليل.

48 - 1 ـ المها: جمع مهاة وهي البقرة الوحشية. أرفو: من رفأ الثوب أصلحه.

48 - 2 ـ النصل: جديدة الرمح والسهم، والجمع نصال وأنصل. ونصول.

48 - 3 ـ الحدق: العيون، جمع حدقة، السواد المستدير وسط العين.

(49)

وله في رسم صورة حق نفيس [الخفيف]:

1 ـ أنا أحوي ذخائر الأعلاقِ وأصونُ الحليَّ في أغلاقِ

2 ـ فكأنَّ عيني وجفني غطائي ولآلى الحُلى دمعُ المآقي

3 ـ أنا كالصدرِ أكتم السرَّ لكنْ أجعل العقد فيّ تحتَ التراقي

(50)

وله في تسميته، وما امتحن به من الابتلاء [الطويل]:

1 ـ رَمَوْني في نارِ الهوى فخزنتها فسُمّيت ابراهيم طوراً ومالكا

2 ـ فإنْ نجوا منها بطبعٍ وعصمةٍ فإني قدْ أصبحتُ حيّاً وهالكا

(51)

وقال في صاحب بياض [الوافر]:

1 ـ وناظرِ مُقْلةٍ فيها بياضٌ يُدافع حقَّه أبداً بشك

2 ـ رآه الصيرفيّ فقال هذا عيارُ من لجين في مَحكّ

---

(49) الشعر والسحر: (أ) الورقة: 81 (ب). الورقة: 98.

(50) مذكرات ابن الحاج النميري 2: 198.

(51) السحر والشعر (أ) الورقة 89 (ب) الورقة 103.

---

49 - 1 ـ الأعلاق: جمع علق، وهو النفيس من كل شيء، يتعلق به القلب.

2 ـ المآقي: العيون.

3 ـ التراقي: جمع ترقوة، وهي العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعاتق.

50 - 2 ـ العصمة: بالكسر، المنع والمعصوم من يحفظه الله ويمنعه من الزلل والآثام.

51 - 2 ـ الصيرفي: هو الصيرف صراف الدراهم. اللجين: الفضة. والمحك: ما يحك به من حجر وغيره.

(52)

وهو القائل أيضاً [الوافر]:

1 ـ وقالوا بعتَ نفسَك لا بشيء ... ويُفسخُ بيعُ مغبونٍ بجهل

2 ـ فقلتُ أنا أديبٌ للفقيهِ ... ونقضُ العهدِ عندي شرُّ فعل

(53)

في تصوير ما يفضي إليه الوصال [الرمل]:

1 ـ ثم إن الوصلَ فيه محسنٌ ... من وشاةٍ وأمورٍ تُحتملْ

2 ـ كيفَ يخلو عاسلٌ من لاسعٍ ... وحروفُ اللسع في لفظ العسلْ

(54)

وقوله، ويروى لغيره [السريع]:

1 ـ انحل [ ] فانثنى ناسكاً ... قد شفّه السُقمُ وقد أدبلهْ

2 ـ أرفعُه طوراً على أُصبعي ... ورأسُه مُضطربٌ أسفلهْ

3 ـ كالحنش المقتول يُلقى على ... عودٍ لكي يُلقي على مِزْبلَهْ

---

(52) كتاب في البلاغة والأدب لمؤلف أندلسي مجهول: 276.

(53) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 4: 906.

(54) السحر والشعر (ب) الورقة: 112 مخط ريحانة الكتاب 2: 239 بدون نسبة.

---

1 ـ المغبون: المنقوص المضعوف.

53 - 2 ـ العاسل: مستخرج العسل من موضعه، ومكان عاسل فيه عسل. اللاسع: من اللسع وهو الضرب والأذى.

54 - 1 ـ شفّه الهم أو الحب: ذهب ببعضه، والفراغ ما بين المعكفين، ما يستقبح التصريح به.

3 ـ الحنش: الثعبان.

(55)

مما رجا أن يكتب على قبره، مصوراً غربته [مجزوء الخفيف]:

1 ـ زرْ غَريباً بمغربِ   نازحاً ما لَه ولِيْ
2 ـ تركوهُ موسّداً   بينَ تُربِ وجَنْدلِ
3 ـ ولتقلْ عندَ قبره   بلسانِ التذلُلِ
4 ـ رحِم اللّهُ عَبده   مالكَ بنَ المرحلِ

(56)

ومما قاله في فن الدوبيت في وصف مجلس :

1 ـ الروضُ يَجرُّ مطرفيه   والغصنُ يدعوكم إليه
2 ـ أم تحسبنا للغصونِ ظلاً   أهلاً بجميعكم وسَهْلا
3 ـ والطيرُ يُحارب المزاهرْ   والجلْيُ يُفاخر الأزاهرْ
4 ـ والمجلسُ بالحبيب زاهرْ   ما أحسنَه وما أجلاّ

أهلاً بجميعكم وسهْلا

---

(55) الإحاطة 3: 324 مخط خع رقم (137): 260 وجذوة الاقتباس 1: 333 والمنتقى المقصور 1: 389 وسلوة الأنفاس: 100، وفهرس ابن غازي: 73 وغاية النهاية 2: 36 ومجموع خع رقم 70ك مجموع خح رقم (173) 260 والكوكب الثاقب 3: 561 وإدارك الأماني من كتاب الأغاني 23 ـ 62 ـ 63 .

(56) رسالتان في الدوبيت مخطوط الاسكوريال الورقة: ؟

---

2 ـ الجندل: في الأصل المكان في مجرى النهر فيه حجارة يشتد عندها جريان النهر، ويريد بها الحجارة الصماء.

56 - 1 ـ المطرف: رداء أو ثوب من خز مربع ذو أعلام والجمع مطارف.

3 ـ المزاهر: جمع مزهر، وهو العود الذي يضرب به للطرب.

(57)

وله في وصف المُدامة زمن شبابه [الكامل]:

1 ـ ومدامةٍ ذهبَ السنونُ بجسمها　　مما توارثها الجدودُ قديما

2 ـ أفرغتُها في كأسِها فكأنني　　أجريت منها في الرياضِ نسيما

(58)

ولابن المرحّل في المعنى أيضاً [البسيط]:

1 ـ انظرْ إلى شمعةٍ مصفرّة الأدم　　تبيتُ ساهرةً تبكي مِنَ الألم

2 ـ تحكي المُحبين لكنْ نارُ لوعتها　　في رأسها لاحشاها فهي كالعلم

3 ـ جنتْ على ظلمةِ الليل البهيم ولمْ　　تشعرْ بها فعلتْ فيها يدُ الظُلم

(59)

وله يصف شكل مدينة سبتة وجمالها [السريع]:

1 ـ أخطُر على سبتة وانظرْ إلى　　جمالها تصبُ إلى حُسْنه

---

(57) الشعر والسحر (أ) الورقة: 66 (ب) الورقة: 70.

(58) وردت الأبيات في مجموع مخطوط فيه: ما تبقى من كتاب الدرر المكنونة في محاسن اسطبونة للقللوسي (في ملك الأستاذ محمد المنوني). ورقة: 57.

(59) جذوة الاقتباس 1: 328، درة الحجال 3: 20 الكوكب الثاقب 3: 560، إدراك الأماني من كتاب الأغاني الأوراق 23, 62, 63. الإكليل والتاج الورقة: 105 تحق مارية دادي 2: 383.

---

57 - 1 ـ المدامة: الخمر.

58 - 1 ـ الأدم: يريد الأديم وهو الجلد.

2 ـ اللوعة: حرقة في القلب من حبّ أو همّ.

3 ـ الليل البهيم: الليل المظلم المعتم.

59 - 1 ـ تَصْبُ: تشرئب.

2 ـ كـأنّـهـا عـودُ الـغـنـاءِ وقـد ... أُلـقـي فـي الـبـحـرِ عـلـى بـطْـنِـه

(60)

قال الذهبي «أنشدني محمد بن أحمد القيسي سنة ست وتسعين وستمائة قال: أنشدنا أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي ابن المرحل الكاتب لنفسه سنة تسعين وستمائة بسبتة[1] [السريع]

1 ـ يـا أيُّـهـا الـشـيـخُ الـذي عـمـرهُ ... قـد زادَ عـشـراً بـعـدَ سـبـعـيـنـا

2 ـ سكـرتَ من كـؤوسِ خـمـرِ الصبا ... فـحـدَّك الـدهـرُ ثـمـانـيـنـا

3 ـ يـا لـيـتـه زادَك مـن بـعـدِ ذا ... لأجـلِ تـخـلـيـطـك عِـشـريـنـا

الفخر والمدح

(61)

وله في رجل أشهب خالفه، وعرف بالسرقات الشعرية: [السريع]

1 ـ خـالـفـنـي أشـهـبُ فـي مـذهـبـي ... ومـالـكٌ وافـقَـه أشـهـبُ

2 ـ فـمـذهـبـي مـخـتـرعٌ نـادرٌ ... وسـرقُ الـشـعـر لـه مـذهـبُ

---

(60) راجع معجم شيوخ الذهبي: 465 ومخط الوافي بالوفيات 25 :19 ب الإحاطة 1: 317 و الشعر والسحر 177 والبدر السافر في أنس المسافر لوحة: 56 أو فيه البيتان الأولان وجذوة الاقتباس 1: 329، ولم يورد ابن القاضي إلا البيتين الأولين، الكوكب الثاقب 3: 560 وفيه «سكرت من أكؤس» إدراك الأماني من كتاب الأغاني 23: 62 ,63.

(61) مخط السحر من روح الشعر وروح السحر. غير مرقم، تحق سعيد الأحرش 2: 193.

---

60 - 3 ـ التخليط: الاشتباك والإفساد، واختلط عقله فسد.

61 - 1 ـ الإشارة هنا إلى الإمام مالك الأصبحي، صاحب المذهب الفقهي وكتاب الموطأ، الذي عرف ابن المرحل بتدريسه له ولد في المدينة المنورة. وإلى تلميذه أشهب.

2 ـ سرق الشعر، يريد انتحاله، والسطو عليه.

(62)

[الطويل]

1 ـ شمخْت على قصدِ البعيد بظاهري　　　وحاولتُ فيه حيلة فتيسرا

2 ـ إذا بعدتْ في الرمي عنكَ رميّة　　　رفعتَ عليها مشرب القوس أكثرا

(63)

وقال يمدح أمير المسلمين يوسف يعقوب بن عبد الحق [البسيط]:

1 ـ أنتمْ لأبناءِ عبد الحق كلِّهم　　　فَخْرٌ وهمْ للورى فخر إذا افتخروا

2 ـ فحسبُكم شرفاً أن كان جدُّكم　　　برٌ بن قيسٍ وقيسٌ جدُّه مُضر

(64)

قال أحمد بن القاضي وأنشدني لابن المرحَّل ما آستدعى به حبراً من بعض أصحابه بسبتة أعادها الله للمسلمين [المتقارب]:

1 ـ أَيا مَنْ حَوى الأدَب المنتقى　　　ومَنْ ظلَّ تُحمد آثارُه

2 ـ تفضّل عليَّ بمقلوب صد　　　مُصحَّف قولي خَبَتْ نارُه

---

(62) السحر والشعر (أ) الورقة: 121.

(63) الذخيرة السنية: 14.

(64) المنتقى المقصور 2: 689 ولمح السحر السحر من روح الشعر وروح السحر 2: 193

---

62 - 1 ـ شمخ: ارتفع وتكبّر.

64 - 2 ـ المُصحّف: من صحف الكلمة: كتبها أو قرأها على غير وجهها الصحيح لاشتباه الحروف. أو هو التغيير في النقط؛ وتصحيف خبت ناره خسارة ضد ربح، مقلوبة حبر.

(65)

وكتب إلى سارة الحلبية المتصوفة، يمدحها [الرجز]:

1 ـ قل للتي كادتْ برا ئق شعرها تحكي ابنَ سارهْ

2 ـ الآنَ إن سارتْ ركا بُك في البلادِ دُعيت سارهْ

3 ـ بل أنت هاجرُ إذ هجر تِ بتونسٍ دار الإماره

(66)

وكتب هذه الإجازة نظماً على لسان «إمام النحاة، وصدر العلماء السراة أبي الحسين بن الربيع ـ رحمه الله» إلى أبي الفضل التيجاني التونسي [الخفيف]:

1 ـ أكرم اللّه مستجيزاً أتانا منهُ شعرُ سامي السماك وجازه

2 ـ صدرتْ عنهُ قطعةُ سحرتنا أيُّ سحر أحلّه واستجازه

3 ـ أطلعتْ سبعةً كمثل الدراري حقّرت عند رؤية أرجازه

4 ـ يا أبا الفضل يا فتى آل تيـ جان عنينا بما طلبتَ نجازه

5 ـ إن تكنْ تؤثر الإجازة فاقبـ لْ عن عُبيد الإله هذي الإجازة

6 ـ هو يُنمي إلى قريشٍ ويُكنى جدّه بالربيع فاعد مجازه

7 ـ وارو عنه ما قالهُ ورواهُ فالكلامُ المنظومُ فيه وجازه

---

(65) جذوة الأقتباس 2: 524 .

(66) راجع ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة لابن رشيد السبتي.

---

65 - 1 ـ ابن سارة:

3 ـ البيت الثالث فيه إشارة إلى أن سارة الحلبية المخاطبة وفدت على الأندلس والمغرب الأقصى من تونس، وأنها تنتمي إلى بيت عريق له مائة بدار الإمارة الحفصية.

66 - 1 ـ السماك: أحد السماكين وهما نجمان في السماء.

2 ـ آل تيجان: أسرة علمية اشتهرت في زمن الحفصيين بتونس، راجع بعض أخبارها في رحلة التجاني، وكتاب «سبك المقال».

8 - وعلى الشرطِ في حقيقة نقل أننا لا نُجيز فيه مجازه

9 - قاله عامَ ستةٍ وثمانين وستٍ من المئات مجازه

10 - أحمدُ اللهَ ثمَّ أهدي سلامي لرسولٍ به أعزَّ حجازه

(67)

وكتب مجيزاً أبا الفضل التيجاني التونسي الذي استجازه من طريق تلميذه ابن رشيد [الخفيف]:

1 - ما رأينا كطالبٍ للإجازهْ برويّ أرى الورى إعجازهْ

2 - واصل غاية المدى بجواد أحرزَ الخصلَ في الجياد المجازهْ

3 - هو يُدعى محمداً وأبا الفضلِ . لفضل لا يرتضى إيجازهْ

4 - وإذا ما انتمى إلى آل تجا نى فنجم سامي السها ثم جازهْ

5 - جاءَنا شعرهُ مُحلّى بحلي بالغ من صدوره أعجازهْ

6 - سبعةٌ كالنجومِ تهدى إلى النـْ نَظْمِ ابتداء من قائل أو أجازهْ

7 - قلْ له أيُّها البليغُ سمعنا فاسمع الوعدَ ثم خذ إنجازهْ

8 - فأخوكم يُجيزكم عن شيوخٍ حاسنوا الشرق شامه وحجازهْ

9 - مثل قاضي الجماعةِ ابن بقي عن أبيه وجدّه بإجازهْ

10 - وعن ابن الباج وابن الشلو بين أجازه قبل خطب الإجازهْ

11 - وعن ابن الفحّام شيخ جليل علمَ الناسُ نسكه وانحجازهْ

(67) راجع ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة لابن رشيد السبتي.

10 - الحجاز: من أرض شبه جزيرة العرب ما بين تهامة نجد.

67 - 4 - السها: كوكب صغير الجرم، خفي الضوء.

11 - انحجازه: يريد اعتزاله وتنسكه.

12 ـ فارو عنه، عنهم وإن شئت أيضاً   فـارو أشـعـاره وزدْ أرجـازهْ

13 ـ إنـه نـاظـمٌ أسـنّ وقـد سـنَّ   مـن الـنـظـم كـنـهـه ومـجـازهْ

14 ـ مـالـكُ بـن الـمرحلِ اختـط هـذا   وهـو أولـى أن يـسـتـجـيـز مـجـازهْ

15 ـ قـالـه عـام سـتـةٍ وثـمـانـيـن   وسـتٍ مـن الـمـئـاتِ مـجـازهْ

16 ـ وبـحـمـد الإلـه فـي كـلِّ حـالٍ   وبـمـدحِ الـرسـولِ نـرجـو الإجـازهْ

(68)

وقال يمدح سخاء الوزير أبي علي بن الخلاص: وقد أجاز القاسم بن يوسف التجيبي برواية الأبيات [البسيط]

1 ـ يَسيلُ ماءُ الندى من بين أنمُله   حتى يكادُ نداهُ يُغرق الجُلسا

2 ـ كفٌّ تُسالم مَنْ يلقاه مُستلما   كما تُقاسمَ من يأتيه مُلتمسا

3 ـ فتشبه الحجر المرفوع ملتثماً   وتُشبه الحجر المحمول منبجسا

(69)

وقال مشيداً بهمته وأنفته [المتقارب]:

1 ـ أبَـت هـمـتـي أنْ يـرانـي آمـرؤ   عـلـى الـدهـرِ يـومـاً لـه ذا خـضـوعِ

2 ـ ومـا ذاك إلا لأنـي اتـقـيـتُ   بـعـزّ الـقـنـاعـةِ ذلَّ الـخـضـوعِ

---

(68) مستفاد الرحلة والاغتراب: 447.

(69) جذوة الاقتباس 1 :329 ودرة الحجال 3 :20 وسلوة الأنفاس 3: 100 ومخط خع رقم: 260 (137 ومجموع خع رقم (173): 260.

---

68 1 ـ الندى: العطاء.

69 - 1 ـ الهمة: العزم القوي.

(70)

وقال يمدح محمد بن يربوع: [البسيط]

1 ـ صحبتُ في عمري ناساً أولي حسَب حازوا الثناءَ بموروث ومطبوعِ

2 ـ فلمْ أجدْ فاضلاً فيمن صحبتُ سوى محمدِ بنِ أبي العيش بنِ يربوعِ

(71)

وله في امتداح علمه وأدبه [الطويل]:

1 ـ وما أنا إلا عالم كلَّ عالم ففي الشعر حسّان وفي الفقه مالك

2 ـ ومملكة الآداب عندي كلها وما تستوي عند الملوك الممالك

3 ـ أنخل أشعاري بمنخل حكمتي وأعجنها بالنظم وهي درامك

4 ـ ويسرقها غيري ويأكل حرّها ويرمى به في الأرض وهي مراوك

(72)

وله يخاطب سارة الحلبية مادحاً [مجزوء الكامل]:

1 ـ يا ندرةَ الدنيا لقدْ حزتِ العُلا بكمالِك

---

(70) رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة 2 :273. ومختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها 54.

(71) المحاضرات والمحاورات الورقة: خع (3755) :166.

(72) جذوة الاقتباس 2 :522.

---

70 - 1 ـ الحسب: حسب الشيء قدره وما يعدّه المرء من مناقبه.

2 ـ الفاضل: الزائد في الفضيلة والكمال.

71 - 1 ـ الإشارة في البيت إلى الصحابي الجليل حسان بن ثابت شاعر الرسول وإلى مالك بن أنس صاحب المذهب الفقهي رضي الله عنه.

3 ـ درامك: الدرمك دقاق كل شيء والتراب الناعم، والدقيق الأبيض.

2 ـ جُـمـعـت لـكِ الآدابُ حـتـى إنـهـنَّ كـمـا لَـكِ
3 ـ ومـلـكـتِ أفـئـدةَ الـورى فـالـنـاسُ فـيـك كـمـالِـك
4 ـ إن قـايـسـوك بـمـالِـكٍ ألـفـوك أمـلـك مـالـك

(73)

أثبت الشيخ أحمد المقري في أزهاره(*) «ومن تأليف القاضي عياض رحمه الله» «إكمال المعلم في شرح مسلم» تسعة وعشرين جزءاً، قال ابن جابر، وفيه يقول شيخنا أبو الحكم مالك بن المرحَّل وأجاز فيه رحمه الله تبارك وتعالى [الرجز]:

1 ـ مـن قـرأ الإكـمـال كـانَ كـامـلاً فـي عِـلْـمـه فـزيّـن الـمـحـافـلا
2 ـ وكـتـبُ الـعـلـم كـنـوزٌ إنـهـا تـفـيـدُ قـلـبـا عـاجـلاً وآجـلا
3 ـ ولـيـس مـن كـتـب عـيـاضٍ عـوَضٌ فـإنـه كـانَ إمـامـاً فـاضـلا

(74)

وقال مادحاً الأمير أبا يعقوب في معارك الأندلس [البسيط]:

1 ـ أتـى الأمـيـرُ أبـو يـعـقـوبَ أنـدلـساً والـرومُ فـيـهـا قـد اشـتـدت أمـاكـنـهـم
2 ـ فـلـمْ يَـزلْ بـسيـوفِ الـنصـرِ يـضـربُـهـم فـأصـبـحـوا لا يُـرى إلا مـسـاكـنـهـم

---

(73) أزهار الرياض في أخبار عياض 4 :364.

(74) مذكرات ابن الحاج النميري 2 :199 الذخيرة السنية: 95 .

---

1 ـ جذوة الاقتباس 2 :522.

(*) جاء في تعليق المحققين 4 :346 «كمل به شرح أبي عبد الله المازري المسمى بـ «المعلم بفوائد مسلم» يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط، وخزانة القرويين والخزانة الملكية».

74 - 2 ـ المعنى مأخوذ من الآية الكريمة 25 سورة الأحقاف «تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم».

الهجاء

(75)

وقال: [البسيط]

1 ـ . . . . قــلــت لــهــم — تـفـقـيـر مـن هـو ذو فـقـر مـن الأدب

2 ـ قد ناطَ صغري بكبري ثمّ قادهما — فـي حـبـل تـقـيـيـده رأساً إلـى ذنـب

3 ـ يـا قـومُ بـشـرتـمـونـي لاعـدمـتـكـمُ — بـمـغـنـمٍ بـاردٍ وافـى بـلا طـلـبِ

4 ـ لا تـكـرهـوا مـا رأيـتـمْ مـن تـكـتّـبـه — فـذاك مـمـا أفـاءَ الـلـهُ مـن سـلـب

(76)

وله في الشكوى من بعض طلابه وذمهم [الوفر]:

1 ـ أرى الـمُـتـعـلـمـيـنَ عـلـيـكَ أعـدى — إذا أعـلـمـتـهـمْ مـن كـلِّ عـادِ

2 ـ فـمـا عـنـد الـصـغـيـرِ سـوى عـقـوقٍ — ولا عـنـدَ الـكـبـيـرِ سـوى عـنـادِ

(77)

وله يخاطب ابن الربيع [مجزوء الكامل]

1 ـ مَـنْ لـيـسَ يَـدْري مـا يـريـدُ — فـكـيـفَ يـدْري مـا تـريـدْ

2 ـ يـا أبـن الـربـيـعِ أبـنْ لـنـا — إنَّ الـبـيـانَ لـهُ حـدودْ

3 ـ مـا لـي أراكَ [ ] — الـسـلاسـل والـقـيـودْ

---

(75) مخط الرمي بالحصا والضرب بالعصا وفي صدر البيت سقط.

(76) الإحاطة 1 :316.

(77) الرمي بالحصا والضرب بالعصا جزء الرميلة الورقة 21.

---

75 2 ـ ناط الشيء بغيره أو عليه: علّقه.

76 - 2 ـ العقوق: العصيان وترك الإحسان. العناد: مخالفة الحق ورده.

77 - 3 ـ فراغ بمقدار كلمتين لعلهما مكبلاً بين.

4 ـ أعلا الحديدُ بأم رأسك   أم ليس يضبطك الحديد

(78)

وقال في الرد على من عابَ (كان ماذا)(*) [الرمل]:

1 ـ عابَ قومٌ كانَ ماذا   ليتَ شعري لِمَ هذا

2 ـ وإذا عابوه جَهْلاً   دون علمٍ كانَ ماذا

(79)

وقال في دفع التعجب [الكامل]:

1 ـ لا تعجبوا للمرءِ يُجهل قَدْرُهُ   أبداً ويُعرف غيرُه فيعيّر

2 ـ فالعينُ تبصرُ غيرها من بُعده   شيئاً ولكنْ نفسَها لا تبصرُ

(80)

وقال في هجاء ابن رشيق التغلبي لما هجاه بسبتة [المتقارب]:

1 ـ كلابُ المزابلِ آذينني   بأبوالهنَّ على باب داري

2 ـ وقدْ كنتُ أوجعُها بالعصا   ولكنْ عَوَتْ من وراءِ الجدار

---

(78) نفح الطيب 4 :145 ورد فيه البيت الثاني هكذا إن يكن ذلك جهلاً منهم فكان ماذا، وسلوة الأنفاس 3 :100 والمحاضرات والمحاورات :166 وسبك المقال الورقة135 ومخط موطأة النصيح لموطئة الفصيح 2 :531.

(79) الإحاطة 3 :316.

(80) الإحاطة 1: .475

---

4 ـ كلمة غير مقروءة في أصل المخطوط.

(*) هو كما تقدم، أبو الحسين بن أبي الربيع الإشبيلي.

2 ـ كلمة ساقطة في التحقيق لعلّها [شيئاً] ليستقيم الوزن.

(81)

ومن هجائه في زمن الشباب [السريع]:

1 ـ يا أيُّها المرزوقُ من [ ] رُزقتَ من بابٍ فلا تقطع
2 ـ ومنهُ كانَ الرزقُ فيما مضى لمْ ينتقل عنهُ سوى إصبع

(82)

وقال عندما تناول الرئيس ابن خلاص مقصاً أدمى يده، [الوافر]:

1 ـ عداوة لا لكفّكَ من قديم فلا تعجبْ لمقراضٍ لئيمِ
2 ـ لئن أدماكَ فهْولهُ شبيةٌ وقد يَسْطو اللئيمُ على الكريمِ

(83)

[الرمل] ومما أجاب به في هجاء ابن الربيع الذي طعنه في نسبه متمثلاً بـ «بيعوا الموالي، واستحيوا من العرب».

1 ـ أنتَ عندي عربيُ الأصل ما فيك كلامْ
2 ـ شعرُ ساقيكَ وخدّيك خُزامى وثمامْ
3 ـ وضلوع الشلو من صدرك نبعُ وبشامْ
4 ـ . . . . . ونواصيكَ ثغامْ

---

(81) الشعر والسحر: (أ) الورقة: 105 (ب) الورقة: 114. الإحاطة 1: 316.

(82) السحر والشعر (أ) الورقة: 77 (ب) الورقة: 96.

(83) الرمي بالحصا والضرب بالعصا جزء الواعظ الورقة 5.

---

81 - 1 ـ حذفت الكلمة وهي مما يستقبح التصريح به.

83 - 2 ـ الخزامى نبت زهره أطيب الأزهار نفحة.

3 ـ الشلو: العضو من كل شيء. والبشام

4 ـ الثغام: نبت واحدتها ثغامة6 ـ يرابيع.

5 ـ وتـــحـــركـــت كـــذا. . . . . لـــغـــامْ
6 ـ . . . . . نـــاصــبـــات ويـــرابـــيـــع عـــظـــامْ
7 ـ أنـــتَ عـــنـــدي عـــربـــيٌ عـــربـــيٌ والـــســـلامْ

(84)

قال محمد الأنصاري: أنشدنا أبو عبد الله المراكشي بالاسكندرية قال: أنشدنا مالك بن المرحَّل لنفسه [البسيط]:

1 ـ أرىَ الكلابَ بشتم الناسِ قد ظُلمتْ ... والـكـلـبُ أحـفـظُ مـخـلـوقٍ لإحـسـانِ
2 ـ فإنْ غضبتَ على شخصٍ لتشتمه ... فـقُـلْ لـه أنـتَ إنـسـانٌ ابـن انـسـانِ

(85)

[السريع]

1 ـ يـــا أكـــرمَ الـــنـــاسِ بـــلا مـــيـــنِ ... أُصـــبـــت فـــي ردفـــك بـــالـــعـــيـــن
2 ـ قد كنتَ لي الجامع في مفصلي ... فـــصـــرتَ لـــي مـــخـــتـــصـــرَ الـــعـــيـــن

(86)

ومن شعره في هجاء الناس وتقلبهم [الخفيف]:

1 ـ يَضعُ الـنـاسُ صـاحبَ الـجاه فيـهـم ... كـــلَّ يـــومٍ فـــي كـــفّـــةِ الـــمـــيـــزانِ
2 ـ إن رأوه يـــومـــاً تـــرجّـــح وزنـــاً ... ضـــاعـــفـــوا الـــبـــرّ فـــهـــو ذو رجـــحـــان

---

(84) الإحاطة 3: 234.
(85) السحر والشعر (أ) الورقة 181 (ب) الورقة: 77.
(86) الإحاطة 3: ,316 ,317.

---

85 - 2 ـ مختصر العين: كتاب العين ـ كما هو معلوم، كتاب في اللغة للخليل بن أحمد الفراهيدي. ومختصر العين كتاب.

3 ـ الجلجلان: السمسم في قشره قبل أن يحصد، وكنى بحبة الجلجلان عن الشيء الصغير التافه.

3 ـ أو رأوا منهُ نقص حبّة وزنٍ ماكسوهُ في حبّةِ الجُلجلان

(87)

ومما قاله في الهجاء على لسان بطل مقامته أبي عوف النجدي [المتقارب]:

1 ـ نزلتُ بكم طالباً رفدكم فلم تُنز لوني ولم ترفدوني
2 ـ وجاورتكم عندَ جوْر الزمانِ فما كانَ في القوم من قامَ دوني
3 ـ وأحببتكُم حبَّ نفسي الحياةَ فكانَ جزائي أن تقتلوني

شعر الجهاد

(88)

قال على لسان سلطانه المغربي في نجدة بني الأحمر بغرناطة [الكامل]:

1 ـ شهدَ الإلهُ وأنت يا أرضُ اشهدي أنّا أجبنا صرخةَ المستنجدِ
2 ـ لما دعَا الداعي وردّد صوته قمنا لنصرته ولم نتردّدِ
3 ـ نسري له بأسنّةٍ قد جُرّدت من عضبها والصبحُ لم يتجرّدِ
4 ـ والشهبُ فوق التُرب أسرع نقلة منها وفوق السُحب نحو المقصدِ
5 ـ لولا الأسنةُ والسنابكُ مادرى أحدٌ بسيل خيولنا في الفرقدِ
6 ـ حتى إذا باحتْ بنا شمسُ الضُحى للعينِ غبْنا في العيانِ الأربدِ
7 ـ والخيلُ تشكونا ولا ذنب سوى أنا نروحُ بها وأنا نغتدِي

---

(87) مخطوطة المقامة النجدية ضمن أوراق الرمي بالحصا والضرب بالعصا: 31, 32.

(88) درّة الحجال 3 :21 والإحاطة 3.

---

87 - 1 ـ الرفد: العطاء:

2 ـ جور الزمان: ظلمه وتحيّفه.

3 ـ العضب: يقال عضب السيف صار حاداً قاطعاً.

88 - 6 ـ الأربد: ما اختلط سواده بكدرة.

8 ـ لو أنّها علمتْ بنا في قصدنا | كانتْ تطير بنا ولم تترددِ
9 ـ اللهُ يعلمُ أننا لم نعتقدْ | إلا الجهادَ ونصرَ دين محمدِ
10 ـ ثم اعترضنا البحرُ وهو كأنه | مَلكٌ تقدّم بالجيوش لمرصدِ
11 ـ فترامتْ الخيلُ العطاشُ لورده | هيهات ما الماء الأجاج بموردِ
12 ـ يا خيلُ إنَّ وراءنا ماءَ روى | ومشارباً ومزارعاً لم تحصدِ
13 ـ وأحبّةٌ بين العدا قد أصبحوا | يتوقعون الموتَ إن لم تنجدِ
14 ـ من مطلع العبرات إلا أنه | تجري دموعُ جفونه لمقيّدِ
15 ـ ومفجّع لا يستلذُ بمطعمٍ | ومُروّع لا يستقرُ بمرقدِ
16 ـ إخواننا في ديننا وودادنا | ولهم مزيدُ تحبّب وتودّدِ
17 ـ نسري بأجنحة البُزاة إلى العدا | مثلَ الحمام الحائماتِ الورّدِ
18 ـ واستقبلتْ بحر الزقاق بعصبةٍ | نفذت عزائمها ولم تتعددِ
19 ـ فاستبشروا في أفقهم بطلوعنا | كالشمسِ يومَ طلوعها للأسعدِ
20 ـ حتى بعثنا القومَ في أوطانهم | إن الحوادث لا تجيءُ بموعدِ
21 ـ ثم التقينا بالذين استصرخوا | منّا بكلٍّ مؤيّد ومسدّدِ
22 ـ حتى إذا جئنا وجاءوا نحونا | ودنا المزارُ وقيل للبُعد ابعدِ

قال صاحب الدرّة أحمد القاضي ومنها (*):

23 ـ وازورَّ جانبُهم وشدّوا بعدما | بسطوا لنا الآمالَ بسطَ ممهّدِ
24 ـ أو ما رأوا أنا تركنا أرضنا | ولنا بها ملكٌ رضيُّ المحتدِ
25 ـ وأطاعنا قومٌ كثيرٌ أسرعوا | فمزوّد منهم وغيرُ مزوّدِ
26 ـ أترونَ إن عادوا إلى أوطانهم | يبقى لكم في الأرضِ موضعُ مسجدِ

---

11 ـ الماء الاجاج: الماء المالح.

17 ـ البزاة: جمع بازٍ جنس من الصقور. الورّد: جمع وارد وواردة، وهو من ورد الماء إذا جاءه ونهل منه.

(*) درّة الحجال 3: 22.

27 ـ أم تحسبون بوارقاً نشأتْ لكم أمثالنا في جوّكم لم تُعهدِ
28 ـ برماحكم نفحتْ وعنها أُمطرت بل كانَ منّا ذا وإن لم نشهدِ
29 ـ إنا أردنا إن رعبنا قومنا فيكم فيرجعُ من مضى بتزيّدِ
30 ـ حتى ترونَ بلادكم معمورةً ويكونَ يومكُم يقصّرُ عَنْ غدِ
31 ـ فاليومَ قد أوحشتمونا وحشةً إن لم تمدّ حبالها فكأنْ قدِ
32 ـ يا ليت شعري ما بدا منا لكمْ حتى ابتديتمْ بالمكانِ الأبعدِ
33 ـ تاللّه لولا ودُّنا فيكم ومَا أدراكَ من ودٍّ قديم مقلدِ
34 ـ ومخافُنا أن يستطيل عدوكم ويثورَ بعدَ تذلّل وتعبّدِ
35 ـ لخرجتُ من هذا البلاءِ بمن معي وتركتُها لكمُ ولمْ أتعهدِ
36 ـ أو ما علمتمْ أننا أيدٍ لكم دونَ العدا واللهُ خيرُ مؤيدِ
37 ـ لولا رجالٌ من مرينٍ رفّعوا منكم لكنْتم بالحضيض الأوهدِ
38 ـ لولا رجالٌ من مرينٍ قاتلوا عنكم لكنتم كالنساءِ الخرّدِ
39 ـ عهدي بجندكم الذين إذا رأوا عِلجاً تولّوا كالنعام الشرّدِ
40 ـ يتشبّهون بكلِّ أغلفَ كامن في زيِّهم وكلامهم في المشهدِ
41 ـ وطعامِهم وخلالِهم وشرابِهم ومناكرٍ يأتونها وسطَ الندي
42 ـ وتنقُّص العلماءِ والفضلاءِ والأ عيانِ من أهل التقى والسؤددِ
43 ـ كيفَ الهُدى لهم ومن لا يقتدي بنبيّه وإمامه لم يهتدِ
44 ـ هذا عتابٌ ليسَ فيه قطيعةٌ إن الوداد كعهده لم ينفدِ
45 ـ فاتوا بعزكم إلى ما عندنا في حقكم ولتسمعوا من مرشدِ
46 ـ ثم السلامُ عليكم من والدٍ يدعو ابنه دعوى مُحبٍّ مُسعِدِ

---

39 ـ العلج: كل جافٍ شديد من الرجال جمعه علوج وأعلاج.

40 ـ الأغلف: من غلف الصبى لم يختن، ويقال غلف قلبه لم يع الرشد.

41 ـ المناكر: جمع منكر.

(89)

وقال ذاكراً «فتح مراكش» ومادحاً سلطانه: [البسيط]

1 ـ فتحٌ تبسمتِ الأكوانُ عنه فما رأيتُ أملحَ منه مَبْسماً وفمَا

2 ـ فتحٌ كما فتح البستانُ زهرته ورجّع الطير في أفنانه نغما

3 ـ فتحٌ كما انشقّ صبحٌ في قميص دُجى وطرّز البرقُ في أردَانه علَما

4 ـ أضْحتْ لهُ جنةُ الرضوانِ قد فتحت أبوابُها وفؤادُ الدين قدْ نعما

6 ـ لم يُخلفِ اللهُ وعداً كانَ واعده فاشكرْ يُضاعف لكَ الحظ الذي قسما

7 ـ بفتحِ مرّاكش عمَّ السرورُ فما يُكابدُ الغمَّ إلا قلبُ من ظلما

8 ـ حَبَا بها اللّهُ مولانا الأمير كما حبا أباه فأسنى فتحها لهما

9 ـ فلمْ يزلْ سعدُه المألوفُ مُتصلاً بسعدِ والده المنصور منتظما

10 ـ فدولةُ الدين والدنيا قد أختلفت في الفتح والنصر والتأييد بينهما

11 ـ أفاقتِ الأرضُ من نومٍ بها وصَحتْ وأضْبحتْ وهي تُلحي السكر والحلما

12 ـ لما رأتْ راية السلطانِ قد رُفعتْ في أفقها قرعت أسنانها ندما

13 ـ فاستقطفت منه قولاً من سجيّته أن يحقر الذنبَ والعوّار إن عظُما

14 ـ من سنّةِ اللّهِ أن يُحيي خليقته على يديكَ وأن يكفيهم النقما

15 ـ وأن يقيمَ بكَ الإسلامَ من أوَدٍ وأن يديمَ بك الإحسانَ والنعما

16 ـ وأن يُقّر عيونَ المسلمين وأن يُشفي الصدورَ وأن يبري بك السقما

17 ـ بشراك يا ملكَ الدنيا وحافظها فأنتَ أفضلُ من آوى ومن رحما

18 ـ إذا نسخنا معاليكَ التي رأفت فلم ترَ البأس فيها بزَّ للكرما

---

(89) الذخيرة السنية: 119-121.

---

2 ـ الأفنان: جمع فنن وهو الغصن المستقيم.

11 ـ تلحي: تذم وتبغض.

12 ـ قرعت أسنانها: ندمت.

15 ـ الأود: الحاجة.

19 ـ كما نظرنا إلى يُمناك من كثب فلمْ نر السيفَ فيها يُسلم القلما
20 ـ تضافرتْ ألسنُ الأقلام فيك معا وألسن الشعر حتى أخرس الأمما
21 ـ للّه منكَ مليكٌ لا نظيرَ له لولاك كان وجودُ الدين قد عُدما
22 ـ ملكٌ بصيرٌ بأدواءِ الأمور له رأيٌ نجيحٌ وطبٌ يُذهب الألما
23 ـ عَدْلُ الحكومةِ ماضي العزم معتدلٌ كالريح يمْضي بعدلٍ كلّما عزما
24 ـ سيفٌ وسيبٌ وعفوٌ بعد مقدرة وبطشةٌ وأناةٌ تجمع الحكما
25 ـ إن غابَ عنكَ فإن الأذن شاهدةٌ وإن تشاهدْه لم ينطقْ وقد فهما
26 ـ اللهُ أعطاهُ علماً من لدنه فلمْ يحتج إلى أحد في علم من عَلما
27 ـ ومَنْ تخيّره للدين خالقُه أعطاهُ نوراً يُجلّي الظلم والظلما
28 ـ سبحانَ من بجميع الفضلِ أفردَه ومَنْ حباهُ السجايا الغرّ والشيما
29 ـ فللورى أن يقول عند رؤيته ما كانَ ذا بشراً بل أملكا كرما
30 ـ لا غروَ فالحسنُ في أوصافه تبعٌ وقد عَلاَ بالمعالي ملكه وسما
31 ـ فالغربُ يزهُو على شرقِ البلاد به وقومُه يرهبونَ العربَ والعجما
32 ـ مولاي يهنيك ما أُعطيت من ظفرٍ على عدا أصبحوا في حيْرة وعمى
33 ـ وعَنْ قريب إلى يمناك مرجعُهم فلا يُجازى امرؤ إلا بما جرَمَا
34 ـ أين المفرُ وخيلُ اللّهِ تطلبُهم لا يعصم اللّهُ منهم غيرَ من رحما
35 ـ كمْ من مُصرٌ يلاقي ما جَنَتْ يدُه وتائب آيبٍ بالتوبة اعتصما
36 ـ أنتَ الإمامُ لبعض السهو تحملُه وبعضُه يُحبط الأعمال والحرما
37 ـ وقد كفى اللّه كفّ الخائنين وقدْ أقال عثرة من أخطا وقد رحما

---

22 ـ الرأي النجيح: الرأي المصيب.
24 ـ السيب: المعروف والعطاء.
الأناة: التعقل والتؤدة.
28 ـ السجايا: الخلائق.
36 ـ هذا البيت والأبيات التي تليه تمثل في شعر ابن المرحل امتداد ظواهر الشعر الموحدي في المبالغة في مدح الإمام.

38 ـ يا بنتَ فكري ضَعي عنكِ النقابَ إذا   بلغتِ حضرته ثم انثري النظما
39 ـ ثم اسجدي في بساطٍ غيرِ واطئةٍ   فأصبح الرأسُ فيه يجهد القدما
40 ـ وذكّريه فإنّ الذكر منفعةٌ   وذاك في مُحكم التنزيل قد رسما
41 ـ من عبدهِ مالكٍ مملوكِ دولته   على القديم ويرعى السيِّد القدما

(90)

وقال يستنفر المجاهدين المغاربة لقتال الأعداء في الأندلس [الرجز]:

1 ـ استنصر الدينُ بكمْ فاقدمُوا   فإنّه إن تُسلموه يُسْلَمُ
2 ـ لا تُسلموا الإسلامَ يا إخواننا   وأسرجوا لنصرِه وألجموا
3 ـ لاذتْ بكم أندلسٌ ناشدةً   برحم الدين ونعمَ الرحمُ
4 ـ واسترحمتكمْ فارحموها إنه   لا يرحمُ الرحمنُ من لا يَرحَم
5 ـ ما هي إلا قطعةٌ من أرضكم   وأهلُها منكم وأنتم منهم
6 ـ لكنها حُدّت بكلِ كافرٍ   فالبحرُ من حدودِها والعجمُ
7 ـ لهفاً على أندلُسٍ من جَنَّةٍ   دارتْ بها منَ العدا جهنمُ
8 ـ استخلصَ الكفارُ منها مُدناً   لكلِّ ذي دين عليها ندمُ
9 ـ قرطبةُ هي التي تبكي لها   مكةُ حزناً والصفا وزمزم
10 ـ وحمّص وهي أُخت بغداد وما   أيامُها إلا الصبا والحلم
11 ـ استخلصوها موضعاً فموضعاً   واقتدروا واحتكموا وانتقموا
12 ـ وقتّلوا ومثّلوا وأسّروا   وأثكلوا وأيتموا وأيّموا
13 ـ أيام كانَ الخوفُ من أعوانهم   والجوعُ والفتنةُ وهي أعظمُ
14 ـ حتى إذا لم يبق من حياتها   إلا ذماءٌ تدّعيه الذِممُ

---

(90) الإحاطة 3: الذخيرة السنية: 98-100.

---

40 ـ اختلاس من الآية القرآنية 55 من سورة الذاريات «وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

2 ـ أسرجو وألجموا: شدوا السروج واللجم استعداداً وتهيؤاً.

15 ـ دعـوا الـعـهـودَ واعـتـدوا ومـا دروا بـأنّـهـا بـحـبـلـكـم تـعـتـصـم
16 ـ ظـنّـوا وكـانَ الـظـنُّ منـهـم كـاذبـاً أنَ لـيـسَ لـلّـه جـنـود تـقـدُمُ
17 ـ مـا صـدقـوا أن وراءَ الـبـحـر مَـنْ يَـغْـضـبُ لـلإسـلام حـيـنَ يـظـلـم
18 ـ ولا دروا أن لـديـكـم حـرمـةً يـحـفـظُـهـا شـبـابُـكـم والـهـرمُ
19 ـ لـو عَـرفـوا قـبـائـل الـعـدوة مـا عَـدَوا عـلـى جـيـرانـهـم واحـتـرمـوا
20 ـ الـيـومَ يـدري كـلُّ شـيـطـانٍ بـهـا أن قـد رمـتـهـم بـالـشـعـاع الأنـجـمُ
21 ـ تـقـدّمـتْ نـجـومُـهـم طـلـيـعـةً مـن نـحـوكـم أخـطـاهـم الـتـقـدمُ
22 ـ فـانـتـصـفـوا لـلـديـنِ من أعـدائـه واقـتـرعُـوا عـلـيـهـم واقـتـسـمـوا
23 ـ وامـتـلأتْ أيـديـهـم مـن الـسـبـا وأحـسـبـتـهـم يَـعَـمٌ ونـعَـمُ
24 ـ يـا أهـل هـذيْ الأرض مـا أخـركـم عـنْـهـم؟ وأنـتـمْ فـي الأمـور أحـزمُ
25 ـ تـسـابـق الـنـاسُ إلـى مـواطـنٍ الأجـرُ فـيـهـا وافـرُ والـمـغـنـمُ
26 ـ فـغـزوا الـكـفـارَ فـي ديـارهـمْ وعَـزَمُـوا أن يـهـزمـوا فـهـزمـوا
27 ـ فـمِـنْ سـيـوفٍ فـي رؤوسٍ تـنـحـنـي ومـن رمـاحٍ فـي ذرى تـحـطّـمُ
28 ـ وقـامـتِ الـحـربُ عـلـى سـاقٍ فـمـا زلّـتْ لأهـل الـصـدّق مـنـهُـم قـدمُ
2 ـ بـاعـوا مـن الـلّـه الـكـريـم أنـفـسـاً كـريـمـةً فـفـاض مـنـهـا الـحـكـمُ
30 ـ دعـاهُـم الـلـهُ إلـى رحـمـتِـه فـاجـتـمـعـوا بـبـابـه وازدحـمـوا
31 ـ ميّـتـهـم قـد قَـرَّ فـي رحـمـتـه وحـيّـهـم بـيـن يـديـهـم يـخـدمُ
32 ـ يَـضـربُ بـالـسـيـفِ فـيُـرضـي ربَّـه وفـي رضـا الـربِّ الـنـعـيـمُ الأدوم
33 ـ أخـرجـه مـن بـيـتـه إيـمـانُـه وحـبُّـه فـي فـعـلِ مـا يُـقـدّم
34 ـ مـا هـمُّـه إلا قـتـالُ أمـةٍ يُـكـبـر عـيـسـى قـولـهـم ومـريـم
35 ـ تـشـرك بـالـلّـه وتـدعـو مـعـه خـلـقـاً يـصـحُّ جـسـمُـه ويـسـقـم
36 ـ وتـدّعـي أن لـه صـاحـبـةً وابـنـاً ولا صـاحـبـةُ ولا ابـنـم

---

14 ـ الذماء: بقية الروح في المذبوح وغيره. الذمم: العهود.

23 ـ السبا: الأسرى والمأسورون.

37 ـ لم يُثنهُ عن عزمِه أهلُ ولا ... مالُ ولا خوفُ نعيم يُعدم

38 ـ كيفَ وعدن تحتَ ظلِ سيفه ... والحورُ عن يمينه تُسلّم

39 ـ واللهُ راضٍ عنه والخلقُ له ... يدعونَ مهما كبّروا وأحرموا

40 ـ إخواننا ماذا القعود بعدهم ... أفي ضمانِ اللّه مايُتهم

41 ـ هلْ هيَ إلا جنةٌ مضمونةٌ ... أو عودةُ صاحبُها مُكرّم

42 ـ حدّوا السلاحَ وانفروا وسارعوا ... إلى الذي من ربّكم وُعدتم

43 ـ إن أمامَ البحر من إخوانكم ... خلقاً لهم تلفّت إليكم

44 ـ ونحوكم عيونُهم ناظرةٌ ... لا تطعمُ النومَ وكيفَ تطعمُ

45 ـ والرومُ قد همّت بهمْ وما لهمْ ... سواكُم رداً فأين الهمم

46 ـ كلُّهم ينظرُ في أطفالِه ... ودمعُه من الحذار يسجم

47 ـ أينَ المفرُّ لا مفرّ إنما ... هو الغياثُ أو إسار أودم

48 ـ يا ربِّ وفقنا وألهمنا لما ... فيهِ لنا الخيرُ فأنتَ المُلهمُ

49 ـ يا ربِّ أصلحْ حالَنا وبالنا ... أنتَ بما فيه الصلاحُ أعلمُ

50 ـ يا ربِّ وانصرنا على أعدائنا ... يا ربِّ واعصمنا فأنت تعصم

51 ـ يا ربّنا ما داؤنا شيءُ سوى ... ذنوبنا فارحمْ فأنت ترحمُ

الزهد والحكمة والأمداح النبوّية:

(91)

ومما أنشد في مجانبة السفيه [البسيط]:

1 ـ لا تَصحبنَّ سفيهاً ما حييتَ وكنْ ... لذي التأدب والأفضالِ مُصطحبا

---

(91) مذكرات ابن الحاج النميري 2 :198.

---

46 ـ يسجم: يقطر.

47 ـ أسار: الأسر والسبى.

2 ـ فكمْ أديبٍ كَساهُ خلُّه سفهاً وكمْ سفيهٍ كساهُ خلُّه أدبا

3 ـ فاخترْ لنفسك خِلاً لا تعُابُ به لا خيرَ في صاحبٍ يستجلبُ الريبا

(92)

وقال في اللزوميات [الطويل]

1 ـ جَديرٌ بأن يبكي على نفسه أسىً فتى كلّما تُرجى له توبةُ تُرجا

2 ـ جبَانٌ عن التقوى جَريءٌ على الهوى قريبٌ من المهوى بعيدٌ عن الملجا

3 ـ جَرَى في مجالِ اللهوِ ملءَ عنانه إلى الآنَ ما ألقى لجاماً ولا سرجا

4 ـ جنى ما جنى واستسهل الأمر في الصبا فلما نهاه الشيبُ عن فعله لجّا

(93)

وقال: [الكامل]:

1 ـ يا طالبَ الدنيا طلبتَ غرورا وقبلتَ منْ تلكَ المحاسِنِ زُورا

2 ـ دُنياكَ إما فتنةٌ أو محنةٌ وأراكَ في كلتيهما مَقْهورا

3 ـ وأرى السنينَ تمرُّ عنك سريعةً حتى لأحسبهنَّ صِرنْ شهُورا

4 ـ بينا تُريكَ أهلَّة في أفقها أبصرتها في إثر ذاك بُدورا

5 ـ كانتْ قِسّيا ثم صِرنْ دوائراً لا بدّ أن ترمي الورى وتدورا

6 ـ يأتي الظلامُ فما يسوّد رقعة حتى يرى مسطورها منثورا

---

(92) النبوغ المغربي 3: 145 .

(93) الإحاطة 3 :313.

---

91 - 2 ـ الخِلُّ: الصاحب.

3 ـ الريب: الشكوك وكل ما يسوء.

92 - 2 ـ المهوى: اسم مكان يريد به جهنم، والملجا التقوى والجنة.

3 ـ العِنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والعنَان السحاب.

4 ـ لج: لازم الأمر وأبى الانصراف عنه.

7 ـ فـإذا الـصـبـاحُ أتـى ومـدَّ رداءَه نـفـضَ الـمـسـاءُ رداءه الـمـنـشـورا
8 ـ يـتـعـاقـبـان عـلـيـكَ هـذا نـاشـرٌ مِـسْـكـاً وهـذا نـاشـرٌ كـافـورا
9 ـ ما الـمسـكُ والـكافـوُر إلا أن ترى من فـعـلـكَ الإمـسـاكَ والـتـكـبـيـرا
10 ـ أمسى على فوْديكَ من لونيهما سـمـةٌ تـسـومُ كـآبـةً وقـصـورا
11 ـ حتى متى لا ترعوي وإلى متى أو مـا لـقـيـتَ مـن الـمـشـيـب نـذيـرا
12 ـ أخشى عليكَ من الذنوب فربما تُـلْفـي الـصـغـيـرَ من الـذنـوب كـبـيـرا
13 ـ فانظر لنفسك إنني لك ناصحٌ واسـتـغـفـرِ الـمـولـى تـجـدْه غـفـورا
14 ـ من قبل ضجعتكَ التي تُلْقي لها خدَ الـصـغـار عـلـى الـتـراب حـقـيـرا
15 ـ والهولُ ثم الهولُ في اليوم الذي تـجـدُ الـذي قـدّمـتـه مـسـطـورا

(94)

وقال في الحكمة وضرب المثل [الطويل]:

1 ـ وأعـدى عـدو الـمـرءِ أبـنـاءُ جـنـسـه وشـرُّ صـديـقـيـه الـصـديـقُ الـمـجـانـسُ
2 ـ وأعظمُ مكسوب الفتى مِنْ زمانِه عـدوٌّ مـنـافٍ أو صـديـقٌ مـنـافـسُ

(95)

قال الأديب المؤرخ محمد بن عبد الملك المراكشي: «وأنشدني [يعني مالك ابن المرحَّل] أيضاً بسبتة ، حرسها اللّه تعالى، لنفسه في المعنى وكتبه لي بخطه» [الطويل]

---

(94) السحر والشعر مختارات ابن عزيم 86.

(95) الذيل والتكملة 1: 334 وفتح المتعال بمدح النعال 217, 218.

---

10 ـ الفودان: جانبا الرأس مما يلي الأذن والشعر النابت فيهما. تسوم: من السوم في المبايعة ـ تغالي.

14 ـ الصغار: الذلة والهوان.

94 - 1 ـ الجنس: أعم النوع وهو كل ضرب من الشيء والمجانس: الموافق الملائم.

2 ـ العدو المنافي: المبغض القاطع، والصديق. المنافس: المزاحم.

1 - أدمُعك أمْ سِمطٌ وقلبك أم قرطُ وشوقُك أمْ سقط وجسمُك أمْ خطُ

2 - أخافرة بعد النزوع على الصّبا ولـلشيب رشقٌ في عذارك أم خطُ

3 - ألالاً [1] ولكن نفحةُ قدسيةُ أشمّ لها تربَ الجنان فانحطُ

4 - رأيتُ مثال النعلِ نعلِ محمد فملتُ ومالي غيرُ ذاكره اسفنط

5 - خرقتُ حجابَ السبع عن حسنِ وجهه فأبصرتُه في سدرة المنتهى يخطو

6 - رأيتُ مثالاً لو رأتهُ كرؤيتي نجومُ الدجى والليلُ أسود مشمط

7 - لسرَّ الثريا أنها قدمُ ولمْ يسر الثريا أنها أبداً قرط

8 - ألا بأبي ذاكَ المثالُ فإنه خيالُ حبيب والخيالُ له قسط

9 - فإن لم يكنها أو تكنه فإنه أخوها اعتدالاً مثل ما اعتدل المشط

10 - أرى لثمه مثلَ التيمم مجزياً فألثمه حتى أقول سينغط

11 - وما هي إلا لوعةٌ وصبابةٌ بقلبي لها قسط وفي مدمعي سمط

12 - قذفتُ الكرى في الدمع والصبر في الأسى وهيهات أن يطفى وموقده الشحط

13 - سيطفأ يومَ الحشر عند لقائه على الحوضِ بالكاس الروِّية إذ أعطو

14 - تبسّط عبدٌ مذنبٌ غير أنّه يحبُّ رسولَ الله صحّ له البسط

15 - عليه سلامُ اللّهِ ما عنَّ عارضٌ ولاحَ له برقُ وسحَّ له نقط

---

1 - السمط: الخيط ما دام الخرر ونحوه منظوماً فيه.

2 - اخافرة: خفره خفراً وخفارة: أجاره وحماه.

4 - اسفنط: مختلط.

9 - في فتح المتعال: فإلاتكنها.

10 - سينغط: انغط في الماء غاص فيه.

11 - في فتح المتعال: سقط.

12 - ورد البيت في فتح المتعال على هذا النحو متلواً ببيت آخر: -

قذفت الكرى في الدمع والصبر في الأسى فاغرق ذا نقط وأحرق ذا نفظ

فلا تغفلي ياعين أو يطفأ الأسى وهيهات أن يطفا وموقده الشحط

13 - أعطو: أتناول.

(96)

وقال في مسألة رزق الإنسان [المجتث]:

1 ـ لــو كــنــتَ فــي قــعــرِ بــيــرِ   أو كــنــتَ فــي راسِ نــيــقِ

2 ـ لــجــاءَكَ الــرزقُ يــجــري   مــن كــلِّ فــجٍ عــمــيــقِ

(97)

ونظم السير في مدح سيد البشر ﷺ [المتقارب]:

1 ـ رأيــتُ الــفــتــى لا يــمــلُ الأمــلْ   وإن عــمــل الــخــيــرَ مــلَّ الــعــمــلْ

2 ـ ويــأمــن دهــراً يــرى مــكــرَه   ويــســمــعُ عــن فــتــكــه بــالأول

3 ـ وهــلْ طُــررُ الــصــبــحِ إلا ظــبــىً   وهــلْ غُــررُ الــشــهــبِ إلا الأســلْ

4 ـ أتــحــســبُ دنــيــاكَ هــذي عــروســاً   تــهــادىْ إلــيــك وتــهــدى الــجــذلْ

5 ـ وأن الــنــجــوم عــلــيــهــا حُــلــىً   وأن الــديــاجــى عــلــيــهــا جُــلــلْ

6 ـ وإن أطــلــعــتْ شــفــقــاً خــلــتــه   عــلــى وجــنــتــيــهــا احــمــرار الــخــجــلْ

7 ـ ومــا شــفــق الأفــق لــو أشــفــقــت   ســوى مُــهــجِ ســفــكــهــا لــم يــزلْ

8 ـ وذاكَ الــغــمــامُ وتــلــكَ الــبــروُق   دروع تُــشُّــق وقــضــبُ تُــســلْ

9 ـ إذا أحــســنَ الــدهــر يــومــاً أســا   ء إلــيــك وإن جــدَّ يــومــاً هــزلْ

10 ـ نــحــبُّ الــزمــانَ ولا نــتــقــي   ســطــاه وآبــاءنــا قــد قــتــلْ

---

(96) مذكرات ابن الحاج النميري 2 :199.

(97) مصورة (عبد العزيز الساوري) من خزانة سيدي عبد الجبار الفجيجي بفجيج رقم (35. توجد هذه القصيدة مخطوطة بحوزة الأستاذ بنعلي محمد بو زيان، وقد نشرها في مجلة دعوة الحق العدد: 1989/227 . وأثبت منها ابن عزيم الأندلسي خمسة وعشرين بيتاً في مختاراته ص 85 ,86.

---

96 - 1 ـ النيق: الطويل من الجبال، وقيل أرفع موضع فيها. يقال «هو كالانوق في النيق» بمعنى أنه ممتنع لا يصل إليه أحد.

97 - 1 ـ الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف، والرماح على التشبيه.

11 - رماهم عن القوسِ رميَّ النجوم ... بنبلِ مُطيح بها من نبلْ
12 - وما حملَ الرمحَ هذا السماك ... إلا لقوم عليهم حملْ
13 - خليليَّ أينَ زمانُ الصبا ... وأينَ الغزالُ وأينَ الغَزلْ
14 - وهلْ كانَ إلا كطيف الكرى ... ألمّ، وما حلَّ حتى رحلْ
15 - تذكرت أيامنا بالسروج ... وقد غفل الدهرُ فيمن غفلْ
16 - وقد طرحَ الحلمُ عنا العصا ... فصارت لقى ورعيا هملْ
17 - وإما نزلنا فَبينَ الظلال ... وإما مشينا فتحت الظللْ
18 - نرواحُ بينَ قيانِ الغصون ... سمعاً وبينَ قيان الكِللْ
19 - ونهصرُ قضبَ الأماني اعتناقاً ... ونقطفُ زهرَ القبولِ قُبلْ
20 - وقد كُنت أخشى الوغى خشية ... على باذلِ الودِّ أن يبتذل
21 - وما كُنت أحذر سمرَ القنا ... كما كُنت أحذُر سمْر المُقلْ
22 - وأين قدودٌ لها ناعماتُ ... إذا قُويست من قدود النخلْ
23 - قطعتُ الزمانَ بوصلِ الحسانِ ... فليتَ زماناً قطعتُ اتصلْ
24 - وقلتُ لعاذلتي في التصابي ... محبُّ التصابي عدوُ العذلْ
25 - فلما بدا الشيبُ نبهنني ... بإعراضهن على ما نزلْ
26 - فتاركتهن لأني رأيتُ ... خلال المودّة فيها خللْ
27 - كذاكَ الحقوقُ إذا لم توفَّ ... فدعْها ولا تقتنع بالأقل
28 - وصرتُ أعافُ الصبا والمجونَ ... وربَّ طباع تعافُ العسل
29 - وما زيَّن اللهوَ إلا الشبابُ ... ولا حسّن الغيَّ إلا الثملْ
30 - يدورُ الزمانُ كدور الرياح ... فطوراً جنوباً وطوراً شمل

---

10 - سطاه: سطوته

14 - الكرى: النعاس والنوم.

19 - نهصر: نكسر.

29 - الثمل: من أخذ فيه الشراب.

31 ـ فيوماً يُعزُّ ويوماً يُذل — فكم قد أعزَّ وكم قد أذل

32 ـ وما الناسُ إلا كمثل النجوم — وما طلعَ النجمُ إلا أفل

33 ـ وما المرءُ إلا كمثل النبات — إلى النقص يرجع مهما اكتمل

34 ـ فإن قلتَ هل للشباب ارتجاعٌ — فخلف من القول إن قلت هل

35 ـ تعودُ الدياجى إلى لونها — وليسَ يعودُ شبابٌ نصل

36 ـ ويبْلى على الروض ثوبُ الربيع — ولكنْ يُجدَّد من ذي قَبل

37 ـ أجل أجَلُ الروض مستأنف — وما للصّبا بعد فوت أجل

38 ـ وآمرةٍ باطّلاب الغنى — ولم تدر أن الغنى قد حصَل

39 ـ أبعدَ القناعة أرضى القنوع — فحل فالقناعة حسبي فحل

40 ـ وما ذاكَ إلا لبخل الزمانِ — فربَّ اقتناع جناه البخلْ

41 ـ فإن قيلَ ذا كسلٌ قلْ نعم — إذا غلبَ اليأس كان الكسلْ

42 ـ وما نكلتْ همتي إنما — تبيّن لي أن حظي نكلْ

43 ـ وما كلُّ سائلة أعطيت — مناها ولا كلُّ مُعطى سأل

44 ـ ففي الرزق ساوى الذكي البكي — وفي الحين ساوى الجبان البطلْ

45 ـ ولكنه لو تكون الحظوظ — بقدر العقول إذاً لم أُبلْ

46 ـ على أنه إن تكن ناظراً — فدعوى العقول كلامٌ معلْ

47 ـ يُعرّى عن العقل خلق كثير — .... الصنائع شتى الحيلْ

48 ـ وتُعزى العقول إلى الناطقين — وبالله أكثرهم ما عقلْ

49 ـ فكمْ قايس منهم لم يقس — وكمْ ناقلٍ منهم ما نقلْ

---

30 ـ شمل: يريد الريح الشمالية.

35 ـ نصل: نصل اللون نصلاً أي زال.

44 ـ البكيُّ: من قلَّ كلامه.

45 ـ أبل: أبالي.

47 ـ كلمة غير واضحة في أصل المخطوط.

50 - ولــولا الــنــبــوةُ ضــلَّ الــورى ومَـنْ لـم يـر الـنـجـم بـالـلـيـل ضَـلْ

51 - وأحــمــدُ أحــمــد آتٍ أتــى بـخـيـر وخـيـر خـيـار الـرسـل

52 - هـوَ الـمـرتـضـى وهـوَ الـمـجـتـبـى هـوَ الـمـصـطـفـى وهـوَ الـمـنـتـخـل

53 - فـأعـظـم بـمـلّـتـه فـي الـمـلـل وأكــرم بــدولــتــه فــي الــدول

54 - لـقـد كـانَ مـولـدهُ رحـمـةً سـقـيـنـا بـهـا كـلَّ وبـل وطـل

55 - لـقـد كـان مـولـده رحـمـةً أقـمـنـا بـهـا بـيـن نـهـرٍ وظـلْ

56 - لـه الـمـعـجـزاتُ الـتـي بـيّـنـت لـعـيـن الـبـصـيـر الـمُـزاح الـعِـلـل

57 - فـمـنْ قـمـرٍ شـقّ حـتـى اسـتـبـا نَ مـن بـيـن شـقـيـه جـرمُ الـجـبـل

58 - وإســراء روح وجــســم مــعــاً إلــى حــضــرة الــقــدس ذات الأزل

59 - إلـى حـيـثُ لا فـلـكٌ يـسـتـديـر إلـى حـيـث لا مـلـكٌ يـسـتـقـلْ

60 - ولا سـبـق الـدلـو فـيـه الـرشـا ولا تـبـع الـثـور فـيـه الـحـمـلْ

61 - ولا الـمـشـتـري فـي ذُراه اشـتـرى ولا زُحــل فــي مــداه زحَــلْ

62 - وقـابـلـه بـالـسـلام الـجـمـادُ وأقـبـل يـشـكـو إلـيـه الـجـمـلْ

63 - وحــنَّ إلــيــه غــداة ارتــقــى عـلـى الـمـنـبـر الـجـذعُ حـتـى انـتـقـلْ

64 - وصـدَّقـه الـذيـبُ لـمـا دَعـاه وقــالَ أتــشــهــد قــال أجــلْ

65 - وأهـدتْ إلـيـه عـجـوز الـيـهـو دِ شـاة شـوتـهـا فـلـمـا قـبـل

66 - نـهـتـه الـذراع وقـالـت لـه سُـمِـمـت فـمـا ضـرّه أن أكـل

67 - وجـادَلـه الـمـزنُ لـمـا دعـا ودرَّ لـه الـضـرعُ لـمـا نـزل

68 - وراعَ قـتـادة مـن عـاره بـأزرق زَاحَـم مـنـه الـكَـلـل

69 - فـسـالـتْ عـلـى خـدّه عـيـنُـه ولـكـنّـه ردّهـا فـي عـجـل

70 - فـكـانـت كـمـا ذكـرَ الـواصـفـو نَ أحـسـنَ عـيـنـيـه لـمـا اسـتـقـل

---

53 - الملّة: الشريعة أو الدين.

60 - الدلو والثور والحمل: أبراج في السماء.

60-61 في البيتين: إشارة إلى الأبراج والنجوم السماوية المعروفة.

71 ـ وأعطى عليّاً لواءَ الفتوح وأبرأ عينيه لما تفل
72 ـ وفي الغارِ كانتْ له آيةٌ بنسج عناكبهِ إذْ دخل
73 ـ وقد سُبلت عنه تلك الفجاجُ وقد نفضتْ عنه تلك السبل
74 ـ ومرَّ سراقةُ في إثره فساخَ وما في الثرى من وحل
75 ـ وما أنقذته سوى دعوةٍ دعاها له بعدِ عهد وإل
76 ـ وحسبُك أن له معجزاتٍ تزيدُ على الألف فيما نقل
77 ـ . . . . قبل ميلاده أخبرتْ بذاك قريشٌ وعبد الأشل
78 ـ فقومٌ بمكة قالوا عسى وقومٌ بيثرب قالوا لعلْ
79 ـ فمنْ قائِل نجمُه قد بدا ومن قائلٍ عصرهُ قد أطل
80 ـ وقد كانَ في الفرسِ من قبله على عهدِ كسرى حديثٌ جللْ
81 ـ وأخبر سيف به حدّه وأكرم مثواه حتى انفصل
82 ـ وكانوا إلى وجهه شيقين يقولون ياليته قد أظل
83 ـ فلما أتى كذّبته قريشٌ وآذته في نفسه فاحتمل
84 ـ وجاءهم بالكتاب المُبين فقالوا افتراه وقالوا انتحل
85 ـ فقتل فيهم يوم بدر وقد جزاهم بضرب الطلى والقُلل
86 ـ وجدَّل فيهم أباجهلهم وعقبةَ والنضر أهل الجدل
87 ـ وسلْ فتح مكة عنهم وقد أتاهمْ فماتوا لفرط الوجل
88 ـ وقالوا هبلنا ولو شاء لم . . . يغن عنهم هُبل
89 ـ ولكنّه منّ مَنّ الكريم وأعطاهم الأمنَ بعدَ الوهل

---

73 ـ الفجاج: الطرق. وفي تحق بنعلي بوزيان نهضت.

74 ـ ساخ: غاص. وفي المخطوط فساغ.

75 ـ الإل: العهد والحقد والعداوة.

85 ـ الطلى: الأعناق، والقلل، جمع القلة إناء من الفخار.

88 ـ هبل: هبل فلان فقد عقله، وهُبل صنم كان بالكعبة.

90 ـ وسَلْ عن هوازنَ إذ خادعوه بوادي حُنين وضاقَ المسل

91 ـ فجالتْ رجالٌ بها جولةً وزالت بها أرجلٌ من زلل

92 ـ قليلاً وهبت من النصر ريحٌ لتسنيم في حافتيها بلل

93 ـ ونادى فخف به الصابرون ومرَّ النداءُ فعالت ثُلَل

94 ـ قد اقتحموا عن ظهور المطـ يّ وازدحموا في صدور الأسل

95 ـ وطاروا إليه بشهب الرماح كمثل الرياح تطيرُ الشعل

96 ـ وعاق الزحامُ فألقوا بها وسلُّوا السيوف وعقوا الخلل

97 ـ فكمْ ممتطٍ تاركٍ ما امتطى ومعتقلٍ تاركٍ ما اعتقل

98 ـ وجاءوا إليه قليلاً فلمْ يكنْ لهم بهم من قِبَلْ

99 ـ كما صوبت أعصبٌ أبصرت بضاح من الأرض سرب الحجل

100 ـ وأقبل جبريلُ في لمّة يَصُكُّ وجوهَهم مِن قَبل

101 ـ جنود بهم نُصر المسلمون فأمسى عدُّوهم قد خُذل

102 ـ فمن هاربٍ باتَ يخشى البياتَ ومن هالكٍ ظلَّ تحتَ الأَثل

103 ـ وخلوّا ذراريهم للسبا هناك وأموالهم للنفل

104 ـ وطافَ بطائفهم جيشُه وفلُّهم في الذرا قد وقل

105 ـ فباتوا وقد سمر السيف من ذيولهم حيثُ باتَ الوعل

106 ـ وأصبحَ دينُ الهدى ظافراً يُثير الترابَ بذيل رفل

107 ـ ومن بعدها أقبلوا مصلحين وقد أمّلوه فنالوا الأمل

---

92 ـ التنسيم: ماء في الجنة.

98 ـ قبل: مالى به قبل أي طاقة.

100 ـ صك الوجه: لطمه وضربه.

102 ـ في تحق بنعلي بوزيان: الأظل.

103 ـ النفل: الغنيمة، والجمع الأنفال.

105 ـ الوعل: ذكر الأروى، وهو جنس من المعز الجبلية له قرنان قويان، جمعه أوعال ووعول.

108 ـ وردَّ إليهم ذراريهم ولولا المقاسمُ ردَّ الإبل

109 ـ فعال عطوف رؤوف رحيم كريم إذا قال قولاً فعل

110 ـ صفوحٌ إذا أذنبوا واصلٌ إذا قطعوا مُحسن لا يمل

111 ـ جوادٌ جريءٌ تهون عليه الألوف إذا ما التقى أو بذل

112 ـ وليسَ يجادلُ من مبطلٍ وليس يجالده من بطل

113 ـ وكمْ من غزاةٍ وبعث له أذل بها اللّه من قد أضل

114 ـ فأما اليهودُ فلم تألُ في أذاه ولا قصّرت في حيل

115 ـ فأنزل منهمْ بني قينقاع بقاع وكانوا بأسنى محل

116 ـ وأجلاهم فجلوا آمنين لأجل شفيعهم المقتبل

117 ـ وأما النضيرُ فلا نضرت وجوهُهم أهل كيْدِ وغِل

118 ـ تراموا إلى قتله عازمين فعاجلهم بعد طول المهل

119 ـ وأنزلهم من صياصيهم وأزعجهم في هوانِ وذُل

120 ـ وبالقرظيين حلَّ البلاءُ وحقّ بهم حينها أن يحل

121 ـ لأنهم ألّبوا المشركين عليه فشدّوا إليه الرحل

122 ـ وجاءوا إلى الحرب من أجل ذ لك فوقَ الصعاب وفوق الذلل

123 ـ ففضّهم اللّه بعدَ اجتماع وبدّد جمعَهم المحتفل

124 ـ وجازى قريظة بالسيف لم يفت من رجالهم من رحل

125 ـ وأخبار خيبر معلومة وإني خبير بها إن تسل

126 ـ تولاهم بالحصار الشديد فحلّت بهم عقدة لم تحل

127 ـ فقالوا نقرُّ على أننا لكم عاملون ولا ننتقل

128 ـ ومن بعدَ هذا خلا وجهُه لمكة اذ كان فيهم شُغل

129 ـ فطاعَ له الشركُ طوعَ الشِراك وصارتْ يهودٌ له كالخول

---

107 ـ في تحق بنعلي بوزيان: مسلمين.

119 ـ الصياصي: الحصون

130 ـ وأنـــجـــز ربُـــك مـــيـــعـــادَه		وأصـبـحَ ديـنُ الـهـدى قـد كـمـل

131 ـ ولم يبقَ في الأرضِ شرك بعهد		سـوى الـسـيـف أو سـنـةٍ تـمـتـثـل

132 ـ وبـــلّـــغ عـــن ربّـــه مُـــنـــذراً		وفـصّـل لـلـفـهـم تـلـك الـجـمـل

133 ـ ولـم يـبـقَ لـلـنـاس مـن حـجّـة		عـلـى مـن بـراهـم تـعـالـى وجـل

134 ـ فـحـيـنـئـذٍ خـصّـه ربُّـه		بـتـخـيـيـره فـي رحـيـل وحَـل

135 ـ فـمـا اخـتـار إلا رفـيـقـاً عـلا		ولا اعـتـام إلا جـواراً فـضـل

136 ـ فيا حسرةً حسرتْ عـن ذراع		وصـارعـت الـصـبـر حـتـى انـجـدل

137 ـ ويـا كـربـةً كـربـت أن تـذوب		لـهـا الـراسـيـاتُ بـحـر الـغـلـل

138 ـ ويا لـوعـةً أولـعـت بـالـقـلـوب		ولا قـلـبَ إلا بـهـا يـشـتـعـل

139 ـ ويا سيّدَ الناس أنت الشفيع		وأنـت الـعـمـاد إذا الـعـبـد زل

140 ـ وأنت الـرجـاءُ غـداة الـمـخـاف		وأنـت الأمـانُ غـداةَ الـوجـل

141 ـ فـصـلّـى عـلـيـك إلـه الـسـمـاءِ		صـلاةً مُـضـاعـفـةً تـتـصـل

142 ـ وصـلّـى عـلـيـك إلـه الـسـمـاء		صـلاةً مـدى الـدهـر لا تـنـفـصـل

143 ـ صـلاةً تـطـيـبُ بـهـا الـشـرفـاتُ		إذا نـفـحـت وتـطـيـبُ الأُصُـل

---

129 ـ الخول: عطية الله من النعم.

142 ـ انجدل: انصرع.

143 ـ الشرفات: جمع شرفة أعلى الشيء، ومن البناء ما يستشرف به على غيره.

(98)

ومما زاده على بيتي محمد بن كناسة(*) قوله:

1 ـ وإن أُجالس من ليس ذا كرم أكرمتُ نفسي لديه بالبكم

(99)

ومن شعره في الدعوة إلى الاحتفال بذكرى المولد والعناية بها [الطويل]:

1 ـ فحقّ لنا أن نعتني بولادةٍ ونجعلَ ذلكَ اليوم خيرَ المواسم
2 ـ وأن نصلَ الأرحام فيه تقرباً ونغدو له من مُفطرين وصائم
3 ـ ونتركَ فيه الشغلَ إلا بطاعة وما ليسَ فيه من ملامٍ للائم
4 ـ ونتبعَ فيه الصالحين فإنهم هدونا بأنوارِ الوجوه الوسائم

---

(98) لمح السحر من روح الشعر وروح الشعر 2 :51.

(99) الإحاطة جـ 3.

(*) ومحمد بن كناسة هو محمد بن عبد الله الملقب بكناسة ابن عبد الأعلى المازني الأسدي كوفي من شعراء العصر العباسي عرف بالإجادة في صناعة الشعر، وقد تجنب فيها فنّي المدح والهجاء، وكانت في حدود سنة 207 والبيتان المشار إليهما هما:

فيّ انقباض وحشمة فإذا لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما شئت غير محتشم

وذكر صاحب معجم الأدباء البيتين وقال إنهما يرويان لمحمد بن كناسة، وقد رواهما غيره لأبي نواس.

99 - 1 ـ البكم: الخرس وبكمُ ككرم: امتنع عن الكلام تعمداً.

4 ـ الوسائم: من الوسامة وهي أثر الحسن.

(100)

وقال في التشوق إلى الحرمين الشريفين [البسيط]:

1 ـ شوقٌ كما رفعتْ نارٌ على علم   تشّبُ بين فروع الضال والسلم
2 ـ ألفُّه بضلوعي وهو يُحرقها   حتى براني بريًا ليس بالقلم
3 ـ من يشتريني بالبشرى ويملكني   عبداً إذا نظرت عيني إلى الحرم
4 ـ دعْ للحبيب ذمامي واحتمل رمقي   فليسَ ذا قدم من ليس ذا قدم
5 ـ يا أهل طيبة طابَ العيشُ عندكم   جاورتم خيرَ مبعوث إلى الأمم
6 ـ عاينتم جنّة الفردوس عن كثب   في مهبط الوحي والآيات والحكم
7 ـ لنتركنَ بها الأوطانَ خاليةً   ونسلكن لها البيداءَ في الظلم
8 ـ ركابنا تحملُ الأوزارَ مثقلة   إلى محط خطايا العرب والعجم
9 ـ ذنوبنا يا رسول اللهِ قد كثُرت   وقد أتيناك فاستغفِر لمجترم
10 ـ ذنبٌ يليه على تكراره ندمٌ   فقد مضى العُمر في ذنب وفي ندم
11 ـ نبكي فتشغلُنا الدنيا فتضحكنا   ولو صدقنا البكا شبنا دماً بدم
12 ـ يا ركبَ مصرَ رويداً يلتحق بكم   قومٌ مغاربةٌ لحم على وضم
13 ـ فيهم عُبَيْد تسوق العيسُ زفرته   لم يلق مولاه قد ناداه في النسم
14 ـ يبغي إليه شفيعاً لا نظير له   في الفضل والمجد والعلياء والكرم
15 ـ ذاكَ الحبيبُ الذي تُرجى شفاعته   محمد خير خلق الله كلّهم

---

(100) درة الحجال، فتح المتعال في مدح النعال.

---

100 - 1 ـ الضال: ضرب من الشجر، والسلم ضرب من العضاه يدبغ به.
4 ـ الرمق: بقية الروح، والرُّمق: الحسدة.
9 ـ المجترم: مرتكب الجرم
11 ـ شبنا: خلطنا.
12 ـ الوضم: كل ما يوضم عليه اللحم من خشب أو حصير ونحوهما.
13 ـ النسم: الخلق والناس.

16 ـ صلّى عليه إله الخلق ما طلعتْ شمسٌ وما رُفعتْ نارٌ على عَلمِ

(101)

وقال الأديب محمد بن عبد الملك المراكشي «وأنشدني شيخنا مالك بن المرحل المالقي ـ عفا الله عنه بسبتة حرسها الله ـ لنفسه، وكتب لي بخطه في هذا المعنى، ووطأ له بمدحه ﷺ؛ كما أوردها المقري أيضاً [الطويل]:

1 ـ بوصفِ حبيبي طرّزَ الشعرَ ناظمُه ونمنمَ خدَّ الطرس بالنقش راقمهْ
2 ـ حبيبٌ له فضلٌ على الناس كلّهم مفاخرُه مشهورةٌ ومكارمهْ
3 ـ له الحسنُ والإحسان في كلِّ مذهب فآثاره محمودةٌ ومعالمهْ
4 ـ رؤوفٌ عطوفٌ أوسعَ الناس رحمة وجادتْ عليهم سحُبه وغمائمهْ
5 ـ حفيٌّ وفيٌّ لا تمين عهودُه حميٌّ أبيٌّ لا تلين شكائمهْ
6 ـ وكمْ نازعته الأمر قومٌ أعزة فما أسلمته بيضُه وصوارمهْ
7 ـ غدا العالم الأعلى يقاتل دونَه فتقدمه قبلَ اللقاءِ هزائمهْ
8 ـ سلِ الحربَ عنه يومَ أُحد وغيره ويومَ حُنين كيف كانتْ عزائمهْ
9 ـ أما حسَمَ الكفْرَ الصريحَ حسامُه أما صَرَمَ الإفك [ ] صوارِمُهْ
10 ـ أما نصر الإسلام نصراً مؤزراً فلمْ ينج الا مسلم أو مسالمه
11 ـ نبيٌّ له في حضرة الحق رتبةٌ ترقّى بها في عالم العْلو عالمه
12 ـ به ختم اللّه النبيين كلَّهم وكلُّ فعال صالح هو خاتمه

---

(101) الذيل والتكملة 1 :331-333.

فتح المتعال في مدح النعال :283, 984 وأزهار الرياض 3 :263-264 ولم يورد منها إلا عشرين بيتاً مع تقديم وتأخير في بعض المواضع.

---

101 - 1 ـ الراقم: الكاتب أو المخطط الموشي.

5 ـ لا تمين: لا تكذب.

6 ـ بيضه وصوارمه: سيوفه.

9 ـ فراغ بمقدار كلمه لعله [المبين].

13 ـ أحبُّ رسول الله حباً لو انه ... تقاسمه جيل كفتهم قسائمه
14 ـ كأن فؤادي كلّما مرَّ ذكرُه ... من الورق خفاقٌ أصيبت قوادمه
15 ـ أميلُ إذا هبّت نواسمُ أرضه ... ومن لفؤادي أن تهبَّ نواسمه
16 ـ فأَنشق مسكاً [ ] كأنما ... نوافجُه جاءَت به ولطائمه
17 ـ ومما دعاني والدواعي كثيرةٌ ... إلى الشوق أن الشوق مما أكاتمه
18 ـ مثالٌ لنعل من أحبُّ حديثه ... وها أنا في يومي وليلي لاثمه
19 ـ أجرُّ على رأسي ووجهي أديمَه ... وألثمه طوراً وطوراً ألازمه
20 ـ صَبابةُ مشتاقٍ ولوعةُ هائمٍ ... نعمْ أنا مشتاقُ الفؤادِ وهائمه
21 ـ كأن مثالَ النعلِ محرابُ مسجدٍ ... فؤاديَ فيه شاخص الطرف دائمه
22 ـ أمثِّلُه في رجل أكرم من مشى ... فتبصُره عيني وما أنا حالمه
23 ـ أصكُّ به خدي وأحسبُ وقعه ... على وجنتي خطواً هناك يداومه
24 ـ ومنْ لي بوقع النعل في حرّ وجنتي ... لماشٍ عَلَتْ فوق النجوم براجمُه
25 ـ تفيضُ دموعي كلّما لاحَ نورُه ... بكاؤك للبرقِ الذي أنتَ شائمه
26 ـ فيا دمعَ عيني أنت تمنع ناظري ... نعيماً به فارفق فإنك ظالمه
27 ـ ويا حرَّ قلبي أنت تحرم باطني ... لصوقاً به فاسكن لعلك راحمه
28 ـ سأجعلُه فوقَ الترائب عُوذةً ... لقلبي لعلَّ القلبَ يُطفأ جاحمه
29 ـ وأربطُه فوق الشئون تميمةً ... لجفني لعلَّ الجفنَ يرقأ ساجمه
30 ـ ألا بأبي تمثالُ نعلِ محمد ... لقد طاب حاذيه وقدّس خادمه
31 ـ يَودُّ هلالُ الأفق لو أنه هوى ... يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
32 ـ وما ذاكَ إلا أن حبَّ نبينا ... يقومُ بأجسام الخلائق لازمه

---

16 ـ نوافج المسك: روائحه وهبوبه، ولطائمه أوعيته وفي صدر البيت بياض بالأصل.

24 ـ براجمه: جمع برجمة، وهي مفصل الأصبع.

25 ـ شام البرق: نظر إليه.

28 ـ الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين. عوذة: التميمة والرقية.

33 ـ سلامٌ عليه كلّما افترّ بارق فراقتْ عيونُ المجد بين مباسمه
34 ـ سلامٌ عليه ما تفاوحتِ الرُبى بزهر كأن المسكَ تحوى كمائمه

(102)

وقال في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ مستخدماً جميع حروف الألفبائية [الكامل]:

1 ـ ألفٌ أجلُ الأنبياءِ نبيّ بضيائه شمسُ النهار تضيءُ
وبه يؤمل محسنٌ ومسيءُ فضلاً من الله العظيم عظيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

2 ـ باءٌ بدا في أفق مكةَ كوكبا ثم اعتلى فجلا سناهُ الغيهبا
حتى أنارَ الدهر منه وأخصبا إذ كان فيضُ الخير منه عميما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

3 ـ تاءٌ تبيّنتُ الهدى لما أتى فنفى الشريك عن القديم وأثبتا
أحديه من حادٍ عنها قد عتا وتلا كلاماً للكريم كريما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

4 ـ ثاءٌ ثوىَ في الأرض منهُ حديثُ في كل أفق طيبه مبثوث
داعٍ بأنواع الهدى مبعوثُ يتلو نجوماً أو يهز نجوما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

5 ـ جيمٌ جلا بسراجه الوهاجِ ما جنَّ من ليل الظلام الداجي
وسقى القلوبَ بمائه الثجاج فأصارها بعدَ الغموم غميما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

---

(102) نفخ الطيب 10: 305, 306, 307.

---

33 ـ افترّ: تبسّم.
2 ـ الغيهب: الظلمة والليل.
4 ـ ثوى: أقام، مبثوث: ذائع منتشر.
5 ـ الماء الثجاج : الكثير، والغميم: النبات الأخضر تحت اليابس.

6 ـ خاءٌ حمى دينَ الهدى بصفائحِ وسما بشمّ كالجبال أراجح
من كلّ أزهر هاشمي واضح لولا نداه غدا النبات هشيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
7 ـ خاءٌ خبتْ نيرانُ جهلٍ شامخ آياتُ علمٍ للرسالة راسخ
من مثبت ماحٍ ومنسٍ ناسخ قد خصَّ بالذكر الحكيم حكيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
8 ـ دالٌ دعا فأجاب كلُّ سعيد وأتى بوعد صادق ووعيد
حتى أقر الناسُ بالتوحيد وتجنّبوا الإشراك والتجسيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
9 ـ ذالٌ، ذبابُ حسامه مشحوذُ للناكثين وعهدهم منبوذْ
أما السعيدُ فبالنبي يلوذُ فيُدال من ذلّ الشقاء نعيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
10 ـ راءٌ روينا عن ذوي الأخبار أن الندى والبأس مع إيثار
بعضُ صفات المصطفى المختار كمْ قد تقدَّم بالأنام زعيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
11 ـ زايٌ، زعيمٌ بالنزال عزيز وبليغ معنى في المقال وجيز
فلقوله من فعله تعزيزُ ولربما عادَ الكلام كلوما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
12 ـ سينٌ، سلامٌ كالنفيس تنفسا وقد اجتنى ورداً وصافح نرجسا
أهدي إليه في الصباح وفي المسا بقصائد كادتْ تكون نسيما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما
13 ـ شينٌ، شمائلُه الكريمةُ تعطشُ من كانَ من سكر المحبة يرعش

6 ـ الهشيم: المهشوم المتكسر، والشجرة البالية يأخذها الحاطب.

11 ـ الكلوم: جمع الكلم وهو الجرح.

لكنْ أضاع العمرَ فيما يوحشُ فغدتْ ندامتُه عليه نديما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

14 ـ صادٌ، صفيٌّ للإلهِ ومخلصٌ ومقرّب ومفضّل ومخصّصُ

ذهبٌ سبيك وزنه لا ينقصُ قد طابَ خيماً في الورى وأروما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

15 ـ ضادٌ، ضمينُ نصحه ممحوضٌ ضافي القراءة بالعلوم يفيضُ

إن غاضَ ماءُ البحر ليسَ يغيض لما استمر زلالُهُ تسنيما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

16 ـ طاءٌ طويلُ السيف متسعُ الخطا رحبُ الذراع ومن يَمدُّ لهم سطا

يُردي العدا وإذا ارتدى متخمطا يُنْبرى عذاباً إذ ألام أليما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

17 ـ ظاءٌ، ظهيرٌ للعبادِ حفيظُ حظٌ له أدبُ العباد حظيظ

حقٌّ له التأبينُ والتقريظ ميتاً وحيّاً ظاعناً ومقيما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

18 ـ عينٌ، عزيزٌ ذكره مرفوعٌ في الأنبياء وقوله مسموعٌ

مشروح صدر حبه مشروع من لا يَدين بذاك كان ذميما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

19 ـ غينٌ، غَزَا من زاغَ عنه ومن طغى وغدا يشب لمن طغى نار الوغى

حتى أقامت من عصى بعد الصغا وتقوّم النار العصا تقويما

صلّوا عليه وسلّموا تسليما

20 ـ فاءٌ، فواتحُ سورة الأعراف وبراءةُ والرعد والأحقاف

---

14 ـ السبيك: المسبوك، والسبيكة: القطعة المذوّبة.

15 ـ ممحوض: خالص، ويغيض: يقل وينقص.

16 ـ متمخطا: من مخط السهم مخطاً نفذ، والمرء في الأرض سار سريعاً.

أحـظـتـه بـالأقـسـام والأوصـاف فـمـتـى تـوفـي حـقـه مـنـظـومـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

21 ـ قافٌ، قوافي النظم عنه تضيقُ أيـطـيـقـه الإنـسـان لـيـس يـطـيـقُ

فالخلقُ في التقصير عنه خليقُ ولـو انـهـم مـلأوا الـفـضـاء رقـومـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

22 ـ كافٌ، كـريـمُ الـعـنـصـريـن مباركُ مـتـفـرّد بـالـجـاهِ لـيـس يُـشـارك

فـهـو الـذي بـمـقـامـه يُـتـدارك والـهـولُ يـغـدو مـقـعـداً ومـقـيـمـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

23 ـ لامٌ، لـهُ عـقـد الـلـواء الأحـفـل ولـه الـشـفـاعـةُ فـي غـدا إذ تُـسـأل

وإذا دعـا فـدعـاؤه مُـتـقـبَّـل حـق الـرحـيـم بـأن يـرى مـرحـومـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

24 ـ مـيـمٌ، مـلائـكـةُ الإلـه تـسـلّـم فـوجـا عـلـيـه إذ بـدا وتـعـظّـم

ويـمـرُّ جـبـريـلُ بـهـا يـتـقـدّم فـيـضـاعـفُ الـتـعـظـيـمَ والـتـكـريـمـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

25 ـ نـونٌ، نـبـيءٌ جـاءنـا بـبـيـانِ وبـمـعـجـزات أبـرزت لـعـيـانِ

وبـحـسـبـه أن جـاء بـالـقـرآنِ يَـشْـفـي قـلـوبـاً تـشـتـكـي وجـسـومـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

26 ـ هاءٌ، هوَ الهادي الذي افتتح النهى فتفكرتْ في مِلك من رفعَ السُّها

وقـضـى بـحـدٍّ لـلأمـور ومـنـتـهـى فـأفـادهـا الـنـظـر الـسـديـد عـمـومـا

صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـموا تـسـلـيـمـا

27 ـ واوٌ، وهي ركنُ التجلد بل هوى لـمـا ثـوى فـي الـتُـرب مـن بـعـد الـتـوى

---

19 ـ الصغا: الميل، وصغا إلى القوم كان هواه معهم، وصغا على القوم عكسه.

21 ـ الرقوم: التوشيات والنمنمات.

26 ـ النهى: العقول

27 ـ التوى: الذهاب

فحوى الضريحَ الرحبَ نجما ما غوى أجرى من ا لدمع السجوم سجوما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

28 ـ لامٌ، لأجلكَ فاضَ دمعي جَذولا فاخضرَّ آسُ أساك إذ يبس الكلا
يا خيرَ من كلأَ المكارم والعُلا وحمىَ الحمىَ ورمىَ فأعمى الروما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

29 ـ ياءٌ يُحيه ويَسقيه الحيَا ربّ العبادِ مجازياً وموفيا
ومُشرفاً ومُسلماً ومُصليا يا مسلمون ورثتمو التسليما
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

(103)

وقال في التزهيد في الدنيا [الوافر]: ـ

1 ـ أشفُّ الوجدِ ما أبكى العيوناَ وأشفى الدمع ما نكأ الجفونا
2 ـ فيا ابن الأربعين اركبْ سفينا مِنَ التقوى فقد عُمّرت حينا
3 ـ ونحْ إن كنتَ من أصحاب نوحٍ لكي تنجو نجاة الأربعينا
4 ـ بدا للشيبُ في فوذيك رقمٌ فيا أهلَ الرقيم أتسمعونا
5 ـ لأنتمُ أهل كهفٍ قد ضربنا على آذانهم فيه سنينا
6 ـ رأيتُ الشيبَ يجري في سوادٍ بياضاً لا كعقل الكاتبينا
7 ـ وقد يجري السواد على بياضٍ فكان الحسنُ فيه مستبينا
8 ـ فهذا العكسُ يؤذن بانعكاسٍ وقد أشعرتُمُ لو تشعرونا
9 ـ نباتٌ هاج ثم يُرى حطاما وهذا اللحظ قد شملَ العيونا

(103) الإحاطة 3: 313, 314.

27 ـ السجوم: عين سجوم، أو ناقة كثيرة الدر.
28 ـ كلأ: رعى وحمى.
103 - 1 ـ نكأ: أثار.
4 ـ أهل الرقيم: أصحاب الكهف.

10 ـ نـذيـرٌ جـاءكـم عـريـانَ يـعـدو وأنـتـم تـضـحـكـون وتـلـعـبـونـا

11 ـ أُخَـيَّ إلـى مـتـى هـذا الـتـصـابـي جـنـنـتَ بـهـذه الـدنـيـا جـنـونـا

12 ـ هـيَ الـدنـيـا وإن وصـلـت وبـرت فـكـم قـطـعـت وكـم تـركـت بـنـيـنـا

13 ـ فـلا تـخـدعـك أيـام تـلـيـهـا لـيـالٍ واخـشـهـا بـيـضـاً وجـونـا

14 ـ فـذاك إذا نـظـرتَ سـلاح دنـيـا تـعـيـدُ حـراكَ سـاكـنـهـا سـكـونـا

15 ـ وَبـيـنَ يـديـكَ يـومٌ أيُّ يـومِ يـديـنـك فـيـه ربُّ الـنـاس ديـنـا

16 ـ فـإمـا دارُ عـزّ لـيـس يـفـنـى وإمـا دار هُـون لـن يـهـونـا

17 ـ فـطـوبـى فـي غـدٍ لـلـمـتـقـيـنـا وويـلٌ فـي غـدٍ لـلـمـجـرمـيـنـا

18 ـ وآهِ ثـم آهِ ثـم آهِ عـلـى نـفـسـي أكـررّهـا مـئـيـنـا

19 ـ أخـي سـمـعـتَ هـذا الـوعـظ أم لا ألا يـا لـيـتـنـي فـي الـسـامـعـيـنـا

20 ـ إذا مـا الـوعـظُ لـم يُـورد بـصـدق فـلا خـسـرٌ كـخـسـر الـواعـظـيـنـا

(104)

قال في طالعة المعشرات النبوية التي بناها على لزوم ما يلزم[1] «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله، قال الشيخ الفقيه الأديب أبو الحكم مالك بن المرحَّل ـ رحمه الله[2]»: «الحمدُ للّه الذي لزمنا أن نقدّم حمده، ووجبَ علينا أن نعبده وحده، نحمده كما لزم أن يُحمد، ونعبده كما وجب أن يُعبد، ونثني على رسوله ومصطفاه سيّدنا محمد الذي أثنى عليه في كتابه الكريم، فقال تعالى «وإنك لعلى خلق عظيم[3]»، فما عسى أن يقول فيه المخلوق في نثير أو نظيم[4].

11 ـ التصابي: تكلف الصبا.

13 ـ الجون: يقصد هنا السواد، لأن اللفظ مشترك.

104(1) تقدم الحديث عن مصطلح لزوم ما لا يلزم أو الإعنات عند دراسة الأشكال في شعره.

(2) هذا التمهيد أو الطالعة المنثورة تفردت بذكرها كما أسلفنا ـ مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 173/ 5 وغير مثبت في مخطوطتي خع بالرباط، وخزانة الأسكوريال بمدريد.

(3) القرآن الكريم الآية 4 سورة القلم. (4) الترسل والشعر.

عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأكرم التسليم، وبعدُ - أعزّك اللّه تعالى - فهذه معشرات نظمها المملوكُ في سيّد الخلق المبعوث بالهدى ودين الحق، سيّدنا محمدٍ صلّى اللّه عليه وسلّم وآله، وشرّف وكرّم، والتزمت أن يكون أول كلّ حرف من أبياتها لازماً لحرف آخر، وكذلك آخر كلّ حرف منها وهو حرف الروي لازماً لحرف آخر، فصارت هذه المعشرات لزومية الطرفين، وهذا عملٌ لم أقفْ عليه، ولاتحققنا أن أحداً سبق إليه، وأن حرفي الظاء والغين المعجمتين. اضطررت فيهما لقلّة دورهما، وعدم المقصود فيهما إلى أن كررت قافيتين في حرف الظاء بحيلة جائزة، وقسّمت حرف الغين في لزوم قوافيه على قسمين لإعواز هاذين الحرفين في اتفاق الإلتزام، ولهربي أيضاً من حوشي الكلام، على أني قد استعملت منه يسيراً في بعض القوافي». والعذر في ذلك تبيّن لمن عرف وأنصف، ولا أحتاج أن أعتذر في ذلك لأحذ؛ فإنما عملتها لوجه الله تعالى، ورجوت فيها الثواب من الله تعالى وهو سبحانه ينفع بذلك ناظمها وقارئها وسامعها وواعيها وناسخها والمنسوخة له، ويدخل الجميع في رحمته بمنه وطوله، وقوته وحوله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

المعشرات النبويّة أو لزوم ما لا يلزم المعروف بالإعنات(1).

حرف الألف بالتزام الميم ثانيا والتزامه قبل حرف الروي(2) [الطويل]

1 - أمالي إلى قبر الرسول مبلغ ... سلاماً فقد أفنى الزمان ذمائي

2 - أمانة مشتاق حمى الدمع جفنه ... فماصام طيف النوم خوف حماء

3 - أماني كانت لي زيارة قبره ... وأرضى بروض يانع وسماء

4 - أمال قناتي بعد حسن اعتدالها ... زمان أراني النقص بعد نماء

(1) راجع دراسة الأشكال في الباب.

(2) هذه المعشرات مثبتة في مخط خع رقم (3711) وفي مخط الأسكوريال بمدريد رقم (362) وكتب قبلها تمهيد وجيز هو «هذه المعشرات من نظم الشيخ الأديب اللبيب النحوي اللغوي، قدوة دهره، وإمام عصره مالك بن المرحل رضي الله عنه» كما توجد هذه المعشرات ضمن مجموع مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم 5/173 بعد تمهيد منثور لم تشتمل عليه المخطوطتان المذكورتان.

5 ـ أمات قوى الأعضاء إلا أقلها وأعطش روضي حين أنضب مائي

6 ـ أماري مشيبي في سنين وقد رقا فؤادي على قوسي فكيف رمائي[1]

7 ـ رماني الردى لو بلغتني ناقتي فلم تبقني ظمآن بين ظماءِ

8 ـ إمام جميع المرسلين محمدٌ وأكرمُ مبعوث من الكرماءِ

9 ـ أمان الورى مما يخافون حبُّه فيا حبُّ شعشع أدمعي بدماءِ

10 ـ أماتَ الأسى عيني وسعّر أضلعي فخذْ بيدي يا أرحم الرحماءِ

حرف الباء بالتزام الراء ثانياً، وقبل حرف الروي

1 ـ برحمةِ ربي أرتجي حرمة القرُب فأدنو بها من سيّد العجم والعرب

2 ـ برتني يدُ الأشواقِ برياً وكيفَ لا ومثواه في شرق ومثواي في غرب

3 ـ براهينُه في كلِّ شيء تبيّنت ومن لجّ مأتاه إلى الطعن والضرب

4 ـ براءة أبدت عزّه حين آذنت لأعدائه بعد البراءة بالحرب

5 ـ براه[2] إله الخلقِ نوراً مُصوراً لكيما يُلاقي عالَمَ الروح والترب

6 ـ براقُ معاريج الذين اصطفاهم من الخلق أسماه فاحضاه بالقرب

7 ـ [براعة ذاك الحسن ترني إذا بدا على كل تربي وبالحق. . .]

8 ـ برود جفون الصبِّ رؤية وجهِه فرؤيتهُ تشفي الفؤاد من الكرب

9 ـ برزت إلى استسقاء رحمةِ خالقي عسى عارضٌ منها يعرض بالشرب

10 ـ بروقُ الحيا حيّت فأحيت حُشاشتي فقلتُ لحادي الركب سرْ بي مع السرب

---

(1) ذكر الأستاذ هلال ناجي محقق هذه المعشرات أن هذا البيت سقط في أعلى صفحة مخطوطة الأسكوريال بفعل التقطيع.

7 ـ ذكر الأستاذ هلال أن هاتين الكلمتين مطموستان في المخطوطة (رماني الردى).

9 ـ شعشع: شعشع الضوء انتشر خفيفاً، والشراب ونحوه مزجه بقليل من الماء.

(2) براه: خلقه وأبدعه.

7 ـ البيت ما بين المكعفين سقط في نسخة الأسكوريال (س)

9 ـ العارض: السحاب المعطل.

10 ـ الحشاشة: بقية الروح. السرب: الفريق.

حرف التاء بالتزام الميم ثانياً، وقبل الروي

1 ـ تمنّيتُ والإنسانُ يُولع بالمنى بلوغاً إلى المبعوث في خير أمة
2 ـ تمسّكت في أمري بذمّة حبِّه وذمةُ خير الخلقِ أكرم ذمّة
3 ـ تملّكني في حبّه أن حبِّه أمانٌ لروحي في المعادِ ورمَّة
4 ـ تمتعتُ في الدنيا بنعمى مديحه فكمْ أزمة قد فرجتها وأسمة
5 ـ تماديتُ في ذاكَ المدى بنجائب رميتُ إليها فضلَ تلك الأزمة
6 ـ تمائمُ أشعاري مدائحه التي صحائفها يدفعن كلَّ ملمة
7 ـ تمامُ مباني المعلوات محمد به كملت تلك المعالي وتمّت
8 ـ [تمكَّن فيه المجد أيَّ تمكن فخصت أياديه الكرام وعمت]
9 ـ تمهّد بالوحي المنزّل أمرُه وبالسيف إن آذن عن الوحي صمَّت
10 ـ تمَّلأ من فضلِ وطيب خلائق ففاحتْ بريّاه البلادُ ونمّت

حرف الثاء بالتزام الميم ثانياً، والهمزة المكسورة قبل الروي

1 ـ ثمان فروع المجد آل محمد هم الطاهرون من جميع الخبائث
2 ـ ثمالُ الورى ذاكَ النبيُ فإنه سريعٌ إذا نادوا به غير رائث
3 ـ ثمامةُ جسمي أرتجي أن يغيثها إلهي بقرب منه للشوق غائث
4 ـ ثماد اصطباري شفَّها حرُّ أضلعي ولوعاتُ أشواق إليه حثائث
5 ـ ثمائن درِّ الدمع أثمان حبّه فأجنى الأماني من رياض أثائث
6 ـ ثمانون عاماً غير عشر تصرّمت تعلقتُ فيها بالحبال الرثائث

---

8 ـ ت ـ البيت ما بين المعكفين سقط في (س) ذهب به تقطيع الورق.
5 ـ النجائب: نجائب الإبل خيارها.
8 ـ هذا البيت سقط في (س) ذهب به تقطيع الورق.
2 ـ ت ـ م ـ رائث: من راث أبطأ، والريث: التعب.
5 ـ أثائث: من أث الشعر إذا التف.
6 ـ الرثائث: البالية.

7 ـ ثملتُ أخا عشرين من خمرة الصبا فيالي من سُكر لعقلي عائث
8 ـ ثميلتها عندي فما أنا مقلعٌ ولو مات فيها السمُّ أخدع مائث
9 ـ ثمينُ اللآلي ما نظمت فأرعه سماعاً ولا تحسْبه إحدى الربائث
10 ـ ثمان وهاتان اثنتان وكلها حسان فجزها مُسْرعاً غير لائث

حرف الجيم بالتزام النون ثانياً والجيم قبل حرف الروي

1 ـ جنانُ جناني مدحُ أحمد إنني كمنْ يجْتني باللّثم شهدَ مُجاج
2 ـ جنايَ به عذبٌ لذيذٌ وإنه ليسقى بملح للدموع أُجاج
3 ـ جناني مصدوعٌ بسقي التي عَلَتْ وصدع جنان الشيخ صدعُ زجاج
4 ـ جناحيَ مقصوصٌ فمالي قدرةٌ على قطع أرضٍ نحوه ولجاج
5 ـ جنيت بتفريطي أوانِ شبيبتي ولجّج بي في التُرّهات لجاجي
6 ـ جنحتُ إلى الدنيا ولم أدر أنها تزجُ بخرصانِ لها وزجاج
7 ـ جنابُ رسول الله أحمى لصارخ إذا طلعتْ لي من فروج عجاج
8 ـ جنائبُها الأحداثُ يومَ نزالها فكمْ من جراحٍ في الورى وشجاج
9 ـ جنائزُهم في كلِّ يومٍ كثيرةٌ تفاجئهم من أظهرٍ وفجاج
10 ـ [جُنودي فيها دمعُ عينٍ قريحة عقدت لها أهدابها بحجاج]

---

9 ـ الربائث: الأحاييل والخدع.

1 ـ المجاج: مجاج الفم: ريقه، ومجاج النحل: عسلها.

5 ـ الترهات: جمع ترهة وهي الباطل والداهية.

8 ـ الشجاج: شق جلد الرأس أو الوجه.

10 ـ ذكر الأستاذ هلال ناجي أن البيت ذهب به تقطيع الورق في (س).

حرف الحاء بالتزام الباء ثانياً والتزام الهمزة المكسورة قبل حرف الروي

1 - حبَا اللّه خيرَ العالمين محمداً ... محاسنَ أزرتْ بالشموس اللوائحِ
2 - حمى عظمت قدراً وطابتْ روائحاً ... فجادَ ثراهُ كلُّ غادٍ ورائحِ
3 - حبا المجد والعليا تَحلُّ لذكره ... إذا سطعت أرواح تلك الروائح
4 - حبيبٌ حباه اللهُ كلَّ كرامة ... وأيّده بالمعجزات الصحائح
5 - حبيسٌ عليه نظم شعري دائماً ... ونثرُ دموعي مُنشداً للمدائح
6 - حبوري في تحبيرها بقريحة ... إذا سوجلت كانتْ أجمَّ القرائح
7 - حبالُ رجائي في عُلاه قويةٌ ... ومن يرجُ ذا فضل فليسَ بطائح
8 - حبابُ دموعي في جفوني طافحٌ ... وربَّ حباب في مياه سوائح
9 - حبستُ مطايا الشوقِ عندَ ضريحه ... فجددن آثار الثكالى النوائح
10 - حبائلُ هذا الدهر عنه حبسنني ... كأني ما صدقتُ نصحَ النصائح

حرف الخاء بالتزام الطاء ثانياً والسين قبل حرف الروي

1 - خطاي إلى قبر الرسول حثيثةٌ ... بقلبي أمشي فرسخاً ثم فرسخا
2 - خطمت إليه بازلي ورجلته ... وأوجرتُه بالشوق حتى تفسخا
3 - خطرتُ على الباب الكريم بخاطر ... فأوردتُه بحرَ السماحة والسخا
4 - خطبتُ لديه خطبةً جلَّ خطبُها ... وأنشدت شعراً كان في السمع أرسخا
5 - خططتُ بكفي مدحه ونسخته ... ولم تنظم الأمداح إلا لتنسخا
6 - خطوبُ زماني تفسخ النولَ فعلها ... ولكنّه ما كان عزمي ليفسخا
7 - خطيتُ وما أرجو سواهُ مُطهراً ... لقلب بأدناس الذنوب توسّخا

---

7 - ح - ب - الطائح: طاح طوحاً: هلك.

8 - الحباب: الفقاقيع على وجه الماء، أو الطل يصبح على النبات.

1 - خ - ط - الفرسخ: الطويل من الزمان ليلاً أو نهاراً، كما أنه من المقاييس القديمة.

2 - خطمت إليه بازلي: ضربت إليه أنف ناقتي.

8 ـ خطايا أخاف النار في يوم عرضها ... وقد [سخيت] شبت ومن شبَّ قد سخا

9 ـ خطاطيفُ دنيا جرّت النفس فانثنت ... إليها فظلّت في الجوانح رُسّخا

10 ـ خطابي لنفسي لا سواها فإنني ... أخاف عليها أن تُهان وتُمسخا

حرف الدّال بالتزام الواو ثانياً، والميم قبل حرف الروي

1 ـ دوامُ نعيم النفس حبُّ محمد ... فدمْ في نعيم الحبِّ ما عشت تُحمد

2 ـ دواؤك ذكرُ اللّه ثمّ اتباعه ... فلا تخل عن ذكر مدى الدهر سرمد

3 ـ دواجي الهوى، بالحق تُجلْى وإنما ... هو الخيرُ والتقوى وطاعةُ أحمد

4 ـ دواعي رضا الرحمن ثمنٌ وضدها ... عوادٍ فلا تعمد إليهن تعمد

5 ـ دواوينُ أهل العلم جاءت بوصفه ... فلم يعشُ عن أنواره عينُ أرمد

6 ـ دويُّهم مدت بحبر سواده ... من العين لم يطفىء سناه ويحمد

7 ـ دوى صار جسمي مذ دُهيت يقاطع ... من البعد [أصلى] منه لوعة مكمد

8 ـ دواهي الدنا تثني حوادي ركائبي ... وإن كانَ سيفُ العزم ليس بمغمد

9 ـ دوامعُ أجفاني إذا ذكر آسمه ... تفيض وما بي غير بعد محمد

10 ـ دوامِ دوامي الدهر والشوقُ صادعُ ... فؤادي ولا تعجبْ فلسن بجلمد

حرف الذال بالتزام الواو ثانياً، وادغام القافية

1 ـ ذوائبُ مجدِ الهاشميين كلُّهم ... سَمَتْ بنبي بذَّ مجد الورى بذّا

2 ـ ذوى كلُّ روض غير روضات جوده ... فما بَرَحتْ تجنى الورى ثمراً لذّا

3 ـ ذواتُ الفروع الباسقاتِ من العُلا ... يُغذي ذراها المجد أفضل ما غذّا

---

8 ـ هذه الكلمة لم يثبتها الأستاذ هلال ناجي في تحقيقه للنص ذاكراً أنه لم يفهمها.

9 ـ خطاطيف: جمع الخاطوف وهو ما يختطف به الشيء.

2 ـ د ـ و ـ السرمد: الأبد.

4 ـ تعمد: من عمد المرض فلاناً أضناه وفدحه.

10 ـ الجلمد: الصخر.

4 ـ ذواهب في جو السماء وذكرها | على الأرض قد هذّ الركاب به هذّا
5 ـ ذوابلُه أذبلن أجساد كلِّ مَن | طغى وجذذن الشرك من أصله جذّا
6 ـ ذوائدُ عن دين الإله ولم تزلْ | تردُّ إلى نهج الطريقة من شذّا
7 ـ ذوامرُ يزجرن الغويَّ عن الهوى | بحدّ وحذ جاوز الحدّ والحذّا
8 ـ ذوارفُ دمعي أيها الركب برّحت | بكربي فكم أبقى وراءكم فذّا
9 ـ ذوائع بالأشواق نحو محمد | تفذ جفوني وهي أنفع ما فذّا
10 ـ ذوى الحبُّ إني ذاكر سيِّد الورى | ومن ذكر المحبوب يوماً له [التذا]

حرف الراء بالتزام الجيم ثانياً، وقبل حرف الروي

1 ـ رجومُ شياطين الهوى أدمع تجري | فتاجرْ فإن الربح في ذلك التجر
2 ـ [رجوتُ لنفسي عفوَ ربي لخوفه | ومدحَ الرسول الطاهر الطيب النجر]
3 ـ رجا ذلك الفضل العميم هو الذي | رجوتُ فاجرى في المديح إلى [الأجر]
4 ـ رجزتُ بمدح المصطفى وجعلته | قصائدَ أهدى في الرجا من سنا الفجر
5 ـ رجعتُ إلى نفسي وقلت لها ارجعي | عن الهجر يا نفسي وخافي من الهجر
6 ـ رجوعاً إلى المولى وشكراً فإنما | دُعيت إلى أجر وحذرت من بجر
7 ـ رجاحة ميزاني رجوتُ بزجرها | لتنجوَ من رجز العقوبة بالزجر
8 ـ رجالُ الوغى بالعلم قاموا بأمره | فجاءوا بجيش من عزائمهم مُجْر
9 ـ رجيحٌ نجيحٌ [ ] في انتفاعه | فكلٌّ إلى الغايات في إثره مُجرْ
10 ـ رجامهم طابتْ بطيب جسومهم | وأرواحهم ليست عن الحور في حجر

---

5 ـ وجذذن الشرك: قطعنه وأستأصلنه.

1 ـ ج ـ ر ـ التجر: التجارة والصفق.

2 ـ البيت ما بين المعكفين سقط من (س) ذكر المحقق الأستاذ هلال ناجي هذه الكلمة بعضها مطموس في الأصل. النجر: النجار وهو طيب الأصل.

3 ـ ما بين المعكفين بيت ذهب به تقطيع الورق في (س).

9 ـ بياض بالأصل.

حرف الزاي بالتزام الواو ثانياً، وحرف الروي مدغم

1 - زواهـرُ آيـات حـويـنـا بـهـا الـعـزّا ... لـبسنا بهـا التقـوى ولـم نـلبس الـخـزّا
2 - زواجـرُ إن يُـدعـى مـع الـلّـه غـيـره ... فمذ طَلَعتْ لم تعبد اللاتُ والعُزى
3 - [زوى وَجـهَـه عنـهـا الـعـدو ضـلالـةً ... فـحـزّت بـحـدّ الـسـيـف هـامـتـه حـزّا]
4 - زوالُ سـمـاءِ الـعـزّ كـانَ بـأحـمـد ... فـلـم يـمـسك الـكـفـار مـن بـعـده عـزّا
5 - زوى بـعـدَ مـا أهـلـكـن عـاد زمـانـه ... فحزّوا وجزت هامهم في الوغى جزا
6 - زواخـره أغـرقـن فـرعـون عـصـره ... فـأودى وبـزّتـه مـلابـسـه بـزّا
7 - زواهي شياطين الضلال مدحتهم ... وتـلـكَ الـتـي أزتـهـم لـلـظـى أزّا
8 - زواحفُ خيل اللّه تقدمُها الظبا ... وسـمـرُ الـقـنـا لـزّت جـمـوعـهـم لـزّا
9 - زواجرُ تغزو القوم في عقر دارهم ... فـمـا لـهـم صـبـرٌ إذا عـايـنـوا الـغُـزّا
10 - زوامر مـن غـيـظِ عـلـيـهـم كـأنـهـا ... قـواصـفُ [هـزت] كـل [رابـيـة] هـزّا

حرف الطاء بالتزام الواو ثانياً، والقافية مدغمة

1 - طواميرُ في مدح النبي تضمنت ... كـلامـاً لأفـهـام الـمـحـبـيـن قـدوط
2 - طـواهـر بـيـض زيـنـتـهـا بـلاغـةٌ ... وما راقَ من لفظ فصيح ومن خطٌ
3 - طوابعُها مفضوضةُ الختم فاتلها ... فـجـوهـرُهـا أبـهـى نـظـامـاً مـن الـلّـط
4 - [طوت طيبةٌ جسمَ النبي ونشره ... لـهُ نـاشـرٌ نـامٍ ولـيـس بـمـنـحـطّ]
5 - طوالَ الليالي ليس يبلى جديدُه ... ولا بـرده تـحـتَ الـتـراب بـمـنـعـط
6 - طـوافـي بـبـيـت الـلّـه ثـم بـقـبْـره ... حـضـور بـقـلـبـي دونَ خـطـو ولا قـطّ

---

7 - أزّة أزّاً: هزّه وحرّكه.
9 - الغزّا: قبيلة من الترك، وربما أراد هنا الغزاة بالاكتفاء.
1 - ط - و - طوامير: جمع طامور وطومار بمعنى الصحيفة.
3 - اللط: التلطخ بالمسك.
5 - بمنعط: بذاهب أو متلاشٍ.
6 - القط: القطع.

7 - طوائحُ دهرٍ طوّحت بي وليتها وقد لجّجت بي أخرجتني إلى الشط

8 - طوى العبدُ في تلك الطريق مخففاً ذنوباً علته غطها أثقل الغط

9 - طواغيتُ أهل الكفرِ حلّت لأحمد فما حَطتِ الأقلام ثم القنا الخطّ

10 - طواعنُ تتلوها رفاق صوارب فما شئت من وخز وما شيت من قطّ

حرف الظاء بالتزام اللام ثانياً والهمزة المكسورة قبل الروي

1 - ظِلالُ الأماني والأمانُ تفيأت بأحمدَ خير الخلقِ والكلُّ قائظ

2 - ظلامُ ظلاماتِ العباد بنوره تجلّت وزالتْ بالإخاءِ الحفائظ

3 - ظَلَلنا به بعدَ الضلالةِ في هدى وحيّت به تلك النفوس الفوائظ

4 - ظلاماتُهم بالعدل زالت وغيضت دموعهُم والعدلُ للجوْر غائظ

5 - [ظلوم العدى مثل الظليم تشرداً وفعلاته الشوى جوافٍ وشائظ]

6 - ظليمٌ جزوع بالصفير لجبنه يروح مع الأرواح والروح فائظ

7 - ظلعتُ عن التوفيق مالك لم تزرْ رسولك ما هذي الطباع الغلائظ

8 - ظليفٌ بأقصى الغرب أمستْ جفونه وهنَّ شوات والظلوع قوائظ

9 - ظلمت لعمر الله نفسك كم عسى تغاضبها مظلومة وتغائظ

10 - [ ]

حرف الكاف بالتزام الواو ثانياً، واللام قبل حرف الروي

1 - كواكبُ آياتِ النبي زواهرُ بها جُليت عنا الخطوب الحوالك

---

(10) هذا البيت ذهب به تقطيع الورق في (س) كما ذكر المحقق.

---

10 - صوارب: القواطع؛ من صرب بمعنى قطع.

2 - ظ - ح - الحفائظ: جمع الحفيظة: الحميّة والغضب.

5 - الوشائظ: الوشيظ: التابع، والوشائظ الدخلاء في القوم.

8 - الظليف: السيىء الحال والذليل.

2 ـ كـوامـلُ أمـثـال الـبـدور بـنـورهـا سـلـكـنـا فـلـم تـظـلـم عـلـيـنـا الـمـسـالـك
3 ـ كـوافٍ بـانـقـاذ الـغـريـق كـوامـل إذا مـا أحـاطـت بـالـغـريـق الـمـهـالـك
4 ـ كـوالـىء فـي دنـيـا وأخـرى دلائـل إذا جـارَ عـن نـهـج الـطـريـقـة سـالـك
5 ـ كـواعـبُ عَـدنْ يـنـتـظـرن عـصـابـة لـهـم فـي الـقـصـور الـعـالـيـات ممـالـك
6 ـ [كـوانسُ فـي الـجـنـات حـور أوانـس تـدافـع عـنـهـن الـنـهـود الـفـوالـك]
7 ـ كـوافـلُ أرواح تـروح إلـى الـرضـى ومـن دون رضـوان لـمـن خـاب مـالـك
8 ـ كـوانـي شـوقـي نـحـو قـبـر مـحـمـد فـمـالـي سـوى هـذا الـقـريـض مـآلـك
9 ـ كـوامـلُ لـوعـاتـي ظـهـرن بـأدمـعـي وبـاح بـوجـدي قـلـبـيَ الـمـتـهـالـك
10 ـ كـوائـنُ هـذا الـدهـر تـبـطـن مـالـكـا فـمـا مـالـك حـيٌ ولا هـو مـالـك

حرف اللام بالتزام الباء ثانياً، والهمزة المكسورة قبل الروي

1 ـ لـبـابُ سـلالاتِ الـنـبـيـئـيـن أحـمـدُ بـذلـك قـامـتْ لـلـبـيـب الـدلائـلُ
2 ـ لبانُ بطيب الفحل طابتْ فأنجبت وطـابـتْ حـلال حـلّـهـا وحـلائـلُ
3 ـ لـبـانةُ نـفـسـي وهـي خـيرُ وسـائـلي زيـارتُـه إنـي لـتـلـك لـسـائـل
4 ـ لـبـثـتُ وكـانَ الـلـبـث مـنـي بـطـالـةً أوان فـراغـي ثـم غـالـت غـوائـل
5 ـ لـسـانيَ رحـبٌ إنـمـا ضـاقـتْ الـخُـطـا وطالَ المدى فالفكرُ لا الخطو جائل
6 ـ لـبـوسـي لـبـوسُ الـدهـر [صـبـر ألـمَّـه] ولا بـؤس إلا أن حـدِّي زائـل
7 ـ [لبست عليَّ الأمرَ يا نفس في الصبا فـلـمـا تـجـنـىَ الـصـبـحُ عـنّـت أمـائـل]

---

6 ـ و ـ ك هذا البيت ذهب به تقطيع الورق كما ذكر المحقق النص ذهب به التقطيع في (س).

6 ـ ب ـ ل ـ كلمتان لم يفهمها محقق مخطوطة (س)

---

4 ـ كوالىء: جمع كاليء وقد تقدم تفسيره.
6 ـ الفوالك: فلك ثدي الفتاة فلكاً استدار، فهي فالك والجمع فوالك.
4 ـ و ـ ك ـ غوائل: جمع غائلة، وهي الداهية والشر.
8 ـ دائل: من الدّوْلة أي الانقلاب.

8 - لبيبٌ لعمري من درى في شبابه | بأن زمانَ الشيب والضعف دائل
9 - لباقةُ شعري إن وفت بمقاصدي | ففيها إلى خير العباد وسائل
10 - لبيد أنا شعراً، وعمراً وذا وذا | يبيدانِ لكنّي إلى الفضل مائل

حرف الميم بالتزام الحاء ثانياً والتزام اللام قبل حرف الروي

1 - محمد الممدوح بالشعر فاعلم | وصلِّ على هذا النبي وسلّم
2 - محبتُه تتلو محبةَ ربِّه | وكلتاهما نورٌ على كلِّ مسلم
3 - محا حبّ مولانا وحبُّ حبيبه | هوى كلِّ قلب بالصبابة مُعلم
4 - محاسنُ هذا المصطفى فاقتِ الورى | فليسَ لها في الأرض غير مُسلّم
5 - محامدُه لا يستقلُّ بحصرها | لسانُ خطيب مصْقع متكلم
6 - محاملُه للعلم والفضلِ والندى | فمنْ مجتدٍ أو مقتدٍ متعلم
7 - محلّ شريف رفّع الله قدره | بذي قلم أو ذي حسام مُقلّم
8 - [محام عن الإسلام للحق ناصر | فما كان في الإسلام من متظلّم]
9 - مُحيّاه [أحيا] بالحيا كلَّ مجدب | وجلّى بأنوار الهدى كلّ مظلم
10 - محابرُنا كَمْ حبَّرتْ من ثنائه | وما عبّرت إذ كلُّ ما فيه معلم

---

(7) ما بين المعكفين بيت ذهب به التقطيع في (س).

(8) بيت ذهب به التقطيع في (س) وذكر المحقق الأستاذ هلال ناجي أن الموضع يسع كلمتين لم يفهمهما، وفي النسخة (س) كلمة مجدف مكان محدب. في النسخة (س) المحققة أثبتت كلمة (فبت بأرض الغرب) وأثبت أول كلمة في البيت الذي يليه (فبضت) مكان نبضت، وهو تحريف ظاهر هذا البيت ذهب به تقطيع الورق في (س).

(9) هذا البيت ذهب به تقطيع الورق في (س)

(10) ذكر الأستاذ هلال ناجي أن بعد آخر بيت في حرف الصاد بالتزام الدال ثانياً بيتاً ذهب به تقطيع الورق، وهو محض توهم، ضرورة أن الأبيات قد استوفت العد سقطت كلمة (ويسمع) من (س) وذكر المحقق أنها مطموسة.

---

8 - دائل من الدولة أي الأنقلاب.

حرف النون بالتزام الباء ثانياً، وحرف الروي مدغم

1 - نباهي الورى بالهاشمي محمد ... بمَنْ هو مبعوثٌ إلى الإنس والجن
2 - نبيَءُ له حقٌ على الخلق كلّهم ... وفضلٌ ومَنٌّ دون منٍّ ولا مَنٍّ
3 - نبوتُه جاءَت أخيراً وسابقتْ ... فجلّت وفاتت في المدى كلّ مستنٍّ
4 - نبيهٌ وحقُّ الله من نبَّه القطا ... إليه بكوراً لم يُعرّج على كُنّ
5 - نبا النومُ عن عيني لركب تبعتهم ... وأغْوَلْتُ من شوق اليه ولكنني
6 - نبذتُ وما أذنبت بل هي قسمةٌ ... وما كان مقسوماً فما فعلُه مني
7 - [نبتُّ] بأرض الغرب في تربة نأت ... عن المقصد الأسنى إلى أن عَلَت سني
8 - نبضتُ بسهم في قياسي فلم أجد ... شفيعاً سوى حبي وأمداحه إني
9 - [نبغتُ بشعر في النبي جعلتُه ... شعاراً لكي يحنو على عبده القن]
10 - نبيلُ الورى من لا تطيشُ نباله ... فيوقنُ في علْم ويصدُق في ظن

حرف الصاد بالتزام الدال ثانياً، وإدغام حرف الروي

1 - صديتُ إلى وادي العقيق فأدمعي ... عقيقٌ فهلْ لي أن أمصّ به مصّا
2 - صدُور أُولى الأشواق نحو محمدٍ ... حرارٌ فهلْ لي أن أبلّ به قصا
3 - صدرتُ بلا وردٍ فاصبحتُ عاطشاً ... وصدري وأجفاني من الشوق قد غصّا
4 - صَدَحتُ بشعري من بعيد ولم أطرْ ... وكيفَ مطاري والجناحان قد قصا

---

(1) ذهب بهذا البيت تقطيع الورق في (س) كما ذكر المحقق.
(2) بيت ذهب به تقطيع الورق في (س)
9. ذكر المحقق الأستاذ هلال ناجي أن الموضع يسع كلمتين... إلخ.
9 - ب - ن - هذا البيت ذهب به تقطيع الورق في (س).

---

4 - الكن: بالكسر وقاء كلّ شيء وستره.
9 - القن: بالكسر عبد ملك هو وأبوه يطلق على الواحد والجمع.
1 - ص - د - وادي العقيق: موضع بشبه الجزيرة العربية.

5 ـ صُدوعُ فؤادي لا يداوي جراحها ... سوى ذكره هذا دواءٌ به خُصا
6 ـ صدعتُ بأبياتي الدُجى لو صُدعتها ... براحلةٍ تفلى نواصى الفلا نصّا
7 ـ صدقتُ ولم تصْدُق لنفسي عزيمةٌ ... ترصُ بناء القصد في وقته رصّا
8 ـ صديتُ وما يجلو سوى نوره الصدا ... فلولاه ما ابيضَّ الصباحُ ولاَ مصّا
9 ـ صديقي تجهّز نحو قبر محمدٍ ... وصيّة خلّ ليس يألو إذا وصّى
صدوداً لما تهوى فقد رحل الصبَا ... ودال عليك الدهر بالشيب فاقتصا

حرفُ الضادِ بالتزام الراء ثانياً والتزامها قبل حرف الروي

1 ـ ضروبُ المعالي في النبيِّ تجمّعت ... أقرَّ له أهلُ السماوات والأرض
2 ـ ضرائفُه علويّة ملكيّة ... فما بَرحت تُرضى وما برحت ترضي
3 ـ ضريس وغى أبطالُه ضرس العدا ... فسدوا عليهم مسلكَ الطُول والعرض
4 ـ ضراغمُه في كلِّ حرب تروعُهم ... فكمْ لهم في مستوى الأرضي من أرض
5 ـ ضراوةُ أُسد غيلُها قضبُ القنا ... إذا اجتمعتْ للحرب يوماً وللعرض
6 ـ ضرامُهم مشبوبةُ بشياهم ... لِمنْ زاغَ عن حقّ ومن زاغَ عن فرض
7 ـ ضرابُهم في الحرب تحمي عن الحمى ... وجودُهم في السّلم يحْمي عن العرض
8 ـ ضروعُ ندى كانتْ مدى الدهر تمتري ... مقارضه واللّه يجزي على الفرض
9 ـ ضريحُ رسول اللّه في الأرض جنّةٌ ... ينالُ الرضا في روضها كلُّ مسترض
10 ـ ضرعتُ إلى ربي ضراعة راغبٍ ... إليه ليُدنيني إلى ذلك العُرض

---

10 ـ ذكر الأستاذ هلال ناجي أن بعد آخر بيت في حرف الصاد بإلتزام الدال ثانياً بيتاً ذهب به تقطع الورق، وهو محض وهم ضرورة أن الأبيات قد استوفت القذ في المقشرات.

---

6 ـ تفلى الفلا: تقطع الصحارى.

3 ـ ر ـ ض ـ ضريس: المضروس أو المضروسة أي الأرض ذات الحجارة كأنها أضراس.

4 ـ ضراغمه: أسوده.

8 ـ تمتري: من مرى الناقة يمريها: مسح ضرعها. فأمرت أيْ درّ لبنها.

حرف العين بالتزام القاف ثانياً، والتزام الميم قبل حرف الروي

1 ـ عقولُ الورى معقولةٌ عن معارجِ ... يرى المصطفى فيها الغيوب [ويسمعُ]

2 ـ عقودُ العُلا في جيد أحمد جُمّعت ... ولا درَّ إلا وهو فيهن أجمع

3 ـ عقائلُ فهر كلّهن ولدنه ... وعبدُ منافٍ شاهد ومجمع

4 ـ عقيدُ الندى هذا النبي الذي غدا ... وسحبُ نداه بالرغائب هُمّع

5 ـ عقرتُ بوهمي عند قبر محمدٍ ... قلوصي وأجفاني من الشوق تدمع

6 ـ عقيقاً وفي وادي العقيق مُعرّسي ... ومن دونه يسمُو السرابُ ويلمعُ

7 ـ عقابٌ وغيطان وودتُ لو انني ... وطئتُ برجلي تربَها وهي تجمعُ

8 ـ عقدتُ على قلبي مواثق حبه ... فأرجو بها حسنَ القبول وأطمعُ

9 ـ عقيدة نفسي أنه خيرُ مرسل ... فعندي للشيطان في ذاك مقْمع

10 ـ عَقَقتُ أبي إن لم تزره قصائدي ... مَعَ الركبِ مهْما أزمع الركبُ تزمعُ

حرف الغين بالتزام الراء ثانياً، وقسمه ما قبل الروي بقسمين

1 ـ [غرائبُ آياتِ النبي محمدٍ ... هُدىً لأولي الألباب إن زاغ زائغُ]

2 ـ غريتُ بأوصافي لها فكأنما ... أنا سابكٌ للتبر أو أنا صائغ

3 ـ غرار حُسام المصطفى قهرَ العدا ... ومن هوَ عن نهج الشريعة زائغُ

4 ـ غرابُ النوى نادى بهم فتفرّقوا ... فما لهم شربُ من الأمن سائغُ

5 ـ غرارةُ قومٍ غرَّهم طولُ أمنهم ... وعشياتُ خفضٍ كلُّهن رفائغُ

6 ـ غِرار كراهم من مخافِ غراره ... تولّي فما في القوم بالخوف هابغ

---

1 ـ سقطت كلمة [ويسمع] من (س)، وذكر المحقق أنها كلمة مطموسة.

2 ـ ذهب بهذا البيت تقطيع الورق في (س) كما ذكر المحقق.

4 ـ عقيد الندى: أي نداه طبعاً. همع: كثيرة السيل والتدفق.

5 ـ القلوص: الفتية المجتمعة من الإبل.

5 ـ ر ـ غ ـ رفائغ: من الرفغ بمعنى السعة والخصب.

6 ـ هابغ: الراقد بالنهار.

7 ـ غــرورُهــم دلاَّهــم بــغــروره ... فـولّـوا فـزالـت بـالأيـادي الـصـوابـغ

8 ـ غـرامُـهـم بـالـحـربِ كـانَ حـسـادةً ... بـهـا صـبـغـوا إن الـغـرام لـصـابـغُ

9 ـ غـرسـتُ بـأقـلامـي مـدائـح أحـمـدٍ ... فـمـن يـجْـنِـهـا يـشْـهـد بـأنـي نـابـغُ

10 ـ غـريـمُ تـقـاضـى خـاطـر قـلَّ جـدّه ... وهـلْ لأديـم حـيـن يـحـلـمُ دابـغ

حرف الفاء بالتزام الراء ثانياً، وقبل حرف الروي

1 ـ فروعُ المعالي والأصول تجمّعت ... تـوالـدهـا لـلـمـصـطـفـى والـطـوارف

2 ـ [فُراتُ بحارِ الأرضِ من جوده جرىَ ... فـلا عـارفٌ إلا غـدا وهـو عـارف]

3 ـ فـروجُ بـنـانٍ كـالـفـروع [تـصـوّبت] ... فـصـابـت ففـي الأقـطـار منـهـن جارفُ

4 ـ فروغ عن الفرغين تُغني بما اكتفت ... مـرابـغ فـي هـذا الـورى ومـخـارف

5 ـ فـريقُ الـهدى من لـمْ يـفارق ركـابه ... وكـانَ لـه دمـعٌ مـن الـبـيـنِ ذارف

6 ـ فـراقُ رسـول الـلّـه أخـرس لـسـنـهـم ... غـداةَ ثـوى والـكـلُّ فـي الـحـربِ هـارف

7 ـ فـرائضُـهـم أمـسـت كـمـثـلِ قـلـوبـهـم ... ولـكـنْ لـهـم يـومَ الـجـلاد عـوارفُ

8 ـ فـرعـتُ [بـأمـداح] الـرسـولِ وصـحـبه ... سـنـامَ الـعُـلا إنـي بـذلـك عـارف

9 ـ فـرائـضُ أشـعـاري مـدائـح مـجـدهـم ... فـمـالـي عـنـهـا آخـر الـدهـر صـارفُ

10 ـ فـرائـدُ تـهـواهـا الـفـرائـدُ فـي الـطُّـلـى ... ووشـيٌ بـديـع تـشـتـهـيـه الـمـطـارف

---

(2) البيت ما بين المعكوفين، ذهب به تقطيع الورق في (س).

(3) كلمة تصوبت في هذا البيت كلمة تعذرت قراءتها في (س).

---

7 ـ الصوابغ: المصبوغة الملوّنة.

10 ـ حلم الأديم: فسد.

4 ـ مخارف: جمع مخرف: الزنبيل.

6 ـ هارف: هرف الرجل هرفاً هذى.

10 ـ المطارف: جمع مطرف وهو ثوب من خز مربع.

حرف القاف بالتزام الراء ثانياً، والهمزة المكسورة قبل حرف الروي

1 ـ قريض بديع في ثناء محمدٍ / لهُ أرجُ كالغبرِ الورد فائقُ
2 ـ قرارة إخلاص عليها حدائقٌ / تطيبُ بريّاها الرُبا والحدائق
3 ـ [قرائح فكري أنبتتها وإنما / ثوائر أشواقي لهنّ حرائق]
4 ـ قرأتُ فما أبصرت مثلَ خلائق / خصَصْن به للّه تلك الخلائق
5 ـ قرائنُ في التقوى نظائر في العُلا / ظهائرُ في نصر الإله حقائق
6 ـ قرومُ قريش ذللتها سيوفه / فدانتْ له والسيفُ هادٍ وسائق
7 ـ قِراعُ إذا كان القراعُ لموجبِ / وعفوٌ إذا ما راجع الحلم مائق
8 ـ قراه عظيمٌ والقرارُ من القرى / فما للنّدى أو للهدى عنه عائق
9 ـ قرونٌ من الأزمان مرّت ولم تكن / بمثل سجاياه فهُنّ فوائق
10 ـ قرينُ جفون من يفوُز بقربه / ومن قُطِّعت بالعزم منه العلائق

حرف السين بالتزام الميم ثانياً، وحرف الروي

1 ـ سُمُوط لآل من مديح محمد / محيرها في لجة البحر قامس
2 ـ سَمَاعاً إلى مدح النبي فإنه / لأفضلُ من زُفّت إليه العرائس
3 ـ سمتْ بمعاليها سماءُ فخاره / فليسَ لها من عالم الأرض لامس
4 ـ [سماءُ دراريها أيادٍ كريمةٌ / أضاءت لنا منها الدياجي الروامس]
5 ـ سماحٌ وإنعام وبأسٌ لدى الوغى / وحلمٌ له طيبُ الأرومة خامسُ
6 ـ سميعٌ إلى داعيه فالنهج سالكٌ / وإن قيلت العوراء فالنهج طامس
7 ـ سِماكٌ إذا ما دارتِ الحرب رامح / ولكنْ يُعيد الليل واليوم شامسُ

---

(3) ما بين المعكوفين بيت ذهب به التقطيع في (س) في (س) أنبطتها: أي أخرجتها أو أظهرتها.
4 ـ م ـ س ـ ذهب بهذا البيت التقطيع في (س) كما ذكر محقق الأصل.

---

6 ـ قروم قريش: أسيادها المعظمون.

8 ـ سِمامُ العِدا إن حاربوه فإنما تحاربُهم عنه الرياحُ الروامسُ

9 ـ سمائمُ سمّتهم وأصلتهم لظى فما منهم من شدّة الكرب هامسُ

10 ـ سماتُ حِسَانٍ في نبيّ مُكرَّم به اْفتخر الرهطُ الكرامُ الأحامسُ

حرف الشين بالتزام الراء ثانياً، وحرف الروي مدغم

1 ـ شريعةُ خير الخلقِ خيرُ شريعة فأخلصْ فإنّ الدينَ لا يقبل الغشا

2 ـ شريطةُ دين اللّه أن تدع الهوى [لقى] وتخشّ النفس أن صعّب الخشا

3 ـ شرارُ الورى لم يكف شراره! وحش الهوى باللحظ يتبعه حشا

4 ـ شرارُ الهوى بالدمع يُطفأ جمره فأمطرْ له وبلاً من الدمع أو طشا

5 ـ شرهتُ إلى الدنيا ولو كنتُ عالماً بها لم تكن هشاً إليها ولا بشا

6 ـ [شرابُ أمانيها سرابُ بقيعةٍ وأفنانها لا يمنَ فيها لمن غشا]

7 ـ شريتُ بها الأخرى ولما اشتريتها وأقبلتُ تجنيها وجدت الجنا فشا

8 ـ شروقُ جبين المصطفى أوضح الهدى فمالكَ يا بطّال غشاك ما غشا

9 ـ شروعاً هداكَ اللّهُ في زورةٍ إلى نبيّك إن العمرَ عنك قد انفشا

10 ـ شرودُك عن أهليك في اللّه هجرة وإن عتاق الطير لا تألف العُشا

---

2 ـ ر ـ ش ـ ذكر محقق (س) أنها كلمة ليست مفهومة [لقى] ذكر محقق (س) أنها كلمة ليست مفهومة.

(6) البيت ذهب به التقطيع في (س)

---

7 ـ رامح: نجم يقدمه نجم مستطيل الشعاع.

8 ـ الروامس: الريح التي تثير التراب، وتدفن الآثار.

10 ـ الأحامس: الأشداء.

4 ـ ر ـ ش ـ طشاً: المطر الضعيف.

7 ـ فشا: انتشر.

حرف الهاء بالتزام الواو ثانياً والتزامها أيضاً قبل حرف الروي

1 - هوى من غوى والغيُّ أن تتبع الهوى ... فويلٌ لذي غُنٍّي أطاع هواه
2 - هَوَى هذه الدنيا هوانٌ وإنما ... يَعزُّ الفتى بالرشد لا بسواه
3 - هوانُك غبنٌ فاطلب الفوز بالتقى ... فإن التُقى نهجُ تلوحُ صواه
4 - هو الحقُّ والهادي إليه محمدٌ ... وجبريلُ عن ربِّ العباد رواه
5 - هواديك آيات الكتاب وإنها ... لتشفى جوىً من يشتكي بجواه
6 - هوائج أشواقي ركائب باكرتْ ... إلى جدث بعد الحياة حواه
7 - [هوائمُ من حرِّ الهجير فلا ترى ... سوى رمضٍ تشوي الرمال شواه]
8 - هوافٍ فمن ظمآن ظمّره الظما ... هناكَ ومن طاوٍ طواه طواه
9 - هويتُ بأكتاف النوى من هوتْ به ... فقرّبه ممن يحبُّ نواه
10 - هوامي دموعي أو هوامي جوانحي ... نَشَرنَ الذي كان العراء طواه

حرف الواو بالتزام القاف ثانياً، واللام قبل حرف الروي

1 - وقفتُ على مدح الرسول قصائدي ... فياليتَ لا آلو فما أقبح الألوا
2 - وقوتي به معمورةٌ وهو لذتي ... وقوتي ومن يسلو إذا أطعم السلوا
3 - وقى اللّه نفسي أن تهيم بغيره ... تدلّي في ماء سوى مائه دلوا
4 - وقعتُ على المعنى اللطيف الذي به ... يُقربني زُلفى ويُرفعني علوا
5 - وقلَّ له نظمي ونثري وأن أرى ... مقيماً حوالي قبره أصف البلوى
6 - وقوفَ محبٌ يشتكي ألم الهوى ... وقلباً قلاه البينُ في ناره قلْوا

---

(7) هذا البيت ما بين المعكفين ذهب به تقطيع الورق، كما أثبت المحقق في (س)

---

3 - صواه: علاماته.
8 - ظمره: أضعفه.
2 - ق - و - وقوتي: أوقاتي والقوت: ما يقتات به.

7 ـ وقائعُ هذا الدهر أهلكت الورى ... وما تركتْ صبراً ولا كيدا خِلوا

8 ـ [وقودُ الأسى أن لا ترى من سماوة ... سمت ونمت إلا غدت في الثرى شلوا]

9 ـ وقيذاً عصاهُ الدهرُ عَضْواً وما عَصَى ... فأودى وأقلى. . . . .

10 ـ وقاراً فإن الدهرَ ألوى مُصمِّماً ... وفي أذنه وقُرٌ لمن يخصم الألوا

حرف لام الألف بالتزام السين ثانياً، ولام الألف قبل حرف الروي

1 ـ لأسمى الورى قدراً وأشمخهم عُلا ... نبيٌّ زكا نفساً وطابَ خِلالا

2 ـ لأسناهم جداً وأكرمهم أباً ... رسولٌ هوى مجداً وحاز جلالا

3 ـ لأسراهم نفساً وأحسنهم حُلا ... كريمٌ بأفق المجد لاح هلالا

4 ـ لأسمحهم كفاً لأكثرهم ندىً ... [غمامُ سقى جوداً ومدَّ ظلالا]

5 ـ لأسعدهم نجماً لأبهرهم سنا ... سراج تجلّى وجهُه وتلالا

6 ـ لإسرائه فوق السموات آيةٌ ... بدت فهدتْ من كانَ ضلَّ ضلالا

7 ـ لأسرار تلك المعجزات عنايةٌ ... بأمته تشفي العطاش زُلالا

8 ـ لأسيافه في الجاحدين تحكُّمٌ ... أباح حمىً من عزّهم وحلالا

9 ـ لإسلام أهل السبق دلّت رقابهم ... فمدّوا سيوفاً نحوهم وإلالا

10 ـ لأسمائه فضلٌ فلم يكُ قبلَه ... مُسمّى بها في سالف الدهر لالا

---

(8) هذا البيت ذهب به تقطيع الورق، كما أثبت المحقق في (س)

(10) ذكر الأستاذ هلال أن هذا البيت في (س) طمست بعض كلماته وحُرّف بعضها الآخر تحريفاً تعذر الاهتداء إلى وجه الصواب فيه أثبتت لفظة (مصمماً) في (س) مرفوعة، والصواب الذي تستقيم معه القراءة ما أثبتناه من النصب على الحالية.

---

9 ـ عصوا: عصاه عصواً ضربه بالعصا وفي العجز كلمتان ساقطتان.

10 ـ وقر ثقل، الألوا: أي الالواء بمعنى أحناء الوادي.

4 ـ عجز البيت المثبت هنا بين المعكفين، ذكر محقق (س) أنه غير مفهوم.

8 ـ حلالا: الحلال بكسر الحاء: مركب من مراكب النساء.

حرف الياء بالتزام الميم ثانياً، وإدغام حرف الروي

1 - يميناً لقد كانتْ وفاةُ محمدٍ ... أسىً لم يدعْ في الأرض من رجفة حيا

2 - يمينُ رسولِ اللّه كانتْ لهم حيا ... فطوبى لمنْ ناجاه بالحسّ أو حيا

3 - يحاربُها منْ كانَ في الأرض مُجدبا ... فما تركتْ في الأرض شعباً ولا حيّا

4 - يميدُ فؤادي حينَ يذكر فقده ... فأدعو له بالصبر هي فلا حيا

5 - يميلُ إليه الشوقُ غصناً ولا ترى ... له من نحول الجسم ظِلاً ولا فيّا

6 - يُمكّن في جسمي الضنا لوفاته ... فيطويه بعد النشر في بُرْدِه طيّا

7 - يُمثّل لي في كلّ شيءٍ فلا أرى ... سواه كأن الشيءَ أصبح لاشيّا

8 - يُمنّي به روحي فينشّقّ ريحُه ... فما أحسنَ المرأى وما أعطر الريّا

9 - يُماطُ الأسى عني بذكر لقائه ... فيبردُ أحشائي ويغدو الظما ريّا

10 - يموتُ فؤادي ثم يحيا بذكره ... ولولا رجاءُ اللّه في القرب ما حيّا

(105)

العشرينيات النبوية اللزومية أو «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى»: [الطويل]

---

10 - كتب في ختام هذه المعشرات في مخطوطة الخزانة الحسنية «انتهت بحمد الله تعالى، وحسن عونه وتوفيقه الجميل وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(105) الوتريات في المعجزات والغزوات خع 2951 د ضمن مجموع من 165 إلى 194. وقصيدة في مدح الرسول «العشرينيات» خع ج 89.

---

3 - الشعب: ما انفرج بين الجبلين.

5 - الفيء: ما كان شمساً فينسخه الظل والجمع أفياء وفيوء.

8 - الرّيا: الريح الطيبة.

9 - يماط: يزال.

1 - إلى محمد[1] أهديتُ غرَّ ثنائي فيا طيبَ إهدائي وحسن ثنائي

2 - أزاهرُ روض تجتني لعطارة وأسلاكُ درٌ تصطفى لصفاء

3 - أكاليلُ من مدحِ النبي محمدٍ بها حازتِ الآدابُ كلَّ بهاء

4 - أضفتُ إلى ميلادهِ غزواتِه وما عنَّ لي من آية وإياء[2]

5 - أحقُّ البرايا بالثناءِ مُضاعفاً نبيٌّ له في الوحي كلُّ ثناء

6 - إمام الهُدى صلّى النبيون خلفه وصلّى عليه أهلُ كلِّ سماء

7 - أمينٌ على الوحي الكريم وإنما هو السرُّ لم يُودَع سوى الأمناء

8 - أضاءتْ به الدنيا فمن نوره سرَى إلى الشمسِ والأقمار كلُّ ضياء

9 - أسرّته تُهدي السرورَ وكفُّه يكفُّ من الأعداء كلَّ عداء

10 - أتانا بقرآن كريمٍ مُفصّلٍ جلا صدأ الأذهان أيَّ جلاءِ

11 - أمانٌ يعم المؤمنين ومنةٌ وحظٌّ جزيلٌ من سنىً وسناء

12 - أيا عتقاء المُصطفى إن حقَّه عظيمٌ فكونوا أكرم العتقاء

13 - أما كنتم من قبله في شقاوةٍ فلولاهُ هلْ كنتمْ من السعداءِ

14 - أترجون في يوم القيامة غيره إذا قيلَ هلْ للناسِ من شفعاء

15 - ألم تعلموا عذر النبيين في غدٍ وقولهم لسنا من الأثراء

16 - إليه يشير ابن البتول إذا رأى ضجيجُ الورى في حيرة وعناء

17 - إشارتُه من قبل ذاك إلى اسمه وكانَ الحواريون في الشهداء

18 - ألا يا رسول اللّه أنتَ ملاذنا وطبُّك مذخور لأعضل داء

---

1 - في ع 2: إلى أحمد.

2 - في ع2 ورثاء.

9 - أسرته خطوط الوجه وغضونه.

10 - جلا: صقل.

11 - السنا غير ممدود الضوء، وبالمد الرفعة والسمو.

16 - ابن البتول سيدنا عيسى عليه السلام.

18 - الملاذ المرجع.

19 - أياديك يا خيرَ الورى عمّت الورى فجازاك ربُّ الناسِ خير جزاء

20 - [ ] [

حرف الباء: في دلائله قبل الولادة والبشارة

1 - بنفسي رسولٌ طاهرُ المجدِ طيّب تنقل من صُلب كريم إلى صلب

2 - به أبرأ اللّه العيونَ من العمى به أبرز اللّه القلوب من الحجب

3 - بشيرٌ لمن لبّى نذيرٌ لمن أبى سراجٌ لذي لحظ دليلٌ لذى لبّ

4 - بشارة عيسى حينَ أُخبرَ باسمه وقال اُرقبوا هذا النبيَّ من العرب

5 - بآية ما يأتي بنورٍ وحكمةٍ ويدعو لورد المشرب العذب بالعضب

6 - بدا أمره للفُرسِ عندَ ولادةٍ فأصبح كسرى ذا انكسار من الرعب

7 - بكى إذ رأى الإيوانَ مرتجساً به ولا حتْ له الآياتُ في الشرق والغرب

8 - بيوتٌ من النيران باتتْ خوامداً وبحرٌ بعيد القعرِ أضحى بلا شرب

9 - بوارق لاحت بعد جَدبٍ فشامها سطيح فنادى حينَ ألقين بالخصب

10 - بنيَّ دنا دينُ النبي الذي له تدينُ ملوكُ الأرض في مأزق الحرب

11 - بواهر أنوارِ النبوّة أشرقتْ بوجهِ أبيه وهو يعْملُ في الترب

12 - براهينُ تخفي الشمسَ عند طلوعها كما خفِيتْ في الشمس سيّارة الشهب

13 - بعثتُ إلى المختار منْ آل هاشم حُلى مِدَحٍ أرجو بها رحمة الرّب

14 - بواسمُ عنْ زُهر المعاني وزَهْرها هي النُور في الأفلاك والنور في القضب

---

18 - أعضل داء أشدُه.

20 - بياض في الأصل.

5 - العضب: السيف القاطع.

8 - بيوت النار التي كان يتخذها أهل فارس للعبادة، وقيل إنها لم تخمد ألف سنة.

9 - جمع بارقة أي السحابة تحمل البرق.
شام الشيء: نظر إليه، وشام السيف سلّه من غمده.
سطيح: كاهن من غسان.

12 - سيارة الشهب: الدراري.

14 - هذا البيت سقط في (ت).

15 ـ بدائعُ تُسبي كلَّ أُفقٍ وروضةٍ — إذا جلبت يوماً وبالحق إن تُسب
16 ـ بما أطلعت مِنْ مدحه في سمائها — وما فَتَحتْ منه على غصنها الرطب
17 ـ بَرذتُ بها قلباً تفور ضلوعُه — وعززتُها بالدمع سكباً على سكب
18 ـ بداراً إلى تخفيف ذَنْبِ حملتُه — لعلَّ إلهي أن يُخفف من ذَنب
19 ـ بمدحي له استشفعت ثم محبتي — أَمالي في مَدحي شفيعٌ وفي حب
20 ـ بلى إنَّ في مدْحِ النبي وسيلةً — وفي حبّه أُخرى فحسبي هما حسبي

حرف التاء: مولده عليه السلام والدلائل والعلامات(*)

1 ـ تعالوا أحدثكم عن الليلة التي — تحلت بنور «المصطفى» وتحلَّت
2 ـ تقدم جبريل فصلى وأقبلت — ملائكة الرحمن فوجاً فصلت
3 ـ ترامت نجوم الأفق فيها وأسرعت — إلى كل شيطان سناناً وألت
4 ـ تساقطت الأصنام فيها فأصبحت — منسلّة في كل حي وحُلت
5 ـ تعجّب منه الناسُ إذ خرَّ ساجداً — وإذ غاب عنهم في غمام أظلّت
6 ـ تعلّل بشراً واستهلّ مُسبحاً — فهلّلت الأفلاك ثم استهلت
7 ـ تبدّى لهم في فطرة نبوية — فأصبح ذكراً منه في كلِّ ملة
8 ـ تعطّرتِ الدنيا به فكأنّها — خمائل حفّت بالأزاهي وطلّت
9 ـ تلألأَت الأنوارُ وانفرجتْ لهمْ — كأن القصورَ البيضَ منهم تدلّت
10 ـ تباشيرُ صبحٍ في مآخر ليلةٍ — واقبالُ بُرء في عقابيلَ علّت
11 ـ تباركَ مَنْ أعطاه ذاتاً كريمةً — وأودَعها سرَّ الكمالِ فجلّت

---

15 ـ تشوق وتورق.

17 ـ تفور: تغلي.

(*) ساقطة في (ع1).

1 ـ «المصطفى» ساقطة في (ع 1).

7 ـ في (ع2) ذكرٌ.

8 ـ الخمائل جمع خميلة وهي الشجرة الذكية الريح.

12 - تناهتْ فروعُ المجدِ نحو محمد فألقتْ إليه سرَّها وتخلّت

13 - تراثبُ هذا الدهرِ من درّ مجده حوالٍ، ولولا مجدُهُ ما تحلّت

14 - تواترتِ الأخبارُ عن مُعجزاته ومعجزةُ القرآن أقوى الأدلة

15 - تحدّاهم بالمعجزات فكذّبوا فلمَّا أثار النقع قالوا استقلت

16 - تقلّد سيْفي مُصحف وصفيحة فدانَ الورى ما بين عزٍّ وذلّة

17 - تذكرتُ ميلادَ النبي محمدٍ فأمللتُه لا بلْ دموعي أملّت

18 - تناسى فؤادي كلَّ حبٍّ بحبّه كذاكَ تُحيل الشمسُ ضوءَ الأهلّة

19 - تمنيتُ في تلكَ المعالِم خطوةً تُسكّن بلبالي وتُبْرد غلّتي

20 - تمائمُ نفسي ذكرهُ فبذكره لها عُوذَةٌ في دهرها حيثُ حلَّت

حرف الثاء: في أخباره بعد الولادة وفي بعثه ﷺ وشرف وكرم(*)

1 - ثنيتُ إلى مدحِ الرسولِ أعنَّتي فأخبارُهُ أروي وعنه أحدِّثُ

2 - ثنائي عليه طاعةٌ وعبادةٌ فعنْ كلِّ فن من معاليه أبحثُ

3 - ثوابي على ربي فحسبي عفوه فكمْ بتُّ ألغو في كلامي وأرفث

4 - ثملتُ بكأس الحبِّ فاسمعْ ترنُّمي ففي ذاك مثنى للنديم ومثلث

5 - ثوى بعدَ موت الوالدين بمكةٍ مع الجدِ ثم العمّ لا أمر يحدث

6 - ثواءَ كريماً لا يدينُ بدينهم ولا بهوى دنياهم يتشبثُ

---

12 - في (ع2) نبينا.

13 - هذا البيت ساقط من (ع2).

15 - النقع في الأصل الغبار، ويريد بها هنا الحرب.

18 - الأهلة: جمع هلال.

19 - البلبال: وسواس الهموم، والغلة العطش.

20 - العوذة: ما يعوذ به الإنسان.

(*) ساقطة من (ع1).

3 - الرفث: الفحيش.

6 - الثواء: المكث.

7 - ثـلاثـيـنَ عـامـاً ثـم زادَ ثـلاثـةً إلى السبعةِ الأولى فأضحى يحدث

8 - ثـبـوتـاً ثـبـوتـاً يـا مـحـمـدُ إنـه أنـا الـحق فـاثـبـت إنـه آن مـبـعـث

9 - ثنايا الهُدى فاطلعْ فهذا كتابنا يُـمـهّـد مـا تـدعـو إلـيـه ويُـدمـث

10 - ثبُوا يا عباد اللّه نحوَ نبيكم سـبـاقـاً إلـى الـمـنـجـا ولا تـتـلـبـثـوا

11 - ثـبـاتـاً وأفـداداً وأوفـوا بـعـهـدكـم فـمـا يـسـتـوي مـوفٍ وآخـر يـنـكـث

12 - ثـقُـوا بـجـزاءِ الـلّـه إن مـصـيـركـم إلـى جـنّـة تـجـلـى ونـار تـورّث

13 - ثمارُ مساعيكم غداً تجتنونها فـتـبـلـون مـنـهـا مـا يـطـيـبُ ويـخـبـث

14 - ثـمـالـكـم ديـنُ الـنـبـي مـحـمـدٍ فـعـضُـوا عـلـيـه بـالـنـواجـذ واخـبـثـوا

15 - ثبُوركم إن تعدلوا عن طريقه فـلا تـعـدلـوا فـهـو الـطـريـق الـمُـديـث

16 - ثرى أرضه طيبٌ فياليتَ أنني أعـفّـر خـدّي فـي ثـراهـا وأمـغَـث

17 - ثراةٌ عظيمٌ أن أعدَّ على الثرى لـيـالـي دمـع مـن جـفـونـي تـنـبـثُ

18 - ثـلاثُ أمـانٍ لـي زيـارةُ قـبـره ورؤيـاهُ فـي نـومـي وفـي يـوم أبـعـثُ

19 - ثكلتُ من الإخوانِ من كانَ قادراً عـلـى رؤيـة الـقـبـر الـشـريـفِ ويـلـبـث

20 - ثـقـيـلٌ عـلـيـه أن يـفـارق أهـلـه ولا بـدَّ مـن هـذا فـحـتـام يـمـكـث

حرف الجيم: في انشقاق القمر والإسراء وجفاء قريش له(ﷺ)

1 - جرينا على أهدى طريق ومنهاج بـنـورِ سـراجٍ لـلـنـبـوءة وهّـاج

2 - جـلا بـانـشـقـاقِ الـبـدرِ آيـةَ ربّـه فصار لهم شطرين في الغسق الداجي

---

9 - يرمث: يلين من الرمث وهو الموضع اللين.

11 - في (ع2) ثبات.

14 - ثمالكم: عمدتكم.

الإخبات: إخلاص الطاعة.

15 - الثبور: الهلاك، والمديث الملين، والديوث من لا غيرة له.

16 - أمغث: أعرك وأمرس.

20 - هذا البيت ساقط من (ع2).

2 - الغسق: الليل، وغسق الليل إذا غاب الشفق.

3 ـ جهاراً وفي الإسراء لاحت سرائرٌ فمن هالك تلك الغداة ومن ناج
4 ـ جلالتُه لاحتْ لكلِّ مقرّبٍ بإسراع جبريل إليه بمعراج
5 ـ جماهيرُ سُكان السماواتِ أقبلوا للقياهُ أفواجاً على إثر أفواج
6 ـ جماعةُ ساداتٍ كموسى وآدمٍ لقوْهُ بترحيب هناك وإبهاج
7 ـ جفته قريشٌ بعد ذلك جفوةً وهمّوا بقتلٍ ثم همُّوا بإخراج
8 ـ جهالةَ قوم جادلوا في نبيهم جدالاً رماهم في جلاد وإدلاج
9 ـ جَنوْا غرسَ أعمال جَنوْها بجهلهم فأزعجهم ضربُ الطُلى أيَّ ازعاج
10 ـ جزى اللّهُ عنا كلَّ خيرٍ محمّداً فلولاهُ لم نمسك بأوضح منهاج
11 ـ جمالُ الورى فخر البرية كلِّها مُفتح بابَ الفضل من بعد إرتاج
12 ـ جَزيلُ الندى جزلُ الخليفة لم يزلْ غِياثاً لمضطرٍ وغيثاً لمحتاج
13 ـ جَبينُ الزمان الطلق أضحى مُكلَّلاً بدرٌ معاليه فيا حسنَ إبلاج
14 ـ جمانُ تولّت قدرةُ اللّه نظمه على تاج تشريف وناهيك من تاج
15 ـ جديرٌ بمدح المادحين محمدٌ ولله إلجامي بذاك وإسراجي
16 ـ جعلتُ على نفسي وظائف مدحهِ فزكيتُ أشعاري بهنَّ وأهزاجي
17 ـ جلوتُ المعاني في القوافي كأنها دراريُّ لاحتْ في مطالع أبراج
18 ـ جوارٍ عليها بزّةٌ عربيةٌ يُقصّرُ عنها كلُّ وشي وديباج
19 ـ جمعتُ لكمْ فيها عيونَ حديثه وأدمجتُها في النظم أعجب إدماج
20 ـ جذبتُ بها حبلَ الرجاءِ لعلّني برؤيته أحظى فإني لها راج

---

8 ـ الجدال في الكلام، والجلاد في السيوف، والإدلاج سير الليل.
9 ـ الطُلى: الأعناق.
10 ـ نمسك: نرفع، والمنهاج الطريق الواضحة.
11 ـ الإرتاج: الإغلاق.
15 ـ من ألجمت الفرس وأسرجته كناية عن العزم والتعلق.
16 ـ الأهازيج من أعاريض الشعر.

حرف الحاء: في هجرته إلى المدينة

وما ظهر له في ذلك من المعجزات عليه أطيب الصلوات

1 ـ حديثُ كما هبَّ النسيمُ صباحا ... فجرَّ على زهرِ الرياض جناحا

2 ـ حدائق روضٍ من حديث محمدٍ ... تخيّرتُ منها نرجساً وأقاحا

3 ـ حكى الناس أن المصطفى بعد عمّه ... رأى من قريش شدةً وجماحا

4 ـ حبا اللّه أبصار المدينة حبّه ... فمدّ له الأيدي هُدىً وفلاحا

5 ـ حدَوْه على السُكنى لديهم فأجمعت ... قريشٌ على أن يقتلوه صُراحا

6 ـ حثا التربَ لما أرصدوا لخروجه ... عليهمْ وهُمْ لا يُبصرون رواحا

7 ـ حوى الغارُ منه سرَّ علم وحكمةٍ ... فأطبق أحناءَ عليه شحاحا

8 ـ حماهُ حمامٌ داجنٌ وعناكبٌ ... نَسَجنَ فصيّرنَ البيوتَ صحاحا

9 ـ حنا نحوه رأسَ الجوادِ سراقةٌ ... فساخت يداه في الطريق فصاحا:

10 ـ حنانيكَ هذي آية فدعا له ... فلاقى فلاحاً بعد ذا ونجاحا

11 ـ حفايةُ جبريلَ به في طريقه ... كفته فلمْ يحملْ هناكَ سلاحا

12 ـ حُداةَ المطايا ـ إن عسفانَ منزلٌ ... تأرج من طيب النبي وفاحا

13 ـ حلالي وردٌ في قُدَيْد فأوردوا ... ولا تتركوا ماءَ هناك قراحا

14 ـ حنيني إلى تلكَ المعاهدِ كلِّها ... يجولُ بقلبي بينهن مَراحا

---

3 ـ الجماح والجموح في الدابة، وهو مستعار في الرجل يركب رأسه.

7 ـ الأحناء: الضلوع.

9 ـ هو سراقة بن مالك بن جعشم الذي خرج ليأسر النبي ويأتي به إلى قريش.

9 ـ ساخت: أي غارت.

11 ـ الحفاية: العناية.

12 ـ الحادي: من يترنم خلف الإبل، أو أمامها ليحثها على السير.

12 ـ عسفان: موضع بشبه الجزيرة.

13 ـ قديد: عد أو ماء هنالك.

15 ـ حمائلُه سارتْ إلى نحو يثربِ فسيروا غدواً نحوها ورواحا

16 ـ حُلولاً بنا في بطنِ ريم وبعدَه برأسِ قُباء لا يريدُ براحا

17 ـ حوائمُ أضحتْ للرسائل معهداً بها طلعَ الدينُ الحنيفُ ولاحا

18 ـ حبسنا بها نبكي المنازل كلَّها ندورُ مساءً حولها وصباحا

19 ـ حفاةً على الآثار نمشي وتارةً نجرُّ على تلكَ المعاهِد راحا

20 ـ حوالىَ ديارِ حالَ فيها محمد فابت برِيّاه رُبىَ وبطاحا

حرف الخاء: في دخوله المدينة ونزوله(ﷺ)
دار أبي أيوب الأنصاري ومؤاخاته بين أصحابه (رضي الله عنهم)

1 ـ خليليَّ إن الهزل بالجد ينسخُ وحكمُ الصّبا بعد الكهولة يفسخ

2 ـ ختمتُ بأمداح النبي محمدٍ هناتي اللواتي كنتُ أملي وأنسخ

3 ـ خذوا سِيَرَ المختار منظومة الحُلى تطيبُ بها أمداحُها وتضمخ

4 ـ خلوق خليق أن يُخصّ بسيد به الدهرُ يبني والخليقةُ تشمخ

5 ـ خروجُ رسول اللّه من أرض مكة تحققُه الأنصارُ فهو مؤرخ

6 ـ خَشَوْا بعض ما يخشى الصديقُ فأصبحوا حيارى وأدنى موقف القوم فرسخ

7 ـ خلتْ لربيع ستةٌ بعد ستّةٍ وجاءهم الحقُ المُبين فبخبخوا

8 ـ خبا كلُّ نورٍ حينَ لاح لنوره وأصبح بغي الكفر وهو مُروخ

---

15 ـ الحمائل: جمع حمولة كالركوبة.

16 ـ بطن ريم: موضع قريب من قباء، وقباء من عوالي المدينة.

20 ـ الرّيا: الرائحة الطيبة.

1 ـ نسخ من النسخ وهو رفع الحكم.

3 ـ التضميخ: التطييب.

4 ـ تشمخ: تكبر وترتفع.

7 ـ بخبخوا: قالوا بخ بخ تعجباً.

8 ـ مروخ: مُليّن مكسور.

9 ـ خَدَتْ ناقةُ المختار مأمورةً به لدارِ أبي أيوب ما إن تنوخ
10 ـ خطتْ خطواتٍ ثم عادتْ مكانَها فألقتْ جراناً في الثرى وهي تنفخ
11 ـ خَسَارُ يهود بان في كفرهم به فليسَ لهمْ في الأرض إلا مويخ
12 ـ خلا ابن سلام فهو أسلم منهم وما زال صدق الحارثيين يرسخ
13 ـ خلوصُ قلوب المؤمنين بدا له فسنَّ التواخي فارتضى بالأخ الأخُ
14 ـ خلالُ رسولِ اللّه كانت أمامهم وكانتْ لغمر الجاهلية تنسخ
15 ـ خلائقُ طابتْ محتداً ثم مولداً فأضحتْ بأخلاق النبوةِ تنضخ
16 ـ خمائلُ زهرٍ من علومٍ وحكمةٍ وجدولُ نهر ماءُ جدواه ينفخ
17 ـ خَديني تجرّد من ذنوبك واغتسل فإنك منْ تلكَ الذنوب موسخ
19 ـ خلاصُك حبُّ المصطفى واتباعه فليس سواهُ في القيامة مَصرخ
20 ـ خفيرٌ كريمٌ ليس يخفز ذمةً به ينجلي روع القلوب ويفرخُ

حرف الدال في غزوة الأبواء

1 ـ دراريُّ في وصف النبي محمدٍ بها يقتدي ساري الظلام فيهتدي
2 ـ دواعٍ إلى التقوى عوادٍ عن الهوى حوالٍ من الذكرى لواح على ا لرد
3 ـ دلائلُ أن صلّى الدليل بمدلج تبدَّى له ما بين نسرٍ وفرقد

---

9 ـ خدت بمعنى أسرعت.
نوخت أي: بركت بنفسها لم ينوخها أحد.
10 ـ الجران: الصدر.
12 ـ هو عبد الله بن سلام لم يسلم غيره من يهود المدينة في ذاك الوقت.
الحارثيون هم الأنصار الأوس والخزرج.
15 ـ المحتد الأصل، وهو يشير هنا إلى الأجذام الكريمة والخلائق المكتسبة.
19 ـ مصرخ: الذي يغيث ويعين.
20 ـ يقال أخفره بمعنى أجاره، وأخفره، إذا لم يف له بعهده، والذمة العهد.
روع القلوب: خوفها.
1 ـ دراري: يقصد الكواكب والنجوم اللوامع.

4 ـ دعُوا ذكرَ سنداذٍ وبابل واسمعوا إلى ذكر أخبار النبي محمد

5 ـ دواءُ الدوا هذا الحديث فإنّه شفاءٌ فواظبْ سمعه وتفقد

6 ـ دواةٌ وقرطاساً ففيه فوائدٌ تضلُّ مع الأيام إن لم تقيّد

7 ـ دعاهم رسولُ اللّه ثاني عامه إلى غزوة الأبواء أول مشهد

8 ـ دعاةً كريما سار فيه بنفسه فوادعَ مخشياً وداعِ ممهدِ

9 ـ دفاعاً وثنيّ بعدها بعُبيدة وحمزة في بعثين لم يتردد

10 ـ دنت بعد هذا من بُواطِ غزاتُه بحومة رضوى قاطعاً كلَّ فدفد

11 ـ دؤوباً على غزو العِدا ثمْ بعدها إلى صُلح حيّ بالعشيرة مُفسد

12 ـ دُجى الكفر يجلى كلَّ يوم بسيفه ويجلو ظلام النقع نور المهنّد

13 ـ دماؤهم ما حانَ بعد سيوفها ولكن بروق اليوم أمطرْن بالغد

14 ـ ديارٌ بَدَتْ منها الشموسُ فأصبحت مطالعَ أنوار تروحُ وتغتدي

15 ـ دوارس من عهد الخليل تجدّدت بأكرم داعٍ للهُدى ومجّدد

16 ـ دليلُ عباد اللّهِ بعدَ صلاحهم وهاديهم نحوَ الطريق المعبّد

17 ـ دعامةُ دين اللّه حبُّ رسولِه فإن تقو أن تزداد من ذاك فازدد

18 ـ دروعٌ من الحُسنى تظاهرُ بينها فتنجو إذا لم ينج غير موحد

19 ـ دراك بمدحِ المصطفى إن مدحَه ليوردُ أهل الصدقِ أكرم مورْد

20 ـ دوامُ الرضى في مدحه فاغنم الرضا تفزْ وتحزْ ما تشتهيه وتسعُدِ

---

4 ـ سنداد: بكسر أوله وسكون ثانيه، وقيل بفتح أوله: نهر بين الحيرة إلى الأبلة وكان عليه قصر تحج إليه العرب.

بابل: مدينة كان موضعها بالعراق واشتهرت بالعظمة وفخامة البناء، وبها الصرح الذي بناه النمرود بن كوس بن حازم، وله ذكر في القرآن الكريم.

10 ـ بواط مكان، ورضوى جبل معروف بشبه الجزيرة وفي (ع 2) مرصد مكان فدفد.

12 ـ دجى: جمع دجية أي الظلمة الحالكة، وهي مستخدمة هنا مجازاً.

15 ـ الخليل: ابراهيم عليه السلام.

حرف الذال في غزوة بدر الأولى

وبعث سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)

1 ـ ذكرتَ فذكّر تجمعُ الفضلَ كلَّه ... فشخْذٌ بلا قطعٍ كقطع بلا شحذِ
2 ـ ذَرِ الخوضَ فيما لا يفيدك وانتبذْ ... فإن كنتَ في ذنْب فأجدر بالنبذ
3 ـ ذخائرُ عندي من مديحِ محمدٍ ... سأفلذُ منها فلتبادرْ إلى فلذ
4 ـ ذبرت حروفاً من عيون حديثه ... فدونك ما تهواهُ من خبر لذّ
5 ـ ذكيٌّ يضوع المسكُ من جنباته ... فيجبذُ أهلَ الحبِّ في ألطف الجبذ
6 ـ ذرا الترب في آثار كرز بن جابر ... إلى أن أتى بدراً وقد فات بالهنذ
7 ـ ذيابٌ أغارت في اختلاس وغرّة ... وراغتْ فأنجاها النجاءُ من الوفذ
8 ـ ذوابلُ سعدٍ في خلالِ غزاته ... بَلَغَن إلى الخرّار في فتية ربذ
9 ـ ذوي نجدةٍ طارُوا ببعث محمدٍ ... سراعاًوآبو دونَ دفعٍ ولا أخذِ
10 ـ ذلاقةُ حَذَّتِ الكفرَ بعدَها ... فيا شقوةَ الأعداءِ بالحدّ والحذ
11 ـ ذنابهم قُذَّت وقُدَّت رؤوسهم ... فدانوا لأمر اللّه بالقدّ والقذ
12 ـ ذؤابةُ عدنان سَمَتْ بمحمدٍ ... وبذّت قريشٌ غيرها أعظم البذ

---

1 ـ الشحذ: السن، ومنه قول الشاعر: أيا حجر حتى متى تسن الحديد ولا تقطع.
3 ـ الفلذة: قطعة من الذهب أو الكبد.
4 ـ الذبر: الكتب، وذبرت أي كتبت.
6 ـ كرز بن جابر صحابي من فهر استشهد يوم فتح مكة.
ـ الهنذ: القطع، والاسراع في القراءة.
7 ـ الوفذ: الضرب.
8 ـ ذوابل :الرماح، وسعد يعني به سعد بن أبي وقاص.
الخرّار: موضع.
11 ـ الذنابى: منبت الذنب.
قدت وقذت: قطعت.
12 ـ الذؤابة: الأعلى، وذؤابة الشرف أو المجد أعلاه.

13 - ذيولُ العُلا للهاشميين أسبغت — بهذا النبي الأمجد الأوحد الفذ

14 - ذراعُ قناةِ المجدِ آلِ محمدٍ — فدَع كلَّ بطن للقبائل أو فخذِ

15 - ذمامهم خيرُ الأذمة في الورى — فإن تحذهم حقَّ الذمام فلا تخذ

16- ذوى كلُّ روضٍ غيرُ روضِ فجارهم — فأعرافهم من كوثر الخُلدِ تستغذ

17 - ذُدِ النفس أن تصغي إلى قول مُرجئ — فَمنْ لم يكُنْ يهدي إلى سنة يَهذي

18 - ذقِ القربَ تشدّد ناجذيك على التقى — فمن كانَ ذا ذوق يُبادر إلى النجذ

19 - ذميلاً [ووخذاً] نحو أرض ترابُها — بُروداً لأجفان غدتْ فقدت تفذ

20 - ذُنوبك خففْ بالصلاةِ تعيُدها — على المصطفى واستجد ربك واستخذ

حرف الراء في بعث عبدالله بن جحش وغزوة بدر الكبرى (1)

1 - رياضٌ من الآداب تبسُم عن زهرِ — وتُجلى من الأمداح في حُلل خضر

2 - رياحينُها ذكرُ النبي وزهرُها — فناهيك من مرأى أنيق ومنْ عطر

3 - ردُوا من حديث المصطفى مورداً روى — فلن تصدُروا إلا رواء من الأجر

4 - رووا أن في بعث ابن جحش بنخلة — رأوا في الأعادي أول القتل والأسر

5 - رعا اللّه وقّادَ الحروب ابن وافد — لقد شبَّ لابن الحضر فيها لظى جمر

6 - رماهُ بسهم خرَّ منه لوجهه — صريعاً وحازَ اثنين بالقهر والقسر

7 - رثى بعضهم من بعد ذاك لبعضهم — وجاءوا حيارى يسألون عن الشهر

أسبغت: طالت.

15 - الذمام: الحرمة وجمعها أذمة.
فلا تخذ: فلا تقطع.

18 - الناجذان: ضرسان في داخل الفم، والنجذ: العض.

19 - ساقطة في (ع1) 2 كذا في النسختين الزميل والوخذ ضربان من السير والبرود: كحل للأجفان.

4 - هو عبد الله بن جحش رضي الله عنه الذي بعثه رسول الله مع ثمانية من الصحابة لاستطلاع أخبار الكفار، ونخلة موضع بين مكة والطائف.

5 - هو عبد الله بن واقد.

7 - يشير إلى شهر رجب الذي قاتل فيه عبد الله بن جحش ومن معه جماعة من الكفار.

8 - رجوا من رسول الله تخفيف ذُعرهم فقام لهم نصُّ التلاوةِ بالعذر
9 - رحى الحرب بعد ذاك دارتْ على العدا ببدرٍ فتمّ البدرُ للناس في بدر
10 - رأتْ ملةُ الإسلام قرةَ عينها بقتل أبي جهل وعقبَة والنضر
11 - رغى فوقهم سقبُ السماء فما عدوا مصارعهم في ذلك البلد القفر
12 - ردت خيلهُم نحو الردَى ولقد أتى عليهم أبو سفيان من أول الأمر
13 - رياسةُ قوم ألّفوا ألف كافر وظنّوا بأنّ القُلَّ يُغلب بالكثر
14 - رسالهُمُ المختارُ فوقَ عريشه وفاضَ عليهم جيشُه فيضة البحر
15 - رسولٌ كريمٌ جاءهم بكتابه فصدُّوا ففاتتهم إلى البيض والسمر
16 - رفيقٌ بأهلِ الدين ذو لطف بهم شديدٌ على أهل الضلالة والكفر
17 - رؤوفٌ رحيمٌ بالعبادِ مُسلّطٌ كذلك نتلو في براءةِ والحشر
18 - رسالتُه ختمٌ لكل رسالةٍ ودعوتُه تبقى إلى آخر الدهر
19 - ربحنا بمدحِ الهاشمي محمدٍ فصلّوا عليه نقسم الربحَ في التجر
20 - رضا الله نرجو في غدٍ بامتداحه ولا غروَ أن تُعطى الجوائز في الشعر

حرف الزاي في الجدل الذي أعطاه (ﷺ) ابن محصن في غزوة بني سليم

1 - زبورٌ بأخبار النبيِّ محمدٍ وآياته اللاتي أقروا لها عجزا
2 - زلالٌ لمن يبغي وروداً على ظما وكنزٌ لمن يهوى على فاقة كنزا
3 - زبرجدُه غصنٌ ولؤلؤه نديِ وياقوتُه ذاك فدونكه نهزا
4 - زُهينا وأُعجبنا بجدل ابن محصن غداة غدا سيفاً يحز الطُلى حزّا

---

8 - وهو قوله تعالى «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير» الآية 217 من سورة البقرة.

13 - وفي مقياس السماء قد يختلف هذا الحكم لقوله تعالى «كم من فئة قليلةٍ غلبت فئة كثيرة بإذن الله» الآية 217 من سورة البقرة.

1 - الزبور: الكتاب.

4 - ابن محصن هو عكاشة بن محصن الغزا يّ، جاء إلى الرسول يوم بدر، وقد انقطع سيفه فأعطاه=

5 - زعـامـتُـه زادت بـآيـات ربّـه فـأبـلـى وأربـى يـوم ذاك عـلـى الـغُـزّا

6 - زواهـر آيـات تـجـلّـت وأعـلـنـتْ بـصـدق رسـولِ الـلّـه مـا رمـزت رمـزا

7 - زوى وجـهَـه عـنـه الـحـسـودُ شـقـاوةً لـيُـخـزى ومـا أولـى الـحـسـود بـأن يُـخـزى

8 - زمـانـةُ جـهـلٍ أقـعـدتـه فـمـا سـعـى عـلـى قـدمٍ بـلْ ظـل يـنـتـظـر الـرجـزا

9 - زَفَتْ ريح ذاك الجيش من بعدِ سبعةٍ تـراب سـلـيـم فـلـتـمـلْ بـهـم بـهـزا

10 - زكـا كـل بـدريّ بـهـا حـيـنَ بـادروا معَ المصطفى لم يشتكوا الضرب والوخزا

11 - زممنا مطايا الشوقِ نحوَ معاهدِ بـهـا ركـزتْ رايـاتـه ركـزا

12 - زحـفـنـا إلـيـهـا بـالـضـمـائـر حِـجْـرة فـياربِّ هـل أغـنـى ضـمـيـري وهـل أجـزا

13 - زيـارتُـهـا حـقٌّ ولـكـنْ تـعـذّرت عـلـيـنـا بـأسـبـاب حُـجـزنـا بـهـا حـجـزا

14 - زمـانٌ مـضـى لـم نـقـضِ مـنـه لـبـانـةً سـوى أنـه يـعـدو ويـحـفـزنـا حـفـزا

15 - زخـارفُ دنـيـا تـشـغـلُ الـمـرءَ بـاطـنـاً فـتـلـبـسـه بـزّاً وتـسـلـبـه بـزًّا

16 - زرابـيُّ جـنـات الـنـعـيـم مُـعـدَّةٌ لـمـن أحـرز الـتـقـوى فـصـارت لـه حـرزا

17 - زفـفـتُ إلـى مـدح الـنـبـيِّ مـحـمـدٍ مـقـاصـر فـكـر تـأنـف الـوشـيَ والـخـزّا

18 - زواهـي بـالـدُّر الـذي فـي نـحـورهـا ولـولا اعـتـزازُ الـدُّرِ مـا زُهـيـت عـزا

19 - زيـادةُ ذكـرى لـيـسَ يـعـدمُ نـفـعـهـا مُـحـبٌ إذا هـزّتـه مـن فـوره اهـتـزّا

20 - زكـاةُ نـصـابِ الـشـعـرِ مـدحُ نـبـيـنـا فـصـلِّ عـلـيـه كـي تـفـوزَ بـمـا تـجـزى

=عليه السلام جدلاً من حطب قائلاً له دونك هذا، فأخذه وهزه فعاد سيفاً طويلاً أبلى به بلاء حسناً في المعركة.

6 - الزواهر: جمع زاهرة أي المضيئة.

8 - في (ع 2) فما عسى.

(9) زفت الريح التراب تزفية إذا أطردته.

11 - ساقطة في النسختين، ولعل الكلام يستقيم بتقدير كلمة.

15 - في (ع2) بالمنى.

16 - في النسختين «جنة» ولا يستقيم الوزن إلا بما ذكره.

(17) مقاصر: الجواري المقصورة والمحجوبة في الخيام.

حرف الطاء في غزوة [السويق وغزوة ذي أمر][1]

1 - طريقُ الهدى حبُّ النبي وآله ... فإن شئتَ أن تحظى بذلك لا تخطا
2 - طلائعُ إشراق الفتى عبراته ... فقم فتبصَّرْ هلْ ترى قادحاً سقطا
3 - طربتم لأخبار الرسول فدونكم ... تقاصير درّ تبهر السلك والسِمطا
4 - طحا بأبي سفيان همٌ سرى به ... على أثر بدر نحو طيبة فانحطا
5 - طروقاً فأردى واحداً وحليفه ... [وحرّق أصواراً][2] وقرَّ فما أبطا
6 - طوى المصطفى في أثره الأرض طالباً ... ففات وقد ألقى السويق وقد مطّا
7 - طغتْ غطفانُ بعدها فطوى لها ... بذي أمرِ شهراً وعاد وما شطا
8 - طما بحرُه فالكفر بين عُبابه ... غريق يروم الشطَّ لو وجد الشطا
9 - طواغيتُهم ذلّت لعزةِ دينه ... فلمْ يبق للطاعون جلاً ولا نشطا
10 - طلوعُ رسولِ اللّه في ذروة العُلا ... أقام لأهلِ الأرض كلِّهم القسطا
11 - طبيبٌ لأدواء الورى يبرىءُ الجوى ... ويُحيي مواتَ الأرض إن سكت القحطا
12 - طويلُ الخُطا والسيف في طلب العُلا ... فيذْركُها مطّاً ويدركُها قطّا
13 - طليقُ المُحيّا والبنان إذا برا ... ترى وجهه بسطاً وأنمله سبطا

---

(1) ما بين المعكفين ساقط في (ع1).
(2) ما بين المعكفين ساقط في (ع2).

---

3 - التقاصير: القلائد.
- السلك الخيط، والسمط معلاق القلادة.
4 - طحا: ذهب.
8 - طما: ارتفع.
2 - عبابه: كثرة مائه وموجه.
12 - مطا: بمعنى أنه يدرك المعالي بسعة الخطو.
13 - سطا: السبط نقيض الجعد، ورجل سبط اليدين سخي.

14 ـ طلاوةُ لفظ تبهرُ الدرَّ في الطُّلى ... فيلقط ذاك اللفظَ من حوله لقطا
15 ـ طرازٌ من الحسن البديع وحلْيةٌ ... على أُذن هذا الدهر يحملها قُرطا
16 ـ طريقُ العُلا مِلكٌ له وتليُده ... فلم يُؤت مخلوق علاه ولم ينطا
17 ـ طبيعته يُسرٌ لكلِ مؤمّل ... فيغضي ويرضى إن ألام أو اشتطا
18 ـ طهارته عُلويّة قدوسيّة ... به طهّر اللّه السلالَة والسبطا
19 ـ طمحتُ بآدابي إلى مدح أحمد ... فأسمعتُه شدواً وأثبته خطّا
20 ـ طلبتُ بشرط الحبِّ حسن جزائه ... كذلكَ من يبغِ الجزا قدّم الشرطا

حرف الظاء في غزوة بني نجران وبني قينقاع

1 ـ ظهرتُ بإملاء المعالي وحفظها ... على كلِّ من يملي المعالي ويحفظ
2 ـ ظفرتُ بما أمّلت من مدحِ سيّد ... تُقرّظُ أسماع الورى اذ يقرظ
3 ـ ظهيرُ عباد اللّه مظهرُ دينه ... بكلِّ سنان غَربُه يتلمظ
4 ـ ظُبا جيشه حفّت بنجران غازياً ... فجلّ به شهرين يُحمي ويُحفظ
5 ـ ظهورٌ على الأعداء ثم غزا إلى ... بني قينقاع ثم خانوا وأغلظوا
6 ـ ظنونُ يهودِ خيبت في امتناعهم ... وكانوا نياماً قبل ذاك فأوقظوا

---

(13) في (ع2) اذ برا.

(16) في (ع2) ولم يمطا.

(1) في (ع2) ورد العجز هكذا «ضليع أغرّ الوجه أرتم ألمظ» ولم يثبت بعد هذا البيت فيها إلا البيتين الأخيرين من هذا الحرف أي أن تسعة أبيات حذفت كاملة من هذه العشرينية.

---

1 ـ ظهرت بمعنى علوت، والمعالي جمع معلاة وهي المكرمة.

2 ـ التقريظ: مدح الإنسان حياً.

3 ـ التلمظ: تحريك اللسان.

5 ـ بنو قينقاع: قبيلة من اليهود كانوا يقيمون في طرف المدينة.

7 ـ ظعائنهم لولا الشفاعةُ أصبحت سبابا وما في القوم من يتلفظ

8 ـ ظباءُ مآقيها من الدمع فُيّضٌ وأسْد تراقيها من الروع فيّظ

9 ـ ظهيرةُ ذاك الجيش أصلتهم لظى فكلُّهم من شدّة اللفحِ يُلفظ

10 ـ ظلالُ أمانِ المصطفى غيّضت بها دموعَ يهودٍ والقنا يتغيظ

11 ـ ظنابيبُها قد حُرّفت في رؤوسها كأعين حيّات عطاش تلظلظ

12 ـ ظلامُ دياجي الكفر زاحَ بنوره فلا عينَ إلا وهي ترنو وتجحظ

13 ـ ظلاماتُ أهل الكفر مرفوعةٌ به فيطلقُ عنهم كلَّ باغ ويلفظ

14 ـ ظُنونُ الركايا كم أماهت بيمنه وكم ظللته السُّحب وهوَ مقيظُ

15 ـ ظِماءُ الورى أضحوا رواءً بجُوده ويُبْسُ نبات الأرض أصبح ينشظ

16 ـ ظواهرُ آياتٍ تقصُ مواعظاً ومن لم يعظْهُ القولُ فالسيف أوعظ

17 ـ ظهور عبادِ اللّه شدت بدينه ويرتعدُ السهُم الصليبُ فيرعظ

18 ـ ظوالع تلكَ الخيلِ صحت فكلُّها ظليعٌ أغرُّ الوجه أرتم ألمظ

19 ـ ظعنت إلى أرض الرسول بخاطم فأحفظت أعدائي وما زلتُ أُحفظ

20 ـ ظللتُ لديها بالضمير وعاقني عن السير أقدار تشق وتبهظ

---

7 ـ ظعائنهم: جمع ظعينة وهي المرأة التي تركب في الهودج.

8 ـ التراقي: جمع ترقوة وهي العظام في أعلى الصدر.

11 ـ الظنابيب: جمع ظنبوب في الأصل مقدم الساق، وهي هنا مسامير الرماح.

ـ تلظظ: تحرك رؤوسها.

14 ـ ظنون الركايا: هي الظنون التي يظن فيها ماء ولا ماء فيها.

15 ـ ينشظ: ينبت.

18 ـ ظوالع: جمع ظالعة والظلع يكون في يد الدابة، وظليع قوي.

19 ـ أحفظت: أغضبت.

20 ـ تبهظ: تغلب وتتعب.

حرف الكاف في (غزوة أحد)(*)

1 ـ كتابٌ بمدح المصطفى فض عن مسكِ ... فـلـلّـه مـن صـكّ تـنـفـس عـن سـك

2 ـ كـمـائـمُ أزهـار، وأصـدافُ لـؤلـؤ ... ومـعْـدنِ تِـبْـرٍ لـيسَ يـنـقـصُ بـالـسـبـك

3 ـ كـلـفـتُ بـمـا أوردت مـن غـزواتـه ... فـهـذّبـتُ مـنـه مـا أحـوك ومـا أحـكـي

4 ـ كلوني لمدح المصطفى وحديثه ... فـكـسـرى وخـاقـان لـفـارس والـتـرك

5 ـ كـريـمٌ أبـى أن يـسـتـعـين بـكـافـرٍ ... عـلـى كـافـرٍ أو يـرميَ الـشـرك بـالـشـرك

6 ـ كـتـائـبُ فـهـرٍ كـلُّـهـا وكـنـانـةُ ... أتـتـه إلـى أحُـدٍ ألـوفٌ أولـو مـحـك

7 ـ كـماة رماها الـمـصـطفى بـكـماتـه ... وكـانـوا مـئـاتٍ بـايـعـوه عـلـى الـهـلـكِ

8 ـ كَفَوْا ما كَفَوْا ثم انثنوا بعد شدّة ... أصـابـتـهـم فـي ذلـك الـموقـف الـضـنـك

9 ـ كـفـى حـزنـاً أن شُـجَّ وجـهُ مـحـمـد ... وأن كـسـرَتْ مـن ثـغـره دُرة الـسـلـك

10 ـ كـأن الـدمَ الـجـاري بـصـفـحـة خـدّه ... عـطـارة ورد فـي عـبـيـر وفـي مـسـك

11 ـ كـبَا وبـكـى الإسلام عـنـد سـقـوطـه ... وبـالـحـق أن يـكـبـو وبـالـحـق إن يـبـك

12 ـ كـفـتـكـة وحـشـي بـحـمـزة عـمّـه ... ووحـشـةُ أهـلِ الأرضِ فـي ذلـك الـفـتـك

13 ـ كـرامـةُ أصـحـاب الـرسـولِ تـبـيّـنـت ... بـأُحـدْ ومُـيـزَ الـصـدقُ فـيـهـا مـن الإفـك

14 ـ كـواكـبُ أفـلاك تـدورُ بـقـطـبـهـا ... كـمـا تـسـبـحُ الـغـرقـى سـريـعـاً إلـى الـفـلـك

(*) هذا العنوان مثبت في (ع1) فحسب.

1 ـ فُضَّ: كُسر وفُرّق.

والسك: ضرب من الطيب.

6 ـ فهر: يعني قريشاً.

ـ أولومحك: أصحاب مما حكة وجدل وخصام.

7 ـ الكماة: جمع كمي وهو الشجاع أو لابس السلاح.

9 ـ شجَّ: شجَّ رأسه يشج: كسره.

10 ـ في (ع 2): عصارة.

15 ـ كفيلٌ بإنقاذ الخليقة في غدٍ نبيُّ كريمٌ إن شكوا فهو المُشك!!
16 ـ كروبهم تُجلى بعز مُقامِه إذا وقفوا في موقف الذل والهتك
17 ـ كثيرُ اللُّهى جم النوافل مُحسنٌ عطوفٌ رؤوفٌ باهرُ الفضل والنسك
18 ـ كمالٌ عظيمٌ ليس للخلق مثله فلا تكُ من ذاك الكمال على شك
19 ـ كَسَاهُ إله العرشِ حَلْى نبوة ونزّهه عن لبسِ أسورة الملك
20 ـ كنوزُ الورى أعمالهم وصلاتهم عليه وخيرُ الكنز ما دام في الملك

حرف اللام في (غزوة حمراء الأسل وبني النضير وذات الرقاع وبدر الأخيرة ودومة الجندل)

1 ـ لواءُ رسولِ اللّه ما دامَ يعتلي ويُجلى به ليلُ الخطوب وينجلي
2 ـ لكرّتة من بعد أحدٍ تفرّقت قريشٌ وكانتْ بين ماضٍ ومقبل
3 ـ لمثواهُ بالحمراء كان انزعاجهم فللّه رأيٌ في نزول بمنزل
4 ـ لحا اللّه أسباط النضير فإنه أتاهم فراموا قتله بالتحيّل
5 ـ لذاك غزاهم غزوة دوختهم كما جاء في نصِّ الكتاب المنزّل
6 ـ له بعدها ذاتُ الرقاع تجمّعت لها غطفان بينَ أعلى وأسفل

---

(15) في (ع2) نبي كريم إن شكو إليه فهو المشكي.
(19) في (ع2) حلو
(1) في (ع2) حرف الميم وهو الصواب.
(1) هذه اللفظة ساقطة في (ع1).

---

15 ـ المشك: رافع الشكية عن الشاكي.
17 ـ اللُّهى: العطايا والرفد، واحدتها لُهْية ولهوة.
3 ـ الحمراء: يعني حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة.
4 ـ أسباط النضير: يشير إلى قبائل النضير من اليهود.

7 - لقوه بنخلٍ فاستعدّ لحربهم ... وصلّى صلاةَ الخوف لم يتعجل
8 - لقد كفَّ عنه ربُّه يد غَوْرة ... عشية سلَّ السيفَ كالمتأمل
9 - لوعدِ أبي سفيان كانت غزاته ... إلى بدر الأخرى ولم يتحول
10 - ليالي حتى كاد عسكر مكةٍ ... ومن بعدها أخرى لدومة جَندَلِ
11 - لهذا النبي المصطفى أذعن الورى ... بتفصيل آيات وضربة فيصل
12 - لخير عباد اللّه فرعاً ومحتداً ... وأكرم مبعوثٍ إليهم ومُرسل
13 - لمن جاءَ والديوان يطوي لختمه ... فنيط اسمه باسم الإله بأول
14 - لمنزلة عُليا، وحق مُقدّم ... يُصلّي على المختار كلُّ مبسمل
15 - لراحته فضلٌ على السحب كلِّها ... بدا لمعُ ذاك العارض المتهلل
16 - لديه يحطُ الآملون رحالَهم ... على خير مرجوّ وخير مؤمل
17 - لُبانةُ هذا الخلق مقضيةٌ غداً ... إذا نودي أشفع يا محمد واْسأل
18 - لدى الحوضِ سقْياً من أحبّك فاسقه ... وهذا جناني من أحبّك يدخُل
19 - لهِجتُ بأمداحِ النبي محمدٍ ... وساعدني فيها مقالي ومقولي
20 - لعلَّ إله الخلق ينفعني بها ... فإن عليه لا عليهم توكلي

حرف الميم في (غزوة الخندق) وما فيها من المعجزات

1 - محمدُ المقصود بالمدح فافهمِ ... وصلِّ عليه كلَّ حين وسَلِّم
2 - مغازيه أُملي ثم آياتُه التي ... تجلّت فجلّت من شموس وأنجم
3 - منحتك منها كلَّ درّ مدحرج ... ولا منْع فاجمع ما منحتك وانظم
4 - مساعي يهود في أذاة محمد ... جنت ثورة الأحزاب من كل مجثم
5 - مضى فأثار المشركين بمكة ... وفي غطفان هودة وابن مشكم
6 - مغالبةً للّهِ واللّهُ غالبٌ ... ومن حاربَ الجيش الإلهي يُهزَم

---

15 - العارض المتهلل: السحاب الممطر.

5 - هودة وابن مشكم: رجلان من اليهود.

7 - مشى الناسُ بالأمر الكريم فخندقوا وأضحى رسولُ اللّه يعملُ فيهم

8 - معاونةً للمسلمين وقد بَدت لهم صخرة أعيتْ على كلّ مسلم

9 - ململمة هالت رجالاً فأمسكوا فلمَّا أتى انهلت ولم تتلوّم

10 - محا الله رسمَ المشركين بعاصفٍ من الريح ما أبقت لهم من مُخيّم

11 - مكارمُ هذا المصطفى نبويّة فما غرَّ قوماً بالنبي المكرّم

12 - مكانته عند الإله عظيمة وآياته تجلو دجى كلِّ مُظلم

13 - من الآي فيها أن دعاهُ لبيته أبو طلحةٍ يوماً لأيسر مطعم

14 - مُعدٌّ لشخص واحدٍ فدعا له ثمانين شخصاً من شباب وهُرّم

15 - مناقبُ مخصوص بآية ربّه صفيٌ نجيٌّ حاضر القلب مُلهم

16 - معانيه زانتْ كلَّ دهر كأنها حُلَى غُرر يُزهى بها كلُّ أدهم

17 - محاسنُه تستغرقُ الحسنَ كلَّه ولا قسم إلا في المُحيّا المقسّم

18 - مواهبُه يُسقى بها كلُّ مُجدب وأرماحُه يُرقى بها كلُّ أرقم

19 - ملاذُ الورى من خالفٍ بعد سالف وفرع وأصل من تقي ومُجرم

20 - متى صحَّ فضلُ السبق لولا محمدٌ لقلنا لعلَّ الفضل للمتقدم

حرف النون (غزوة بني قريظة، ونزول جبريل عليه السلام)

1 - نبيُ الهدى أولى البريّة أن تثنى عليه ولا تقبض عناناً ولا تثنى

---

(9) في (ع2) هامت.

---

7 - خندقوا: أي حفروا الخندق والتزموه.

13 - هو أبو طلحة الأنصاري الذي صنع طعاماً للرسول إكراماً له. فاستدعى الرسول معه جميع من حضر، فدخلوا عشرة عشرة وأكلوا حتى شبعوا، وبقي شيء من الطعام، الذي لم يتجاوز عند الصنع أربعة أمداد من شعير طحنت وخبزت وطهيت.

14 - الهُرَّم: هم الذين بلغوا أقصى الكبر.

1 - تثنى الأولى من الثناء وهو المدح، والأخرى بمعنى القبض.

2 ـ نعيمك في مدح النبي محمدٍ نعم ونعيم النفس والعين والأذن

3 ـ نكا القرظييّون النبي بنكثهم ونصرهم الأحزاب للغل والضغن

4 ـ نهى الناسَ عن وضع السلام نبيهم وأن لا تصلي العصرَ إلا لدى الحصن

5 ـ نزولُ أمين اللّه جبريل حثّه وعُوين جبريلٌ يقيناً بلا ظن

6 ـ نزوا نزوةً لما أتى لقتالهم وسبُّوه والمولى على خلقه يثني

7 ـ نفى قومَهم طولَ الحصار وجاءهم من الخوف ما أنساهم لذة الأمن

8 ـ نحوا بعد هذا أن يكون نزولُهم بأمن فلم يحظوا بأمن ولا مَنّ

9 ـ نضوا عنهم لأم السلام وأقبلوا على حكمه يبقى إذا شاء أو يفني

10 ـ نعتْهم نواعيهم هناكَ فأصبحوا حصيداً كما تغضي على الجفن بالجفن

11 ـ نجاتهم لو وفقوا لم تكن سوى شهادة حقّ يمنها أعظم اليمن

12 ـ نهايةُ ما نرجوهُ رجحانُ وزنها غداً ثمْ عفو الله عن خفة الوزن

13 ـ نذيرُ الورى من ربِّهم وبشيرهم رسولُ له فضلُ على الإنس والجنِّ

14 ـ نصيحٌ لخلق اللّه في كلِّ لفظةٍ وحاشاه من ظنّ يريب ومن ضِنِّ

15 ـ نصيرُ لدين اللّه في كلِّ لحظة وحاشاه من وهي يعيب ومن وهن

16 ـ ندىً وهدىً روح الحياتين فيهما هما النور في الأفلاك والماء في المزن

---

(9) في (ع2) لؤم السلاح. ولأم القتال السلاح واللأمة الدرع.

---

6 ـ نزا ينزو: بمعنى وثب.

ـ إشارة إلى قوله تعالى في مدحه عليه الصلاة والسلام «وإنك لعلي خلق عظيم» الآية4 من سورة القلم.

3 ـ هذا المعنى فيه اقتباس من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى «فأما من ثقلت موازنيه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية» الآية 7 من سورة القارعة.

14 ـ الظن الأولى الشك، والضن بالكسر البخل.

15 ـ الـ سي : الشق والضعف والوهن: الضعف.

17 - نوالٌ لما فاض الأتي ورحمة ... كما مهَّدَ الجاني درا حجرة الابن

18 - نمتْ بركاتُ اللّه من أرضه به ... فلا دخر عن رفدِ ولا منع عن معن

19 - نظمتُ شذوراً من معاني محمدٍ ... وأطلعتها كالزّهر في الغصن اللّذن

20 - نسيمُ صباها كلّما هبَّ عَرفُه ... بذكرِ رسولِ اللّه شاق إلى عدن

حرف الصاد في (غزوة بني لحيان وذي قرد)

1 - صفاتُ رسول لم تُلفَ في شخص ... وهل رئي في شخص كمال بلا نقص

2 - صفيٌّ كريمٌ قرّب اللّه ذاته ... وناجاه يقظاناً مناجاة مُخْتص

3 - صدوقٌ أمينٌ في الكهولةِ والصبا ... تقيٌّ نقيُّ القلب والجسم والقمص

4 - صبورٌ على طولِ الجهادِ محافظٌ ... على البرّ والتقوى جليد على الخمص

5 - صبتْ ريحُه في كلّ حرب فجيشه ... مدى الدهر منصور على كلٍّ مستعص

6 - صفوحٌ عن الجاني عليه وإنما ... عقوبتُه للشخص يجني على الشخص

7 - صدوقُ بني لحيان أوجب غزوهم ... وصُلب خبيث فوق جدع على دعص

---

(18) في (ع2) فلادفر. والدفر بمعنى الرفع.

(1) هذه اللفظة غير مكتوبة في (ع1).

---

17 - الأتي: السيل.

- مهّد: وطأ، والجاني: الأب الحدب.

19 - اللذن: الرطب.

20 - العزف: الريح الطيبة.

3 - القمص: جمع قميص.

4 - الخمص: خلاء البطن وجوعها.

5 - صبت ريحه: هبت.

7 - بنو لحيان من هذيل.

- خبيب هذا هو خبيب بن عدى من بني عمرو بن عوف من الأوس.

- الدعص: الكثيب من الرمل.

8 - صـوافُـنـه عـنّـت لـهـم فـتـمـنّـعـوا فـعـادَ وقـد راغ الـقـنـيـص عـلـى الـشـص

9 - صـواهـلـهُ مـن بـعـدِ ذلـك أوردتْ بـذي قُـرَدَ فـاسـتـنـفـذت خـلـسـة الـلـص

10 - صـوارمُـه لاحـتُ لـعـيـن عُـيـيـنـة فـخـلّـى الـخـلايـا ثـم ولّـى بـلا شـقـص

11 - صـدورُ الـورى مـمـلـوّةٌ وعـيـونـهـم بـذاك الـجـلال الـطـاهـر الـفـرع والأصّ

12 - صـحـائـفُـه مَـجـلـوّةٌ وصـفـيـحُـه فـنـورٌ لـمـن يـصـغـي ونـارٌ لـمـن يـعـصـي

13 - صـبـاحُ ولـكـنْ كـلّـمـا لاحَ نـورُه تـبـيّـن نـقـص الـنـور فـي الأعـيـن الـرمـص

14 - صـراطٌ قـويـمٌ لـلـعـبـادِ مُـعـبِّـد يُـعـوّل ركـب الـعـزم فـيـه عـلـى الـنـص

15 - صـحـابـتُـه سـارُوا بـسـيـرة عـدلـه وسـاروا عـلـى آثـاره سـيـر مـقـتـص

16 - صـيـامٌ قـيـامٌ لا فـتـورٌ ولا ونـى حِراصٌ على العلياء والصدق في الحرص

17 - صرفتُ إلى مدح الرسول وصحبه عـنـانـي فـأثـنـي مـا حـيـيـت ولا أُحـصـي

18 - صـدعـتُ بـحـبـي مـن بـلادٍ بـعـيـدةٍ ورفـرفـتُ فـي وكـري وريـشـي ذو قـص

19 - صـفـوا لـي أوطـان الأحـبـة أبـردوا حـشـاتـي بـعـبّ إن تـمـكـن أو مـصّ

20 - صديت وفي وادي العقيق لبانتي فـمـا غـيـرهُ يُـقـصـي صـدائـي فـيـسـتـقـصـي

حرف الضاد في (غزوة بني المصطلق والحديبية) وما فيهما من المعجزات

1 - ضـلـوعٌ بـحـب الـهـاشـمـي فـوائـضُ ولـمْ لا يـجـيـشُ الـصـدرُ والـصـبـر غـائـض

---

8 - صوافنه: خيله.

- القنيص: الصيد، والشص بالكسر والفتح صنارة الصائد.

9 - ذو قرد: موضع فيه ماء.

11 - الأص: الأصل.

13 - الرمص: جمع رمصاء العين أصابها البياض.

14 - النص: ضرب من السير.

20 - هديت: عطشت، وادي العقيق: وادي المدينة.

1 - يجيش: أي يفور ويغلي، وغاض الماء إذا ذهب في الأرض.

2 - ضمائرُ حبّ في النبي محمدٍ لها ماحضٌ من كلِّ شرب وماحض
3 - ضمختُ بأمداح النبي قصائدي ففاحَتْ بها أعطافها والمآبض
4 - ضممتُ إلى أمداحه غزواته فأوحى بها برقٌ وعرَّضَ عارضُ
5 - ضلاعةُ حيّ من خُزاعة حرّكت إليه رسول الله والحيّ رابض
6 - ضُحى وهُمُ صرعى وفي الملك منهُم حوابلُ لا تدعو فتى ومواخض
7 - ضمانٌ عليه أن تؤوب جيوشه بمصطلقيات فبكرُ وفارض

فصل في أسماء أنسبائه (ﷺ)[1]

8 - ضوامُره من بعد ذاكَ سرتْ به برسم اعتمارِ ثم صدّت عوارض
9 - ضغائنُ أهل الشرك من أهل مكةِ ثنته على صُلح له اللّه ناقض
10 - ضوا نحوه أصحابُه يوم ذلكم على بيعة الرضوان والعزم ناهض
11 - ضحوا وشكوا برحَ الظما فرمى لهم بسهم فغار الماءُ فالحفر فائض
12 - ضروبٌ من الآيات في كلِّ ساعةٍ تلوحُ وما في العالمين معارض
13 - ضياءٌ كما تبدو النجومُ وحُجّةُ تجلّت بها تلك الأمور الغوامضُ
14 - ضرائب هذا المصطفى حُلوةُ الجنا وبعضُ جنا الأشجار حلوٌ وحامض

(1) هذا العنوان غير موجود في (ع2) وهو لا ينطبق على ما جاء في هذه العشرينية.

- غاض الماء إذا ذهب.
2 - ماحض من محض الشيء إذا خلصه.
- والماحض: المخلص في ودّه.
3 - المآبض جمع مأبض وهو الموضع الذي تحت الإبط والركبة.
4 - العارض هو السحاب.
7 - يشير هنا إلى السبايا من بني المصطلق.
8 - الضوامر إشارة إلى الإبل والخيول التي أهزلها الكر والفر في الحرب.
14 - ضرائب جمع ضريبة ويقصد بها الطبيعة والنحيزة.

15 ـ ضحوكٌ جوادٌ فهو كالمزن شيمةً　يسحّ غروب الماءِ والبرق وامض

16 ـ ضعافُ المواشي أصبحت وهي حُفّل　بيمن رسول اللّه والنبت بارض

17 ـ ضفت بركاتُ المصطفى فزمانهم　ربيعٌ وآجامُ الليوث مرابض

18 ـ ضعوني على أرضٍ مشى في عراصها　لعلّي على ترب اللطيمة قابض

19 ـ ضرام اشتياق في الفؤاد محرّك　وصرفُ زمان للجناحين هائض

20 ـ ضجيعا رسول اللّه ثم ابن عمّه　وعثمان أحبابي وضل الروافض

حرف العين في (غزوة خيبر) وما فيها من المعجزات، (وفتح فدك ووادي القر)

1 ـ عجائب آيات النبي بدائعٌ　وأخباره في الخافقين شوائعُ

2 ـ عليك بأن تصغي إليَّ فإنني　أُحدث عن مجدٍ فهل أنت سامع

3 ـ عصى الخيبريّون الرسولَ فجاءهم　فلمْ تغنهم تلك الحصونُ الموانعُ

4 ـ عفى منهم حصن الغموص فناعم　وأقفر حصنُ الصعب فهي بلاقع

5 ـ عنى لِعليّ مَنْ عتا مِن حصونهم　فلا طائرٌ إلا غدا وهو واقع

6 ـ عَرَى جفنه سقمٌ فعوجل برؤه　بنفثته في عينه وهو وادع

---

(10) كذا وردت في المخطوطتين.

---

16 ـ حفل أي غزيرات اللبن، والضرع الحافل المليء .

17 ـ ضفت كثرت وزادت.

ـ الآجام: جمع أجمة وهي الدوحة الملتفة أو غيضة الأسد.

18 ـ العراص هي الساحات. .

ـ اللطيمة، الوعاء الذي يوضع فيه المسك، وكثر الاستعمال حتى سمي المسك لطيمة.

20 ـ الروافض طائفة من الفساق يرفضون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

3 ـ إشارة إلى غزو خيبر التي فتح فيها الرسول الحصون والآطام وأوقع بالكافرين شر وقيعة، وغلبهم على الأرض ثم صالحهم على حقن الدماء.

4 ـ إشارة إلى الحصون التي فتحها عليه الصلاة والسلام

7 ـ عـلا ولـواءُ الـمـصـطـفـى بـيـمـيـنـه فـهبّت عـلـى تـلـك الـحـصـون زعـازع

8 ـ عَدت بعد هذا الفتح زوج ابن مشكم فـجـاءت بـشـاةٍ حـشـوهـا الـسُـم نـاقـع

9 ـ عطا حدةً منها ففاحتْ بسمّها فـألـقـى بـهـا والـلّـه لـلـضُّـرِّ دافـع

10 ـ عَتَتْ فدكٌ حتى درت فتح خيبر فـدانـتْ لـه والـلّـهُ لـلـفـتـح جـامـع

11 ـ عدَتْ خَيْلُه حتى أتت وادي القُرى فـأنـزلـهـم بـالـقـسْـر والـجـيـشُ راجـع

12 ـ عـزائـمُ مـنـصـورِ الـلـواءِ مُـؤيّـدٌ بـراهـيـنُـه مـثـلُ الـسـيـوف قـواطـع

13 ـ عـلامـاتـه مـثـلُ الـنـهـارِ وحـسـبُـه ضـيـاءٌ عـلـيـه لـلـنـبـوءة سـاطـع

14 ـ عفوٌّ وإن لم يبسط العذر مذنبٌ جـوادٌ وإن لـم يـبـسـط الـكـفَ قـانـع

16 ـ عفا يومَ أكل السُمِّ عمن أتى به ولـو شـاءَ لـم يـمـنـعْ من الـقـتـل مـانـع

17 ـ عـزيـزٌ بـتـقـوى اللّه فاللّه طالبٌ وبـالـلّـه مـنـصـور ولـلّـه خـاشـع

18 ـ عـمـادُك فـي دنـيـا وأخـرى مـحـمـدٌ فـفـي هـذه هـادٍ وفـي تـلـك شـافـع

19 ـ عـتـادك تـقـوى الـلّـه ثـمّ اتـبـاعـه وحـمـلـةُ أعـراض الـزمـان ودائـع

20 ـ عـلـيـه صـلاةُ الـلّـه مـاذرَّ شـارق ومـا سـجـعـتْ فـي فـرع أيـكٍ سـواجـع

حرف الغين في (عُمرة القضاء وبعث الأمراء)

1 ـ غـريـت بـأمـداحِ الـنـبـي مـحـمـدٍ فطوبى لـمن ألقى لي السمع أوصغا

2 ـ غـنـيـتُ بـهـا عـن مـدحِ كـلِّ مـمـلـك فـألـفـيـتُ حـال الـعـيـش أهـنـا وأرفـغـا

3 ـ غـلـبـتُ فـحـولَ الشعر لـمّا مـدحـتُـه فكنتُ من الجعدي في المدح أنبغا

4 ـ غلا ولغى من خصَّ بالمدح غيره ومـن يَـغْـلُ فـي مـدح الـنـبـي فـمـا لـغـا

---

7 ـ الزعازع: الرياح الشديدة.

8 ـ هي زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم.

9 ـ عطا: أخذ وحدة أي طرفاً.

10 ـ فدك موضع فتحه الرسول في إحدى الغزوات ثم عاد إلى المدينة.

20 ـ ما ذر شارق: ما طلعت الشمس.

2 ـ العيش الرفيغ الخصيب وهو ذو رفاعة ورفاعية في بلهنية وسعة.

3 ـ يشير هنا إلى النابغة الجعدي الشاعر الجاهلي المشهور.

5 ـ غدوتُ بأخبار الرسول قلوبكم   وصُغتُ لكمْ هذا العطاء المسوغا

6 ـ غرفتُ لكم من ذلكَ البحرِ غرفةً   تكون مع اللفظ البليغ تبلغا

7 ـ غدا المصطفى من بعد خيبر عامداً   لعمرته فضلاً من اللّه أسبغا

8 ـ غزا بعدها أصحابُهُ بعدَ مؤتةٍ   فماتَ من اختار الشهادةَ وابتغى

9 ـ غداةَ نعى المختار زيداً وجعفراً   يليه وعبد الله في تلكم الوغى

10 ـ غرائب لو سارت به الريح لم تكن   تبلغها لكنَّ جبريل بلّغا

11 ـ غيابة أهل الأرض زاحت بنوره   وغطى ضمان الجهل أجفان من طغى

12 ـ غوى كلُّ جبّار فصالَ بعزّه   فلما رأى عزَّ الهدى عالياً ثغا

13 ـ غرارُ حسامِ المصطفى في رقابهم   تريقُ دماً من بغيهم قد تبيغا

14 ـ غياثُ الورى هذا النبي وغيثهم   فما يحرم الرحمن سوى ظالم بغى

15 ـ غمامُ يديه ديمةٌ بعدَ ديمةٍ   إذا ملأ الغيطان عاد فأفرغا

16 ـ غوادٍ سقت أرضاً مواتاً فأصبحتْ   بيمن رسولِ اللّه روضاً مُمتغاً

17 ـ غرائرُ من للفضل فرّغ قلبَه   وفي قالبِ الإحسان والحسن أفرغا

18 ـ غليلُ الورى في الحشر يُشفى بحوضه   فللّه ما أصفى وأحلى وأسوغا

19 ـ غفرتُ ذنوبَ الدهرِ إن زرت طيبة   وعفّرت خدي في ثراها ممرغا

20 ـ غرامي شديدٌ واشتياقي مُبَرحٌ   فياليتني أعطى السبيل فأبلغا

---

8 ـ غزوة مؤته هي التي أمَّر عليها الرسول مولاه زيد بن الحارثة فلما قتل تولى قيادة المسلمين بعده بأمر من الرسول جعفر بن أبي طالب، ثم تولاها بعد استشهاده عبد الله بن رواحه الذي أبلى البلاء الحسن حتى قتل.

11 ـ الغيابة هي ما غطى الإنسان من سحاب أو دخان أو غيرها.

13 ـ تبيغا: أي فار.

15 ـ الغيمة: السحابة، والغيطان جمع غائط وهو المنخفض من الأرض.

16 ـ التمتيغ: السعة والزهو.

19 ـ عفّر خده في التراب: حكه.

حرف الفاء في (فتح مكة) شرفها الله (1)

1 ـ فؤادك بالأشواق نحو محمدٍ ... فدونك فاسمع فتح مكة كي تشفى

2 ـ فنون العُلا في فتح مكة جُمعت ... ومن فتحها لا في العدا كلهم رجفا

3 ـ فراطلحهم قتل الخزاعي بينهم ... ونصر بني بكر ولم يرقبوا حتفا

4 ـ فسارَ رسولُ اللّه بالجيش نحوهم ... وقد ستر اللّهُ المسير وقد أخفى

5 ـ فلمّا بدتْ نيرانُه قالَ قائل: ... خزاعةُ هذا قال صاحبُه أفّا

6 ـ فإن الخزاعيين أحقر في الورى ... وأصغر من أن يملأوا أرضنا رضفا

7 ـ فناداهما العباس ويحكما انجوا ... فهذا رسولُ اللّه بالجيش قد زفّا

8 ـ فأما بُذيلٌ فأنثنى منذراً لهم ... وأما أبو سفيان فانقاد واستعفى

9 ـ فأردفه العباسُ ثم أتى به ... مهيباً يخافُ الذنب أو يرتجي العُرفا

10 ـ فأوسعهُ المختارُ فضلاً ونعمةً ... وأسلمَ لمّا لم يَجدْ دونها صرفا

11 ـ فقامَ به العباسُ والجيش حاضرٌ ... وقد صُفّتِ الفرسان صفّاً يلي صفا

12 ـ فمرَّت به تلك القبائلُ كلُّها ... بأعلامها والأرض قد رجفت رجفا

13 ـ فئاماً فئاماً من سليم وغيرها ... إذا ما مضى ألفٌ رأى بعدَه ألفا

14 ـ فحينَ انقضتْ تلكَ القبائلُ أقبلتْ ... كتيبتُه الخضراءُ قد رصفتْ رصفا

15 ـ فوارسُ خيلٍ كلُّهم قد تدرّعوا ... فلست ترى إلا الحماليق والطرفا

---

(1) في (ع2) حرف الفاء دون بقية العنوان.

---

3 ـ إشارة إلى مقتل الخزاعي على يد بني بكر في الحرم بإعانة قريش.

5 ـ الأف: وسخ الأذن.

6 ـ الرضف: الحجارة المحماة.

5 ـ إيماء إلى العباس بن عبد المطلب.

13 ـ الفئام: الجماعة من الناس وغيرهم.

15 ـ الحماليق: موضع أجفان العيون واللحظ.

16 ـ فقالَ: ومنْ هذا فقيل محمدٌ وأصحابُه فارتاع لما رأى الزحفا

17 ـ فأمّنهُ المختارُ والناسَ كلَّهم وقدّمه بالعفوِ عن كلٍّ من عفا

18 ـ فوافاهم بالأمن ثُم تبادرتْ جيوشُ رسولِ اللّه والجيشُ قد حفّا

19 ـ فعائلُ منصور معانٍ مؤيّد إذا وصفْت آياته فاقت الوصفا

20 ـ فواتحُ ياسين ونون كوافلٌ بأمداحه والشعرُ يأتي بما خفا

حرف القاف في (غزوة حنين ومعجزاته ﷺ)

1 ـ قصيد بما جاءَ الرسولُ مُصدِّقُ يَفُضُّ ختامُ المسكِ منه فيعبقُ

2 ـ قرأتُ على أهل الصفاءِ حديثَه فأصغوا إلى حُسنِ المساق وصدقوا

3 ـ قلوبهم خفاقةٌ عندَ ذكره وأدمعُهم من حبّه تترقرق

4 ـ قوادِم تتلوها خوافٍ بهيظةٌ يحركُها بين الضلوع التشوقُ

5 ـ قَدَحتُ لهمْ زنداً من الشوق وارِياً فنارُ الأسى بين الجوانح تحرق

6 ـ قفا تسمعا مدحَ النبي محمدٍ ويومَ حنين إذ أتى الكفر ينعق

7 ـ قبائلُ من قيس تداعتْ لحربه فسارَ إليه المسلمون وأصفقوا

8 ـ قضى اللّه في وادي حُنين بقلةٍ عليهمْ وجاءَ المشركون فأحدقوا

9 ـ قصاراه أن أهوى إليهم بقبضة من التُرب في أبصارهم فتفرّقوا

10 ـ قليلاً ونادى المصطفى ثم عمُّه فأقبلت الأنصارُ لا تترفق

11 ـ قفولاً كما هبّت من الريحِ عاصفٌ تفرّق أشلاءَ العِدا وتفلّق

12 ـ قفوهم وقد ولّوا سِراعاً وأسرعتْ ملائكةُ الرحمانِ فيهم تمزّق

13 ـ قتالٌ أعزّ اللّهُ فيه نبيّه فأعلامُه بالنصر والفتح تخفق

---

(1) ـ الفض في الأصل الكسر وهو يريد هنا الفتح.

4 ـ القوادم: جمع قادمة من الريش ما ولي منكب الجناح ويقال القدامى والخافية ما دونها.

7 ـ أصفقوا: أي جمعوا جموعهم.

9 ـ قصارى الشيء: غايته. يقال: قصاراك وعناناك وحماءاك: غايتك.

14 ـ قرارُ المعالي كلُّها سيّد الورى فبحرُ الندى من كفّه يتدفّق

15 ـ قصيرُ مدى الألحاظِ في السلم مطرقٌ طويلُ مدى الألفاظ في الحرب مغلق

16 ـ قديرٌ بإمداد الإله مُؤيّد مصيبٌ بإرشاد الإله موفّق

17 ـ قويٌّ على أهلِ الضلالةِ قاهرٌ عطوفٌ على أهلِ الهداية مشفق

18 ـ قريبٌ من الصفا بعيد من الأذى خفيٌّ حييٌّ مُسفر الوجه مشرقٌ

19 ـ قنوعٌ بأدنى القوت في الدهر مؤثرٌ على نفسه بالآملين مُرَهّق

20 ـ قد اختاره الرحمنُ في صلب آدم فليس له ندٌّ منَ الخلق يخلق

حرف السين في (غزوة الطائف وإسلام هوازن)

1 ـ سطُورٌ لها نورٌ أجلُّ من الشمس يفيضُ على الأقلامِ والنفس والطرس

2 ـ سوافرُ عن مدح النبي محمدٍ إذا تُليت فالحسنُ يظهر للحسّ

3 ـ سلاني عن أخباره إنني بها كفيلٌ فأجلوها ولا لبسَ من لبْس

4 ـ سراياه لم أسردْ ولكنْ مغازياً غزاهن فادرس تحرز السردّ بالدرس

5 ـ سما من حُنين غازياً بجيوشه بلادَ ثقيفٍ بعدها هُزمُوا أمس

6 ـ سَرَوْا بين أيدي الخيل فانحصرواله بطائفهم حتى ترحّل كالشمس

7 ـ سبايا حُنين ردّها حين أسلمتْ هوازنُ حتى ليس ينقُص من نفس

8 ـ سجايا كريم واصلٍ متعطفٍ تسحُّ الغوادي من أنامله الخمس

9 ـ سقى اللّهُ أهلَ الأرض عندَ دعائه مراراً وأحْيت كفُّه ميتَ الغرس

10 ـ سحابُ الندى نَجم الهدى علمُ التقى نظامُ العلا فخر الورى سيد الإنس

11 ـ سراجٌ منيرٌ طهّر اللّه ذاته وقدّسها فاختصّ بالطهر والقدس

---

19 ـ المرهق: من كثرت أضيافه.

4 ـ السرايا: جمع سرية وهي الخيل التي تعدو.

5 ـ المغازي: هي الغزوات التي شارك فيها الرسول ﷺ بنفسه.

8 ـ تسحّ: تصبُّ، والغوادي: السحب.

12 ـ سـلـيـلُ كـرام طـيـبـيـن تُـخـيّـروا فلا غمز من خمص ولا نقص من نفس

13 ـ سـنـيٌّ سـريٌّ سـيّـدٌ مـتـواضـعٌ يـواكـلُ مـولاه ويـحـكـم فـي الـلّـبـس

14 ـ سخيٌّ إذا ما المال أصبح عنده فـليسَ يجنُّ الليل منه على فلس

15 ـ سريعٌ إلى العافي وإن كان جائعاً فيؤثرهُ جوداً ويُضحي كما يُمسي

16 ـ سواءٌ لديْه العبدُ والحرُّ إن دعا أجابَ حفيّاً للوليمة والعرس

17 ـ سياستُه سارتْ إليه قلوبُهم فهمْ من رضاهُ في سرورٍ وفي أنس

18 ـ سيادتُه خصّت وعمّتْ فماله نظيرٌ من السادات في النوع والجنس

19 ـ سعادةُ ذاكَ البيتِ تمت ببعثه فأمَّنَ من رجز وطهّر من رجس

20 ـ سلامٌ عليه يومَ يُبعث في غدٍ وفي هذه الدنيا وفي ذلكَ الرمسِ

حرف الشين في (غزوة تبوك) وما فيها من المعجزات

1 ـ شفاءُ أولي الإخلاص ذكرُ محمدٍ فإن شئت أن تشفي صدورهم أفشِ

2 ـ شرابٌ لذيذٌ سائغٌ يبردُ الظما ويبرئ من لذع اشتياق ومن نهش

3 ـ شذاهُ ذكيٌّ ينشُر المَيْتَ نشرهُ وينعشُ منه الروحَ وهو على نعش

4 ـ شغفتُ بأمداحِ النبي محمدٍ فسمعاً لما أملي وسمعاً لما أنشي

5 ـ شفيتك مما تبتغي من حديثه وإنْ لم يكنْ وبلٌ فأكثرُ من طشٍّ

6 ـ شجا العرب غزو المصطفى عام تسعة إلى الروم في محلٍ شديد وفي محشِ

---

12 ـ الغمز بالعين.
الخمص: العيب.

14 ـ أجن الليل: ستر.

15 ـ العافي: من يسأل الناس.

16 ـ الوليمة: طعام الأملاك، والخرس والعقيقة طعام الولادة.

20 ـ الرمس: القبر والجدث.

1 ـ أفش: الحدث: أذعه.

2 ـ النهش: العض بالأضراس.

5 ـ الطش: دون الوبل من المطر.

6 ـ المحش: الإخراق، ومنه محشت الجلد بمعنى أخرقته.

7 ـ شأى حلبة السّباق عثمان إذ غزا وقد هَزَّ جيشاً وحده رابط الجاش

8 ـ شكوا فسقتهمْ في تبوكَ غمامةٌ وفاضتْ لهم عينٌ شفتْ ظمأ الجيش

9 ـ شواهدُ آياتٍ كأخذِ أكيدر وقد قام جنحُ الليل في طلبِ الوحش

10 ـ شيوخُ ثقيف عندَ أوبته أتوْا بإسلامهم قهراً من القهر والبطش

11 ـ شموسُ الهدى في كلِّ أفق تطلعتْ فمنْ ناظرٍ تهدى ومن ناظر تعش

12 ـ شعاعُ ولكنْ للعيون تفاضلٌ فهل يستوي حالُ الأصحاءِ والعُمش؟

13 ـ شفيعُ العباد المذنبين محمدٌ ومنقذُهم والنارُ نحوهم تمشي

14 ـ شفاعتُه تُنجيهم من عذابها إذا ما رَجوْا من شدة الشوه والدهش

15 ـ شمائله بشرٌ وبرٌ ورحمةٌ وما شئتَ من أخلاق ذي لطف هشّ

16 ـ شريعتُه خيْر الشرائع إنها صفاءٌ بلا شوبٍ ونصحٌ بلا غشِ

17 ـ شعارٌ كريمٌ شرّف اللهُ أهله فيغشيهُم من فضله خيرَ ما يغشي

18 ـ شرفنا بدين المصطفى وبحبّه فذلك رقمٌ في الجوانح كالنقش

19 ـ شببنا به والدهرُ محدودب القرى وصرنا من القصر المشيد من الحفش

20 ـ شهدنا بأن الهاشمي محمداً رسولٌ أتاه الوحيُ من عند ذي العرش

---

7 ـ شأى: سبق.

8 ـ لما عطش المسلمون في تبوك دعا رسول الله لهم فاغيثوا بسحابة أمطرت عليهم.

9 ـ هو أكيدر بن عبد الملك الكندي الذي بعثه الرسول إلى خالد بن الوليد.

11 ـ من العشاء: وهو ضعف النظر.

14 ـ الدهش: الانبهار.

16 ـ الشوب: الخلط.

17 ـ الشعار: ما يلي جسد الإنسان من اللباس والجمع أشعرة.

19 ـ محدودب: منحني.

ـ الحفش: البيت الصغير.

حرف الهاء في (حجة أبي بكر بالناس وتوجيهه علياً بسورة براءة يقرؤها على الموسم ووفود العرب وحجة الوداع)

1 ـ هلُمّوا ففي مدح النبيِّ تنزُّهُ وفيه لعطشان الفؤاد ترفُّه

2 ـ هيامُ الفتى يشفي بورد زلاله فينقع من ذاك الغليل وينقه

3 ـ هلا إن عندي روضةً أدبيةً وآنيةً فيها شراب مفوّه

4 ـ هديتُ بأخبار الرسول حمامةً ولاغروَ أن يحكي الحمامُ المدلَّهُ

5 ـ هديُ أبي بكر أتى عام تسعة إلى مكة وهو الأميرُ المنوّه

6 ـ هنالكَ أقراهم عليُّ براءةً فأسمعهم وهو الخطيب المفوّه

7 ـ هَفَتْ عند نبذ العهدِ أفئدةُ العدا فطاروا وكانوا نوّماً فتنبّهوا

8 ـ هدى اللّهُ أهل الأرض طراً فأقبلت إليه وفودُ العربُ لم يبق مدره

9 ـ هو الوعدُ نصرُ الله والفتحُ أقبلا لينفذ حُكم كان في الوعد يُفْقَهُ

10 ـ همتْ أدمعي لما تذكرّت حجةً دنتْ لرسول اللّه فالجفن أمره

11 ـ هي الحجةُ الكبرى أتاها مودّعاً وقد كَمُلت عشر وحان التوجّه

12 ـ هراقت لها تلك المعالمُ أدمعاً وأمستْ على آثاره تتأوّه

13 ـ هوى العلمُ السامي فلا أمر في منىً بل الخوفُ عند الخيف والأرض مهمه

---

1 ـ الترفه: ورود الماء في كل يوم.

2 ـ الهيام: حرة العطاش، وينقع يروي.

2 ـ الغليل: العطش، وينقه يبرأ ويشفي.

3 ـ المفوّه: أي فيه الطيب.

5 ـ الهَدي: ما يهدى إلى الكعبة.

6 ـ المفوه: الخطيب المصقع الفصيح.

8 ـ المدرة: رأس القوم وسيدهم.

10 ـ همت: سالت، وأمره: الشراب لاسواد فيه.

12 ـ هراقت: أراقت.

14 ـ همومُ الورى من بعد تسعين ليلةً ألـمّـت بـأصـحـاب الـتـألُّـه ولّـه

15 ـ همُوا عرفُوا قدرَ النبي وحقّه وهـمْ نـقـلُـوا أحـكـامَـه وتـفـقّـهـوا

16 ـ هُدوا فهدوا بالناس تحت لوائهم فـمـا ضـلَّ إلا أعـمَـهُ الـقـلـب أكـمـه

17 ـ هـضـابٌ سقـتـهـا ديـمـةُ نـبـويـةٌ فـفـيـهـا جـنـى لـلـمـنـضـوي وتـنـزّهُ

18 ـ هـبـاتُ رسـولِ الـلّـه غُـرٌّ جـلـيـلـةٌ وهـلْ لـرسـول الـلّـه فـي الـخـلـق مُـشْـبـه

19 ـ هُمُول بنان تُدهش السحبَ حيرةً إذا شـهـدتْ مـنـهـا الـهـمـولُ وتـشـده

20 ـ هـلالٌ تـبـدّى ثـم أقـمـر لـلـورى وأبـدر لـكـنْ عـن سـرارِ يُـنـزّهُ

حرف الواو في وفاته (ﷺ)

1 ـ ولـمـا أراد الـلّـهُ إنـفـاذ حـكـمـه وآن لـمـنـشـور الـرسـالـة أن يـطـوى

2 ـ وحانتْ وفاةُ المصطفى بعدما وفى بـمـا سـمـعـتْ أذنـاه فـي لـيـلـة الـنـجـوى

3 ـ وقـد طـبّـق الـدنـيـا بـدعـوة ربّـه وبـلّـغـهـا حـتـى إلـى الـغـايـة الـقـصـوى

4 ـ وأربى على الستين فازداد أربعاً وقـيـل ثـلاثٌ وهـو أحـسـن مـا يـروى

5 ـ وخُـيّـر فـاخـتـار الـوفـادة مُـسْـرعـاً عـلـى الـلّـه لـم يـخْـتـر مـتـاعـاً ولا مـثـوى

6 ـ وهى عُمدُ الصبْر الجميل لموته فـلا أدمـع تـرقـى ولا أضـلُـع تـروى

7 ـ وري كـلُّ زنـد حـيـنَ واراه قـبـره فـصـرّح مـن روّى وبـاح بـمـا روّى

8 ـ وفى بعهودِ المصطفى كلُّ مؤمنٍ ومـن لاذَ بـالـتـقـوى وبـالـسـبـب الأقـوى

9 ـ وقـى الـلّـه أعـلام الـهُـدى كـلَّ فـتـنـة فـمـا اجـتـمـعـوا إلا عـلـى الـبـرّ والـتـقـوى

10 ـ وفـاةُ رسـولِ الـلّـه أوهـتْ قـواهـم غـداة غـدا ربـعُ الـنـبـوّة قـد أقـوى

11 ـ وداعُ رسـول الـلّـه أودعـهـم جـوىً فـكـلُّـهـم يـبـكـي ويـعـلـنُ بـالـشـكـوى

12 ـ ولا غروَ أن يبكوا عليه وقد بكتْ مـلائـكـةُ الـرحـمـانْ كـلُّـهـم شَـجْـوَا

---

14 ـ يشير إلى أنه كان بين حجة الرسول ووفاته تسعون ليلة.

ـ أصحاب التأله: أصحاب التعبد والتحنث.

16 ـ الأكمه: من ولد أعمى.

19 ـ الهمول: السيلان

20 ـ سرار الهلال: استتاره في أواخر الشهر.

13 - وقوفاً يهيلون الترابَ برحمةٍ ويدعونَ والرضوانُ قد سبق الدعوى

14. وداداً وحبّاً في رسول تشوّفت إليه عيونُ الحورِ في جنة المأوى

15 - وليٌّ صفيٌّ شرّف اللّه قدره فأودعه العليا ورفّعهُ عُلوا

16 - وفيٌّ حييٌّ وجههُ روضةُ الرضا كريمٌ رحيمٌ كفُّه جدولُ الجدوى

17 - وصولٌ عطوفٌ الحق للناسِ رحمةٌ وقلّدهم منّاً وطوقهم عفوا

18 - وهوبٌ فما تَسْلَون إلا بمنةٍ فقد عرفوا من أجله المنَّ والسلوى

19 - وسيلةُ هذا الخلق حبُّ محمدٍ فمنْ يكُ ظمآنَ دلى معهم دلوا

20 - وددتُ ولو أحيا بما قد وددْته أتيتُ إلى قبر الرسول ولو حبوا

[ ](*)

1 - لآلى من سجع ودمعٍ تكفّلا بندبة ندبِ من حلى مجده العلا

2 - لأجلِ وفاةِ المُصطفى فاضَ مدمعٌ ومدّ رثائي من دموعي جدولا

3 - لآن لنفسي أن تفيظ صبابةً إذا ذكرتُ تلك الشمائل والحلا

4 - لأحمد خير العالمينَ محامدٌ بها خُصَّ بين المرسلين وفُضلا

5. لأسمائه من أحرف الحمدِ بنيةٌ فقل افعلا أو فاعلاً أو مُفعّلا

6 - لأفعاله تصريفُ علم وحكمةٍ وما اعتلّ فعلٌ من علاه بل اعتلا

7 - لأعلامهِ في الكتبِ ذكرٌ مُنزّل أتى مُجْملاً في بعضها ومُفصلا

8 - لآياته نورٌ من الحقِ ساطعٌ هو النصُّ لا تبغي لديه تأوّلا

9 - لإتيانه بالمعجزاتِ عجائبٌ وأخباره عما يكونُ وما خلا

10 - لإدراكه ما في الدراسة كلِّها وما خطَ في القرطاس حرفاً وما تلا

11 - لإحرازهِ آمادَ كلٍّ فضيلة من العلمِ والآداب في عرب الفلا

(*) لم يثبت عنوان العشرينية اللامية في (ع١) و(ع٢) بعده يثبت الهامش ١٩ - ٢٠ .

19 - دلى دلواً وأدلاه: أنزله في البئر.

20 - أحيا: من الحيا وهو العطية والرفد.

1 - السجع: الكلام المفصل المقفى.

11 - إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام حاز رفيع العلم والأدب مع أنه نشأ في البادية.

12 ـ لأوجب مَنْ يرثى ويبْكي لفقده نـبـيٌّ لإرشـاد الـبـريّـة أرسـلا
13 ـ لأجدر من تهدى المدائح نحوَه هـلالٌ بـأنـوار الـنـبـوءة أكـمـلا
14 ـ لأولى عباد اللّه بالحمد أحمدُ لـكـثـرة مـا أولـى ووالـى ومـا ائـتـلا
15 ـ لأي مُصابٍ يُذخرُ الدمعُ بعدَه أما جُمعت فيه المصائبُ قل: بلى
16 ـ لأسعد أهلِ الأرض منْ زار قبره فسلّم من قرب وصلّى مع الملا
17 ـ لأحظاهم بالقرب من مَسَّ جلدُه ثراه فأضحى في الضريحِ مقبّلا
18 ـ لأنتَ الذي أخلدت يا نفس دونهم فقومي فلم تعطِ الخلودَ فتمهلا
19 ـ لأبت ولم يألُ النذيرُ فكمْ عسى أناديك في ناديك: ويك هلا هلا
20 ـ لأخترقن البيد نحوَ محمدٍ إذا أذن اللّه الكريمُ وسهّلا

[حرف الياء في رثائه أيضاً ﷺ](*)

1 ـ يقرُّ بعيني أن أرى أرض طيبة وذلكَ أقصى ما أحبُّ من الدنيا
2 ـ يَحِنُّ فؤادي كلّما حنَّ راكبٌ ففاحت على أزراره تلكم الريّا
3 ـ يُحركني برقُ الحجاز إذا سَرَى فأدعو لأوطان الأحبّة بالسقيا
4 ـ يقاودُ قلبي من وفاةِ محمدٍ بتاريخ أشجانٍ ترى في الحشا وريا
5 ـ يميناً لقدْ حنّت غداة وفاته جبالُ حنين حينَ أسمعت النعيا
6 ـ يلملمُ ملموم ويدبلُ دابلٌ ورضوى بحزنِ الحزن لا يرتضي بقيا
7 ـ ينادي ثبيرُ بالثبورِ تأسفاً ويعيا حِراءٌ وهو أحرى بأن يعيا
8 ـ يمينُ رسول اللّه كانتْ غمامة تفيض على الدنيا فتحسُبها ريّا
9 ـ يدٌ ما بَدتْ إلا لتنزيل رحمةٍ وتفريج كرْبٍ فالأنام بها يحيا

(*) غير مثبت في (ع1).

14 ـ وما ائتلا: ما قصّر.

16 ـ الملأ: الجمع وجمعه أملأ.

20 ـ البيد: القفار والصحارى.

6 ـ يلملم: اسم جبل وهو من المواقيت، وملموم: به لمم أي جنون بديل ورضوى: جبلان، ومثلهما ثبير بعدهما.

10 - يسارُ الورى ما كانَ لولا يمينُه ولولا نوالُ البحر لم يلبسوا حلْيا
11 - يواقيتُ أسماط الكلامِ كلامُه هو المنطقُ العلوي واللغة العليا
12 - يقرّطُ أسماع الأنام بحلْيه فكلُّهم تَستعْذبُ الأمر والنهيا
13 - يحيّي فيستحيي ولم يرَ منظراً بأحسنَ من وجه الحبيب إذا استحيا
14 - يبوئي من يلقى جنانَ قبوله ويَسْقيه منْ معسولِ ألفاظه أريا
15 - يُلاقيه بالبشرى ويأتيه بالقرى ويُسمعه الذكرى ويُقرئه الوحيا
16 - يحقُ لأهل الأرض أن يجعلو البكا عليه شعاراً والسراء لهم رأيا
17 - يدُ الدهرِ ما ناحتْ حمامةُ أيكةٍ تزيّتْ بطوقٍ ما تزيد به زيّا
18 - يودُّ المُعنَّى أن يعاينَ طيْبةً ويقضى لهُ فيها المماتُ أو المحيا
19 - يموتُ بعهدٍ أو يعيشُ بغبطةٍ ففي كلِّ حالٍ منهما نحمدُ السعيا
20 - يقينٌ لعلَّ اللّه ينفعني به فيبلغ ما يهوى إلى الغاية القصيا

الشعر التعليمي المعرفي

(106)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(*) [الرجز]:

1 - حمدُ الإلهِ واجبٌ لذاته وشكرُه على عُلا هِباته

(*) كتب في النسخة (م) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله: قال مالك بن عبد الرحمن ابن علي عبد الرحمن بن المرحل المالقي أبو الحكم، نزيل سبتة. بالمغرب، ناظماً فصيح ثعلب الذي قال في أوله: قال أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب - رحمه الله تعالى - هذا الكتاب اختار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم، فيه ما فيه لغة واحدة، والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان أو ثلاث، أو أكثر فاخترنا أفصحه، ومنه ما فيه لغتان. ثم وردت المصطلحات المتبعة في المخطوط «تنبيه الإشارة في هذا الكتاب بفص إلى نص فصيح ثعلب، وبتل إلى شرحه التلويح، والإشارة بس إلى لسان العرب، وبق إلى القاموس، قال الناظم» ثم أورد أبيات الموطأة.

2 - نحمدُه سبحانه ونشكرُهْ ... ومن ذنوبٍ سلَفَتْ نستغفرُهْ

3 - ثم نوالي أفضلِ الصلاةِ ... على الرسولِ الطاهرِ الصفاتِ

4 - محمدِ ذي الكلم الفصيحِ ... والفضلِ والتقديسِ والتسبيحِ

5 - صلّى عليه ربُنا وسلّما ... كما هَدَى بنوره وَسلّما

6 - وبعد هذا ما جرى في خاطري ... من غير رأي نادبٍ أو آمرِ

7 - أن أنظم الفصيحَ في سلوكِ ... من رجزٍ مُهذب مسبوكِ

9 - من غير أن أعدو وذاك المعنى ... واللفظ إلا لاضطرارِ عَنّا

10 - فالمرءُ قد تنتابه الضرورهْ ... فتصبح النفسُ بها مقهورهْ

11 - رجوتُ فيه من إلهي الأجرا ... والذكرَ في عباده والشكرا

12 - والآن حين أبتدىء في القول ... والحمدُ للّه العظيم الطولِ

باب فعَلت بفتح العين

13 - قالَ نما المالُ بمعنى كثُرا ... ينمي نُمياً إن أردتَ المصدرا

14 - وقد ذوى العودُ بمعنى ذَبلاَ ... أيْ: يَذوَى إن تُرد مستقبلا

15 - وقد غَوىَ الإنسان تَغْوي يا فتى ... أيْ: ضلَّ والشاهدُ فيه قد أتى

16 - من يلق خيراً حاز حمداً دائماً ... ومن غوى لا يعدمنَّ لائما

17 - يقوله ربيعةُ المرقشْ ... وشعره مُنمّقٌ مرقَّش

18 - وفسد المرءُ كذاك يفسُد ... كقولهم: رفَدَ فهو يرفُد

---

5 - في مخط (ص) الله.

6 - في مخط (ص) قد جرى.

8 - في (م) تعبيره، وفي (ص) تقريره

10 - في (نص) فالشعر.

11 - في (ص) رجوت من الهي فيه الأجرا والشكر من عباده والذكرا.

12 - في (ص) والآن فلنرسل عنان القول. بقدرة الله العظيم الطول.

16 - في (م) من ينو.

18 - في (ص) وفسد الشيء.

19 - وقد عسيتُ أيْ: رجوتْ فاعرف ... ولا تقل: يفعل لا تصرّف

20 - أيْ: لا تقل يَعْسى ولا ذا عاس ... إن المساءَ مانعُ القياس

21 - ودمعتْ عيني وأمّا تدمع ... فافتحه لكن ضمُه لا يُمنع

22 - وقد رعفتُ: سالَ من أنفي دمُ ... وأصلُه في اللغةِ التقدّم

23 - أرعُفُ في استقباله وأرعَف ... بالضم والفتح كذاك يُعرف

24 - وقد عثرتُ وهو العثار ... وقد نفرتُ وهو النفار

25 - والنفر والنفور وهو ينفرُ ... بالكسر والضم كذاك يعثر

26 - وشتم الإنسان وهو يشتِم ... بالكسر أعلى والقليل يشتُم

27 - ونعسَ الانسان فهو ينعُس ... بالضم فيه ويقال ينعَس

28 - قالَ، ولا يُقال فيه نعسان ... كما يُقال في النظير وسنان

29 - ولغب الإنسان فهو يلغُب ... بالضم والفتح بمعنى: يتعبُ

30 - وقد ذهلتُ عنه أيْ: شُغلت ... وقيلَ: قد نسيتُ أو غفلتُ

31 - أذهَلَ في استقباله بالفتح ... وهو الذهولُ فادره بشرح

32 - وقد غبطتُ المرءَ في أحواله ... أغبِطه بالكسر في استقباله

33 - أعْني تمنيتُ لنفسي مثلما ... له ولا يُسلبُ تلك النعما

34 - وخمدت نارُك فهي تخمُد ... وغيرُها كالحرب أو ما يوقد

35 - وعَجّزَ الإنسان فهوَ يَعْجَز ... والمصدرُ العُجز كذاكَ العجز

36 - وقد حَرِصْتُ أيْ: طلبت اجتهد ... أحرص بالكسر وبالضم وجد

37 - وقد نقمتُ يا فتى فِعْلَي أيْ ... أنكرته تنقمه أنتَ عليْ

38 - وغَدرَ الإنسان فهو الغدر ... يَغْدِر لا يقال إلا الكسرُ

---

26 - في (م) بكسره، وقد يقال يشتم وفي (ص) تكسره.

27 - في (م) منه.

30 - في (ص) و (م) عنك.

31 - في (ص) بالشرح.

36 - في (ص) تحرص.

39 ـ وقد عمدتُ أيْ قصدتُ فأنا ... أعمَدَ أيْ أقصد ذاكَ السننا
40 ـ وهَلَكَ الإنسان فَهْوَ يَهْلِك ... كقولهم مَلك فهو يملك
41 ـ وقد عَطَسْتُ والعُطاس بيِّن ... أعطِسُ أو أعطُس كلٌّ حسن
42 ـ ونطح الكبشُ وكبشٌ ينطح ... تكسُره طوراً وطوراً تفتح
43 ـ وقد نحتُّ العود أيْ قشرته ... أنحَتُه والفتح ما أنكرته
44 ـ وجفَّ هذا الثوبُ من بعد البللْ ... يَجُفُ، والرّطب كذاك يا رجل
45 ـ وقد نكَلت عنه أيْ رجعت ... أنكُل بالضمِّ كذا سمعت
46 ـ وقد كَلَلْتُ وحسامي كَلاً ... وبصري كلٌّ فماذا حلاً
47 ـ فلي الكلالُ والكلولُ لهُما ... والكَلُّ والكلّة أيضاً فيهما
48 ـ وقد سَبَحْتُ في المياه أسْبَحُ ... أيْ عُمت والمعربُ منه يُفْتحُ
49 ـ وشَحَب اللون إذا تغيّرا ... من جوع أو من مرض قد اعترى
50 ـ وسَهَمَ الوجهُ كذاك يَسْهَم ... معَ عبُوس ويقال يَسْهم
51 ـ وَوَلغ الكلبُ وكلبٌ والغٌ ... في مائع أو في إناء فارغ
52 ـ أدخل في باطنه لسانه ... كذا سَمعْت فاستفد بيانه
53 ـ وقيل في المائع أيضاً وحدَه ... وما أتى من ذاك لا ترده
54 ـ ويلغ الكلبُ هو الفصيح ... فافهم هُديتَ فهو الصحيحُ
55 ـ ويولغُ الكلبُ وكلُّ فِعْلِ ... نقلته، فراجع للأصلِ
56 ـ وينشد البيت الذي يضاف ... إلى أبي قيس، ولهم خلافُ
57 ـ يصفُ شبلين وأمّا مرضعاً ... تغريهما بالدم واللحم معا
58 ـ ما مرَّ من يوم يقول إلاً ... عندهما لحْمُ رجال قتلى

---

43 ـ ساقطة في (ص)

51 ـ في (ص) أو غيره.

52 ـ في (م) فاستمع.

57 ـ في (ص) و(م) تضربهما.

59 - أو يـلـغـان دم قـوم آخـريـن		فاللحم في غيلهما في كل حين
60 - وأجـنَ الـمـاء ومـاءٌ آجـن		وأسـنَ الـمـاء ومـاء آسـنُ
61 - معناهما تغيّر في الطعم		واللون والريح فقل بعلم
62 - وقُلْ من الفعلين في استقبالِ		يَفْعل أو يفعل لا تبالي
63 - وقد غَلَتْ قِدرُك فهي تَغْلي		وقد غثت نفسك فهي تَغْثَي
64 - وغثيها بأن يجيش قيُّها		أو تخبث النفس فذاك غيها
65 - وكسب المال الفتى يكسبُه		والكسْبُ بالفتح كذا أغْلُبُه
66 - وربض الكلب ربوضاً أي رقدْ		يَرْبِضُ بالكسر كذا قيل فقدْ
67 - وربط الإنسان شيئاً يربط		بكسره وقد يقال يرْبُط
68 - ونحلَ الجسمُ وجسمٌ ناحلُ		وقحَلَ الجلدُ وجلدُ قاحلُ
69 - والقاحلُ اليابسُ والمضارعُ		بالفتح في فعليهما يا سامع

باب فَعِلتُ بكسر العين

70 - قد قضمَتْ شعيرَها الحميرُ		إن أكلتْ وأكلُها يسيرُ
71 - وأصلُ ذاكَ الأكل بالمقدّم		بالشفتين وبأسنان الفَمِ
72 - والخضم أكل الشيء بالأضراس		والفم أجمعَ كأكل الناس
73 - وقد بلعتُ وسرطتُ مثلُه		لكنّه فيما يليق أكلهُ
74 - وقد زردتُ مثله في سرعةْ		وقد لقمتُ لست تعني بلعةْ
75 - وقد جرِعتُ جرعةً من ماءِ		شربتها كذاك في الصفاء
76 - وقد عضضتُ أيْ شددتُ بفم		أو بيدي أو بسواها فاعلم

---

59 - في (م) و(ص) أو يولغان.

67 - في (ص) تكسره.

70 - في (م). (ص) أي

73 - في (ص) يلين.

75 - في (ص) و(م) بلغتها وفي (ص) الرواء.

77 ـ وقد مسَستُ وهو لمسُ باليد وقد شممتُ ريحه من بعد

78 ـ وقد غَصِصتُ فأنا أغَصُّ وقد مَصِصتُ فأنا أمصّ

79 ـ وغَصصُ الحلق كمثلِ الشرق لكنَّه في كلِّ شيء فشق

80 ـ والمصُّ جذبُ الشفتين المائعا وربما كنتَ لصوتِ سامعا

81 ـ وقد سففتُ بفمي دواءَ ثم سويقاً إن تشا أو ماءَ

82 ـ وقد زكنت أيْ ظننتُ ظنا وقيل خمّنتُ وقيل المعنى

83 ـ علمت ثم أنشدوا يا صاحبي بيتاً رووه لا يراع صاحبي

84 ـ يقولُ في قوم تسلّى بعدهمْ ولن يراجع الفؤاد ودّهمْ

85 ـ زكنتُ من أمرهم ما زكنوا فأمرهم لي واضح وبيّنُ

86 ـ ونَهِكَ الجسمَ السقامُ أهزله أضعفه سقامه وأنحله

87 ـ وانْهكْه بالعقاب أيْ بالغ في عقابه حتى يرى ذا ضُعف

88 ـ وقد برئتُ وبرأتُ أبرأُ بُرءاً من السقم فعمري يُنسأ

89 ـ وقد بريتُ قلمي وقدحي برياً وليس الباب باب الفتح

90 ـ وقد برئتُ منه أو إليه براءةً ظاهرة لديهِ

91 ـ وقد ضَنِنْتُ أيْ بخلتُ بخلا والأمر إن عمَّ فقل قد شملا

92 ـ ودهمتهم خيلُنا أيْ كثُرتْ عليهم، وفجئت وانتشرتْ

93 ـ وشلّت اليدُ ومعنى الشلل تقابض الكفِّ ببعض العللِ

94 ـ ونفدَ الشيء بمعنى فنيا وقد لججتَ يا فتى تأبيا

83 ـ في (ص) لابن أم.

85 ـ في (م) فأمرهم لي مثل امري بيّن.

86 ـ في (ص) و(م) أجهده.

86 ـ في (م) أهزله.

91 ـ في (ص) إن يعم.

93 ـ في (ص) و (م) تقبض.

98 ـ في (م) و (ص) طامث.

95 - وخطفَ الشيء بمعنى أسرعا في أخذه أو نقله مستمعا
96 - وقد وددتُ المرءَ أيْ أحببتهُ وقد وددت أنني أصبتهُ
97 - ورضع المولود حتى روّيا وفركته زوجه فابتليا
98 - والفرك بغض الزوج وهي فاركُ كما تقول طالق وعاركُ
99 - وقد شركتُ رجلاً مِسّيكا أشركه كنت له شريكا
100 - تقول في مصدر هذا الشرك كمثل ما قد قلت قبل الفرك
101 - وقد صدقت وبررتَ يا فتى كأنّ هذا مَثَل كذا أتى
102 - وقد بررتُ والدي أبَرُّهُ فأنا برّ لا يغب برُّه
103 - وقد أتى اسم فاعل من برّا بألف كما أتى من سَرّا
104 - وجشمت نفسي هذا الأمرا تكلّفته مع كره قسرا
105 - وسفد الطيرُ وغيرُ الطير وفجئ الأمر عسى بخير

باب فَعَلْتُ بغير ألف

106 - تقول في الرياح من صفاتها إذا جرت يا صاح من جهاتها
107 - قد شملتْ من الشمال فاعلمِ وجنبت من الجنوب فافهم
108 - وقسْ على بقية الرياح إذا أتت من سائر النواحي
109 - مثل القبول وهي الشرقيةْ أو الدبور وهي الغربيّةْ
110 - وقل صبت من الصَّبا كذاك وهي القبول شرحها أتاك
111 - وكلّها تقول فيه يفعل بالضم لكن في الصبا يُحتملُ
112 - إلا النُّعامى فتقول أنعمتْ وهي التي من الجنوبِ عمّمتْ
113 - وقد خسأتُ الكلبَ أيْ قلت اخسأ ليُبعد الكلبُ وللقط اغسأ
114 - وفلحَ الإنسان في خصامه عليك فُلجاً نال من مرامه

---

100 - في (م) ما تقول، وفي (ص) قلتها.

119 - في (ص) فارسم وكذا في (م).

115 ـ وقد مَذَى يَمْذي وسال المذْيُ لـفـكـرة أو لـذةٍ والـوذي

116 ـ لكنْ لغير لذّة يسيلُ ويعتري الإنسان إذ يبولُ

117 ـ وقد رَعَبْتُ القِرن يوم الفزع كأنما ملأته من جزع

118 ـ وَرَعَدَتْ سماؤنا وبرِقت كأنها قد بسمتْ ونطقتْ

119 ـ كذلك الإنسان في الوعيد وفي المخيف منه والتهديد

120 ـ وقد يقال في الوعيد أرعدا وأبرق الإنسان إن تهددا

121 ـ قال الكميت بعد كسر السجن وهرب صار به في أمن

122 ـ ابرق وارعد يا يزيد إنني ليس الوعيد ضائري فامعنِ

123 ـ هذا يزيد وأبوه يشهر بخالدِ القسري ليس ينكرُ

124 ـ وقد هرقتُ أهريق مائي بألف ضمّت، وفتح هاءِ

125 ـ وإن أمرت قلت من ذاك هَرِقْ كما تقول من أرقته أرقْ

126 ـ والأصل هذا يا فتى فلتعرف والهاء فيه بدلٌ من ألف

127 ـ وقل صرفتُ القومَ والصبيانا سرحتهم فاقتبس البيانا

128 ـ وصرف اللّه الأذى عنك دفعْ وقد قلبت كلّ وفد فرجعْ

129 ـ وقلّب الثوب بمعنى حوّله كذلك الحديث تعني بدّلهْ

130 ـ وقد وقفت فرسي فوقفا أقفه وقد وقفتُ موقفا

131 ـ وقد وقفتُ لليتامى وقفا أي حُبُساً فافهمه حرفاً حرفا

132 ـ وقد مهرت الزوج أيْ سميتُ لها صداقاً وكذا أعطيتُ

133 ـ وقد علفتُ فرسي وبغلي وقد زررت قُمُصي لشغلي

134 ـ وازرر قميصاً قد حللتَ زرّه وزرّه وزرّه وزرّه

135 ـ كقولهم مدّ ومدَّ لي يدا ومدّ أيضاً والجميع وردا

136 ـ وقد نشدتُ اللّه هذا الزاهي أنشده سألته باللهِ

---

120 ـ في (م) اذا جرت.

121 ـ في (ص) وقد

137 ـ في (ص) بالحوش.

137 ـ وحُشْ علي الصيد أيْ ضمّ إلي | واجمع لكي يحصل الوحش لدي
138 ـ ونبذَ النبيذَ يعني صَنَعْه | وقيل يعني أنه قد قطعهْ
139 ـ ورهن الرهنَ لديَّ يرهنُ | بالفتح فاعلم فأنا مرتهنُ
140 ـ وقد خصيت الفحلَ والخصاءُ | أن تنزع الخصيان والوجاءُ
141 ـ أن يتركا هناك بعد رضّ | ينوب عن نزعهما وعضّ
142 ـ وقد نعشتُ صاحبي رفيته | أقلته أفدته نفعتهُ
143 ـ وقد حرمتُ الرجل العطاءَ | أحرمه إذ كان قد أساءَ
144 ـ وقد حللتُ أنا من إحرامي | أكملتُه في البلد الحرامِ
145 ـ وحزبَ الأمرُ وأمر شغلا | وقد شفى الرحمان هذا الرجلا
146 ـ وغاظني الأمر وأنت غظتني | تقول في معناه قد أحفظتني
147 ـ وقد نفيتُ رجلاً من بَلَدهْ | طردته عن أهله وولده
148 ـ ومثله أن تنفى الرِّديَّا | وتترك الطيب والنقيا
149 ـ من الرجال ومن الدراهمِ | والتمر والطعام والبهائمِ
150 ـ وقد زوى عني وجهاً قبضه | يزويه زيّا ويجوز قيظه
151 ـ وقد بردت بالبرود عيني | أبردها بالضم دون مين
152 ـ وبرد الماء غليل جوفي | يبرده فقله دون خوف
153 ـ وينشد البيت الذي قد رويا | لمالك بن الرّيب فيما حكيا
154 ـ وقيل أيضاً إنه لجعفر | المازني وهو قول الأكثر

---

140 ـ في (ص) تنزع.

142 ـ في (ص) رفعته.

ـ في (ص) أنلته.

153 مالك بن الريب: هو مالك بن حوط من بني مازن، ولد في أول دولة بني أميّة، ونشأ في بادية بني تميم بالبصرة كان من الأدباء الفرسان الشجعان، وله شعر كثير في ذلك وتوفي بخراسان شاباً في عام 56 هـ.

154 ـ في (م) ، (ص) الحارثي.

155 ـ يقول في الشعر إذا أتيتا ... الحارثيات فهبني ميتا

156 ـ فلتنعني لهنَّ يا خليلي ... فليس للقاء من سبيل

157 ـ وعطل القلوص في الركاب ... وذاك للإشعار بالتباب

158 ـ فإنها ستبردُ الأكبادا ... من العدا وتشمت الحُسادا

159 ـ وتحزن الأحباب حتى تبكي ... بواكي الحي لأجلِ هلكي

160 ـ والترب هلتُ فوقه أهيلُه ... صبَبْتُه كأنني أسيله

161 ـ كذاك لا يفضض إلهي فاك ... وهو دعاءٌ حسنٌ أتاك

163 ـ وودجَ الحمارَ شك الوَدَجا ... في عنقه قصداً لأمر أحوجا

164 ـ تقول منه دِجْ إذا أمرتا ... ويَدِج الإنسان إن أخبرتا

165 ـ وقد وتدت وتداً أضربته ... في الأرض أو في حائط أنشبته

166ـ أتده وتداً وتدْ هذا الوتد ... إذا أمرت منه فافهم تستفد

167 ـ وقد جهدت فرسي وناقتي ... حمّلها في السير فوق الطاقةِ

168 ـ وفرض السلطان للأجناد ... يفرضُ في ديوانه المعتادِ

169 ـ وصدتُ صيداً فأنا أصيدُه ... كقولهم كدت الفتى أكيده

باب فُعل بضم الفاء

170 ـ وقد عُنيت بكذا شُغلت ... أُعنى به فعنهُ ما عَدَلتُ

171 ـ وأنا مَعنيّ به ومُولَع ... بالشيء من أُولع فهو يولعُ

172 ـ وبُهت الإنسانُ فهو يُبهت ... بشخص من تعجّب ويسْكُت

173 ـ ووثئت يدُ الفتى فيدُه ... موثوءة لألم يجدُه

174 ـ من ضربة يألم فيها العظم ... وقيل بل يوضم منها اللحمُ

175 ـ وشُغل الإنسان عنا وشُهر ... أيْ أمرهَ في الناس بادٍ قد ظهرْ

---

163 ـ في (ص) شدّ.

164 ـ في (م) اذ أخبرنا.

165 ـ في (ص) و(م) ضربته.

174 ـ في (ص) منها.

176 ـ ودم زيد طُل أيْ لم يقتل   قاتله ولا وذي بجمل
177 ـ ومثله أهدَرَ ولكنْ فُرّقا   بينهما في الشرح لما حُققا
178 ـ فقيل في طُلَّ مقال واحدُ   وقيل في أهدر أمر زائد
179 ـ بأنه المباحُ من سلطانِ   أو غيره فالقتلُ في أمانِ
180 ـ ووقُص الإنسان وقصاً أي صُرع   فانكسرت عنقه حين وقع
181 ـ ووضع الإنسان في البيع خسر   ومثله وُكس أيضاً فاعتبر
182 ـ وغُبن الإنسانُ فيه خُدعا   غَبْناً وفي الرأي بفتح سُمِعا
183 ـ تقولُ قد غُبن زيد رأيَه   والغَبَنُ المصدر حسن رعيُه
184 ـ وهُزل الرجلُ فهو يُهْزَل   وغيره فالجسمُ منه يُنحل
185 ـ من الهُزال وهو ضد السمن   وقد نُكبت مرةً في الزَمَن
186 ـ وكمْ ترى من رجلٍ منكوبِ   بحادث أو ألم مُصيبِ
187 ـ وحُلبتْ ناقةُ زيدٍ تُحلبُ   وقيل في المصدر منه الحَلبُ
188 ـ وقيل إن الحَلَبَ الحليبُ   من لَبن وذلكَ المحلوبُ
189 ـ ورهُص الحمارُ أو سواه   بحجرٍ في حافر آذاه
190 ـ وقيلَ في الرهصةِ ماءُ ينزل   في رسغه كلاهما يُحتمل
191 ـ فقلْ رهيصٌ منه أو مرهوصُ   كلاهما في وصفه منصوص
192 ـ ونُتجتْ ناقتُه والفَرَسُ   تُنْتجُ مثل نُفِسَت وتُنْفس
193 ـ وأهلُها يا صاح ينتجونها   يلون ذلك فيولدونها
194 ـ وأُنتجت إذا الولاد آنا   ومثله إن حملها استبانا

---

179 ـ في (ص) فانه.

180 ـ في (ص) لمّا وقع.

186 ـ في (ص) بحدث.

193 ـ في (م) و(ص) تقول.

ـ في (م) (ص) ذاك.

194 ـ في (م) حانا.

195 ـ وعُقمتْ هندٌ إذا لم تحمل وهي عقيم ومن العقر قُلْ
196 ـ قد عُقرتْ تَعْقُر فهي عاقر والوصف منه للرجال نادرُ
197 ـ وهذه مبنيّة للفاعل أدْخَلَهَا في الباب للتشاكلِ
198 ـ وقد زُهيتُ وفتى مَزهوُّ وقد نُخيت وفتى مَنْخُوَّ
199 ـ والزهو والنخوة مثل الكبر فجنّبِ الكبرَ وكنْ ذا بشِرِ
200 ـ وفُلج الإنسان ثم لُقيا بفالج ولقْوة قد بُليا
101 ـ والفالج استرخاء شق الرجل من خَدَرٍ وهو أضرُّ العللِ
202 ـ كذلك اللّقوة إلا أنها تختص بالوجه فقيّدنَّها
203 ـ واسمها الملقو والمفلوج كقولك المبرودُ والمثلوجُ
204 ـ ودير بي ومثله أدُيرا من الدُّوار يشبه التخييرا
205 ـ فقل مَدُورٌ بي وقل مُدار معناهما أصابني الدُّوارُ
206 ـ وغمّ في الأفق لنا الهلالُ غطّاه غيمٌ غمّه أوآلُ
207 ـ وقد غممتُ الشيء أيْ غطيتهُ ورُبَّ غمّ بالطِّلا جليتهُ
208 ـ أما المريضُ فتقول أغْميا عليه يُغمى وعليه غُميا
209 ـ وإن بدا الهلالُ قلْ أهلا في الليلة الأولى أو استُهلا
210 ـ والأصْلُ في الإهلال رفعُ الصّوتِ ورُكض الطرفُ مخاف الفوتِ
211 ـ والركضُ ضرْبُ جنبه بالعقب لطلب تحثه أو هرب
212 ـ وقد شُدهتُ فأنا مشدوهٌ شُغِلتُ أو دهُشت فاكتبوهُ
213 ـ وبُرَّ ذاك الحجُّ أيْ تُقبلا والحجُ مبرورٌ فياما أجملا
214 ـ ورجلٌ فؤاده قد ثُلجا بلادةً فويله ما أسمجا
215 ـ كأنما فؤاده قد بردا فصار لا يفهم شيئاً أبداً

---

200 ـ في (ص)، (م) الرجل.

206 ـ في (م) ضمه.

ـ في (م) غشيا.

210 ـ في (ص)، (م) المهـ.

216 ـ وقد ثلجتُ بعدهم بخبر فرحتُ ليس الباب هذا فانظرِ
217 ـ وانتُقع اللون إذا تغيّرا وغار فيه الدم من أمرٍ عَرا
218 ـ وانقطع اليومُ بزيد عجزا عن سفر كان له فأعوزا
219 ـ إما لزاد نافذ أو راحلةْ قد نفقت أو يشتكي من نازله
220 ـ فياله من حائرٍ في يومه منقطع به وراءَ قومهِ
221 ـ ونُفستْ هندُ غلاماً يالها من نُفساء ولأمر هالها
222 ـ والابنُ منفوسٌ كذا فلتقلِ وهو النِفّاسُ كالنتاج فاعقِلِ
223 ـ وقد نَفِستُ بكذا نفاسةْ بَخلْتُ والنُّفاسة الرَّياسه
224 ـ تقول أصبحت علينا تنْفَسُ أيْ تفخر اليوم وأنت أنفسُ
225 ـ وقد نفِستُ بكذا عليك لم تك عندي أهله فويكا
226 ـ قال وإن أمرتَ من ذا الباب يُريد للحضور و الغيابِ
227 ـ فأثبت اللام وقل للحاضر لتُعنَ بالحاجة قول الآمر
228 ـ والبابَ في الغائب ألا تسقطا فاسمع إلى الدُّر وكن ملتقطا

باب فعلَت وفَعِلت باختلاف المعنى

229 ـ قَدْنَفِهَ الحديث مثل فَهِمَه ونَقَهَ المريض مما أسقمه
230 ـ أي قد برا يبرأ فهو ينقِه بفتحك المعرب مثل يفْقه
231 ـ وقد قررت بك عيناً فأنا أقرُّ عيناً بك إذ أنت المنى
232 ـ وقرَّ في مكانه يقرُّ أيْ هدأ الشخص فلا يمر
233 ـ وقد قنعت يا فتى قناعه أيْ قد رضيت حبذا البضاعه
234 ـ وقنعَ الإنسان تعني سألا وهو القنوع بئس هذا عملا

---

216 ـ في (ص) ذاك.

223 ـ في (ص) في كذا.

226 ـ في (ص) من هذا.

234 ـ في (ص) يعني.

235 ـ وقد لَبِسْتُ البُرْدَ والعِمامه والنَّعلَ والسلاح ثم اللأَّمه

236 ـ ألبس لبساً وهو اللَّبوس واللابس الشخص عداك البوس

237 ـ وقد لبست الأمر حتى التبسا خلطته كما تقول لُبِّسا

238 ـ وقد لسبتُ عسلاً لعقتُه ولَسَبْتُه عقربٌ فسُقته

239 ـ أيْ لَدَغته وتقول اللَّسْبُ في المصدرين لاعداك الخصب

240 ـ وأسِيَ الأمر على أمر مضى يأسى أسى لما تولى وانقضى

241 ـ وقد أسوتُ الجرح أيْ أصلحته وأسوة أسوا ضد قرحته

242 ـ وقد حلا الشيء وشيء يحلو في الفم أيْ يَعْذُبُ وهو الأصل

243 ـ وحَليَ الشيءَ بعيني يَحْلى أيْ حَسُنَ الشيء وأنت أحلى

244 ـ تقول في مصادر الفعلين حلاوة أيْ في فم وعين

245 ـ وعَرِجَ الإنسان صار أعرجا فإن فتحت الرّاء قلت عرَجا

246 ـ تعني حكى الأعرج في مشيته وقل من الصعود في بنيته

247 ـ وقد نذرت النذر أيْ أوجبته للّه إن كان الذي طلبته

248 ـ أنذِر في مُعرَبه وأنذُر وقد نذرت بالرجال أنذر

249 ـ إذا علمت بهم فكنتا ذا أهبة لهم وما جبنتا

250 ـ وقومُنا قد عمروا المنازلا وعمرَ المنزلُ صار آهلا

251 ـ وعُمِر الإنسان طال عُمرُه وسَخَنَ الماء بفتح يأتُره

252 ـ وجاء فيه لغةٌ بالضم وسخنت عيني لهذا الهم

253 ـ أيْ حميت من البكا والحزَن وقل لعين عشقت لا تسخن

254 ـ وأمر القوم إذا ما كَثُروا وأمر الإنسان فهو يأمُر

255 ـ وقد أمرتَ يا فتى علينا صرتَ أميراً فأقم لدينا

---

239 ـ في (ص) لاعراك.

242 ـ في (م) (ص) المرء.

244 ـ في (ص) مصدري.

249 ـ في (م) فكنت، وما جبنت.

256 ـ وقد مَلَلْت الشيء في النار إذا دفنته في الجمر قيّده كذا

257 ـ أمله ملاً وشى مملول والَمَلّةُ الجمْرُ وهذا منقول

258 ـ وقد مَلِلتُ من كذا أمَلُ وهو الَملالُ لا يقال الملَّ

259 ـ وأسنَ الإنسان فهو يأسَن تقول في المصدر منه الأسن

260 ـ وذاك أن يغشى على الإنسان من نَفَس في البير ذي عدوان

261 ـ وقيلَ أن يغشي عليه من أسون يكون في الماء ومن نتر يكون

262 ـ وأسن الماء إذا تغيّرا وهو الأسون إن أردت المصدرا

263 ـ يأسن في مستقبل ويأسن وعُمتُ في الماء وعومي حسن

264 ـ قالَ وعمت عَيْمة إلى اللبن أعيمُ أو أعام والعيمة أن

265 ـ تشتهي اللبن وهو بِفقده فنفسه تتبع ما لا تجده

266 ـ وها أنا إليكم أعوجُ من عجت أيْ ملتُ ولا أعيجَ

267 ـ تقولُ ما عجتُ بقول الوالي لم أنتفع وقيل لم أبالِ

268 ـ وقد شربتُ ذا الدواءَ ثم ما عجْتُ به أي ما انتفعت فافهما

باب فَعَلْتُ وأفعلت[1] باختلاف المعنى

269 ـ عند طلوع الشمس قلْ قد شَرَقَت حتى تضيءَ فتقول أشرقتْ

270 ـ وقد مشى زيدٌ إلى أن أعيا أيْ كلَّ وهو بالأمور يَعْيّا

271 ـ وقلْ من الأول قد أعييتُ فأنا مُعيًّا عندما مشيت

272 ـ وقلْ من الثاني عَييت عِيّا وأنا بالأمر عَيٌّ أعيا

273 ـ وقلْ حَبَسْتُ رجلاً جَعَلتُه في الحبس أو عن حاجة عقلته

274 ـ وأنا أحْبَسْتُ جواداً في السبيل للأجر والأجر على ذاك جزيل

---

261 ـ في (م) البير.

265 ـ في (ص)، (م) يشتهي.

1 ـ في (م) وأفعل.

275 ـ تقولُ هذا الرجلُ المحبوسُ والفرسُ المُحْبسُ والحبيس

276 ـ وقد أذنتُ للفتى في الأمر يَفْعَلُه أذنت دون أمرِ

277 ـ والشخصُ مأذون له في ذاكا لا يتقي في فعله أذاكا

278 ـ نعم وآذنت فلانا بالسَّفَرْ وبالصلاة وسواها فليسرْ

279 ـ والمصدرُ الأَذانُ والإيذان وأصلُه الإعلام يافلانُ

280 ـ تقولُ للإنسان أنت مؤذن بالأمر فافهم ما يقول المؤذنُ

281 ـ ولتقبلنْ هدية أهديتها إليك إهداءً وقد أسديتُها

282 ـ وكنتُ أهديتُ إلى البيت الحرام هدْياً وان قلت هَديًّا لا تُلام

283 ـ والهدَى والهَديُ ما يقرّب إليه من نُسك لأجر يُطلبُ

284 ـ وقد هَديتُ أحسنَ الهِداءِ هنداً إليك ليلة البناء

285 ـ وقد هَدَيْتُ الرجل الطريقا هدايةً عرفته تحقيقا

286 ـ وقد هديتُ المرءَ من ضلاله هدي فبشره بحسن حاله

287 ـ وسفرتْ هند فنعم المنظر أيْ كشفت وجهاً حكاه القمرُ

288 ـ كذلك الرجالُ مهما أحرزوا عمائماً قلتَ هم قد سفروا

289 ـ وأسفرَ الوجهُ إذا أضاءَ كذلك الصبحُ فقلْ سواءَ

290 ـ وخنس الإنسان أيْ تأخرا وَحقُّه أخَنْسَ عنه سترا

291 ـ وقيلَ بلْ معناه كمعنى الأول والستر لا معنى له فأوّل

292 ـ نعمْ وأقبستُ الرجال عِلما أفدتُهم حتى استفادوا حُكما

293 ـ ثم قبستُ القومَ ناراً بيدي أعطيتها إيّاهم فقيّدِ

294 ـ ايه وأوعيتُ المتاعَ في الوعا ألقيته وفي الحديث قد وعى

---

276 ـ في (ص)، (م) أبحت.

280 ـ في (ص) فآسمع.

286 ـ في (م) هدياً.

288 ـ في (ص)، حرروا وفي (م) حسروا.

291 ـ في (م)، (ص) معنى.

295 ـ تقولُ في الحديث أو في العلم وعَيْت أيْ حفظت دون وهم

296 ـ وقد أضاق المرءُ مثل أعسرا فهو مُضيق وكذاك أقترا

297 ـ وضاق هذا الشيء فهو ضيّقُ كقولهم قد راق فهو ريّقُ

298 ـ وأقسطَ المؤمن فهو يُقسِطُ وقَسَط الفاجر فهو يَقسِطُ

299 ـ والمقسطُ العادلُ في أحواله والقاسطُ الجائرُ في أفعالهِ

300 ـ وقد خفرتُ القوم أيْ أجزتهم وإن نقضتَ عهدهم أخفرتهم

301 ـ وخفرةُ الإنسان والخُفارة كلاهُما معناهما الإجارة

302 ـ وخفرتْ هندٌ وهندٌ تَخْفَرُ خَفَارةً ومثل ذاك الخفرُ

303 ـ كلاهما الإفراطُ في الحياءِ أكثر ما يقال في النساءِ

304 ـ وقد نشدتَ يا فتى نشدانا ونشدةً طلبتها إعلانا

305 ـ والناشدُ القائلُ من رآها يكون في الناقةِ أو سواها

306 ـ فإن تكنْ عرّفتها في المحفل وقلتَ من ضاعتْ له فليقبل

307 ـ فأنتَ قد أنشدتَها يا مُنشد وذاكَ من فعل الكرامَ يُحمد

308 ـ ومنهُ قد حضرني أقوامُ نعمْ وشيءٌ هكذا الكلامُ

309 ـ وأحضر الغُلامُ والجَوادُ أيْ جَرَيا جرياً له اشتدادُ

310 ـ وقد كفأتُ يا فتى إنائي قلبتُه وكان ذا استواء

311 ـ ونحوُه أكفأتُ في القوافي يشبُهه الإقواء في الخلافِ

312 ـ ومثلُه ما قاله الأعرابي ولم يكنْ في النظم ذا صواب

313 ـ بنيَّ إن البرَّ شيءُ هيّن المنطق الليّن والطُعَيّم

314 ـ وقالَ أيضاً راجزٌ في القصدِ جاريةٌ من ضبّة ابن أدّي

315 ـ كأن تحت درعها المنعطِ شطّا رميت فوقه بشطِ

---

299 ـ في (م)، (ص) أفعاله.

ـ في (م)، (ص) أحواله.

311 ـ في (م) ومثله.

312 ـ في (ص) أعرابي.

316 - وقد حصرتُ رجلاً في المنزلِ حبسته في موضع أو معقلِ
317 - والخوفُ قد أحصره والمرضُ أيْ منعاه السَّير أو ما يعرضُ
318 - وأدلجَ الإنسان ثم أدلجا أيْ سار والليلُ البهيمُ قد دجا
319 - والسيرُ في أوله إدلاج والسيرُ في آخره ادّلاج
320 - وأعقد الإنسان بالنار العسل وعقد الحبلَ وعهداً ضدّ حَل
321 - فشهدُه المُعقَد والعقيدُ وحبلُه وعهده معقود
322 - ورجلاً أصفدت فهو مصفد أعطيته مالاً وذاك الصَّفد
323 - وآخرٌ صفّدته بغُلّ فصارَ مصفوداً لأجل غِلّ
324 - وأفصح الأعجم أيْ تكلّما بالعربي مفصحاً ومُفهما
325 - وفصُح اللَّحان صار مُعربا للحنه ولفظه تجنبا
326 - وقد لممت شعثي تَلُمُّ مثلَ رممت حالتي ترُمُّ
327 - وأنتَ ألممت بنا إلماما أتيتنا وزرتنا لماما
328 - وقد حمدتُ الله في دعائي والحمدُ كالشكر وكالثناء
329 - ورجلاً أحمدتُ أيْ أصبتُ في الناسِ محموداً كما طلبت
330 - وأصحتِ السماءُ فهي مُصحية أي زال عنها الغيم فافهم شرحيه
331 - ويومُنا وليلُنا يا صاحِ وقد صحا السكران فهو صاح
332 - ورجلٌ بايعني حينَ قدم أقلتُه البيعَ وكان قد ندمْ
333 - فهذه إقالةٌ مقبولةٌ وقلتُ في قائلة قيلولة
334 - والشيء قد أكننته في نفسي أخفيتُه مما بدا للحس

---

316 - في (م) ، (ص) منزل.
320 - في (ص) في النار العسل.
322 - في (م) ورجل.
324 - في (ص) الإنسان.
325 - في (ص) ولحنة تجنبا.
334 - في (ص) فما بدا.

335 ـ وقد كننتُ الشيء أيْ سترته — بساترٍ يقيه أو دثرتُه
336 ـ وقد أدنتُ رجلين اثنين — بعتهما بضاعةً بدين
337 ـ ودنتُ وأدنت أخذت منهما — بضاعةً بالدّين فاسأل منهما
338 ـ وضفتُ بعضَ العُرب أيْ نزلت به — فكنتُ ضيفاً شاكراً لأدبه
339 ـ وكنتُ أيضاً قبلَ ذا أضفتُه — أنزلتُه عندي وما عرفتُه
340 ـ ولي دلاةٌ كنتُ قد أدليتها — حتى إذا ما امتلأتْ دلوتها
341 ـ فذاك إرسال وهذا جذبٌ — قد فرَّقت ما بين ذَيْن العربُ
342ـ وقد لحمتُ العظم أيْ أخذت ما — عليه من لحمٍ وكنتُ قرِما
343 ـ وإذا ألحمتَ فلانا عرضكا — أمكنته منه فقد أمضكا
344 ـ باللّه هل أحسسته إذ أقبلا — وحسَّ أهل الشر أعني قتلا
345 ـ وقد ملَحتُ قدرهم أملحُها — ألقيتُ فيها قدر ما يصلحها
346 ـ لكنّه أملحها يزيدُ — لما غدا في ملحها يزيدُ
347 ـ وقد رميتُ الطير رمياً بالبنان — فإن ترد قلعته من المكان
348 ـ قلت لقد أرميته عن الفرسْ — أشدَّ إرماءً ولم تغن الحرسْ
349 ـ وأجبر السلطانُ زيداً ذا الشرهْ — على كذا أكرهه وقَهَرهْ
350 ـ فزيدٌ المُجْبرُ وهو المُجْبرُ — كما تقول مُخبَرَ ومُخْبِرُ
351 ـ وقد جبرتُ العظم والفقيرا — واجعل هنا الجابر والمجبورا
352 ـ والجبرُ في العظام ردُّ الكسرِ — والجبرُ للفقير سَدُّ الفقرِ
352 ـ وغنمي أخدمتها عسيفا — وقد كنفتُ حولها كنيفا

---

343 ـ في (م) ،(ص) وأنا.

345 ـ في (ص) مُلَحَها.

346 ـ في (ص) لكنها، وفي (م) لكنما.

347 ـ في (ص) (م) الصيد.

348 ـ في (م) فقل.

354 ـ أعني جعلت حولها حظيرة ‏ تكنُفها فدونكم تفسيرة
355 ـ ورجلُ أَكنفتُ فهو مكنَفُ ‏ أعنته وعند ربي الخلف
356 ـ وأعجمَ الكتبَ فهو مُعْجَمُ ‏ بَيَّنه بالنقط فهو يفهم
357 ـ وعجم العودَ أو الأنبوبا ‏ أيْ عضّه ليعرف الصليبا
358 ـ والشيءُ معجوم وأنت العاجمُ ‏ تعجمُه عجماً وقرنُ ناجمُ
359 ـ ونجمَ القرنُ إذا ما ظهرا ‏ والسنُ والنبت إذا ما انفطرا
360 ـ وأنجمَ السحابُ تعني أقلعا ‏ كذلكَ البردُ إذا ما اندفعا
361 ـ وقد صدقتُ الرجلَ الحديثا ‏ فلم أكنْ في نصّه خبيثا
362 ـ وامرأةُ أصدقتُها صداقا ‏ أعطيتها فآثرتْ طلاقا
363 ـ وتربَ الإنسان أعني افتقرا ‏ فصارَ من بعد الثراء في الثرى
364 ـ وأترب استغنى فصارَ مالُهُ ‏ مثلَ التراب فتناهت حالُهُ
365 ـ وقد نظرتُ الرجل انتظرته ‏ وقلْ إذا أخرته أنظرته
366 ـ وقيلَ في عجلت أيْ أسرعت ‏ لكنني لثعلبِ تبعتُ
368 ـ والنهرُ قد مدَّ بمعنى قد طما ‏ ومدَّه آخره حتى عظما
369 ـ وعسكرٌ أمددتُه بمددِ ‏ وقد أمدَّ الجرحُ بعد مُدَدِ
370 ـ أيْ صارت المدةُ فيه فاعرفِ ‏ والمدّةُ الفيح بهذا فاكتفِ
371 ـ وآثرَ الله عليهم يوسفا ‏ يؤثره بفضله وأزلفا

---

359 ـ في (ص) (م) والبنت والسن.

360 ـ في (ص) اعني.

361 ـ في (ص) في قصة.

362 ـ في (ص) (م) صداقها وطلاقها.

364 ـ في (ص) فتناهت.

365 ـ في (م) استنظرته.

371 ـ في (م) علينا.

372 ـ وقد أثرتُ خبراً رويتُه ... آثره أثراً وقد حكيتُه

373 ـ وقد أثرتُ التربَ أيْ بعثته ... أثيره إثارةً رفعته

374 ـ وقد وعدتُ القومَ فيما فعلوا ... خيراً وشراً ولكلٍّ عملُ

375 ـ فإن نويتَ الخير قل وعدتُ ... وإن نويت الشرّ قل أوعدت

376 ـ وإن جلبتَ الباء قل أوعدتُه ... بالسجن والأدهم أيْ هددتُه

باب أفعل

377 ـ قد أشكل الأمرُ وأمر مُشكل ... أيْ صارَ في شكلٍ سواه يدخلُ

378 ـ وقد أمرَّ الشيء صار مُرّاً ... وأقفل الباب الفتى ومَرَّا

379 ـ وأغلق الباب وبابٌ مُغلقُ ... وأعتق الغلامَ فهو مُعتقُ

380 ـ وعَتَقَ الغُلامُ صار حُراً ... والعِتقُ معروفٌ وقيتَ الضرا

381 ـ وأبغضَ الإنسان شيئاً يبغض ... فذا وذاك مُبغض ومُبْغَض

382 ـ وبغُضَ الشيءُ غدا بغيضا ... كذا تقولُ فافهم القريضا

383 ـ والجندُ قدْ أقفلتهم فقفلوا ... رددتهم عن وجههم فوصلوا

384 ـ ورفقةُ الناس تُسمّى قافلةْ ... راجعة من سفر لا راحلة

385 ـ وقد أسفَّ المرءُ للأمر الدني ... قاربه أوصار فيه لم يَنِ

386 ـ وقد أسفَّ طائرٌ في الطيران ... دنا من الأرض دُنواً فهو دانْ

387 ـ والخُوصَ أسففتُ إذا أضفرته ... أيْ ورق النخل إذا فَسّرته

388 ـ وأنشر اللّه تعالى البشرا ... أحياهُم فميتُهم قد نُشرا

389 ـ ورجلٌ أمنى ويمُنى أنزلا ... وهو المنيُ والشهير أفعلا

---

372 ـ في (ص) (م) كما.

373 ـ في (ص) تبعته.

375 ـ في (ص) (م) أردت.

383 ـ في (ص) من.

387 ـ في (ص) ضَفَرْته.

389 ـ في(ص) فَعَلا.

390 ـ وقد ضربتُ بالحسامِ الرجلا فما أحاك فيه أيْ ما عَمِلا
391 ـ وقد أمضني كلامُ اللاحي والجرحُ أيْ آلمني يا صاحِ
392 ـ وكان من مضى يقول مضَّني كذا بغير ألف كعضني
393 ـ وأنعمَ الرحمنُ عينا بك أيْ أقرّها فأنت محبوب إليْ
394 ـ ورجلٌ أيْدَى يداً عندي فما كفرت إذ أسلفها وأنعما
395 ـ فلا أعلَّ اللّه ذاكَ الرجلا أدعو له أن لا يُحسَّ عِلَلا
396 ـ والستر أرخاه إذا أرسله والستر مُرخى وكذا أسبله
397 ـ والماءَ أغلاهُ بنار فغلا والماءُ مُغلى مُفْعَل من أفعلا
398 ـ والدار قدْ أكريتها من مُكترِ والشيءُ مكْرى وأنا وهو كري
399 ـ وأنت قد أغفيت تعني نمتَ نوماً قليلاً لم تكن أنعمت

باب ما يقال بحروف[1] الخفضِ

400 ـ تقولُ قد سخرتُ منه أسْخُر وقد هزئت بكَ يا من تفخر
401 ـ وقد نصحتُ لك فيما أعمله وقد شكرتُ لك شكراً تفعله
402 ـ ونسأَ اللّه تعالى في أجلْ زيد وقد أنساك في عزّ وجلْ
403 ـ تريدُ قد أخّرَه وآقرأ على فلانِ السلام لا تقل إلى
404 ـ وقد زرى زيدٌ عليك عابا عليك فعلاً لم يكن صوابا
405 ـ وأنت أزريتَ به تحقيرا معناه قصّرت به تقصيرا
406 ـ ونحنُ قد جَنَّ علينا اللّيلُ واللّيلُ قد أجننا يا ليل

---

393 ـ في (ص) (م) إنك.

(1) ـ في (ص) (م) بحرف.

401 ـ في (ص) فعلا تفعله. وفي (م) تعمله.

402 ـ في (ص) انسأه.

406 ـ في (ص)، (م) يا قَيْلُ.

407 - وقد ذهبتُ بك أو أذهبتكا وقد دخلتُ بك أو أدخلتكا

408 - وقد لهيتُ منه أو عنه سوا تركتُه كذا روى الأمر روى

409 - وقلْ من اللّهو لهوتُ ألهو كما تقولُ قد سهوتُ أسهو

410 - وقيلَ مهما استأثر الرحمنُ بالشيء فالهُ عنه يا فلانُ

411 - معناه أن ترزأ بمالِ أو ولدْ فاتركه تسليماً إلى الله الأحد

باب ما يهمز من الفعل(1)

412 - قد رقأ الدَّمُ أو الدمع معا يرقأ والرَّقوءُ أن ينقطعا

413 - ولا تسبّوا الإبل إن فيها لنا رقُوءَ اللحم إذ نعطيها

414 - ندى بها القتلى فتدفع القود وتقطعُ الحربَ وتطفى ما اتقد

415 - وقد رَقَيتُ رُقيةً هذا الصَّبي أرقيه من عين ولسع عقرب

416 - وقد رقيتُ طالعاً في السّلّمِ أرقى رُقيا أيْ صعدت فاعلمِ

417 - ورجلٍ درأته فدرأ دفعته واثنان قد تدارءا

418 - وقيلَ في داريته بالياء لاينتُ أو خدعتُ بالحياء

419 - وبارأ الإنسان من يشركه فارقه وامرأة تفرِكُه

420 - وحاتمٌ بارى الرياحَ كرما فهو يباريها فصار عَلَما

421 - كذاك والجيران قد باراهم عارضهم في الفعل أو جاراهم

422 - وعبأ المتاع تعني ضمّهُ في موضعٍ أيْ شدَّه ورمّهُ

---

407 - في (م) أي أذهبتكا، ثم أي أدخلتكا.

408 - في (م) عنه أو منه، ثم كذا رواه من روى.

411 - في (ص) فقد، وفي (م) كتب تصحيح فوق لفظة الأحد «الصمد»

(1) - في (م) باب المهموز.

413 - في (ص)، (م) الدم.

421 - في (ص) (م) كذلك الجيران.

422 - في (م) أو شده أو رمّه.

423 ـ والجيش عبّيتُ لحرب فغدا وهو على تعبية تشجو العدا
424 ـ قالَ وقد عبأتُه مهموزا فلا تظنّ الهَمزَ لن يجوزا
425 ـ وقد نكأتُ القرح أيْ قشرتهُ أنكأه نكأ فقد ضررتهُ
426 ـ أما العدوُ فنكيت أنكي نكايةً بالقتل ثم الفتكِ
427 ـ وردؤَ الشيءُ فقلْ رديءُ ودفؤ اليومُ فقل دفيء
428 ـ ودفيء الإنسان فهو دفآنْ وامرأةٌ دفيء فويح العُريانْ
429 ـ وأومأ المرءُ إلى الرجالِ بيده يأمرُ بالإقبالِ
430 ـ ورفأ الثوبَ وهذا يَرفأ وهدأ الناسُ وهذا يهدأ
431 ـ يرفأ أيْ يخيطُ فهو رافيء يهدأ أيْ يسكنُ فهو هادىء
432 ـ وقد تثاءبتَ إذا فتحت فاك من كسلٍ أو وسن اعتراكَ
433 ـ والثوباءُ اسمٌ لذاك الأمر وقد فقأت عينه في شرِ
434 ـ فعينُه مفقوءةٌ بعودِ أو إصبعٍ أو طرفٍ حديدي
435 ـ وأنتَ قدْ أرجأتَ أمر عمرو أخرْته وقد أتى في الذكرِ
436 ـ فأنتَ مُرجيءٌ وتلك المُرجئة طائفةٌ قالتْ بقولٍ وفئة
437 ـ ووبئت أرضُك فهي وبئة كصديتْ درعُك فهي صدئةْ
438 ـ ووُئيت وأرضُه موبوءةٌ كوثئتْ ويدُه موْثوءة
439 ـ معناهُ أن الأرض منها الوبأ وهو فسادُ في الهواء يطرأ
440 ـ وقلْ إذا ناوأت قوماً فاصبرِ معناه نازعتهم في الأشهرِ
441 ـ تقولُ في مصدرهِ المناوأه كقولهمْ مالأتُه ممالأه
442 ـ قالَ علي عند قتل عثمانْ عليهما معاً سلامُ الرحمن

---

428 ـ في (ص) دفأى.
432 ـ في (م) اذا اعتراك.
433 ـ في (م) لضر.
445 ـ في (ص) أفكرا.

443 ـ واللّه ما قتلتُ عثمانَ ولا مالأتهُم في قتله إذ قتلا
444 ـ يريدُ ما عاونتهم في قتله وليسَ ذاك الفعلُ فعلَ مثله
445 ـ وروّأ الإنسان مثل فكّرا في الأمرِ في خاطره ودبّرا
446 ـ وهي الروّيةُ كذا لا تهمزِ تكون من روّيت في قول عُزِى
447 ـ وأكثر الباب بياء جاءَ وهمزة قد قيلتا سواءَ

باب في المصادر

448 ـ تقولُ في المالِ وجدتُ وُجداً وَجِدةً أيسرتُ منهُ جِدّا
449 ـ وَوَجَدَ التالق لما نشدا والمصدرُ الوجدان ثم أنشدا
450 ـ وأنشدوا الباغي يحبُّ الوجدان قلائصاً مختلفات الألوان
451 ـ ووجد الإنسان وجداً أيْ حزن وإن تقُل موجدةً فهو إذن
452 ـ مِن وَجدَ المرءُ تريد غضبا فهو عليك واجد قد عتبا
453 ـ في كلّه يجدُ فهو واجدُ كقولهم بعد فهو واعد
454 ـ وبيّنُ الجودِ من الأجواد وبيّن الجودةِ في الجياد
455 ـ وإن تشأ فجودةً بالفتح فذا وفي الجياد فافهم شرحي
456 ـ وجادتْ السماءُ جوْداً أمطرتْ فهي تجودُ بمياه كثرتْ
457 ـ ووجبَ البيعُ وجوباً وجبهْ والحقُّ أيضاً وفلانُ أوجبه
458 ـ وشمسُنا قد وجبتْ وجوبا غابتْ وقلبي واجب وجيبا
459 ـ ووجبَ الحائط أيضاً وَجَبه أيْ سقطة كما تقول ضربه
460 ـ وقل حَسَبتُ في الحساب أحْسُبُ حسْباً وحُسباناً وزيد أحْسَبُ
461 ـ أما الحسابُ فهو اسم الفعلِ فافهم فهذا كلّه بالنقلِ

---

452 ـ في (م) الإنسان.

453 ـ في (م) وعد.

455 ـ في (ص) في ذا.

456 ـ في (م) غزرت.

462 ـ وقد حسبتُ الشيء بالكسر قُلِ ... في الظن من ماضٍ ومن مستقبلِ
463 ـ وجائزٌ أحسبُ وهي المَحسِبَه ... بالكسر والحِسبانُ ثم المَحْسَبَه
464 ـ وهي حصانٌ في النساءِ أحصنتْ ... من العفافِ ويقال حَصُنتْ
465 ـ مصدرُه حصانةٌ وحُصنُ ... ولي حِصان هو عندي حِصنُ
466 ـ أيْ فرسٌ فحلٌ وهذا بيِّنٌ ... والمصدر التحصينُ والتحصُّنُ
467 ـ قد عدلتَ عن طريق الحقِّ ... وهو العُدُول فاستقم بصدقٍ
468 ـ وعَدَل الوالي وفيه مَعْدَله ... والعدلُ أيضاً واحد والمعدله
469 ـ وقد قرُبتُ منه قُرباً أقربُ ... فمنك قِرْبَان ومني قَرَبُ
470 ـ وقرُبَ الماءُ كمثل الطّلب ... والوردُ في صُبحة ليل القَرَبِ
471 ـ ونفقَ البيعُ نَفَاقاً يَنفُقُ ... وَنَفِقَ الشيء وشيء ينفَقُ
472 ـ والنّفَقُ النقضُ والانقطاعُ ... فاحفِظ فبالحفظ لك انتفاع
473 ـ أما النفوق فهو يا من طلبا ... من نفقَ الحمارُ تعني عطبا
474 ـ وقد قدرتُ يا فتى عليكا ... أقدرُ والقدرةُ في يديكا
475 ـ كذلك القِدران ثم المقدُرهْ ... بضمها وفتحها والمقدِرة
476 ـ وقد قَدرْتُ الشيءَ قدراً وَقَدَر ... أقدُرُه وقَدَر الشيء حزر
477 ـ وقد جلا الشيء أو العروسا ... وقد جلَوْا عن دارهم لِبؤسا
478 ـ فسيفُه بالكسر في جِلاءِ ... وقومه بالفتح في جَلاءِ
479 ـ أما العروُسُ فجلاها جلوْه ... بالكسر مالي بعدها من سَلوه

---

462 ـ في (م) بالظن.

466 ـ في (ص) اي فرس بين فحل.

468 ـ في (م) وعدل أيضاً.

469 ـ في (ص) منك.

472 ـ في (م) ففي الحفظ.

475 ـ في (ص) كقولك.

477 ـ في (ص) (م) السيف.

480 ـ نعم وقد أجْلُوا عن الأوطانِ وعن قتيل وسط الميدانِ
481 ـ تقول اجلوا عن قتيل بألف تفرّقوا عنه وما الجاني عُرف
482 ـ وغار يا هندُ عليك غَيره فهو يغار أن لمحتِ غَيره
483 ـ وغارَ جاء الغوْرَ فهو غائرٌ والغوْرُ ضد النجد هذا سائر
484 ـ والماءُ قد غار يغُور غوراً أيْ غاض في الأرض كُفيت الجورا
485 ـ وغارتِ العينُ تغور من ضنى وغير ذاك وغؤراً قل هنا
486 ـ وغارَ زيدٌ أهله يَغيرُهم غيراً وقل غياراً أي يجيرهم
478 ـ وحلبَ القوت يُسمى الغِيرُه وكلّ ما يحتاج وهي المِيْره
488 ـ وقد أغارتْ خيلُنا على العدا إغارة وغارةً وهم سُرى
489 ـ وجاءَ وهو قد أغار حَبْلا إغارةً أحكم منه الفتلا
490 ـ وذا أبٌ بيّنةٌ أبوَّته وذا أخٌ ظاهرةٌ أخوّته
491 ـ وذاك ابنُ بيّن البنّوة وأمَةٌ بيّنة الأمَوّة
492 ـ وذاك عمٌ بيّن العمومهْ وتلك أمٌ كرمُت أمُومَه
493 ـ والخالُ أيضاً بيّن الخؤوله وابنُ الفعولية والفعولة
494 ـ للعبدِ والغلام ثم الرجلِ وقس على هذا المثال وقُلِ
495 ـ وهذه قد جلستْ إزائي جاريةٌ بيّنة الجِرَاءِ
496 ـ ومعها وصيفةٌ للوصافِ قد كمُلت وصافةً وإيصافْ
497 ـ تليهما وليدةٌ قد زادتْ على الوليدية والولادة
498 ـ وشيخهم قد شفّه التشيّخ ومسّهُ شيخوخةٌ وشَيَخُ
499 ـ لهم عجوزٌ ضرَّها التعجيزُ وإنما غذاؤها العَجُوزُ
500 ـ وأيِّمٌ بيّنة الأيُّوم والأيمةُ اغتدت بلا حميم
501 ـ أعني التي ليس لها من بعل والشيخُ عنّينٌ ضعيفُ الفعل

---

480 ـ في (م) المكان.

486 ـ في (ص) (م) يميرهم.

502 ـ مُبيِّن التعنين والعنّينهْ ... فنفسُه لما به مَهينَة

503 ـ وقلْ من اللّص ودعْ نظامها ... هي اللصوصيةُ وافتح لامها

504 ـ وهي الخُصوصيّة من خَصَصْتُ ... بالشيء زيداً فادر ما قصصت

505 ـ وقلْ من الحر كذاك وافتح ... هي الحَرورية قول الأفصح

506 ـ وقد أتتْ مضمومة مقِيسَه ... وهي الفروسيّة والفُرُوسه

507 ـ إذا عنيتَ فارساً ذا فرسِ ... وهي الفراسةُ من التفرّس

508 ـ وقد حَلُمْتُ في منامي حُلْماً ... وَحَلُمَ العاقل عنك حِلْما

509 ـ يَحْلُم والحالمُ مثلُ الفاعلِ ... للنوم والحليمُ ضد الجاهل

510 ـ وحَلِمَ الأديمُ فهو يحْلَمُ ... ثقَّبهُ الدودُ وذاك الحَلَمُ

511 ـ وقد قذت عينُك فهي تَقْذِي ... قذْياً رَمَتْ عنها القذى بنبذ

512 ـ وقذيتْ تَقْذَى قَذاً صار القَذَا ... فيها وقد ينالها منه أذى

513 ـ وأنا قد أقذيتُها إقذاءَ ... ألقيتُ في العين القذا إلقاء

514 ـ فإن تكن أخرجته منها فقلْ ... قذّيتها تقذيةً يا ذا الرَّجُلِ

515 ـ وربَّ بطّال سفيه بَطُلا ... وبطالة وبطلٍ قد بطُلا

516 ـ بُطولةً وضمَّ عيْنُ يفعُلُ ... وَتَطُلَ الشيءُ بطُولاً يبطُل

517 ـ وقيل في المصدر أيضاً بُطْلُ ... كما تقول في المثال قُفْلُ

518 ـ وخزي الإنسان يخزي خِزْيا ... من الهوان فإذا ما استحيا

519 ـ فالفعلُ ذاكَ ولتقل خَزَايه ... على مِثَالِ قولك الغَوايه

520 ـ وامرأةٌ خَزْيَا وَمْرء خَزيانْ ... وطلقتْ زوجة ذاك الإنسان

521 ـ بالفتح والضم[1] من الطلاقِ ... وطلقتْ طلقاً فهلْ من راق

522 ـ والطّلْقُ هذا وَجَعُ الولادِ ... وطلق الوجهِ ببشر باد

523 ـ طلاقةً فهو طليقُ الوجه ... وطلقةُ ليس له من نجهِ

---

(1) ـ في (م) بالشاء.

508 ـ في (م) في المنام.

513 ـ في (ص) وأنت.

521 ـ في (م) بالضم والفتح.

524 ـ وأطلقَ اليد بخير وطَلَقْ جادَ وقالَ راجزٌ منهم صدق

525 ـ أطلقْ يديك تنفعاك يا رجلْ بالريث ما أرويتها لا بالعجل

526 ـ وبعضُهم روى بوصل ألف وضمّ لام وهو أطْلُق فاْعرف

527 ـ ويومنا طَلْقٌ بغير قرٌ وغير ريح وأذى وضرٌ

528 ـ وليلةٌ أيضاً كذاك طَلْقَه ساكنة اللام كمثل حَلْقَه

529 ـ وقرَّ هذا اليوم فهو قَرٌّ والقِرَّةُ البَرْدُ كذاك القُرُّ

530 ـ وليلةُ أيضاً كذاك قرَّهْ من تحتها إذا اعتبرت حَرّه

531 ـ ويومُنا حَرٌّ يُحرُّ حرًّا معناه أن يومنا استحرا

532 ـ وإن ترد حرِّية الرقيق فقل يَحَرُّ قول ذي تحقيق

533 ـ حُرَية وَرَجُل ذليلٌ وجمل أو غيره ذلولُ

534 ـ والذُّل في المركوب والمذّلهْ في الناس والذُّل معاً والذّله

535 ـ وأنت نشوانُ عظيم النّشوة وأنت نَشْيَانٌ كثيرُ النِّشية

536 ـ فأنتَ لا تبغي سوى المُدام وأنا بالأخبار ذو غرام

537 ـ من شيمي تتبُّع الأَخبار وسَمْعُها من قاطن وطار

538 ـ والأَصل في النشيان واو يا فتى لكنّه بالياء للفرق أتى

539 ـ وقد قريتُ الضيفَ أقريه قِرى وإن فتحت القاف مُدَّ المصدرا

540 ـ وقدْ قريتُ الماءَ في الحياضِ أقرى قِرىً والقرو في الأراضي

541 ـ وفي سواها وهو التتبعُ وأنت تقرو الشيء أي تتبعُ

542 ـ وشفّه سقامُه يَشُفُّ شفّاً وشفَّ ثوبه يشِفُّ

543 ـ أيَّ شفوف وهو أن لا يستُرا من رقة ما تحته فهو يُرى

544 ـ وقد زبدتُ المرءَ أيْ أعطيتُه أزبدُه زبداً فهل أرضيتُهُ

---

528 ـ في (ص) وليلة كذاك أيضاً.

530 ـ في (ص) وجاء منه فاعل يا قُرة.

537 ـ في (م) من طارق.

539 ـ في (م) هو المصدرا.

545 ـ وإنــمــا أزبــدُه بــالــضــمِ أطـعـمُـه الـزبـد فـكـنْ ذا فـهـمِ
546 ـ وقـد نـسـبـتُ هـؤلاءِ أنـسـبُ نـسـبـةَ نـسـاب فـنـعـم الـنـسـبُ
546ـ ونَـسـبَ الـشـاعـرُ بـالـفـتـاةِ يـنْـسُـبُ والـنـسـيـبُ فـي الأبـيـات
548 ـ أنْ يـصـفَ الـفـتـاة بـالـجـمـالِ ونـفـسَـه بـالـحـبِّ والـبـلـبـالِ
549 ـ وشـبَّ أيْ تـرعـرعَ الـغـلامُ يَـشِـبُّ بـالـكـسـرِ ولا مـلامُ
550 ـ وهـي الـشـبـيـبـة أو الـشـبـابُ ويُـكـرَه الـتـشـبـيـب والـشِـبـاب
551 ـ في الخيل وهو أن يشب رافعاً يـديـه حـتـى قـد تـراه واقـعـا
552 ـ وقـد شـبـبـتُ الـنـارَ والـحـروبـا أشُـبِّـهـا شـبّـاً وقـلْ شُـبـوبـا
553 ـ وسـحّـتِ الـشـاةُ تـسِـحُّ فـافـهـمْ سُـحُـوحـةً أيْ سـال فـيـهـا الـدسـمْ
554 ـ وابن لـهـا اسـم فـاعـل من سَحّا بـغـيـر هـاءِ فـكـذاكَ صَـحّـا
555 ـ وسـحَّ أيْ صـبَّ كـذاك الـمـطـرُ تُـسِـحُ سـحَّـاً جـاءَ هـذا الـمـصـدرُ
556 ـ وأنتَ قد أعرضتَ عني تُعرِضُ وذلـك الإعـراض عـنـدي مـرضُ
557 ـ وأعـرض الـشـيء لـه إذا بـدا كـذاك إعـراضـاً وأعـرض أبـدا
558 ـ وقـد عـرضـتُ الـجـندَ والـكـتـابـا أعـرضُ والـجـاريـة الـكـعـابـا
559 ـ أعـرضـهـا عـرضـاً عـلـى الـجـمـيـع فـأرعـنـي سـمـع فـتـى سـمـيـع
560 ـ وأنـت قـد عـرضـتَ أيَّ عـرضِ تـعـرُض أيْ ضـخـمـت يـاذا فـاعـرضِ
561 ـ ومـا الـذي تـعـرضُ زيـداً لـكـذا بـالـكـسـر قيل والـمُـصـيـب من حـذا
562 ـ والـطـولُ قـد عـرفـتُـه والـعـرضُ خـلافَـه وكـلُّ واد عِـرْض
563 ـ والعِرضُ في الإنسان قيل جسده إمـا تـذمَّ عـرضـه أو تـحـمـده
564 ـ والـنـفْسُ والإبـاء والـخـلـيـقـه والـريـحُ والـكـلُّ لـه حـقـيـقـه
565 ـ وهـو نـقـيُّ الـعـرض حـيـنَ يُـمـدح أيْ لـيـس لـلـقـادح فـيـه مـقـدح
566 ـ والـعَـرَضُ الـذي يـنـال الـحـيُّ في الـعـمـر مـن دنـيـا حـكـاهـا فِـيُّ

---

557 ـ في (م) كذاك اعراض وأعرض بَدَا.

563 ـ في (م) أصل.

567 ـ والعُرْضُ إن شئت بضم العينِ ناحية الشيء بغير مَيْنِ
568 ـ والعودُ معروضٌ على الإناءِ مُلقىً على الإناء كالغطاءِ
569 ـ وحبّذا الحسامُ معروضاً على فخذيه وهو قاعد بين الملا
570 ـ وقد لحُمتَ يا فتى لحامَه وقد شحُمت بعدنا شحامهْ
571 ـ أيْ صرت ضخماً والفتى شحيمُ ومثلُه في وزنه لحيمُ
572 ـ وقد شحمتَ يا فلان تشحِمُ وقد لَحُمْتَ يا فلان تلحَمُ
573 ـ تريدُ قد قرمتَ وهو القرمُ إليهما وشحمٌ ولحمُ
574 ـ وشحمَ الأصحابُ فهو يشحمُ ولحم الجيران فهو يلحمُ
575 ـ أيْ أطعم الشحمَ فذاك شاحمُ وأطعم اللحم فهو لاحمُ
576 ـ وأشحم الإنسان فهو مُشْحمُ وألحم الإنسان فهو مُلحمُ
577 ـ تعني إذا ما كثر لديهِ فاحفظه حفظاً لا تقس عليهِ
578 ـ وذلكَ المُنصُل قدْ أحددتهُ أشدَّ إحدادِ وقد حددتُهُ
579 ـ فهو حديدٌ وحُداد قاطعٌ ونظري أحددتُه يا سامع
580 ـ إليك إحداداً وقد حدّدت حُدودَ تلك الدار ثم عُدتُّ
581 ـ أحدُّها حدّاً وحدّتْ هندُ لأجل موْتِ بعلها تحدّ
582 ـ وقد تحد والحداد أن تدعْ زينتها وطيبها لِمَا وقعْ
583 ـ وقد أحدّت فهي إما مُفْعل أو فاعِلٌ من غير هاءِ تدخل
584 ـ وأنا قدْ حددتُ من غيظ على زيدِ أحدُّ حدّةً لما غلا

---

569 ـ في (مك) معروض على.
569 ـ في (م) جالس.
570 ـ في (م) يا فتى.
578 ـ في (ص) وقد جودته.
579 ـ في (م) ونظراً.
581 ـ في (م) زوجها.
582 ـ في (ص) (م) وقل.

585 ـ وإن تقُل حدَّ أحدث قولا وقد أحال في المكان حَوْلا

586 ـ أقام فيه وأحال المنزلُ أتى عليه حولُه يا رجلُ

587 ـ مصدره إحالةٌ وحالا بيني وبين الشيء ثم زالا

588 ـ يحولُ حَوْلاً بالدخول بيننا وإنما يبغي بذاك بيننا

589 ـ والحولُ قد حالَ حُؤلاً أيْ كَمُل وحال عن عهدي ولكنْ لم أحلُ

590 ـ وحالتِ الناقةُ أيْ لم تحملِ والنخلُ أيضاً وحيالاً فقلِ

591 ـ وقد أحلناك على فلانِ إحالة بالدَّين مذ زمان

592 ـ وحالَ في ظهر الجوادِ أوسواهْ حؤل أي علامنه مطاه

593 ـ والحالُ في الظهر مكان اللّبد ما كان لي من شرحه من بُدّ

594 ـ والشيءُ قد أوهمتُه أوهمُه أسقطته فها أنا أعلمه

595 ـ وقد وهمتُ في الحسابِ أوهَم وفي سواه أيْ غلطت فاعلم

596 ـ فإن مضى وهمكَ نحو الشيّ وقد أردت غيره في الطيّ

597 ـ فقد وهمت يا فتى إليه أهِمُ وهماً لا تزد عليهِ

598 ـ وغَلِطَ الإنسان في الحسابِ وغيره قُلْه بلا ارتياب

599 ـ وغَلِتَ الإنسان بالتاء فقد في كلِّ ما يحْسُبه كذا ورد

600 ـ وأنا قد أحذيت زيداً حُذّيا وهي العرية بوزن القُصَبا

601 ـ وقد حذوتُ النعلَ بالنعلِ إذا قطعتها كمثلها وهي الحِذا

602 ـ والمصدرُ الحذو وقلْ إن تجلس حذاءَهُ حذُوته في المجلس

603 ـ وقد حذا نبيذُك اللسانا يحْذيه حذْياً قَبَضَ المكانا

604 ـ وقلْ إذا حُدثتَ إيه أيْ زدِ من الحديث فإذا لم تقصدِ

605 ـ منه حديثاً واحداً مُعيّناً قلتَ له إيهِ كذا مُنّونا

606 ـ وان تقلْ إيهاً فذاك قطْعُ وإن تقُل ويْهاً فذاك ردْعُ

---

587 ـ في (ص) الفتى.

588 ـ في (ص) يعني.

591 ـ في (م) أحلتك.

607 ـ وقلْ له تعجباً واهاً له | قال أبو النجم لليلى مِثْلَه
608 ـ واهاً لليلى ثم واهاً واها | يا ليت عيناها لنا وفاها
609 ـ وقد ثلثتُ الرجلين أثلثُ | صرنا معاً ثلاثةً لا أثْلُثُ
610 ـ وقع عشرت تسعةً أعشِرهم | بالكسر أيضاً لا تقل أعْشُرهم
611 ـ وهكذا ما بينها منْ عددِ | إلا حروف الحلق فانظر تجدِ
612 ـ تقول قد ربعتُهم أربَعُهُم | وزدْ على أسبعهم أتْسَعُهم
613 ـ فإنْ أردت قدْ أخذت حظا | منه فضُمَّ العينَ واحفظ حفظا
614 ـ إلا التي استثنيت فهي أبدا | مفتوحةُ العين لنفل وردا
615 ـ وقومُنا قد أثلثوا أيْ صاروا | ثلاثةً وقسْ فلا إنكار
616 ـ وأنا أمأيت الدنانيرَ وقدْ | أمأت فصارت مائة من العدد
617 ـ وطالما ألفتها فآلفه | جعلتها ألفاً فإذ تألفت
618 ـ طلتُ بها عليهم أطولُ | طولاً فدان العرض لي والطول
619 ـ ولا أحييك طوال الدهرِ | أيْ أمَدَ الدهر وطول العصر
620 ـ قالَ القطامي ينادي طللاً | طالَ به العهدُ فأقوى وخلا
621 ـ إنا محيُّوك ألا أسلم يا طللْ | وإن بليت أو يطلُ بك الطيل
622 ـ تقولُ طالَ طولي وطيلي | أيْ مدتي وعمري وأجلي
623 ـ كذلك الحبلُ يُسمى طِولا | كما ذكرتُ ويسمى طيلا

---

607 ـ في (ص) (م) فقل.
608 ـ في (م) هي المنى لو أننا نلناها.
609 ـ في (م) رجلين.
610 ـ في (م) عشرة.
615 ـ في (ص) فلا انكسار.
620 ـ القطامي: هو غمير بن شييم بن عمرو التغلبي، شاعر غزل من الفحول، وهو بضم القاف وفتحها نحو (135 هـ 747 م) وهو عند ابن سلاّم في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وهو أول من لقب بصريع الغواني وكان نصرانياً ثم أسلم، وله ديوان شعر.
622 ـ في (م) طيلي وطولي.
623 ـ في (م) ورد البيت هكذا: كما ذكرت ويسمى طيلا، كذلك الحبل يسمى طَوْلا.

624 ـ والرحلُ الطويلُ والطُّوال وهم رجال كلُّهم طِوالُ

625 ـ وقد شرعنا لكمُ في الدين شريعةً بالفرض والتبيين

626 ـ وأشرع البابَ إلى الطريق فتحه إشراع ذي حقوق

627 ـ وأشرع الرمحَ فلانُ قبلي سدّده لكنني لم أنكُل

628 ـ وشرعتْ في الماء خيلي تشرعُ وإبلي كما تقول تكرعُ

629 ـ وقلْ لقومٍ لهم استواءُ في الأمر أنتم شَرَعٌ سواءُ

630 ـ وشَرْعُنا من رجل فلان أيْ حسبنا فإنه دِهْقان

باب ما جاء وصفاً من المصادر

631 ـ تقولُ يا خصْمُ وتعني رجلا وامرأة وواحداً وجُمَلا

632 ـ وَدَنَفٌ كذاك لا يثنّي أيضاً ولا يجمع وهو المُضْني

633 ـ فإن كسرتَ النونَ ثنِّ واجمعِ وإن تُردْ تأنيثه لم تمنعِ

634 ـ وقَمِنٌ إذا فتحت وحَرَى كدنفٍ حكمها أيضاً قد جرى

635 ـ وهو إذا قلتَ حريٌ أو قَمِنُ أو ذا حريُّ أو قمين تحسنُ

636 ـ تقولُ قومٌ أحرياءُ بالنّدا تعني أحقاء وقسْ على هُدى

637 ـ ورَجُلٌ فطر وقوم فِطْرُ وامرأة فِطرٌ كذاك الأمرُ

638 ـ في قولهم زَوْرُ وصومُ وكذاكَ رضىً وعدلٌ مثل خصم إن أتاكَ

639 ـ لا تجمعِ الكلَّ ولا تثني لأنها مصادرٌ فاستغنِ

640 ـ كذلكَ الضيف وفي التنزيل من قولِ لوط أعظمُ الدليل

641 ـ وإن تشأ ثنيتَ أو جمعتا فقلتَ ضيفانِ كذا سمعتا

642 ـ وقد أتى الأضياف والضيوفُ كقولك الأسياف والسُّيوفُ

643 ـ وما أتى من ذاك فهو مثلُه والشيء مقرونٌ إليه شكلُه

---

625 ـ في (م) ورد عجز البيت هكذا شريعة في الدين والتبيين.

626 ـ في (م) تحقيق.

644 ـ وقـلْ لـهـم مـاةٌ رَواء وروى   وهـم مـن الـمـاء رِواء فـي الـلـوى
645 ـ ورجـلٌ لـه رُوَاءٌ أيْ لـه   مـرأى بـهـيٌّ مـا رأيـتُ مـثـلـه
646 ـ وانـظـر إلـى قـوم رئـاءَ بـعـضـهـم   مـقـابـل بـعـضـاً وهـذي أرضـهـم
647 ـ بـيـوتـهـم فـيـهـا رئـاءُ فـانـظـرِ   وفـعـلـوا ذاك رئـاءَ الـبـشـرِ
648 ـ وتـجـمـع الـرؤيـا الـتـي فـي الـنـوم   عـلـى رؤىً هـذا كـلام الـقـوم
649 ـ ودلـعَ الـلـسـانَ زيـدٌ أخـرجـا   ودَلَـع الـلـسـانُ أيـضـاً خـرجـا
650 ـ وقـد شـجـا فـاه إذا مـا فـتـحـا   وقـد شـحـا فـوه إذا مـا انـفـتـحـا
651 ـ كـذاكَ أيـضـاً قـولُـهـم فـي فَـغَـرا   فـيـه الـتـعـدي والـوقـوف ذُكـرا
652 ـ وقـلْ إذا أمـرت ذرْ ذا وَدَعِ   ولاتـقـلْ وذَرْتَ إن لـم يُـسْـمـعِ
653 ـ ولا ودعـت أو فـلان واذِرُ   أو وادعٌ فـإن ذاك نـادرُ
654 ـ والـوَذْرُ والـوَدع كـذلـك أهـمـل   وصـرّفـوا تَـرك فـهـوَ الـبـدل

باب المفتوح أوله من الأسماء(1)

655 ـ هو فكاك الرهن يعني المصدرا   فـي فـكّـه كـذاكَ فـيـمـن أُسِـرا
656 ـ وقد جرى في القلب حَبُّ المحلب   فـي الـطـيـبِ نـبـت فـي بـلاد الـعـرب
657 ـ والفتحُ في عِرْق النَّسا وفي الرَّحا   وفـي رَخـاءِ الـعـيـش أمـر وضـحـا
658 ـ وهوَ الرصاص والصَّداق يا فتى   هـذا هـو الـمـخـتـار والـكـسـر أتـى
659 ـ وإن تـشـأ صُـدُفَـة وصَـدُفـه   وقـد حـكـى الـزّجـاج أيـضـاً صُـدْفَـه
660 ـ والشَّنفُ ما عُلّق في أعلى الأذن   والـقـرطُ فـي أسـفـلـه فـاعـلـم وصـن

---

651 ـ في (م)، اللزوم والتعدي.
652 ـ في (ص) أي لم يشع.
654 ـ في (م) والودع والذر.
(1) ـ في (م) باب المفتوح أوله.
660 ـ في (م) فاحفظ.

661 ـ والأنفُ أيضاً في مثال الشَّنف | بـألـف مـفـتـوحـة فـي الأنـفِ
662 ـ والأمـر قـد جـاءَ بـه مـن قـصّـه | تُـريـدُ مـن مَـفْـصَـلـه وأصّـه
663 ـ والقَصُّ معروفٌ وخَصْمُ الرجُل | والـثـدي لـلـمـرأة فـاعـلـم وافـصـل
664 ـ وكـان ضِلْعُ الـحاكـم اليومَ عـلى | أيْ مـيـلـه لـمـا اخـتـصـصـتَ مع مَـنْ
665 ـ وجيءْ بهذا الأمر قلْ من حسِّكا | وبَـسّـك الـمـعـنـى بـجـهـد نـفـسـكـا
666 ـ من حيث أدركت وما لم تُدرك | بـالـحـسّ أو مـلـكـت أو لـم تـمـلـك
667 ـ وثـوبُـنـا مُـعـافـريُّ نُـسِـبـا | إلـى مـكـان مـن هـنـاك جُـلـبـا
668 ـ وقـل هـي الَـيـسـار والـيـسـارُ | لـلـيـدِ وافـتـح فـهـوَ الـمـخـتـار
669 ـ وهـو الـسَّـمـيـدعُ وذاك الـسـيِّـد | ولا تـضـمَّ الـسـيـن اذ لا يـوجـد
670 ـ والجدَيْ معروف وجمع الجَدْي | أجْـدِ كـأظـبِ وهـو جـمـع ظـبـي
671 ـ كـذاك أجـرجُـروٍ فـي الـيـسـيـر | وهـو الـجـراء مـنـه فـي الـكـثـيـر
672 ـ وتـفـتـح الكَـتّـان في الـمـشـهـور | كـذلـك الـخـطـي عـن جـمـهـورِ
673 ـ وإنـمـا الـخـطُ مـكـانٌ يُـجـلـبُ | مـنـه الـرّمـاح وإلـيـه تُـنـسـب
674 ـ ومـا أكـلـت بـعـد كـمْ أكـالا | كـلاً ولا ذقـتُ غـمـاضـاًالالا
675 ـ أمـا الأكـال فـهـو فـي الـطـعـام | والـغـمـضُ والـغـمـاض فـي الـمـنـامِ
676 ـ ومـثـلُـه الـحـثـاثُ وهـو يـفـتـح | وقـيـل إن الـكـسـرَ فـيـه أفـصـحُ
677 ـ والجوربُ الملبوسُ في الرجلين | ويُـعـرف الـكـوسـجُ بـالـخـديـن
678 ـ وهـو الـنـقـي الـوجـه إلا الـذقـنـا | ومـسُّـه الـلّـوى لـبـرد بـطـنـا
679 ـ أيْ وجعٌ في البطن وهو الفقر | ضـد الـغـنـى لـم يـأت فـيـه كـسْـرُ
680 ـ ولـلـطـعـام نـزلٌ أيْ ريْـعُ | نـعـمْ وفـصـلٌ لا عـراكَ روعُ
681 ـ وأمـره أبـيَـن عـنـدي فـيـثـق | من فـرق الـصـبـح وقـلْ من فـلـق

---

668 ـ في (ص) الاسثنان واليسار.

673 ـ في (ص) تجلب.

681 ـ في (ص) فثق.

682 - وشـمـعٌ وسَـهَـر ونـهـرُ ... ولـيـس إسـكـان الـثـوانـي أنـكـر

683 - وذاك شـيء داخـل فـي الـقـبـضِ ... والـقـبـضُ الـمـقـبـوض مـثـل الـنـفـضِ

684 - والـنـفـضُ الـمـنـفـوضُ مـن أوراق ... والـقـبـضُ والـنـفـض لـدى الـحـذّاق

685 - كـالـضـرب والـقـتـلِ مـن الـمـصـادرِ ... فـخـلٌ قـولَ وارد وصـادرِ

686 - وذاكَ إنـسـان قـلـيـل الـدَّخـلِ ... لـيـس بـذي غـشٍّ ولا ذي خـلَـلِ

687 - ولا أكـلـمـك مـن ذي قَـبَـل ... أو زِدْ إلـى عـشـر ومـا شـئـت قُـل

688 - ذو قـبـل تـقـديـره ذو اسـتـقـبالْ ... كـذا أتـى فـي الـكـتـب زدت إقـبـال

689 - وطـرسُـوس بـلـدة رومـيـة ... والـعـربـسـوس الـدفـة الـمـحـنـيـة

690 - والـعَـربـونُ يـا فـتـى والـعُـرْبـان ... وذاك مـا عـجـلـتـه مـن أثـان

691 - والـجـبـروتُ مـصـدرُ الـجـبـار ... فـلا تـكـنْ لـلـنـاس ذا اسـتـكـبـار

692 - والـجـبـرّيـة كـمـثـل الـكِـبـر ... مـفـتـوحـة الـبـاء فـكـنْ ذا خـبـر

693 - وفـرقـة جـبْـريّـة أي تُـخـبـر ... أن الـفـتـى عـلـى الـمـعـاصـي مُـجـبر

694 - وفـلـكـةُ الـمِـغـزلِ وهـي تُـجـعـل ... أسْـفـلـه لـيـرجـحـنَّ الـمِـغْـزلُ

695 - والعظمُ على الصدر يسمى ترقوْه ... ووزنـهـا مـن الـمـثـال عـرقـوْه

696 - تـفـسـيـره الـعُـود الـذي يـعـتـرض ... عـلـى فـم الـدّلـو عـلـيـه يُـقـبـض

697 - وسـورة الـسـجـدة قـد قـرأتُ ... كـذلـك الـجَـفْـنـةَ قـد مـلأت

698 - وإلـيـة الـكـبـش وتـلـك الألـيـات ... والألـيـان نـعـتـه مـن ذا آت

---

682 - في (ص) وشعرَ.

685 - في (م) كالقتل والضرب.

689 - في (ص) (م) والقربسوس.

690 - في (ص) أثمان.

691 - في (م) فلا تكن في الناس ذا استكبار.

695 - في (م) يدعى.

- في (م) الكلام.

698 - في (م) وإلية أتت.

699 ـ والأليانة التي قد عظمت إليتها من لحمها أوكرُ مث

700 ـ ورجلُ إلى بمعنى ستهُم وامرأة عجزاء أيضاً فافهم

701 ـ وكان في القياس أي تقولا ستهاءُ قال بعضهم قد قيلا

702 ـ والحزبُ خدعةٌ وهذا من كلام نبينا عليه موصولُ السلام

703 ـ وأصْبعُ الإنسان فيها الأنملةْ بفتحتين ويُقال الأُنملُه

704 ـ كقولهم أسنُمَةَ بألفِ مفتوحة وضم نون فاعرفِ

705 ـ تفسيره اسمُ موضع أو جبلِ أو رملةٌ قد قيل كلٌ فقلِ

706 ـ وهذه دجاجةٌ وشتوه وكثرة تفتحها يا عُروة

707 ـ كذلك السفود والتنُّور كذلك الكمُّون والسمُّور

708 ـ أيْ حيوانٌ تُصنع الفراءُ من جلده فجلدُه دِفاء

709 ـ وقيلَ فيه غيرُ ذاك من نبات وحيوان فادر ما قال الثقاتِ

710 ـ كذلك الكلُّوب في الآلات كذلك الشبُّوط في الأحوات

711 ـ وكلُّ ما جاء على فعول تفتحه، وجاء في القليلِ

712 ـ في اسمين في القدُّوس والسبُّوح بالضم مختاراً وفي الذُّروح

713 ـ في حيوان طائرِ ذي سُمّ والفتح فيها جائز كالضمِ

714 ـ وقُلْ صَعُودٌ وهبوط وحَدور وقل جَزور وقل الماء الطّهور

715 ـ وقلْ وَقودٌ للذي يوقد به وقل وضوءٌ فتحه بحَسبه

617 ـ وقيل إن فتحت فهو الاسم للفعل والمصدر فيه الضّمُ

717 ـ وقل سَحور وفطور وبَرُود أيْ بارد بالكحل قسها بالوقود

718 ـ وقلْ قَبُول حسنٌ وافتح معا وقل ولوعٌ مصدر من أولعا

---

700 ـ في (م) فافهموا.

701 ـ في (ص) أن.

713 ـ في (م)، لحيوان.

717 ـ في (ص) وقسها.

718 ـ في (ص) (م) ولعا.

719 ـ وفَخِذٌ وكَرِش وكَبِد وفَحِث وشَرْحَ هذا أقصد

720 ـ وهي التي بالطبقات القذرة كأنها رمّانة من عذِرة

721 ـ وقبّة ترعى وتدعى فطنه وحفثاً بالقلب وهي بينه

722 ـ نعم ومنْ ذا الباب هذا لعبٌ وضحك وحَلِف وكذب

723 ـ وحَبِقٌ وضرِطٌ وصَبِرُ تعني به الدواء وهو المقر

724 ـ وهذه معِدةٌ ولَبنة أيْ طوبَةَ وقد شرحت الفطنة

725 ـ وهذه كلمةٌ وناسُ سَفِلةٌ وكلُّهم خِساس

726 ـ وبعتُ منه سلعة بآخره مكسورة مقصورة ونظره

727 ـ وجاءنا من حالة مستنكره لكنني عرفته بآخِره

باب المكسور أوله من الأسماء(1)

728 ـ تقول هذا الشيء رِخْوٌ ليّنُ والجروُ والشّيء برطل يُوزنُ

729 ـ واستعمل الوالي على الشام وما أخذ أخذ الشام أيْ ما انتظما

730 ـ بالشام أو كان إليه يَرْجعُ وقيل ما نفي وليس يُدفَعُ

731 ـ وذلك النسيانُ والديوان وذلك الديباج والخوان

732 ـ وذاك كِسْرى وسداد من عِوز وما أنا أشرحه في ذا الرجز

733 ـ أما السدادُ هكذا فيوضعُ لما به يُسَدُّ أو يرفَّع

734 ـ لكنْ إذا فتح فهوَ المصْدرُ والعَوَزُ الحاجةُ والمفتقر

---

720 ـ في (م) بالطباقات.

721 ـ في (ص) تدعى وترعى.

725 ـ في (م) قساس.

726 ـ في (م) مقصورة مكسورة.

727 ـ في (ص) (م) وجاءني.

(1) ـ في (م) باب المكسور أوله.

731 ـ في (م) والدوان.

735 - وأنـت فـي جـوار ذاك الـحـرّ ... قـوام أمـرٍ أو مـلاك أمـر
736 - والمالُ في الرعي تريدُ في العلا ... والسقـي حـظ الأرضِ مـن مـاء ولا
737 - تفتحهما حتى تريد المصدرا ... كالطحن والطحن وقيت الضررا
738 - والسقي أيضاً ما سقيتَ من طعام ... بعمل وحيلة لا بالغمام
739 - والغذي تعني البغلُ ما سقاهُ ... ماءُ الغمام ذاك لا سواهُ
740 - وقد نزلنا العلو والسفلَ وإنْ ... قلتها بالضم أيضاً لم تمن
741 - والعِلوُ أعلى كل شيء فاعلمِ ... وسفلُه أسفله في الكلمِ
742 - والجصُّ تعني الجبس وهو الزئبر ... تقول هذا ثوبه مُزأبر
743 - والزئبق الزاؤوق والمَزابق ... ما مسَّه من الظروف الزئبقُ
744 - والقرقسُ البعوض وهو الجرجس ... وليس لي في الأمر فكر يحبس
745 - وأنت قدْ أوطأت زيداً عِشوه ... خدعته فكان منه هَفْوه
746 - والطائرُ المعروف يُسمى جدأه ... والجدأ الجمع وأمّا الحدأه
747 - بالفتح فهو الفأس ذات الرأسين ... في غير هذا الباب فاحفظ هذينِ
748 - وهذه جِنازةُ أي مَيْتُ ... على السرير ذاك قول يُثبت
749 - والغِسْلةُ الغاسولُ في القياسِ ... كقولهم غِسْل لِطفل الراسِ
750 - وقيل آسٌ طيبٌ وماءُ ... ترجّل الشعرَ به النساءُ
751 - وكفّة الميزان والصنارهْ ... حديدة كمخلب مُداره
752 - نعم ولي في آل زيد بُغية ... وولدٌ لرشدة وزينة

---

736 - في (ص) الكلأ وفي (م) الخلا.

740 - في (م) نزلت.

- في (م) قلتها إذا بضم لم تمن.

744 - في (م) الجرس.

748 - في (ص) سرير.

751 - في (م) المرزاق.

753 ـ فإن تقلْ لِغَيّة فتُفتحُ والإحنة الشحناءُ حين تشرح

754 ـ وقدْ وجدتُ في عظامي أبْرَدهْ تريد برداً باطناً لا بَرَده

755 ـ والإصبع اكسر ألفاً ثم افتح باءً وما أردت غير الأفصح

756 ـ وعنده إشفى من الأشافي أيْ مثقب الخرّار والخصّاف

757 ـ والجديُ إنفحته ما يُعْقد به الحليب الحاءُ لا تشدّد

758 ـ وإن تشأ شددتها وفيها أيضاً لغاتٌ لستُ أستوفيها

759 ـ وقلْ إكافٌ ووكافٌ واكتبِ وهذه إضبارة من كتب

760 ـ كقولهم أقامةُ إضمامةْ أيْ كتب مجموعة أمامه

761 ـ وهو سوار اليد لا يخفى اسمه وتكسر الإسوار أو تضمه

762 ـ والفرسُ فيهم تُعرف الأساوره قيل كماةٌ أو رماة قاهرة

763 ـ وهو الأوز الواحد الإوزه أيْ بطة وقد يقال وزّه

764 ـ وذلك الرُمَّان إمليسيٌّ بلا نوىً فحبُّه مائي

765 ـ وعنده إهليلجٌ للشربِ وعنده إرزبةٌ للضربِ

766 ـ نعمْ وفي الأصابع الإبهام واسم صغارِ الغنم البهام

767 ـ وشهد الإملاك زيد أي حضرْ عقدَ نكاح يا له يوماً أغرْ

768 ـ ذو أذخر وهو نباتٌ عطرُ يُسمى بتبن مكة ويُشهرُ

769 ـ وكل ما يكون مثل الآله فميمه تكسر لا محاله

770 ـ تقول هذا مِلحفٌ وملحفهْ تكسر ما جاء على هذي الصفهْ

771 ـ وهذه مطْرقةٌ ومِطْرقُ ومثلُه مِروحة إذ تنطقُ

772 ـ كذلك المِرآة وهي تجمع على مَراءِ وكذاك تُسمعُ

773 ـ ومئزر ومِحلبٌ أيْ قدحُ للحلب والمخيط وهو المنصحُ

---

761 ـ في (م) لاتضمه.

762 ـ في (ص) ماهرة.

768 ـ في (ص) واذخر.

774 ـ ومقطع أيْ آلة للقطعِ إلا حروفاً حفظت في السمعِ
775 ـ مثل مِدقٌّ يا فتى ومكحل ومزبر ومسعط ومنخلُ
776 ـ أما المُدَقُّ فهو ما يُدقّ به وقد قيل هو المدَق
777 ـ وفي وعاءِ الدُّهن قيل مُدْهنُ والكحلُ في المكْحُل هذا بيّن
778 ـ كذا السُّعُوط أيّ دواء الأنفِ وعاؤه المُسعُطُ دون خلفِ
779 ـ والمنْخُل الغِربالُ ليس يُجهل والمشطُ في رواية والمُنصل
780 ـ وتكسرُ الدِهليز والمِنديلا كذاك والسِرجين والقنديلا
781 ـ وفسَّروا الدهليز فيما ذكروا بأسطوان الدار ثم فسّروا
782 ـ كذلك السرّجينُ فسّر مطلقا بالزّبْل لكنْ بعضهم قد حققا
783 ـ فقيّد الزّبْل بزبل الفَرَسَ والبغلِ والحمارِ هذا واحبس
784 ـ وتمر شهريز إذ أضفته والتمر شهريزٌ إذا وصفته
785 ـ كذاك شهريز بغير نقطِ وذاكَ في رهط وذا في رهطِ
786 ـ والجيد والسكين والجرانا تعني به السدر فزد بيانا
787 ـ وأنتَ سِكيّرٌ كثيرُ السُكرِ وأنت خميّرٌ كثيرُ الخمرِ
788 ـ وأنتَ شِرّيبٌ كذاك يا رجلْ وذاك بطيّخ وطبيّخ فكلْ
789 ـ وذلك الماءُ شديدُ الجريْه يا حسن الركبة ثم المِشْيه
790 ـ وجلسةٌ وقِعدة إن تكسرِ تعني بها الهيئة غير المصدرِ
791 ـ وضِلَعُ وقمَعُ ونطَع تفتح ثانيها كذاك الشَبع
792 ـ والقِمَع الشيء الذي تلقيهِ في في الإناء عنند ضيق فيهِ
793 ـ ثم تصبُّ فيه ما أحببتا فلا تخافُ الفيض إن صبَبْتا
794 ـ والنِطعُ الذي يكون منْ أدمِ يُلقى على الرحل عند سفك دمِ

---

775 ـ في (م) ومكحلة.
ـ في (م) ومنخلة.
780 ـ في (م) كذلك، السرجين والقنديلا.

باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى

795 ـ أوّلُ مولودٍ لوالدينِ بِكْرٌ وسمّ ذا وذا بكرين
796 ـ وأنشدوا عليه من شطر الرجزْ بيتاً وفي ذاك سدادٌ من عوزْ
797 ـ يا بكرَ بكرين ويا خلبَ الكبدْ أصبحتَ مني كذراع من عضدْ
798 ـ أما فتى الإبل فاسمعْ ذكره الذكر البَكر والانثى بكره
799 ـ والخيطُ ما جميعه خيُوطُ وقطعةٌ من النعام خيطُ
800 ـ والعالِم الحَبْر وقيل الحِبْر وهو فصيحُ والمرادُ حِبْرُ
801 ـ وقلْ نصيبٌ يا فتى والقِسْمُ فإن أردت مصدراً فقسم
802 ـ والصدقُ في الأشياء مثل الصُّلبِ والصِدقُ في القول بضد الكذبِ
803 ـ وخل سربي أيْ طريقي أخطرُ وآمن في سربه هذا أكسرُ
804 ـ أيْ آمنٌ في نفسه والقومِ كذا فقلْ ولا تخف من لومِ
805 ـ والجزع في الوادي بكسرٍ يُعرف أيْ جانبٌ أو معظم أو معطف
806 ـ والجَزْع ما ينظمُ من أحجارِ في السلك وهو خرز الجواري
807 ـ والشّنف ستُرُشفٌ عما تحتهُ من رقّة إذا أردتَ نعتهُ
808 ـ فإن أردتَ الفضلَ فهو الشِّفُ مكسورة ولي عليك يشفُ
809 ـ والانتساب بادعاء دِعَوه وقد دعا إلى الطعام دَعَوْه
810 ـ والحِمل للظهر بكسر الحاءِ والحَملْ للبطن من النساءِ
811 ـ والحمل والحمل معاً للشجر لأنه حَمْل وحِملٌ فاشعر
812 ـ والمَسْكُ جِلْدُ الظبي أو سواه والمِسكُ طيبٌ عاطر شذاهُ

---

796 ـ في (م) بيتين.
800 ـ في الجبرْ وقيل الحَبر.
801 ـ في (م) فالقسم.
803 ـ في (م) آمناً.
808 ـ في (م) الشُّف.
812 ـ في (م) طيّب.

813 ـ وذاكَ قرني يا فتى أي نِدّي ... فليس لي عن حربه من بُدٍّ

814 ـ وهو قِرني سنُّه كسني ... فها هنا تفتح قافُ القرنِ

815 ـ وإن فتحتَ الشكلَ فهو المثلُ ... والشكلُ للمرأة وهو الدَّلُّ

816 ـ وما بها من أرمٍ أي أحدِ ... بألفٍ مفتوحةٍ فقيِّدِ

817 ـ وإن تكنْ مكسورةً فالإرم ... مفتوحة الرَّاء وذاك العَلم

818 ـ والانكماشُ في الأمور حدُّ ... والبختُ والأب البعيد جَدُّ

819 ـ وما أتى في الشعر من أحدَّكا ... فاكسر وقدّر أتجد جدّكا

820 ـ فإن حلفتَ فلتقلْ وجدِّكا ... وتفتحُ الجيم كمثلِ مجدكا

821 ـ والوقرُ وهو الحملُ مما يحملُ ... والوقرُ في الأَذن وذاك الثقلُ

822 ـ واللحي عظم الفك وهوالأسفلُ ... واجمع على ألحِ إذا تقللُ

823 ـ ولحية بالكسر والجمعُ اللُّحى ... بالضم إن شئت وإن شئت اللِّحى

824 ـ والأرض لم تنبت فتلك فِلُ ... وقيلَ لم تمْطر وقومٌ فَلُ

825 ـ تفتحُ هذا وهم المنهزمون ... ومرفق الإنسان أما أن يكونْ

826 ـ بالفتح في الميم وكسرِ الفاءِ ... وإن تشأ عكستَ في البناءِ

827 ـ والمرفِق أيضاً واحدُ والمرفق ... وهو الذي أنت به ترتفقُ

828 ـ والنعمةُ النعيم والتنعّمُ ... والنعمةُ اليدُ وهي الأنعم

829 ـ والجنّة الجنُّ وقد يكونُ ... من جَنَّ هذا فبه جُنونَ

830 ـ ودخلَ البستان وهو الجَنّهْ ... وحملَ السلاحَ وهوَ الجُنهْ

---

814 ـ في (م) قرنى.

821 ورد هذا البيت في (م) هكذا والوقر في الأذن وذاك الثقل واللَّحى عظم الفك وهو الأسفل

822 ـ ورد هذا البيت في (م) هكذا: واجمع على الح إذا تقلل والوقر وهو الحمل مما يحمل.

827 ـ في (ص) (م) والرفق.

828 ـ في (م) النعم.

829 ـ في (م) من جنَّ هذا أي به جنون في (م)

831 ـ ورجلٌ في سوطه عِلاقه ... بالكسرِ والمحبّة العلاقه

832 ـ ورجلٌ في سيفه حِمالهْ ... بالكسر والغرامة الحَمالهْ

833 ـ كذاكَ والولايةُ الإمارة ... تقولُ تلك امرأة مختاره

834 ـ وبَضعة اللحم بفتح تستطر ... وهؤلاء القوم بضعة عشر

835 ـ وقيلَ في الأمر وفي الدين عَوَجْ ... وفي العصا ونحوها قيل عوجْ

836 ـ وهو الثِفال كالبساط يُوضع ... تحتَ الرحى فيه الدقيق يقعُ

837 ـ وهو الثَفال أيْ بعيرٌ مبطىء ... بالفتح من يكسرْه فهو مخطىء

838 ـ ولقحتْ ناقتُه لقاحا ... وجئت حياً بعدكم لقاحا

839 ـ أيْ لم يدينوا لا ولا أصابهم ... في الجاهلية سباءٌ نالهم

840 ـ كلاهما لم أر إلا فتحه ... وتكسُر اللقاح جمع لقحه

841 ـ وإن تشأ قلتَ لقوح ومتى ... جمعت قلت لقح وقد أتى

842 ـ وهي من النوق الحديثة النتاجِ ... وسمُّها اللبون بَعْدُ باندراجِ

843 ـ وذا الفتى خِرقٌ لهُ تخرّق ... بماله وهو ظريف لبقُ

844 ـ والخرقُ في الصحراء ما تخترق ... فيه رياح أو مياه تدفق

845 ـ والعدلُ إن كسرت فهو المثلُ ... وقيمة الشيء بفتح عَدْلُ

---

833 كذلك الولاية الإمارة ... بالكسر والعلاقة الأمارة

وبعده في (ص)، (م):

وقل لمن شارطت أو خاطرنا ... في فعل شيء نحوه أشرنا

لك على إجرة مطاعه ... دنت له في فعله بطاعِه

فإن كسرت فهي الإمارة ... تقول تلك امرأة مختارة

842 ـ في (م) وهو.

844 ـ في (م) فيه الرياح.

باب المضموم أوله[1]

846 ـ تقول هذه ضُغطة قد حلتِ ... يا ربنا ارفعها فقد أضلتِ
847 ـ ولُعبة وتلك ما يلْعب بهْ ... كالنرد والشطرنج فافهم وانتبهْ
848 ـ وقُلفة وجِلدة وتعني ... ما يقطع الخاتن عند الختِن
849 ـ وهي الطمأنينةُ والأقوامُ ... على طمأنينتهم ما قاموا
850 ـ وهي القُشعريرة تعني الرعده ... يستخشن الإنسان منها جلده
851 ـ وذاك عودُ أسر والأسر ... تعذّر البول والاسم الأسر
852 ـ والحُصر أيضاً لاحتباس البطنِ ... لا زلتَ من هذا وذا في أمنِ
853 ـ واجعلْ فلاناً منك يا زيد على ... ذُكرِ ولا تغفله فيمن أغفلا
854 ـ وقد أتانا في ثياب جُدُدِ ... يسري طروقاً زائراً بالموعد
855 ـ والفُلفُلُ المعروف وهو العُنق ... وذاك عنوان الكتاب ينطق
856 ـ وأنا قد عنونتُه وطفتُ ... بالبيت أُسبوعاً وما وقفتُ
857 ـ وهيَ الأسابيعُ إذا ما جُمعت ... على القياسِ وكذاك سُمِعت
858 ـ وناقتي أنشطتُ بالأنشوطهْ ... عقلتُها فناقتي مربوطهْ
895 ـ وتلكَ قالوا عُقدةٌ ملوية ... سريعةُ الحلِ بلا روية
860 ـ وعندَ زيد قدحُ نُضار ... وإن تضف أنت وما تختار
861 ـ أيْ قدحُ مُتخذٌ من أثل ... أو ذهبِ والجُبن جُبن الأكل
862 ـ ومصدرُ الجبان مثلُ ذلك ... ورفقة عظيمةُ هنالك
863 ـ والكبشُ عُوسيُّ تريد ضَخْما ... أو أبيض اللون رُزقت العلما
864 ـ وقلْ له نُعْمَ ونُعما عينِ ... ونُعمة وفيه غيرُ ذَيْنِ
865 ـ وأُجرةَ العامِل اعط واعرفِ ... ذؤابة الرأس معاً والشرفِ

---

(1) ـ في (م) باب المضموم من الأسماء.

853 ـ تنتهي هنا أبيات وأوراق المخطوطة (م).

866 ـ وما على هذا الفتى طلاوة — لاحُسْنَ لفظ لا ولا حلاوة

867 ـ وحجزة السروال حيث تثنيه — وهي النفاية لما قد تنفيه

868 ـ من الطعام وسواه أزدري — وقد ذكرنا فعله عند البري

869 ـ ووقعَ الإنسان في أفرّه — أيْ في اختلاط وصياح ضره

870 ـ وهي الأُبلة تريد موضعا — يدنو من البصرة فاحفظه معا

871 ـ وبالفتى تُخْمَةٌ من أكله — وعنده تُؤدة من عقله

872 ـ وهذه تُكَأَة أيْ مُتكأ — وهذه لُقَطَة لن تملكا

873 ـ ورجلٌ لُعَنَةٌ لعّانُ — ولُعْنَةٌ يلعنُه الإنسانُ

874 ـ ومثلُ ذاك في القياس ضُحَكه — وضُحكة أقبحْ بها من ملكةْ

875 ـ ومثلُ ذاك هُزأة وهُزأه — وقد سمعت الفرق يا من قرأه

876 ـ ومنه عُصْفور نَعَمْ وثُؤلول — ومنه زُنبور نعمْ وبُهلول

877 ـ تُفسّر الثؤلول بالخُراجِ — وأنت للبهلول ذو احتياجِ

878 ـ تعني كريماً ذا لقاء حسنِ — ومنه قُرقُور لبعض السُفنِ

879 ـ قالَ وكلُّ اسم على فُعلولِ — فضمُّه أصل من الأصولِ

880 ـ ومنه صارَ خالدٌ أُحدوثهْ — في قومه أيْ أكثروا حديثه

881 ـ وهذه أُرجُوحةُ الصبيانِ — إذ يلعبون وهي كالميزانِ

882 ـ وَهْيَ أضاحيُّ وخُذْ أضْحيّهْ — وهيْ أماني وخذ أُمنيه

883 ـ وهي أواقي وزدْ أُوقيهْ — ولا تنّون مثل هذي البُنْيه

---

868 ـ في (ص) ردى.

ـ في (ص) البدى.

879 ـ في (ص) أصلاً.

ـ في (ص) وقل.

باب المفتوح أوله والمضموم باختلاف المعنى

884 ـ تقول هذي لَحْمَة وذا سَدى ... تفتحت وضم لام ما عدا

885 ـ كلُحمة النِسّب إذا تلْتَحمُ ... ولْحمة البازي أيْ ما يطعمُ

866 ـ والأكلة الفعله كالغداء ... والأكلة اللقمة من غِذاء

887 ـ ولجة الماء بضم اللامِ ... معظمه والفتح في الكلامِ

888 ـ تقولُ للناسِ هناك لجُه ... تريدُ أصواتاً كمثل ضجّه

889 ـ وهذه الأحمالُ والحُمُوله ... بضمّها وإن تقُل حَمُوله

890 ـ وتفتح الحاءَ فتلك الإبلِ ... أعني اللواتي للحمول تحملِ

891 ـ كذاك والمُقامةُ الإقامهْ ... بالضَّم والجماعة المقامة

892 ـ والأصلُ فيها أن تقوم في مقام ... بخطبة على اتساع في الكلام

893 ـ وأَخَذَتْهُ موتةٌ لا تهمزُ ... ضَرْبُ من الجنون فلتميزُ

894 ـ والموتةُ المرةُ من مات يموت ... وذاك مثل قولهم فات يفوت

895 ـ واقطع بضم الخُلتين قطْعَا ... أعني المودّة وخلو المرعى

896 ـ والخَلْةُ الخصلةُ والخِلال ... جمعُ لها ومثلُها الخِصال

897 ـ والخلّة الحاجةُ مثلُ الفقر ... وضُمّ جيم جُمّة من شَعْرِ

898 ـ وجاءتْ الجُمّة تبغي رفديَهْ ... أعني رجالاً لايسألون في الديهْ

899 ـ وجَمّة الماءِ هي اجتماعُهُ ... في البير بالفتح كذا إسماعُهُ

900 ـ وما لها شَفْر تريد أحداً ... والشُّفر شُفْر العين بالضم غدا

901 ـ وجئتُ في عقبى جمادى أورجبْ ... أيْ بعدما مرَّ ولم يبقَ عطبْ

902 ـ وإن تكنْ قد بقيتْ ليالِ ... فلتفتح العينَ بلا جدالِ

903 ـ وقلْ على عقبه أو فيه ... وعقْبةِ وكُلّها تحكيهِ

---

900 ـ في (ص) وما بها.

901 ـ في (ص) في عُقْب

ـ في (ص) عَقِب.

904 - وقد كَسَرْتُ الدُّفَّ تعني الجبنا وقد ضربت الدّف أبغي لعبا

905 - والدال منه إن تشأ فتحتها والعِلْم خيرُ منحةٍ مُنحتها

906 - وحلَّ موتانٌ وقل مُواتُ وموتان بهم فماتوا

907 - وهذهِ أرضٌ مواتٌ مُهْملَة غامرةٌ من يحيها فتلك لهْ

باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى

908 - إن تكسر الإمة فهي النِعْمه وقامَةُ الإنسان تُسْمى أمّه

909 - كذاك قِرنُ الناس في الجماعهْ والحينَ فاضبط جهد الاستطاعه

910 - والخطبة المَصْدَرُ ذا في مذهبه فإن ضَمَمْتَ فاسْم ما يخطب به

911 - وقيل إن خِطْبة النكاحِ تُكْسر دونَ غيرها يا صاحِ

912 - وجملٌ ورُحْلَةٍ قَوِيُّ والرِحلة السّفرة ذا مرويّ

913 - وهي إذا كسرتَ الارتحالُ ونُقْلةٌ كذاك وانتقالُ

914 - وحَمَل اللّهُ تعالى رُجلك يا أيُّها الرجل اقلع رجلك

915 - بالكسر تعني البقْلة الحمقاءُ أدام مولانا لك البقاءُ

916 - ومُطمئنُ الأرض أيضاً رِجلَهْ فاقبل بفهم ما روته الْجِلّه

917 - وحُبوة العطاء من حبوتُه وحبوةُ من قولك أحبَيتُه

918 - والاحتباء أن تراه رافعا ساقيه في حال القعود واضعا

919 - كساءه أو ثوبه عليه لفّاً على جنبيهِ مع ساقيه

920 - وقد يقال زال زيد جيبته كما تقول حلَّ أيضاً حُبْوته

---

907 - في (ص) عامرة.

914 - في (ص) رُجلتك.

- في (ص) رِجلتك.

917 - في (ص) حبوت.

- في (ص) احتبست.

920 - في (ص) حلَّ.

921 ـ والصُّفرُ بالضم من النحاسِ ومنزلٌ صِفرٌ بلا أُناسِ

922 ـ وكلُّ خالٍ أيُّ شيء كانا فذاك صِفر فاستفد بيانا

923 ـ كذلك العُشْر من الأشياءِ حتى إلى الثلث بضم الفاء

924 ـ وحركنْ أوسطها بالضم إن شئت أو سكّن بغير ذم

925 ـ لكنها تُكسر في الأَضماء والظمأ حقٌ لورود الماءِ

926 ـ تقولُ منه التسع ثم السبع كذلك الخِمْس معاً والربع

927 ـ والخِلْفُ للناقةِ مثلُ الضرعِ للشاةِ مكسوراً كذا في السمع

928 ـ والخُلْفُ في الوعد بضم الخاءِ فِعْلَةُ سُوءٍ ليس بالوفاءِ

929 ـ وناقةٌ تحنو على حُوارِ أيْ وَلِدَ يا حَسَنَ الحِوارِ

930 ـ من الكلام وهو المُحاورهْ مثل الجِوار وهو المُجاوزه

931 ـ وعنده قالَ جِمامُ القدحِ ماء بكسر جيمه لا تفتحِ

932 ـ وعنده جمام مكود دقيق بالضم والمكود مكيال عتيق

933 ـ وذاك أن تملأه بقَدْرِ ما يبلغُ الرأس امتلاء فادرِ

934 ـ وقد قعدت في عُلاوة الصِّبا أو في الشفالة لأشفى الوصبا

935 ـ وقد ضربتُ بيدي علاوته أيْ رأسه ولم أخفْ عداوتهْ

936 ـ وهذه عِلاوةٌ على الجمل قد عُلِّقَتْ من فوق حمل مخمل

937 ـ وإن جمعتَ فهي العلاوا بفتحها كقولك الهراوا

باب ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى

938 ـ اعمل على حَسَب ما أمرتُكا وحَسْبُك الشيءُ الذي أخبرتكا

939 ـ وجلسَ الإنسانُ وَسْط القوم أيْ بينهم ولم يخف من لومِ

940 ووَسَط الدار جثا وجثما ووَسَط الرأس كذاك احتجما

---

924 ـ في (ص) أوساطها.

926 ـ في (ص) العِشر ثم التسع.

941 ـ والعَجَم النّوى وأما العَجْمُ فالعضُ بالأسنان وهو الكدمُ

942 ـ تختبر الرخوَ بها والصُلبا وتَعْلَمُ اليَبْسَ بها والرّطبا

943 ـ وقبلَ يوم النحر يومُ عَرَفْه يَومٌ كريمٌ كُلُّهم قد عَرَفه

944 ـ وقد عرفت عِرْفةً في كفّهِ أيّ قَرْحةً فقلت يا رب اشفهِ

945 ـ وحَطَبٌ يَبْسٌ بفتح الأولِ كأنَّ ذاك خلقةٌ لم يزِلِ

946 ـ وارتدْ مكاناً أو طريقاً يَبَسَا إن كان فيه ماءُ ثم يبسا

947 ـ والخَلَفُ الصالحُ بعد والدهْ والخَلْفُ خِلْفُ السوء في مقاصدهْ

948 ـ والخَلَفُ القَرْنُ وراء القرن يخلُف والخَلْفُ كلام الرُعنِ

949 ـ يقالُ للمخطيءِ حين يُجْفَا سكنت ألفا ونطقت خَلْفَا

باب المشدّد من الأسماء

950 ـ أخطأ من قال هي الزّعاره تعني الشراسة أو أغماره

951 ـ يعني اشتداد الغيظ بلْ تثقل الراءُ بالتشديد وهو العمل

952 ـ وتترك الألفَ في مكانها وشأنها في المدّ مثل شأنها

953 ـ وأخطأ القائلُ سام أبرصا حتى يُشدّ الميم شدّاً خالصا

954 ـ لأنه اسم فاعل من سمَّا وإن تثن ثنِّ هذا الاسما

955 ـ أعني به اسم الفاعل المخصّصا واجمعه إن شئت وقيل أبرصا

956 ـ وذاك سَكرانٌ أتى مُلتَّخ مختلط العقل وقلْ مُلطْخ

957 ـ من قولك ألتخ علينا الأمرُ والأمرُ مُلْتخٌ فأمري إمر

958 ـ واشرب مشواكى تُرى مُسترسَلا أو قل مشيا أيْ دواءُ مُسْهلا

959 ـ واحس عليه بعدَ ذاك حسْوا أو قل حَسَاءَ يقطعُ المَشُوّا

---

944 ـ في (ص) رأيت.

946 ـ في (ص) أي كان فيه الماء.

950 ـ في (ص) أو الحمارة.

953 ـ في (ص) مُخلصا.

960 - وهــذه إجَّـانـةٌ لـلأكـل أيْ صـحـفـةٌ كـبـيـرةٌ لـلـشـمـلِ
961 - وقُـطـف الإجـاصُ والأتـرجُ هـذا الـفـصـيـحُ وأتـى الـتـرنـج
962 - وقد أتى بالصبح والريح الفتى أيْ حـشـر الأشـيـاء طُـراً وأتـى
963 - والصبحُ ضوءُ الشمس أو ما طلعت عـلـيـه كـلـتـا الـقـولـتـيـن سُـمِعَـت
964 - واقـعُـد عـلـى فـوّهـة الـطـريـق والـنـهـر كـي تـلـقـى أخـا تـحـقـيـق
965 - ولـي ابـنـةٌ ضـاويّـة ولـي ابـن كـذاك ضـاوي فـمـالـي رُكـنُ
966 - وفُـسّـر الـضـوي بـالـضـئـيـل الـسـيءُ الـغـذاءِ والـقـلـيـل
967 - وهــذه عـاريـةٌ مـردودةٌ ولـي فَـلـوُ لـيـس فـيـهـا جـودة
968 - وهـو الأُرز وكـل الـحُـوارَى أيْ خـالـصَ الـحـنـطـةِ والـمـخـتـارا
969 - وشـدّد الـلامَ مـن الـبـاقـلاّ واقـصـر وإن خـفـفـت فـامـدْد أصـلا
970 - ومـثـلُـه فـي حـالـه الـمـرعـزا والـمـرعـزاءُ لا عـدْمْـتَ عِـزّا
971 - وتُـكـسُـر الـمـيـمُ وطـوراً تُـفـتـح وهـي ثـيـاب ذات لـيـن تُـمـدَح
972 - وجـاءَ فـي الـفـعـل كـذا مُـشـددا تـعـهـد الـضـيـقـة أيْ تـفـقـدا
973 - وعـظّـمَ الـلّـهُ تـعـالـى أجـركـا وإن يـكـن شـخـص مـطـيـع أمـركـا
974 - وقـد تـقـدمـتُ إلـيـه قـبْـلُ فـي الـشـيء أن يـكـون فـيـه فـعـلُ
975 - فـقـلْ كـقـول ثـعـلـب وعَـزْت إلـيـه فـي الأمـر وقـل أو عـزت

باب المخفف من الأسماء

976 - نـقـولُ ذا مـن عـلـيّـةِ الأخـيـارِ مُـخـفـفـاً وذا هـو الـمـكّـارِ
977 - وهـمْ مـكـارون وهـذا عِـنَـبٌ أيـضـاً مُـلاحـيُّ كـذاكُ يُـنـسـبُ
978 - ووصـفـه ضـربٌ طـويـلُ الـحـبِّ فـيـه بـيـاض وهـو خـيـر ضَـرْبِ
979 - وأنـا مـن عـيـشـتـي فـي رفـاهـيـه تـبـدو لـه فـي وجـهـه كـراهـيـه
980 - ولـي غـلام حـسـنُ الـطَـواعـيـه وكُـسـرتْ مـنْ فـمـه الـرُبـاعـيـة

966 - في (ص) الضاوي.

980 - في (ص) رباعية.

981 - وهــذهِ الأرضُ أراهـا نـادِيَـهْ لـكـنّـهـا فـي وصـفـهـا مـسـتـويّـه
982 - وهـذه قُـلاعـةٌ قـلـعـتُـهـا قِـشْـرةُ طـيـن يـابـسٍ نـزعـتُـهـا
983 - وذا أخٌ وذا أبٌ وذا دمٌ مُـخـفّـف جـمـيـعـهـا وذا فـمُ
984 - وهم السُّماني في الطيور الواحد مـنـه سـمـانـاة فـذاك الـحـاسـدُ
985 - وحُمَةُ العقرب تعني السُّمَّا وَلِـثَـة الإنـسـان فـاعـلـم عِـلْـمـا
986 - وهـو الـدُخـان وتـقـولُ أُرتـجـا عـلـى الـخـطـيـب مـا أطاق مـخـرجـا
987 - وذا غـلامٌ وجـهُـه لـمـا بـقـل نـمـا عـلـيـه الـشُـعـر فـانـقـل مـا تـقـل

باب المهموز

988 - استـأصلَ اللّهُ تعـالى شـأفَتهْ وأسـكـت الـلّـه تـعـالـى نـأْمـتـهْ
989 - والشـأفة القرْحه تكون فتزول مـن قـدم الإنـسـان أصـلاً وتـحـول
990 - يـحـتـمـلُ الـدعـاءُ مـعـنـيـيـن خـيـراً وشـراً فـافـهـم الـوجـهـيـن
991 - ونـأْمـة حـركـةٌ مـن الـنـئـيـم أيْ الأنـيـن فـلـتـكـن بـه عـلـيـم
992 - وذاكَ أمـرٌ قـد ربـطـتُ جـأشـا لـه تـحـزّمـت فـلـسـتُ أخـشـى
993 - واجعلْه بأْجاً واحداً قال عمرْ والـنـاسُ بـأجٌ واحـد لـمـن نـظـرْ
994 - تـريـدُ شـيـئـاً واحـداً وضـربـا ولـبـأ الـضـرع حـلـبـتُ حَـلْـبـا
995 - وأولُ الـلّـبـن يُـدعـى لـبـأُ مـن قـبْـلِ أن يـروه حـيـن ابـتـدأ
996 - وهـذه لَـبُـوءَةٌ لـهـا زئـيـرُ تـأكـل كـلـبـاً زيـئـنـيـاً قـصـيـرُ
997 - ولـي مِـلَـحٌ يـا فـتـى تـقـيٌ ودرء أنـــــــيّ ودرءَ أنـــــــي
998 - وذا غُـــلامٌ تـــوأمٌ وذان تـزاحـمـا فـي الـبـطـن تـوأمـانِ
999 - وهــذِ تـوأمـةٌ وهـاتـان تـوأمـان لا تـخـص الإنـسـانْ

---

987 في (ص) كما بقلَ.
989 - في (ص) تكوى.
995 - في (ص) يرى.
997 - في (ص) أبيضٌ.

1000 ـ وهو المرئي للجزور وسواه أيْ مَسْلَكُ الطعام من خلف اللهاه

1001 ـ تهمزُه إن شئتَ أو تسهّلُ وقدْ أتى رؤبة والسموأل

1002 ـ مع المهنأ إلى رئاب ورأسه ملآن من صُؤَاب

1003 ـ فانتبهتْ لهم كلاب الحَوْءبِ فنجتهم فآنثنوا بالهربِ

1004 ـ أما الصُؤاب فهو بيْضُ القمل وجمعُه الصئبان فافهم نقلي

1005 ـ والحوَءبُ الذي ذكرتُ آنفا هُوَ مكانُ كنْ بذاك عارفا

1006 ـ وأنشدوا عليه في الكتابِ ما قاله شيخٌ من الأعرابِ

1007 ـ ما هي إلا شربةٌ بالحوْءَبِ فصعدي من بعدها أو صوبِ

1008 ـ وجئتُ جيئةً وهذي جيّهْ مستنقع الماء بوزن نيّهْ

1009 ـ والسؤر ما يبقى في الإناءِ من لبنٍ أو غيره أو ماءِ

1010 ـ والسورُ وهو حائط المدينه بغير همزٍ فاستمع تبيينهْ

1011 ـ والأرقان واحد اليرقان أيْ صفرةٌ تعلو عيون الحيوان

1012 ـ وسبقَ من أرضهم اليرْنَدجُ وهي الجلودُ السودُ والأرندج

باب ما يقال للمؤنث بغير هاء

1013 ـ امرأةُ من الطلاق طالقُ وحائضٌ وطاهرٌ وعاتقُ

1014 ـ وطامثٌ وقل خطيب وكحيل في كفِّها وعينها وهي قتيل

1015 ـ وإن تقل في أول الكلام انظر إلى قتيلة الأقوامِ

1016 ـ وما ذكرت امرأةً من قَبْلُ فقُل قتيلةٌ وذاك الأصلُ

1017 ـ نعمْ ولي عنز رَميُّ فادرِ ولحيةٌ أيضاً دهينُ الشعرِ

1018 ـ وامرأةٌ على الطّوى صَبُورُ وهي على بلائها شكورُ

1019 ـ لكنّها جميلةٌ معطارُ وهي على جمالها مِذْكار

1020 ـ عادتها أن تلدَ الذكورا ليست بمئناث فكن غيورا

1021 ـ ومُرضعٌ ومُطفلٌ وحاملُ أريدُ حُبْلى ضد ذاك حائلُ

1022 ـ ولم أُرد تنفلُ فهي نافله ولو أردتُ ذاك قلت حائلهْ

1023 ـ وتلكَ خوْدٌ للجمال مُحرزه وهي صِباكٌ صُلْبه مُكتنزه
1024 ـ وناقة إذا وصفت سُرُح أيْ سهلة في سيرها تُسْرَحُ
1025 ـ وهذه ملحفةٌ جديدُ وخَلَقَا في آخرِ تعودُ
1026 ـ وهي عجوز ركبتْ أتانا وبثلاث أُثُن أتانا
1027 ـ وإن تكن كثيرةً فأُتُنُ وذاك جمعٌ للكثير يَخشُنُ
1028 ـ والرّخل الأُنثى من أولاد الضانِ وجمْعُها الرُّخال ثم الرخلانِ
1029 ـ وعند عمرو فرسٌ نتوجُ أيْ حاملٌ تُزْهىَ بها السروجُ
1030 ـ ومن يكنْ كذاك من إناث قُلْه بلا هاء بلا اكتراثِ

باب ما أدخلت فيها الهاء من وصف المذكر

1031 ـ ورجلٌ راوية للشعرِ تعني بذاك راوياً ذاكُثْرِ
1032 ـ ورجلٌ علاّمة نسَّابه مجذامةٌ مطرابة معزابه
1033 ـ كأنهم عَنَوْا بذاك داهيه إذ قصدوا في وجههم تناهيه
1034 ـ مجزامةٌ مفعالة من جزما أيْ قطع اللهو معْاً وصرما
1035 ـ معزابةٌ من قولهم تعزّبا أي باعد التزويج أو ما أطْربا
1036 ـ ورجلٌ لحّانة صخّابَه هلباجة فقاقة جخّابهْ
1037 ـ كأنهم عَنَوا به بهيمهُ إذ وصفوا أخلاقه الذميمه
1038 ـ صخّابةٌ فعّالةٌ من الصَخبْ وهو الصياحُ والخصام واللجبْ
1039 ـ فقّاقة ذُو حمقٍ وثقل جخّابة كذاك فافهم وافصل
1040 ـ ويجمع الهلباجة الرذائلْ فما يُخلي قولةَ لقائل

1030 ـ في (ص) وما يكن كذا من الأثاث.

1034 ـ في (ص) مجذامة من جذما.

باب ما يقال للمذكر وللمؤنث[1] بالهاء

1041 ـ قل رجل وامرأة إن تضفِ ... هذا وهذي ربعةُ فلتعرف

1042 ـ ورجلٌ ملولةُ تليهِ ... ملولةُ من نسوة تحكيهِ

1043 ـ ورجلٌ فروقةٌ أتاكَ ... وامرأة فروقةٌ كذاكَ

1044 ـ تعني من الفرق وهو الخوفُ ... عُوفيتَ من نعتيهما يا عوفُ

1054 ـ ورجلُ صرورة لم يخجُجِ ... وامرأةُ كذاكَ واسمع حججي

1046 ـ وامرأة هذرة ورجلُ ... هذرة كلامُه متصلُ

1047 ـ ورجلُ وامرأةُ كلاهما ... همّازة لمّازة كلاهما

بابُ ما الهاءُ فيه أصّلية

1048 ـ الماءُ إن جمعَته مياهٌ ... وهي إذا أقللتها أمواهُ

1049 ـ وشفّة وجمعها شفاه ... وان جمعت الشاةَ قل شياه

1050 ـ وعضةٌ وجمعها عضاهُ ... لشجرِ والأستُ والأستاه

1051 ـ وأنشدوا في قولهم مهاهُ ... من مه أي صفا ومن سواهُ

1052 ـ يقولُ ما لعيشنا هذا مهاه ... ودارنا ليستْ بدار للحياه

باب آخر

1053 ـ في صدره حقْدُ أردت غمرا ... وأنت غُمْر لم تجرّب أمرا

1054 ـ أدعوك بالغُمر وبالمغمر ... وذاك منديلٌ لمسح الغِمَرَ

1055 ـ أيْ سهك اللحم وماءُ غَمْر ... تعني كثيراً وكذاك الغمْرُ

1056 ـ من الرجال وَهُوَ الكريمُ ... ومن قراه سابغٌ عميمٌ

---

(1) ـ في (ص) للمؤنث والمذكر.

1047 ـ في (ص) همزة لمزة.

1055 ـ في (ص) تلقاهما.

1056 ـ في (ص) نداه.

1057 ـ وقد سقانا لبنا بغُمر أيْ قدح نهاية في القصر[1]

1058 ـ والغمرات وهي الشدائدُ ورجل مغامر أيْ واردُ

1059 ـ على المهالك بنفس تُقدِمُ على رداها أبداً لا تُحجمُ

باب ما جر مثلاً أو كالمثل

1060 ـ تقولُ إن عزَّ أخوك فهنْ وبعضُهم رواه أيضاً فهنْ

1061 ـ والخبرُ اليقينُ فاطلبْ عينهْ عند جهينة وقل جُهينهْ

1062 ـ وذلك أفعل وخلاكَ ذمّ تعني خلاَ عنكَ فلا تُذمُ

1063 ـ وقد تجوعُ حُرّةٌ يا رجلُ لكنُّها بثديها لا تأكلُ

1064 ـ أيْ لا تكون لأناس ظئرا لكي تنال بالرضاع أجرا

1065 ـ والمثُل المشهور أيضاً خامسُ تحسبها حمقاء وهي باخسُ

1066 ـ وإن تقلْ باخسة بالهاءِ جاز فقلْ ذاكَ بلا امتراءِ

1067 ـ يُضربُ للإنسان فيه لينُ في ظاهر وكيده متيُن

1068 ـ ثم الكلاب يا فتى على البقر نصباً على إضمار فعل ما ظهر

1069 ـ وإن تشأ فلترفع الكلابا تجدِه من كلامهم صوابا

1070 ـ وذلك الإنسان عندي أحمقُ من دخلة لمقلة تستحمقُ

1071 ـ لكنّها تنبتُ في المسيل وفي مجاري الماءِ والسيولِ

1072 ـ والمثلُ الثامنُ خُذْ تفصيله أحشفاً يا ذا وسوءَ كيلهْ

1073 ـ أول ما قيلَ لثمّار جفا سرقه في الكيل وأعطى حشفا

1074 ـ والحشف التمر الرديء كالرمل وكالنفاية التي فيها الدخلْ

---

(1) في (ص) الصغر.

1062 ـ في (ص) وذاك.

1070 ـ في (ص) من رجلة لبقلة.

1073 ـ في (ص) سرق.

1074 ـ في (ص) كالدفل.

1075 ـ وقولُهم ما اسمُك أذكر تقطعُ ألف اذكر وبوصل تسمعُ

1076 ـ وتجزم الراء على الوجهين كذا أتتْ بالجزم في القولين

1077 ـ فالجزمُ بالأمرِ اذا أوصلتَ أو في جواب الشرط إن قطعتَ

1078 ـ كأنّه يقول إن تذكره لي اذكره فافهم ذاك والأمر جلي

1079 ـ لمن قد همّك ما أهمك ونابك الأمرُ الذي قد غمّك

1080 ـ تقولُ قد همَّ فلان شحمه أنابه والأمرُ قد أهمّه

1081 ـ وقولهم تسمعُ بالمعيدي لا أن تراهُ مثل في الأيدي

1082 ـ وإن تشأ قلتَ لأن تسمع بهِ خيرٌ من أن تراه قل بحسبهِ

1083 ـ وقلْ لمن يطلبُ شيئاً فاتَ عنْ يديه ويك الصيفَ ضيعت اللبْن

1084 ـ وتكسرُ التاءَ لأن المثلا جرى على الأنثى خطابا أولا

1085 ـ ومنهُ قد يعمْلُ زيد ذاكا عوداً وبك شاكراً أن أراك

1086 ـ وقد رجعتُ اليومَ عودك على بدئك أيْ من حيث جئت مُقبلا

1087 ـ وقلْ متى لم تحكِ أمراً أَمرُ شتَّان زيدٌ يا فتى وعمرو

1088 ـ وجائز شتّان ما أنتَ وذا نعمْ وما بينكما فقل كذا

1089 ـ وتفتحُ النونَ وبعضُ الناسِ يكسرها ضربٌ من القياسِ

1090 ـ وليسَ هذا الأمر لي بواجبِ ضربة لازم معاً ولازبِ

1091 ـ وهو أخوه بلبان أمّه أيْ ليس من أب فقط فسمّه

1092 ـ إما شقيقا أو لأم يا رجلْ أو من رضاع كلُّ ذا قيل فقلْ

1093 ـ وخلِّ ما يُريبك اليومَ إلى ما لا يُريبُك أردت المثلا

1077 ـ في (ص) إذا وصلنا.

1078 ـ في (ص) فافهم ذاك فالأمر جلى.

1079 ـ في (ص) أذابك.

1084 ـ في (ص) أنثى.

1085 ـ في (ص) فعل.

ـ في (ص) عوداً وبدأً هكذا دراكا.

1094 ـ وما الذي رابكَ مِنْ فلانِ والرَيْبُ كالشكِّ بلا نقصانِ
1095 ـ وقلْ لنا وي حاجة ما أربك أتى كذا تقديره ما مطلبُك
1096 ـ وقد أراب أيْ أتى بريبهْ مثل الأعم لكَ أن تعيبهْ
1097 ـ وقولُهم ويحَ الشجي من الخلي تشدّد الخلي في ورد الجلي
1098 ـ ولا تشدّد في الفصيح الشجيا مع أنه في غيره قد رويا
1099 ـ وهو أحر يا فتى من القرع بثر كثير بالفصال ما يقع
1100 ـ وافــــــعــــــل أول شيء ما أحبَّ خِدني
1101 ـ وما صفا خذْه ودعْ ماكَدِرَا تعني خُذْ السهل وخلِّ الوعِرا
1102 ـ وأنتَ ما تُحلي وما تُمر لا نفعٌ فيك ولا تضر
1103 ـ وأنتم عندي على القياسِ في قلّة أكلة لراسِ
1104 ـ ومثلٌ به ختمتُ بابه أساءَ سمعاً فأساء جابه

باب ما يقال بلغتين

1105 ـ تقولُ بغدادُ وبغدانُ معا أنت وذكر ذا وذا قد سمعا
1106 ـ وهمْ صِحابي وهم صَحابتي كما تقولُ إنهم قرابتي
1107 ـ وذاكَ صفو الشيء وهو صفوتُه خالصه بوزن قولي أسوته
1108 ـ وصيدلاني وصيدناني لبائع العقار في الدكانِ
1109 ـ وهذه من فوق رحلي طِنْفسه نمرقة وقيل فيها طَنْفَسه
1110 ـ وفوقَ رأسي يا فتى قَلنْسُوه مِنْ فوقها كوزنها فمحوره
1111 ـ وإن تشأ فسمَها قُلنْسِيهْ بالنونِ اذ قد صغرت قُلَيْسيهْ
1112 ـ وعندنا للطارق إذا عرا بُسْرُ قراثاء وذا بعض القِرى
1113 ـ وقُلْ كرثاء وإن شئت فذاك بُسْرٌ قراثاءُ وبالكاف أتاك

1096 ـ في (ص) تفسيره.

1102 ـ في (ص) ولا تمرَ.

1111 ـ في (ص) بالنوق اذ صغرت.

1114 ـ ضربٌ من التمر بيسر طَيِّب ... والبُسر في التمر الذي لم يرطب

1115 ـ هذا ابنُ عمي يا فلانُ دِنيا ... بالكسرِ والتنوين أو قل دُنيا

1116 ـ ولا تنوّن إن ضممتَ الدالَ ... كمثل عُليا دونكَ المثالا

1117 ـ تفسيرُه الدنُّو في المنتسبِ ... والاجتماع منهما عندَ أبِ

1118 ـ وشطبُ السيف معاً شطبه ... طرائق السيف ومنها حَسَبه

1119 ـ وذا امرؤ وافى وهذان امرءانِ ... وقد أتتنا امرأة وامرأتانِ

1120 ـ وقلْ همُ القومُ وهنَّ النسوه ... ولكَ في الذكر الحكيم أسْوه

1121 ـ وإن جلبْت اللام للتعريفِ ... فالمرءُ والمرأةُ في المعروفِ

1122 ـ وقد أتانا بجفان رَذَم ... مملوءة وبجفان رُذُم

1123 ـ وإن كسرت الراءَ فهو خطأ ... وهي التي تسيل مما تُملأ

1124 ـ ولتمام وُلدَ المولود ... أو لتمام ذا وذا موجود

1125 ـ قالَ وبالكسر أتى ليلُ التِّمام ... أيْ أطول الليل وللأمر تمام

1126 ـ وقلْ هما الخُصيان حتى تفردا ... تقول هذي خُصية وأُنشدا

1127 ـ لجُندل أو لركُين من رجَا ... يمدح إنساناً وقيل بل هجا

1128 ـ كأن خُصييه من التدلدلِ ... ظَرفُ عجوزٍ فيه ثنتا حَنظل

1129 ـ قالَ وقالتْ مرأة من العربْ ... تُرقص ابناً هزها منه الطربْ

1130 ـ لستُ أبالي أن أكون مُخمقه ... إذا رأيت خُصيةً مُعلّقه

1131 ـ ولي غلام لم يزل رقيقا ... ويخبر الغليظ والرقيقا

1132 ـ وإن أردت اسميهما وفاقا ... قل يخبز الجردق والرقاقا

1133 ـ ورجلٌ من الرجالِ حدثُ ... يُبرم أمرَ قومه وينكثُ

1134 ـ وهو حديثُ السنِ بالإضافه ... كذا تقولُ لا تقل خلافه

1135 ـ وهذه نُقاوةُ الأشياءِ ... خيارُها بالواو أو بالياءِ

1136 ـ نُقاوةٌ إن شئت أو نُقايهْ ... وضدّه في وزنه نُفايه

1137 ـ وأنا يا هذا على أوفازِ ... وإن تشأ قلت على وفازِ

1138 ـ وذاك جمعٌ وفزاي لستُ ... بمطمئن لا وإن جلستُ

1139 ـ وأنشدوا لرؤبة بن العجاجْ في رجز أتى على ذا المنهاج

1140 ـ أسوقُ عِيراً مائل الجهازِ صعباً ينزيني على أوفازِ

1141 ـ والأس أصلُ الشيء والأساسُ بالمد جمعاً وكذا الأساسُ

1142 ـ جمعُ لأسٍ والأساسُ الواحدُ بالفتح والقصر فذاك الحاسدُ

1143 ـ وإن دعا الإنسان قُلْ أمينا بالقصرِ يحكي وزنه يمينا

1144 ـ قالَ جبيرٌ وهو ابن الأضبطِ في الأسدي فطحل فلتضبطِ

1145 ـ مني تباعد اللئيم فطحل لما رآني قد أتيت أسألُ

1146 ـ آمين زاد اللّه بعداً بيننا كما أراد بعدنا وبيننا

1147 ـ قالَ وإن شئتَ فقل آمينا بألف تمدّها تمكينا

1148 ـ قالَ الفتى المجنونُ في ليلى التي أولته من طول الهوى ما أولتِ

1149 ـ يا ربِّ لا تسلب فؤادي أبدا حُبَّ التي لم تبق مني جَلدا

1150 ـ ويرحمُ الرحمن عبداً قالَ آمينَ في دعائه ابتهالا

1151 ـ قالَ ولا تُشدَدنَّ الميما كي لا تكون مخطئاً مُليما

1152 ـ قالَ وتلكَ امرأةٌ وتيكا ولا تقلْ إذا أسرت ديكا

1153 ـ وامرأةٌ قد ضربتْ في التّنْدُؤةِ أريدُ أصل لحم ثدي المرأةِ

1154 ـ وقيلَ بلْ يختصُ بالذكران مِثلَ اختصاص الثدي بالنسوان

1155 ـ وإن فتحتَ ثاءها لا تهمز فاللغتان جاءتا فلتُجز

1156 ـ وجاءتا في إثره وأثره والأثُر في الشيء كمثل أثُره

1157 ـ وذاكَ في السيفِ هو الفرندُ وشيٌ على متن الحسام يبدو

1158 ـ والقومُ أعداء وإن شئت عِدا بكسرك العينَ ولا تقل عُدا

1138 ـ رؤبة بن العجاج كان مع أبيه العجاج من الرجاز في العهد الأموي (145 هـ).

1141 ـ في (ص) جمع.

1148 ـ يشير إلى قيس بن الملوح بن مزاحم من بني كعب بن ربيعة، أصابته لوثة لما اشتد هيامه بليلى بنت المهدي بن سعدي، وله فيها شعر كثير ورقيق، وقيل إنه توفي عام (70 ـ 689).

1166 ـ في (ص) فاعل.

1159 ـ وقل عُداة إن جلبتَ الهاءَ فضمٌّ منها عينها ابتداءَ

1160 ـ ويعتري الإنسان خَفر أو حَفَر وذاك داءُ ظاهر عند النظر

1161 ـ ودرهم زيف معا وزائفٌ تُريدُ غير خالصٍ يا عارفُ

1162 ـ وقد أخذتُ دانِقاً ودانَقاً وقد رأيتُ طابِقاً وطابَقا

1163 ـ وقيلَ في الدانقِ سُدْسُ درهمِ وقيل في الطابقِ أيضاً فافهم

1164 ـ ما تخبز الخبز عليه من حديدْ وقيل غيرُ ذاك والبحث يفيد

1165 ـ وخاتم وخاتم وطابَعُ وطابِعٌ وكلٌّ ذاك شائعُ

1166 ـ وقيلَ إن الخاتم اسم الفاعلِ كذلك الطابع عند القائلِ

1167 ـ والخَنْفسَاء يا فتى والخُنْفسةْ دويبةٌ منتنةٌ مُستنجسةْ

1168 ـ والطشُّ والطشّة معروفانِ كذلك الطست من الأواني

1169 ـ وقل لذي الفحش بفيك الأثلَب بفتحتين ويقال الأثْلِبُ

1170 ـ والفتحُ فيها يا فلانُ أكثَرُ ويُقْصَد التَرْبُ به والحجرُ

1171 ـ وحالكٌ وحائك والحَلَك مصدُره والفعل منه يَحْلَكُ

1172 ـ وحَلَك الغراب مثلَ كحله وقيل ما حلكه من حلكه

1173 ـ فالحَلك السوادُ ليس ينكُر والحَنكُ المنقار فيما يذكر

1174 ـ والجُدريُ واحدٌ والجَدَري بالضم والفتح لبثر يعتري

1175 ـ وأنا قد علمتُ هذا قبل أنْ يُقْطع سُرك تقول ذا لمنْ

1176 ـ أنتَ أسرّ منه أو قل سررك بكسرها كما تقول دَرَكُ

1177 ـ والسُرّة التي هناك تبقى فَي نُقْرة البطن إذا ما تلقى

1178 ـ وما يسُرني بهذا الأمرِ من مُنْفس ومن نفيس فادرِ

1179 ـ ومفرحٌ أيضاً ومفروحُ بهِ كذا تقولُ ما جهل في كتبهِ

1172 ـ في (ص) وخيك

ـ في (ص) حلكه.

ـ في (ص) وقيل ما حنكه من حلكه.

1179 ـ في (ص) واجتهد.

1180 ـ وذلكَ الماءُ شربتُ وشروب ليس بذي مُلُوحة ولا عذوب

1181 ـ وذا بخيلٌ أرضي حالته خِلالَه يأكلُ أو خُلالَتهْ

1182 ـ وذاك ما يخرجُ من أسنانهِ إذا تخلّل على خِوانِهِ

1183 ـ وأنا أمليتُ الكتابَ أُملي وذلكَ الإملاء فلتستملِ

1184 ـ ومثلُه أمللْتُه أُمِلُّ وذلكَ الإملال لا يُمَلُّ

1185 ـ واللغتان في كتاب اللّهِ وحَسْبُك الشاهدُ في التناهي

باب حروف مفرده

1186 ـ أخذت للأمر تقولُ أُهْبَتَه كما تقول في المثالِ رتبتهْ

1187 ـ وفي الدعاءِ أبعد اللّه الأخرْ تعني به الشيطان في وزن النخرْ

1188 ـ والشيءُ مُنتنٌ بضم الميمِ هذا هو الأفصحُ يا حميمِ

1189 ـ وحلقة الناس أو الحديد تُسكّن اللام بلا تفنيدِ

1190 ـ والدرهمُ البهرجُ والسوَقُ معناهما الزائف يا صديقُ

1191 ـ وقد نظرتُ يمنة وشأْمهْ كما تقول في المثال نأْمهْ

1192 ـ ولم يقولوا شمْلَة من الشِمالْ فلا تقلْه إنما الأمر امتثالْ

1193 ـ والثوبُ سبْعُ يا فتى لا سَبْعَه في ستة أو ما تكون السّبعه

1194 ـ أيْ طوله بالذرعِ ذاك الأكثرُ وعرضُه بالشبر هذا الأصغرُ

1195 ـ فتحذف الهاءَ من الذراعِ لانها أنثى على نِزاعِ

1196 ـ وتثبت الهاءَ كذا في الشعرِ لأنه مذكرٌ في الذكرِ

1197 ـ وأنّث الذرعَ من الحديدِ وذكّر الذْرع لبوس الخُوذِ

1198 ـ وهذه قاريةٌ لطائرِ وهي القواري في الكلام السائرِ

1199 ـ قالَ ولاتقلْ هي القارورُ هُوَ الشرقراق أو هو الزرزورُ

1200 ـ وعندنا زوجان من حَمامِ أيْ طائران متزاوجانِ

1186 ـ في (ص) تقول للأمر أخذت أهبته.

1189 ـ في (ص) بلا تقييد.

1196 ـ في (ص) الشبر.

1201 ـ فهذه أنثى وهذا ذكرُ فردٌ وتلك فردةٌ لا تنكرُ

1202 ـ كذاكَ كلُّ اثنين لا يستغني في الدهر ذا عن ذا ولا تثني

1203 ـ وهؤلاء يا فتى المُسوَدّهْ أعلامُها سودٌ غدت مُعَمَّدهْ

1204 ـ على البياض وكذا المبيّضهْ وكلُّهم طوائفُ مُعْترضهْ

1205 ـ وقاصد الغزو هم المطوعهْ فما لهم من غير قصد منفعهْ

1206 ـ وشدّد الواوَ معاً والطاءَ ولا تخفف واحذر الأخطاءَ

1207 ـ وكانَ ذاك الأمرُ عاماً أولا والعام الأول تريد ما خلا

1208 ـ وهو المعسكرُ بفتح الكافِ مؤتلَف العسكر هذا كافِ

1209 ـ وذاك خبزُ ملّة تقولُ ومثلُ ذاك خبزةٌ قليلُ

1210 ـ والملّة الجمرُ وحيثُ المَلُّ وقد مضى الكلام فيه قبلُ

1211 ـ ورجلٌ آدرُ مثلُ آدما في وزنه يشبه وزناً عالما

1212 ـ وهذه في يده قازوزه وان تشأ سميتها قاقوزهْ

1213 ـ وتلكَ مثلُ طاسة أو كاسِ ولا تقل قاقزة كناسِ

1214 ـ وما لزيدٍ لحظُه لي أخزرُ بمؤخر العين التي ينظرُ

1215 ـ ومؤخِرُ العين بكسر الخاءِ والهمز والضم في الابتداءِ

1216 ـ وبيننا بونٌ بعيدٌ وأملأ حُبّاً من الماء لأجل الظمأ

1217 ـ والحُب بالحاء كمثل الخابيه ومثل ذاك في الجفان الجابيهْ

1218 ـ ولتملأ الجرّة وهي القُلّه وجرتي ملأىَ كذاك قل له

1219 ـ ولتضربنَّ كرة بصولجانِ رياضة للجسم فهو المهرجانِ

1220 ـ والصولجانُ عُودك المُعقّفُ تضرُبُها به فليستْ تقفُ

1221 ـ وكرة جاءتْ على وزن بُرَه خفيفة فلا تقل إلا كُره

1222 ـ والطيلسانُ جمعُه الطيالسهْ ثوبٌ يزين كالرداءِ لابسهْ

1223 ـ والسيلجون قريةٌ من القرى وكلُّها بالفتحِ فيه سطرا

1200 ـ في (ص) وعندنا من حمام زوجان.

1224 ـ والتوتُ وهو شجرٌ معروفُ ويـاثـنـتـيـن نـقـطـه مـألـوفُ

1225 ـ واليومَ يومُ الأرْبِعاءِ وافتحِ همزته والباء فاكسر تفصحِ

1226 ـ والماءُ مِلْحٌ لا يقالُ مالحُ فخذْ بفهم ما يقول الشارحُ

1227 ـ والسمكُ المملوح والمليحُ هذا الكلامُ عنده الفصيحُ

1228 ـ ولا يُقال مالحٌ إلا لِمن يملح شيئاً فهو مالحُ إذنْ

1229 ـ وجاءَ في غير الكتاب شاهدُ على الخلافِ والخلافُ واردُ

1230 ـ بصرّية تزوجت بصريا يُطعمها المالحَ والطريّا

1231 ـ وذا يمانِ رجل من اليمنْ وذا شآم وتهام فاعلمنْ

1232 ـ وقد أتانا الرجلُ الشآمي وتفتح التاءُ من التَّهامي

1233 ـ أغناهُم التغيير عن ياءِ النسبْ نعم وقد تنطق بالأصل العرَبْ

1234 ـ وجئت من أجلي ومن جرّايا وجئتُ من أجلك يا مولايا

1235 ـ ومنذُ أولِ من أمسِ لم أركْ فقد تشوقْتُ لعمري منظركْ

1236 ـ ومنذُ أولِ من أول مِنْ أمسِ لم أرَ من أجل الغمام ضو الشمسِ

1237 ـ وذاكَ في يومين قبلَ يومكْ ولا تجاوزْ ذاكَ خوف لومكْ

1238 ـ والظلُّ للقائم فهو بالغداة والفيء بالعشي فهو منتهاه

1239 ـ قال حميدُ وهو ابن ثورِ تغزلاً وهو بعيدُ الغورِ

1240 ـ لا الظل من برد الضحى تطيقُ والفيء في المساءِ لا تذوقُ

1241 ـ وقيلَ إن رؤبة كانَ يقولْ ما كانت الشمس عليه فتزولْ

1242 ـ فذلك الفيءُ معاً والظلُّ والظلُّ ما لم تكن ثم قبلُ

1243 ـ وجاءنا غلامُنا من رأس عين وهو مكان عندهم شهير عين

1244 ـ وقد عبرتُ دجلة اسم علمْ فلا تعرّبه كذاك يُعلمْ

1245 ـ ورئي في ذاك المكان أسود سالخ احذر منه فهو ينهد

1239 ـ هو حميد بن ثور الهلالي العامري، أبو المثنى شاعر مخضرم، عاش زمناً في الجاهلية وزمنا في الإسلام، له ديوان شعر قام بجمعه العلاّمة عبد العزيز الميمني.

1246 ـ ولا تضف وقل للأنثى أسودهْ ولا تقل سالخةً لن تجدهْ

1247 ـ تفسير ذاك الحيّة التنينُ أو نحوه أو مثله يكونُ

1248 ـ وإن شتمت أمة قل يا غدار ويا لكاعِ يا فَسَاقِ يا فَجار

1249 ـ بكسرِ آخر وفتح أولِ على البناءِ ولتقل للرجلِ

1250 ـ يالُكع ابعد لا تقل جاء لكاع ولا لُكاع وكذا فيها جماع

1251 ـ ومن يقلْ لكَ تغدى ويقلْ لك تعش فالجواب يا رجلْ

1252 ـ ما بي تغذه ولا تعش ولا تقل ما بي غذاء وامشِ

1253 ـ على صواب القول فالغَذَاءُ هو الطعام وكذا العشاء

1254 ـ وإن يقل فاطعم أو اشرب فالجواب لا طعمَ أو لا شرب في هذا الصوابْ

1255 ـ ثم الجوابُ إن يقل لك إذن كلِ لا أكل لي مفتوحة الألف قُلِ

1256 ـ وهي عصا معوّجة من ذاتها وأنت مرءُ صانع فهاتها

1257 ـ يا صانعَ اليد أو اللسانِ تلكَ صناعُ اليد في النسوان

1258 ـ والسير مظفور وللفتاةِ ظفيرتان وهي كالقناةِ

1259 ـ وظفرت رأساً فنعم البغية لقيتها لقاءة ولقيه

1260 ـ ولاتقلْ لقاءة بالفتحِ تخطىء وقد نصحت أيَّ نصحِ

1261 ـ وهذه عائشة بألفِ وحائط مُطيّن بالخزفِ

1262 ـ وامرأة عَزَبَةٌ وهو عزبُ وريطة اسم امرأة من العرب

1263 ـ شبيهة بريطة الثيابِ كذا أتى بالنصِّ في الكتابِ

1264 ـ وذا الفتى المقبل أعسر يسرِ ونحوه الأضبط في وصف غمرِ

1265 ـ كلتا يديه يا فتى يمينُ لا تنقص الشؤمى ولا تلينُ

1266 ـ وحائر وجمعه حيرانُ مجتمع للماءِ أو مكانُ

1267 ـ وتلك فيدٌ قريةٌ والمثل في كعك فيد سائر لا يُجهل

1250 ـ في (ص) لكع.
ـ في (ص) جمع.

1256 ـ في (ص) صنع.

1257 ـ في (ص) يا صنع.

1268 ـ في (ص) ثلاثة وأذن مقرطة.

1268 ـ وذاك قُرط وتقول قُرطه ثلاثةٌ أو خمسةٌ أو عشرة
1269 ـ كذاك جزْرُ وهو شيء من حديدْ يقاتل الناسُ به وهو العمودْ
1270 ـ وقيل فيه حُزمَةٌ من فتِ أفْتِ بهذا أو بهذا أفتِ
1271 ـ وناقة شائلة إذا ارتفع لبنها وهن شول إن جُمِعْ
1272 ـ وشائلٌ وشوَّلٌ للجمعِ إذ هي للأذناب ذات رفعِ
1273 ـ وهذه أكلية السباعِ وهذه أكولة للراعي
1274 ـ وهي التي تُسمن الرعاء وقد نهى عن أخذها السعاء
1275 ـ وذا مَنىً ومنوان اثنانِ ووضع الامناء في الميزانِ
1276 ـ أما المَنَا فصنجة للوزن ووزنُها رطلانِ فانقل عني
1277 ـ وقصص الشاه وذاك قصُّها أيْ أعظمُ الصدر وذا يخصها
1278 ـ والصفر معروف ولي صندوق من خشب مُحكّم وثيق
1279 ـ وذلكَ الأمرُ الذي وصفته ما حكَّ في صدري وقد عرفته
1280 ـ وقد مررتُ بفلان يسألُ وما رأيت فيهم من ينزل
1281 ـ ويتصدقُ بمعنى يعطي إن قلت يسأل فأنت مخطىء
1282 ـ والكلب أشْليت دعوت نحوي لا تعن أغريت كن ذا لغوِ
1283 ـ فإن تردْ أغريت قل أسِدْتَ كلبي على الصيد أو سِدْتَ
1284 ـ وقلْ قد استخفيتُ منك تعني به تواريتَ فلا تلمني
1285 ـ ولا تقلْ أخفيت فاختفيتُ معناه أظهرت كذا بينتُ
1286 ـ وذاك طرف أوسواه واقف لكنّه يا صاح لا يرادفُ
1287 ـ أيْ ليس يُعطي لرديف ردفا وهو يساوي في السياق ألفا

1273 ـ في (ص) أكلة.

1274 ـ في (ص) الرعاة.

ـ في (ص) السعاة.

1277 ـ في (ص) يختصها.

1280 ـ في (ص) من يبذل.

1285 ـ في (ص) اختفيت.

1288 ـ ويتندَّى ذا الفتى علينا ... أي يستخى فلا يزل لدينا
1289 ـ وقلْ لقد أخذه ما قدما ... مني وما حدث لما قدما
1290 ـ وكشفتْ شمسُ النهار وخسفْ ... قمرُها هذا فصيح قد عُرف
1291 ـ واللحمُ قد شويتُه حتى انشوى ... ولاتقلْ في مثله حتى اشتوى
1292 ـ فالمشتوى هنا بمعنى الشاوي ... فاسمع كلام قائسٍ وراوي
1293 ـ وقد قليتُ اللحمَ والسَّويقا ... فذاك مقلي كذا تحقيقا
1294 ـ وقيلَ في السويق مقلوٌّ وقد ... قلوتُه كذاك في اليُسر ورد
1295 ـ قالَ ومن كلامهم وهو الأصيل ... إن عُرض الشيء عليك أن تقيل
1296 ـ تُوفرُ يا هذا الفتى وتحمدُ ... ولا تقل ثرثر فهو ينفر
1297 ـ وقلْ لِمنْ يدعو إلى مكرُمةِ ... فإن فعلت فبها ونعمتِ
1298 ـ وارعني سمعك واسمع مني ... هما سواء فارو هذا عني
1299 ـ وقلْ فحصتُ عينه بالصاد ... فقأتها وذاك ظلم بادِ
1300 ـ وحقه بخسته بالسين ... نقصته فكنْ على يقينِ
1301 ـ وبصق المرءُ بصاقا يبصُق ... ويَبسَقُ النخلُ بسين يسبق
1302 ـ وقد لصقتُ بك يا من صفقا ... عليَّ باب الدار أعني اغلقا
1303 ـ وذا صفيقُ الوجه أي لطِيمُ ... وقيل بل حياؤه معدومُ
1304 ـ والبردُ قارسُ بسين بيّن ... والصادُ في النبيذ أو في اللبن

بابٌ في[1] الفرق

1305 ـ تقول تلك شفةُ الإنسانِ ... وهذه مشافر البُعرانِ
1306 ـ وحُبشت جحفلةُ الحمارِ ... والبغلُ والجوادُ بالزيارِ
1307 ـ وفي ذواتِ الظلف قلْ مقمه ... للشاةِ والمعز وقل قرمهْ

1292 ـ في (ص) رويت.

1295 ـ في (ص) تقول.

(1) ـ في (ص) من.

1308 ـ ومثلُها فنطيسةُ الخنزيرِ ... فافهم كلامي واستمع تحبيري

1309 ـ والخطمُ والخرطومُ للسباع ... إن كلام العرب ذو اتساعِ

1310 ـ وهو منقار لغير الصائدِ ... من ذي الجناح والحمام الواردِ

1311 ـ ومثلُه المنسَرُ للعقاب ... وكلُّ ما يصطاد بالقِلابِ

1312 ـ والظفر للإنسان وهو المنسمُ ... لكلِّ خف وكذاك يعلمُ

1313 ـ ومثلُه الحافرُ من ذي الحافرِ ... والظلف من ذي الظلف فحافر

1314 ـ ومخلب السبعِ من وحش وطيرِ ... وبرثن الطير الذي ما فيه ضيرِ

1315 ـ وبُرثن الكلب وقيل البرتُنُ ... في سائر السباع أيضاً يحسنُ

1316 ـ والثدي للمرأة وهو الخَلَف ... متن كلِّ ما يُعزي إليه الخُف

1317 ـ وظبي ذي الحافر ثم السبعُ ... والجمع أظباء فقلْ واتبع

1318 ـ ومن ذوات الظلف فهو ا لضرع ... كالشاة والمعزة هذا يسمعُ

1319 ـ وضبعت ناقة زيد ضبعه ... أرادت الفحل وتلك ضبعه

1320 ـ أما الأتان فتقول استودقتْ ... والفرس الأنثى وقالوا أودقتْ

1321 ـ وهي وديقٌ وودوق والأتان ... بها وداق مثل ذاك يا فلان

1322 ـ واستحرمت معزُك والحرام ... مثل الوداق هكذا الكلام

1323 ـ وهذه حزْمَى تريدُ الماعزة ... بها جرامٌ لا عدمت الجائزة

1324 ـ وقد حنت نعجتُه حناءَ ... فتلك جانٍ فافصل الأشياء

1325 ـ وصرفت كلبته وأجعلتْ ... فعل النعاج وسواها فعلت

1326 ـ فقلْ لتلكَ صارفُ ومجهل ... كذلك الذئابُ طراً تجعل

1327 ـ يا صاحِ والظبية عند الكلِّ ... ما عزةُ ففعلها كالفعل

1328 ـ وبقرُ الوحشِ من النعاج ... فقلْ حنت فيها بلا لجاج

1329 ـ وماتَ زيدٌ والحمارُ نفقا ... والخيلُ والبغالُ فالكلُّ لُقى

1330 ـ ومثلُه تنبّل البعيرُ ... أيْ مات فهو جيفةٌ مهجورُ

1310 ـ في (ص) كالحمام.

1331 ـ والجيفة النبيلة اعرف أولاً قال ابن الأعرابي في تنبلا
1332 ـ يقال في الناس وغير الناس ومات في الكلّ على القياسِ
1333 ـ والصّفن الجلدُ الذي كالطرفِ لبيضة الإنسان دون خلفِ
1334 ـ والثيل ما يحوي قضيب الجمل وهو لذي الحافر قُنْبٌ فقل
1335 ـ والعِفني ما يخرج من بطن الولدْ من قبل أن يطعم شيئا أو يولدْ
1336 ـ وسمّه الردج من ذي الحافر والسختَ من ذي الخُف فلَتناظر
1447 ـ وها هُنا تمَّ الفصيحُ وكملْ والحمدُ للّه على نيل الأملْ
1338 ـ نظمَه. . . . مالِكُ الفقيرُ لعفو من لأمره يصير
1339 ـ فجاء في أرجوزة خفيفةْ لمن يروم حفظها ظريفه
1340 ـ هذّب فيها قوله ووطأه لأجل ذا لقبها الموطأة
1341 ـ فاسمحْ له وادعُ له بالرحمةْ يا ناظراً فيها رزقت العصمةْ

1331 ـ ابن الأعرابي هو محمد بن زياد من أعلام القرن الثالث الهجري من الرواة وأعلام اللغة، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ومن تصانيفه: تاريخ القبائل والنوادر وتفسير الأمثال وشعر الأخطل والفاضل وأبيات المعاني راجع وفيات الأعيان 1: 492 تاريخ بغداد 5: 282 الأعلام 6: 131 .

الفصل الثاني:

تحقيق المنثور

(107)

1 ـ المقامة النجدية[1]

صلّى اللّهُ على سيّدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليماً، «حدّث أبو عوف النجديُّ قالَ: كان مولدي بنجد[2]، ومنبتي بين شيح وزبد[3] أسكن البيدَ، وآكل الهبيدَ[4]، وأحترشُ الضباب[5] وأفترشُ التراب، لا عهدَ لي بطيب، ولا بعيش وطيب، فانحدرتُ مع السعاة، وأنا في زيّ الرُعاة، متوشحٌ بعباءة، منحصر باباءة[6]، مغبُر الشعرْ، مصفو العُثنون[7] من دُخان البَعر. في كلامي تقعير، وفي خدي تصعير[8]، كأني أبو مَهْدية في الاعتبار، أو أبو حيّة عند الاختبار[9] فلما حضرتُ سوق الحاضرة، ونظرت إلى تلك الوجوه الناضرة، وقفتُ وقوفَ الحائر

(1) مخط (ن) الورقات 29-33.

(2) موضع في شبه الجزيرة العربية بين ا لحجاز والعراق، معروف بطيب الهواء والتراب، وقد أكثر الشعراء في ذلك الموضع وفي غيره من التغني به، والحنين إليه.

(3) اسم موضع في شبه الجزيرة أيضاً.

(4) الخنطل أو حّبة، واحدته هبيدة، وهو نوع من أطعمة العرب يؤكل في الشدائد.

(5) احترش الصيد هيّجه ليصيده، والضباب جمع ضب حيوان من جنس الزواحف.

(6) إباءة وإباء بمعنى واحد.

(7) العثنون: ما نبت على الذقن وتحته سفلاً.

(8) إمالة العنق كثيراً وعجباً قال تعالى «ولا تصعرّ خدك للناس».

(9) رجل من الأعراب كانت به لوثة، وكان فصيحاً مقعراً في كلامه.

السدر، ووقعت وقوعَ الطائر الحذر، فانفضّ إليَّ ذلك الجمع، وشُغل بي البصر، وفرغ [ ][1]، وداروا بي أفلاكاً، وصاروا لي أسلاكاً، وجعلوا [ ][2] إليَّ ويبتسمون، ويقعون بين يديَّ ويسلمون، ويقْرأ قارئهم ويخلق ما لاتعلمون[3]، فقلتُ لهم ما هذه الكوكبة الملتكّة[4] والجمهرة [ ][5] ؟اغربوا عني، فجاء أحدهم إلى وجهي فنبح، وقعد آخر إزائي فسلح[6]، وركع آخر خلفي ركعة، ودفع آخر في صدري دفعة، فلا أدري متى سقطتُ لقفاي، وسلمتْ إلى الهواءِ ساقاي، ثم أفرجوا عني يتدافعون لعبا، ويتواقعون طربا، فقمتُ وقد شوّروا بي[7] في ذلك المقام [ ][8]، بأنواع من الانتقام، فشددت عليهم [ ][9]، شدَّة قيس يومَ الهباءة، أو عاصم عند الإلاءة[10] فحلّوا عقود العزائم، وجرّوا ذيول الهزائم، فاغتنمتها وأردت أن أبرأ وأتوارى في حائط، وأفرّ، فعاجُوا بي وعيّطوا، وصفّروا عليَّ وأضرطوا، ثم نضوا الملابس، واحتضنوا الرطب واليابس، وجاءوني من فوق وأسفل، ولقوني في جمع أعظم وأحفل، فأوسعتهم طعناً وضرباً، وأوسعوني بعراً وترباً. فواللّه ما رأيتُ أهون مني عليهم، ولا أحقر من شأني لديهم، وبينا نحن في لكاك[11] وزحام، ووطيسٍ حام، إذ طلع علينا [ ][12] حسنُ الشارة، مليحُ

---

(1) كلمة غير مقروءة بوضوح، وربما قرئت «السمع» لتوافق الفاصلة قبلها.

(2) كلمة غير مقروءة لعلها يتطلعون أو ينظرون.

(3) القرآن الكريم الآية8 من سورة النحل.

(4) الملتكّة: المتضامّة المتداخلة.

(5) كلمة غير مقروءة: قد تكون «المصصكة» بمعنى المتدافعة التي يتحتك بعضها ببعض.

(6) سلح سلحاً وسُلاحاً، راث فهو سالح.

(7) شوّر به أخجله، أو فعل ما يخجله.

(8) كلمة غير واضحة، ربما قرئت واعذروني.

(9) كلمة ذهب بها البتر.

(10) يشير هنا إلى يومين من أيام العرب، والى بطلين منهم هما عاصم، وقيس بن زهير.

(11) اللكاك: الزحام.

(12) كلمة غير مقروءة، لعلها رجل أو فتى.

الإشارة، عليه قلنسوةُ وطيلسان، وله [ ][1] ولسان زاحمهم بمنكب، وقاومهم من النجدة بموكب، وجعل [ ][2] بيده، ويرميهم بعضده[3] حتى اختلط بغمارهم، وتوسّط في غمارهم[4] ثم همَّ وزجر، ونهى وأمر، وصاح بأعلى صوته: يا أهل البطالة[5] والتعدّي والاستطالة، ما هذا البغي العظيم، والفعل الذميم، أتسخرون من خلق الرحمن، ولا تسمعون إلى مُحكم القرآن «يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قومُ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكن خيراً منهن[6]» لأن المرءَ بسيرته لا بصُورته، وبطينته لا بزينته، وبعلاه لا بحلاه، وبأعماله لا بجلاه، ربَّ أخلاق خشنة تحتها أخلاق حسنة، وخلّة[7] دنيّة فوقها حلّة سنيّة[8] ونفوس نفائس في جسوم يوائس، ووجوه غضاض[9] على قلوب مراض، ورجال غير مرجلين[10]، وهم عند الله من الغر المحجلين[11] فلا تعتبروا للنظر، فربَّ أشعث أغبَر[12]، أيُّها الناس ألهاكم النعيمُ والترف، وأطغاكم الغنى والشرف فأكلتم الليِّن، ولبستم الناعم، وركبتم الفاره، حتى سمنت الأبدان، وهُزلت الأديان، وكثرت اللحوم، وقلّت الحلوم، ولانت الجلود، وقست

---

(1) كلمة غير مقروءة أيضاً، لعلها شية.

(2) كلمة غير واضحة، ربما قرئت يطردهم أو يدفعهم.

(3) العضد: ما بين المرفق إلى الكتف، والجمع أعضاد.

(4) غمار الناس بضم أوله وكسره جمعهم المزدحم.

(5) أهل البطالة أهل الفساد والفراغ.

(6) القرآن الكريم، الآية 11 من سورة الحجرات.

(7) الخلّة: الخصلة.

(8) السنية: ذات الرفعة والقدر.

(9) الطرية: الناضرة.

(10) من رجَّل الشعر أي سواه وزيّنهُ.

(11) أمر أغر محجل، ويوم أغر محجل: مشهور كريم.

(12) متن قوله عليه الصلاة والسلام ربَّ رجل اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبّره» والكلام هنا من قبيل الإكتفاء في البلاغة؛ وتمامه «لو أقسم على الله لأبرّه».

الكبود[1] أما واللّه لو نظرتم إلى موتاكم في القبور، وقد تمزّقت جلودهم، وتخدّدت خدودهم، وتناثرت شعورهم، وتساقطت ثغورهم، وسالت [ ][2] وشترت جفونهم، وتقطّعت أوصالهم، وتفرّق اتصالهم، وصار اللحم دودا، والشحم صديدا، وخبثت الريح، وقبح الوجه المليح، لزهدتم في الطعام والشراب، ولرغبتم عن [ ][3] والضراب، ورأيتم أنّ مواعدَ الدنيا سراب، وأن الذي فوق التراب تراب، آه آهِ كمْ في التراب من خدًّ أسيل، وعين كحيل، وكفٍّ خضيب، وعطف رطيب، كلُّ حُسنٍ في التراب يبلى، وكلُّ قلب في التراب يُسلى، فيا مَنْ لفح وجهه حرُّ الشمس وحمَّر بنانه اللمسُ، ويصون وردَ خده أن يُجتنى ويشكو [ ][4] عقده إذا انثنى، ستعلم في لحدك إذا وضع التراب بين كفنك وجلدك، وسلّطت الأرض على محاسن خدّك، أنك كنتَ في الدنيا ساهياً، و[ ][5] أدبك لاهيا، وأنشد:

كـمْ صـانَ غـرٌّ قـبـلـة مـن خـدّه سُـلـطـت الأرض عـلـى خـده
وحـامـل ثـقـل الـثـرى جـلـده وكـان يـشـكـو الـضـعـف عـن عـقـده

أيُّها الناسُ لا تغتروا بالجمال ولا بالمال، أما الجمال فلا يسود، ولا إلى الآخرة يزود، وأما المال فيشقي ويُسعد، ويُضلُّ ويرشد، أما من أسرّهُ وصرّه، أو قصره على شهواته [ ][6] يشقى في الحال ويشقى في المآل، وأما من أنفقه في الحلال، وأقرض منه الربَّ ذا الجلال، فسعيد في الدارين، رشيد في الحالين، فاعملوا رحمكم اللّه لإخوانكم. وتعطّفوا على فقرائكم، واسمعوا إلى قول مولاكم

(1) الكبود والأكباد: جمع كبد العضو المعروف.
(2) كلمة غير واضحة، لعلها عيونهم.
(3) كلمة ذهب بها البتر.
(4) كلمة ممحو بعضها، ربما كانت نقش.
(5) كلمة غير واضحة، ربما استقامت بتقدير وبهجر.
(6) كلمة غير مقروءة، لعلها فإنه.

«يا أيُّها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم[1]» ألا أن الأجسام للأجداث[2]، والأموال للورّاث، ولا يجد الإنسانُ لا أمَّ له مما أمله وأصّله إلا ربّه الكريم وعمله «يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم اللّهُ نفسه، واللّهُ رؤوف بالعباد[3]».

قال أبو عوف: فجعل الناس يبكون، ويتلهفون ويتوجعون ويتأسفون، فلما رآهم يخوضون في بحار دموعهم، ويصلون[4] بنيران ضلوعهم، ويضعون خدودهم على الأرض من شدة خضوعهم، وقد سقطتْ أرديتهم فوطأوها بالأقدام، وانحلّت عمائمهم فشغلوا بالاغتمام عن الاعتمام، ورخصت لديهم النفوسُ فلو سئلوها لآتوها[5]، وهانت عليهم المكارهُ، فلو دعوا إليها لأتوها، أخذ بعضدي، وأدناني إليه، ثم مَسَح على رأسي بيديه، وقال لهم، وهذا الأعرابي أخوكم في اللّه، وضيف من ضيوف اللّه، نزل بكم جائعاً، فأقام ضائعاً، وقصدكم عارياً، فلم يجد منكم موارياً، وليتكم كفيتموه شركم، ووقيتموه ضرّكم، فينصرف إلى غيركم عند اليأس من خيركم، وينقلب إلى سواكم عند الخيبة من جداكم[6]، ولكنكم بغيتم عليه واعتديتم، ورحتم في إذايته واغتديتم، وجعلتموه هدفاً وغرضاً، وأعقبتموه دنفاً ومرضا[7] ثم غنّى بصوت شائق [ ][8] رائق، فقال[9]:

---

(1) القرآن الكريم، الآية 254 من سورة البقرة.

(2) الأجداث: القبور.

(3) القرآن الكريم: الآية 30 من سورة آل عمران.

(4) صلى الشيء صلياً ألقاه في النار، ويقال صلاه النار، وفيها وعلى النارَ.

(5) اقتباس من قوله تعالى« ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها» الآية14 من سورة الأحزاب.

(6) الجدا: العطاء والرفد.

(7) كلمة ممحوة.

(8) كلمة ممحوة أيضاً ربما قدرت وشعر،

(9) من شعر كاتب المقامة.

نزلتُ بكمْ طالباً رفدكم ... فلم تنزلوني ولم ترفدوني
وجاورتُكم عند جور الزمان ... فما كان في القوم من قام دوني
وأحببتكم حبَّ نفسي الحياة ... فكان جزائي أن تقتلوني

قال: فصغى الناس حين غنّاها لحسن صوته وأنيق معناها، وقالوا له: أشر علينا بما نصنع، وترضاه بأموالنا حتى يقنع، وكلفنا [ ] الاستطاعة، فقد نجعنا لك بالطاعة، فقال لهم ارفعوا رؤوسكم واخلعوا لبوسَكم، وأعطوه مالديكم، ولا ترجعوا وثياب العطية عليكم، قال فطرح كلٌّ إنسان كيسه، وفضَّ فضته، وخلع لبوسه، حتى لم يبق إلا إزاراً يحرم نزعه[1] أو حذاء لا يُجدي خلعه، ثم عكروا على السوق[2] فجاءوا بالخمير والفطير والشواء والغزير واليابس والرطب، والمزِّ والعذب، حتى إذا وصلَ ذلك إلينا، وحصل لدينا، دعا لهم وأمنت، وأحسن في الثناء عليهم وأحسنت، ثم أوقَر ظهري بتلك الثياب[3] واستعان بغلمان له على باقي الأسباب، وانطلق بنا إلى خان خفي المدخل، يغلي بساكنه غليان المرجل[4]، فدخل وتبعناه، و [ ][5] فأطعناه، فوجدنا أهل الخان ناظرين لوصوله، مرتقبين لدخوله، فوقفوا له إجلالاً، واضطربوا يميناً وشمالاً، يضربون عليه الدفَّ، ويصفقون بالأكف، فلما انتهى إلى فنائه، وهم يمشون من ورائه، فقام لهم، وشكر عملهم، وقال لهم أخلوني الليلة مع هذا الصاحب، لأقضي من برِّه بعض الواجب، فانصرفوا وأغلق بابه، وحسر عمامته، ونزع ثيابه، وقال لغلمانه اقعُدوا على الباب، واجهدوا لنا في حفظ الأسباب، ثم قدّم إلينا الخوان[6] ونصب عليه تلك الألوان، وقال لي: كُلْ[7] وتملا، ونَمْ إذا شئت وتهنا،

(1) الإزار: الرداء، والنزع الترك والتخلي.
(2) عكر عكراً وعكوراً، عطف ورجع.
(3) العياب: الحقائب.
(4) القدر من الطين المطبوخ أو النحاس.
(5) كلمة ممحوة لعلها أمر أو أشار.
(6) ما يؤكل عليه جمعه أخونه، وخُون، وأخاوين.
(7) فراغ بمقدار كلمة، ربما كان تقديرها زمناً.

وسامرني [ ][1] ثم قال: أجد في إعطائي وهنا، وأريد أن استريح بالنوم، فإني تعبتُ مع القوم، فلا توقظني ولو طلعت الشمس، أو فاتتني الخمس، وقام إلى كسر البيت، وقمت لأروي المصباح من الزيت، ثم خفتُ أن أطيِّر نومه، وأثير لومه، فأطفأت المصباح، وعزمت على أن [ ] الصباح، فأخذ بنفسي الذي أخذ بنفس بلال، فما استيقظت إلا والشمس تنشر مداد الظلال، فنظرتُ فرأيتُ البيت صُفراً[2] وقمت فوجدتُ الخان قفراً[3]:

كأنْ لم يكنْ بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر

فرجعتُ إلى البيت أقلّبُ أركانه، وإلى الظاعن[4] أندبُ أوطانه، فوجدت في كسر البيت دريهمات معدودة، ورغيفات منضودة[5] ورقعة فيها مكتوبة:

لا تكثرن عذلي يا عاذلُ واشكر [ ][6]

الصيد للصائد لكنه يطرح للكلب من الحاصل

وقد تخلصتك من نشبة[7] كنت بها في كفة الحابل

فاعلم ولا تجهل تكن شاكراً فإنما الكفران للجاهل إن تسل عني أو إن تسل فإن الشمائل[8] للبابل.

قال أبو عوف: فقلت في نفسي: صدق لافُضَّ فوه[9]، وأحسن للّه أبوه».

---

(1) كلمة غير مقروءة، ربما قرئت أكلاً.

(2) الصفر الخالي من الأشياء.

(3) دار قفر خالية، والبيت بعده لعمر بن الحارث بن مضاض الجرهمي.

(4) المسافر.

(5) المنضودة: المنسقة.

(6) كلمتان غير واضحتين لعل أقرب قراءة لهما «المنصف باذل»

(7) يقال رجل نُشَبه: اذا نشب في أمر لم يكد ينحل عنه.

(8) كلمة غير مقروءة في الأصل.

(9) في الدعاء للمخاطب بسلامة أسنانه.

2 ـ رسالة مزاوجة[1]:

تحية ربأت[2] بها عزَّ كسرى[3]، وخبأت لها من هو أسرى، وأحمد مَسْرى فلان ـ أبقاه اللّه ـ معمور النادي، بكلِّ رائح من الأمل وغادي، ولا زال في سعد منقاد، وعزٍّ متماد.

وبعد فإن خديمَ مجده، ومُديمَ حمده، وقف على المُدرج بخطه في كتاب فرع جلاله، وقرّة عين كماله ـ وصلَ اللّه حفظه، كما أجزل من المآثر حظه ـ وفهم الخديم ما تضمّنه من نكث البيان، والسحر المتلوّ على الآذان، الجلّو للعيان، وما أودعه من التقريظ في شأن القريض، واستسمان ذي الورم المريض، منه عن هناته، وإرضاء للفكر الذي هو من بناته، واللّه تعالى يمتعني ببرّه، ويُخولني الواجب من حمده وشكره، وعرفني فلان بماكتبتم إليه في شأن الموطأة، التي احتجبَ بها للأصبحي[4] وأنكحتها سليله المبارك فشرعت منه ظهرا.

---

(1) مخط (ن) الورقة: 35.

(2) ربأ: ربأهم ـ كمنع: صار ربيئة لهم أي طليعة، وربأ: أصلح.

(3) كسرى أنو شروان من ملوك فارس.

(4) يعني الإمام مالك الأصبحي إمام المدينة، وصاحب المذهب الفقهي المشهور والمنتشر في أفريقية والأندلس وغيرهما من الأقطار.

(109)

3 ـ رسالة إخوانية(*)

كتبها ـ كما ذكر لسان الدين بن الخطيب «إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبي بكر ابن يوسف بن الفخار، وأبي القاسم القبتوري[1]»[2] متضمنة معنى اللوم والعتب، وإظهار القدرة في فن الكتابة والإنشاء، والفخر بالمواهب قال: «للّه درّكما حليفي صفاء، وأليفي وفاء، يتنازعان كأس المودّة تنازع الأكفاء، ويتهاديان ريحان التحيّة تهادي الظرفاء، قسيمي نسب، وكريمي[3] حسب، يتجاودان[4] بمطبوع من الأدب ومكتسب، ويتواردان علم[5] نعم من الظرف ونسب، رضيعي لبان، ذريعي لُبان[6]، يحرزان ميراث قُسٍّ[7] وسحبان[8] ويُبرزان من الذكاء ما بان على إبان[9] قسيمي مجال، فصيحي روية وارتجال يترعان في أشطان البلاغة سجالاً بعد سجال، ويصرعان في ميدان الفصاحة رجالاً على رجال، ما بالكما لا

(*) مخطط (ن) الورقتان: 33-35.

(1) تقدّمت ترجمتاهما.

(2) الرسالة مثبتة، كما ذكرنا في الإحاطة لابن الخطيب 320:3، وقد حقق الكتاب وفيه الرسالة الأستاذ محمد عبد الله عنان، رحمه الله، ولكن رسالة ابن المرحل فيه بالمقارنة مع المخطوط الذي اعتمدنا عليه، تلبست في تحقيقه بالكثير من التحريف والتصحيف حسبما نشير إلى ذلك في هوامش تحقيقنا.

(3) في تحق ع: قريعي.

(4) في تحق ع: يتجاوزان.

(5) في تحق ع: ويتواردان على علم.

(6) اللّبان: الرضاع، وبالضم الكندر، والحاجات من غير فاقة جمع لبانة.

(7) يشير إلى قس بن ساعدة الأيادي المتوفى نحو سنة600 م وهو من خطباء العرب المشاهير المعروفين بضرب الأمثال.

(8) يشير إلى سحبان وائل وهو من الفصحاء الأبيناء قبل الإسلام.

(9) يشير بذلك إلى أبان بن عبد الحميد اللاحقي.

حرمت حبالكما . ولا قصمت نبالكما، لم تسمحا لي من عقودكما بُدّرة، ولم ترشحاني من نفوذكما بدرة، ولم تفتخاني[1] بحلوة ولا مرّة، لقد ابتليت من أدبكما بنهر أقربه ولا أشربه، وماء أرده ولا أبترده[2]، ولو كنتُ من أصحاب طالوت لأفسحت لي غُرفة، وأتيحت لي ترفة. بل لو كنتُ من الإبل ذواتِ الأظماء، ما جلبت بعد الظمأ عن الماء، ولا دخلتُ بالإشفاق مدخل العجماء، كيفَ وأنا ـ ولا فخر ـ في صورة إنسان، ناطق بلسان، أفرق بين الإساءة والإحسان، وإن قلت إن باعي في النظم قصيرٌ، ومالي على النثر وليٌ ولا نصير، وصنعة النحو عني بمعزل، ومنزل الفقه[3] ليس لي بمنزل، ولم أُقدم على العلم القديم، ولا استأثرت من أهله بنديم، فأنا ـ والحمد للّه ـ غني بصنعة الحبر[4]، وأقتني اليراع كأنها سبايك [5] التبر وأبري البريَّة تنيف على الشّبر، وأزيّن خدود الأسطار المستوية، بعقارب اللاَّمات الملتوية، ولا أقول كأنها[6] فلا ينكر السيدان ـ أعزّهما اللّه ـ أنها نعم بعود أزاحم[7]، وبمثل شكتي[8] تحضر الملاحم، فما هذا الازدراء والاجتراء، في هذا إمراء وامتراء[9]، تاللّه لقد ظلمتماني على علم، وأسندتماني إلى[10] غير حلم، أما رهبتما شبابي، أما رغبتما في حسابي، أما وقفتما[11] بين نفح صبابي، ولفح صبابي، لعمري لقد ركبتما خطراً، وهجتما الأسد بطرا، وأبحتما حمى مُحتضرا،

---

(1) في تحق ع: ولم تفسحا لي.

(2) في تحق ع: ولا أتبرده.

(3) في تحق ع: ومنزل الفقيه.

(4) في تحق ع: صنعة الجفر.

(5) في تحق ع: شبابيك.

(6) حذف من الكلام ما يدركه المخاطبان، وهو ما يسمى في البلاغة الاكتفاء.

(7) في تحق ع: ازاعم.

(8) في تحق ع: شكسي

(9) في تحق ع: مر المواقير.

(10) في تحق ع: استندتما الى

(11) في تحق ع: أما رفعتما.

ولم تمعنا في هذا الأمر نظراً[1].

أعد نظراً يا عبدَ قيسٍ لعلّما   أضاءت لك النارَ الحمار المقيَّدا

ونفسي عين الحمار في هذا المضمار، لا أعرف قبيلاً من دبير، ولا أفرق بحسي بين صغير ولا كبير[2] ولا أعقل[3] أن حصاة الرميّ أخفُ من ثبير، أليس في ذي[4] كبد رطبة أجر، وفي معاملة أهل التقوى والمغفرة تجر، وإذا خولتماني نعمة، أو نفلتماني نفلاً فاليدُ العليا خيرُ من اليد السُّفلى، وما نقص مال من صدقة، ولا جمال من لمح حدقة، والعلم يزيد بالإنفاق، وكتمه مُحرَّم[5] باتفاق، فإن قلتما لي: إن فهمك سقيم، وعوجك على الرياضة لا يستقيم، فلعلّ الذي نصبَ قامتي يَمنُّ باستقامتي، وعسى الذي شقَّ سمعي وبصري، أن يزيل عيّي وحصري، فأعي ما تقصان، واجتلي ما تنصان وأجتني أثمار[6] تلك الأغصان، فقد شاهدتما كثيراً من الحيوان، يناغي فيتعلم، ويُلقّن فيتكلم، هذا والجنس غير الجنس، فكيف المشارك في نوعية الإنس، وإن قلتما[7] إن ذلك يشُقُّ فأين الحقُ الذي يحقُ، والمشقةُ أخت المروءة، وينعكسُ مساق هذه الأخوّة، فيقال المروءة أخت المشقة، والحجيج يصبر على بعد الشقه، ولولا المشقة، كثر السادةُ، وقلت الحسادةُ[8] فما ضركما أيُّها السيدان أن تحتسبا تخريجي[9]، وتكتسبا الأجر في تدريجي، فإنكما إن فعلتما ذلك، نسبت إلى ولائكما كما حسبتُ على علائكما، وأضفت إلى

(1) أمعن في الأمر: أبعد فيه.
(2) في تحق: بين صغير وكبير.
(3) في تحق ع: ولا أعهد.
(4) في تحق ع: ذوي.
(5) في تحق ع: حرام.
(6) في تحق ع: وأجني ثمار.
(7) في تحق ع: فإن قلنا.
(8) الحسادة: هي تمني أن تتحول نعمة المحسود إلى الحاسد وهو حرام.
(9) في تحق ع: أن تحسبا تحويجي.

نداكما[1]، كما عرفت بمنتداكما، ألم تعلما أن المرءَ يعرف بخليله، ويقاس به في كثيره وقليله، ولعلّي أمتحن في مرام، ويعجم عودي رام، فيقولُ هذا العود من تلك الأعواد، وليس في تلك الحلبة من جواد، فأكسوكما عاراً، وأكونُ عليكما شعاراً، على أني إذا دعيتُ باسمكما، أستريب[2] من الادعاء، فلا أستجيب لهذا الدعاء، ولكنْ أقول كما قال عتبه[3] حين عرف الأمارة[4]، وأنكر الإمارة، ومأأنا عندكما في القرب إلا كزياد في آل حرب[5]، نعم لكن نسبتي أصحُّ، وأنا بها أشحُ، إلا أن زياداً[6] نظم في السلك، وأسهم في الملك، وأنا بينكما كمحجوب بين ورُّاث[7]، يشاركهم في البكا لا في التراث، إن حضرت فلئيم[8] في الإقحام، أو كمغص في زحام، وإن غبتُ فيقضى الأمر، وقد ينتظر زيد[9] وعمرو - ناشدتكما اللّه في الإنصاف - أن تركعا بوادٍ من أودية الشَّحْر، في نادٍ من أندية الشعر بل السحر، حيث تندرج الأنهار، وتتبرج الأزهار، ويتأرج الليل والنهار[10]، ويقرأ الطير صحفاً منَشرة[11]، ويجلو النورُ ثغوراً موشّرة، وتغازل[12] عيونُ النرجسِ الوجلِ خدود الورد الخجل وتتمايل أعطاف البان على أرداف الكثبان،

---

(1) في تحق ع: إلى نديكما.

(2) في تحق ع: استربت.

(3) في تحق ع: قال ابن أبي سفيان.

(4) في تحق ع: الإدارة.

(5) في تحق ع: العبارة ساقطة.

(6) في تحق ع: غيري.

(7) في تحق ع: كالمحجوب بين طلاب.

(8) في تحق ع: فكنتم.

(9) في تحق ع: وقد سطر.

(10) في تحق ع: وتتأرج الأزهار ويتبرج الليل والنهار.

(11) في تحق ع: صحفا منتثرة.

(12) في تحق ع: ويغازل.

ويرقد[1] النسيمُ العليلُ في حجر الروض وهو كليل[2]، وتبرز هوادج الرَّاح على الراح، وقد هديت بأقمار، وحديث بوتر[3] ومزمار، وركبتما الصهباء[4] والكميت في ذلك المضمار، ولم تزالا في طيب، وعيش رطيب، بين[5] قباب وخدور، وشموس وبدور، تصلان الليالي والأيام أعجازاً بصدور الطريد منبوذٍ بالعراءِ موقوذٍ في جهة الوراء، لا يدنى محلّى، ولا يعنى[6] بعقدي ولا حلي، ولا أدرج من الحرور إلى الظل، ولا أخرج من الحرام إلى الحِل، ولا يبعث إليَّ من[7] النسيم هبّه، ويباح[8] لي من[9] الآتي عَبّه، قد هلكت لغواً، ولم تقيمالي صفواً، ومتُّ كمداً، ولم تضربا[10] لبعثي أمدا، آه آه[11]. أتراه، خلفتماني جرضاً، وأبقيتماني[12] حرضاً، كم أستسقي فلا أسقى، وأسترقي فلا أرقى لا ماءَ أشربه، ولا عمل في وصلكما أدرِّبُه، لم يبق لي حيلةٌ إلا الدعاء المجاب، فعسى الكرب أن ينجاب، اللّهم كما أمددت هذين السيدين بالعلم الذي هو جمال، وسددتهما للعمل[13] الذي هو كمال، وجمعت فيهما الفضائل والمكارمَ، وخَتَمْتَ بهما الأفاضل والأكارم[14]، وجعلت الأدبَ الصريحَ أقلَّ خصالهما، والنظرَ الصحيحَ

---

(1) في تحق ع: فيرقد.
(2) في تحق ع: بليل.
(3) في تحق ع: بأزهار.
(4) في تحق ع: وركبتها الصهباء.
(5) في تحق ع: من.
(6) في تحق ع: ولا يعتنى.
(7) في تحق ع: مع.
(8) في تحق ع: ولا يتاح.
(9) في تحق ع: في.
(10) في تحق ع: تبعثا.
(11) في تحق ع: محذوفتان.
(12) في تحق ع: والقيتماني.
(13) في تحق ع: إلى العمل.
(14) المكارم.

أقلَّ نصالهما، فاجعل اللّهم لي في قلوبهما رحمة وحنانا، وابسط لي منهما وجهاً واشرح لي جنانا واجعلني اللّهم ممن اقتدي بهما، وأتعلّق بأهدابهما، ويكون دأبي في الصالحين[1] كدأبهما، حتى أكون بهما ثالث القمرين في الآيات، وثالث العمرين في عمل البرّ وطول الحياة، اللّهم آمين، وصلّى اللّه على محمد خاتم النبيين، وآله الطاهرين[2].

وكأني أنظر إلى سيّديَّ - أعزهما اللّه - إذا وقفا على هذا الخطاب، ونظرا إلى هذا الاحتطاب، كيف يديران رمزاً، ويثيران[3] غمزا، ويقولان[4] استتب الفصال، وتعاطى البيذق ما تفعل النصال وحنَّ قدح[5] ليس منها[6]، وخذ عجفاءك فسمّنها[7]، فأقول وطرفي غضيض، ومحلي الحضيض، مثلي كمثل الفروج، بل ثاني البروج[8]، وما تقاس الأكف بالسروج، فاضربا عني أيُّها الفاضلان، ما أنا[9] ممن تناضلان، والسلام».

---

(1) في تحق ع: الصالحات.

(2) في تحق ع: العبارة محذوفة.

(3) في تحق ع: ويشيران غمزاً

(4) في تحق ع: ويقال.

(1) في تحق ع: جذع.

(5) في تحق ع: منهما.

(6) في تحق ع: وسمنها

(7) في تحق ع: او ثاني.

(8) ثاني البروج الاثني عشر.

(9) في تحق (ع): ممن.

4 ـ مناظرته لابن أبي الربيع النحوي في مسألة «كان ماذا[1]».

«أيها القائل:

كـــان مـــاذا لـــيـــتـــهـــا عـــدمُ   جـــنّـــبـــوهـــا قـــربـــهـــا نـــدمُ

لـــيـــتـــنـــي يـــا مـــال لـــم أرهـــا   إنـــهـــا كـــالـــنـــار تـــضـــطـــرمُ

يقول لك مالك: لا بدّ لك أن تصيح من تحت طبق على طبق نيران: كان ماذا؟ ﴿ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربك، قال إنكم ماكثون، لقدَ جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون[2]﴾.

إلى كم تقيّد في كان ماذا تقييداً بعد تقييد؟ لقد حصلت منها في أمر شديد، إلى كم تعيد فيها وتبدىء، وتنظم وتنشيء؟ غرَّك احتمالي لقدحك ومزحك، وصبري على ألم جرحك، حتى قلت ما لجُرح بميت إيلام[3].

انتهزت الفرصة في إذاية صبور، ودلاّك حِلمُه بغرور حتى قلتَ:

كـــلُّ حِـــلْـــم أتـــى بـــغـــيـــر احـــتـــمـــالِ   حـــجـــةٌ لاجـــىءُ إلـــيـــهـــا الـــلـــئـــامُ

تاللّه لو نُهيت الأولى لانتهت الآخرة، ولم تكن الفاقرةُ تتبعها الفاقرة[4] ولكن أغضيتُ على القذَى، وصبرتُ على الأذى حتى قيل لو قدر لانتصر، واتصل الأمر فصار ديدناً، فلا جرم أن أتعقّب كلامَك، وألِفتَ عليك لامَك[5]، فأقول وإنما

(1) مخط (ن): الورقات (1 ـ 29) وابن أبي الربيع هو أبو الحسين ابن أبي الربيع الأشبيلي تقدمت ترجمته.

(2) القرآن الكريم: الآية77 سورة الزخرف.

(3) هو عجز بيت لأبي الطيب المتنبي صدره «من يهن يسهل الهوان عليه».

(4) الفاقرة: الداهية.

(5) اللام: اللوم.

أخاطبُ من سَمِع خطابي، ونظر في كتابي:

اعلم - أعزّك الله - أنّ هذا الرجل المشار إليه هو الذي أثار نار «كان ماذا»، التي أحرقته حتى صاح: ليتني يا مال لم أرها. البيت.

وذلك أنه سمع رجلاً يُنشد لي قصيدة في محلّ كريم جمعني وإيّاه، وكان فيها:

وإذا عشقت يكون ماذا هل له ... دينٌ عليَّ فيغتدي ويروح

فقال: لحنَ هذا الناظم، لا يقالُ كان ماذا؟ ولا يكون ماذا؟ ولا فعل ماذا؟ ولا أفعل ماذا؟ ولا يجوز ما كان على هذه الطريقة، ولا أسمع فاستشهدت عليه ببيت الجارية وهو:

فعاتبوه فذاب شوقاً ... ومات عشقاً فكان ماذا؟

وبقول الشاعر:

فبُعْدَك قد ملكت الأرض طراً ... ودان لك العباد فكان ماذا؟

فقال: هذا لحنٌ، ولا يحتج بمثل هذا، فقلت له: إيراد العلماء لهذا الشعر وقبولهم له حجّة على جوازه، وهذا كثير وذكر أبو علي البغدادي[1] في الذيل من النوادر، أنبأنا الزبير حدثنا أخي هارون بسنده عن وهب بن مسلم عن أبيه، قال: دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلّم مع نوفل بن مساحق[2] فمررنا بسعيد بن

(1) هو أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، ولد ونشأ في مناز جرد ورحل إلى بغداد فتعلم فيها واستقر ومن هنا نسبه ابن المرحل إلى بغداد، ثم رحل إلى الغرب الإسلامي ومكث في الأندلس سنة (328)، فدخل قرطبة التي أكرم فيها فكثر تأليفه وتصنيفه، كانت حياته بين سنتي (288 ـ 356هـ) من أشهر تآليفه كتاب «أمالي القالي» و«النوادر» و«البارع» راجع في ذلك وفيات الأعيان 74:1، إنباه الرواه 204:1.

(2) هو نوفل بن مساحق بن عبدالله الأكبر بن مخرمة القرشي، ويكنى أبا سعد من أشراف قريش التابعين، كانت نشأته في المدينة، وولي أمر جباية الصدقات، وعرف بالعفة والنزاهة، وكانت وفاته عام 74هـ /693م راجع تهذيب التهذيب 491:10 سمط اللآلي 47:3.

المسيّب[1]، فسلمنا عليه فردّ، ثم قال: يا أبا سعيد منْ أشعر أصاحبنا أم صاحبكم؟ يريد عمر بن أبي ربيعة[2] وقيس الرقيات[3] فقال له ابن مساحق حين يقولان ماذا؟ قال حين يقول صاحبنا[4]:

خليليّ ما بال المطايا كأننا   نراها على الأدبار بالقوم تنكص

الأبيات[5] ويقول صاحبكم ماذا؟[6] فقال له وهب: صاحبكم أشعر بالغزل، وصاحبنا أكثر أفانين شعر.

فلما انقضى ما بينهما، استغفر سعيد مائة مرّة يعُدّ بالخمس، قال المملوك: رضي الله عنه عن سعيد بن المسيّب، لم يزد على أن فاوض صاحبه في مباح، لم يجر في كلامه فحش ولا غيبة مسلم، ثم استغفر الله مائة مرّة، هكذا هكذا وإلا فلا لا أين هذا من الذي قُيّد فيه؟ وكم فيهم من فقيه سوء خبيث، كثير الأذى والمضرّة، يعيب ويغتاب من غاب عنه ألفاً، ولا يستغفر الله مرّة.

وحكى أبو علي قال: قرع باب ابن الرّقاع فخرجت بنيّة له صغيرة، فقالت:

---

(1) سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي من الأئمة الأعلام ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي بالمدينة المنورة عام (94/ 712هـ) على أرجح الأقوال فيعد بذلك في التابعين، اشتهر بالعفة والنزاهة وصحة السند فحلاه الإمام ابن حنبل بقوله «مراسلات سعيد صحاح» راجع تذكرة الحفاظ 1:38-54 شرح الكوكب2:232 طبقات ابن سعد 5:88 الوفيات 1:206، صفة الصفوة 2:44 حلية الأولياء 2 :161.

(2) هو الشاعر المشهور عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أبو الخطاب شاعر معروف برقة الغزل ولد سنة (23هـ/ 644م) ومات سنة (93هـ/ 712م) وله ديوان شعر باسمه «ديوان عمر بن أبي ربيعة» راجع: وفيات الأعيان 1 :353-378 الاعلام 5:52.

(3) هو عبيد الله بن قيس الرقيات، شاعر قرشي أقام بالمدينة، ونزل الرقة، أغلب أشعاره في الغزل، وكان يشبب بثلاث نسوة تسمى كل واحدة منهن رقية فلقب بذلك وله ديوان شعر باسمه، سمط اللآلي: 294 الأغاني 4 :154-166.

(4) يقصد عمر بن أبي ربيعة، والأبيات في ديوانه.

(5) يقصد قيس الرقيات، وفي الكلام كما يلحظ حذف يتصل بعدم سوق الشاهد من شعر قيس الرقيات.

من هاهنا فقالوا: نحن الشعراء، قالت: وتريدون ماذا؟ قالوا: نهاجي أباك، فقالت: تجمعتم من كل أوب ووجهة   على واحد لا زلتم قرن واحد

واستشهدت بحكاية أخرى أخرجها أيضاً في الذيل[1] أولها لما أراد معاوية[2] البيعة ليزيد[3] كتب إلى مروان[4] وهو والٍ على المدينة، وفي الحكاية: أو تفعل كما فعل أبو بكر[5] قال: فعل ماذا؟، وفيها أو تفعل كما فعل عمر[6] فقال: فعل ماذا؟ وبحكاية أخرى أخرجها ابن ظفر[7] في كتابه أنباء نجباء الأبناء، أولها: بلغني أنه لما ولد لعبد الله بن جعفر ولده معاوية، وكان لأم ولد، والحكاية طويلة،

---

(1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثاني ملوك الدولة الأموية كانت حياته بين سنتي 25هـ - 64 هـ راجع الأعلام 8 :189.

(2) مروان بن الحكم 65) هـ (2- ولد بمكة ونشأ بالطائف، سكن المدينة، وشارك في وقعة الجمل، ولاه معاوية المدينة سنة 49 هـ 42.

(3) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، أول الخلفاء الراشدين، ولد بمكة سنة 51ق هـ /573م كان من أعاظم رجال العرب وحكمائها فسمّي بالصديق في الجاهلية والإسلام، وتوفي عام 13 هـ /634م راجع صفة الصفوة 88:1 الإصابة 4808.

(4) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي أبو حفص الخليفة الثاني ولد سنة 40 ق هـ ، وهو أول من لقب بأمير المؤمنين واشتهر بالحزم والشجاعة والعدل وإصابة الرأي، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، ولقبه الرسول الفاروق وشهد الإسلام في عهده اتساعاً بالفتوحات راجع ترجمته في: صفة الصفوة 101:1 ابن الأثير 19:3 الطبري 1 :187.

(5) ذيل كتاب النوادر لأبي على القالي.

(6) معاوية بن أبي سفيان، مؤسس دولة بني أمية في بلاد الشام، ولد بمكة عام (603/20) وتعلّم الكتابة والحساب، وتولى الكتابة في عهد الرسول، وقيادة الجيوش في عهدي أبي بكر وعمر، إلى أن نشبت الحروب بينه وبين الإمام علي، وتولى بناء دولة بني أميّة في الشام إلى أن بلغ شيخوخته، وتوفي عام 60 هـ /680م تاريخ الطبري 180 ابن الاثير 2:4 الأعلام 7.

(7) هو محمد بن عبد الله بن ظفر الصقلي المكي من أعلام القرن السادس (497-565هـ) له عدّة تصانيف منها كتابه في التفسير سمّاه «ينبوع الحياة» في اثني عشر مجلداً، و«خير البشر بخير البشر» و«أنباء نجباء الأبناء» و«سلوان المطاع في عدوان الاتباع» وشرح مقامات الحريري» و«التنقيب على ما في المقامات من الغريب» ولعله الكتاب السابق، وغير ذلك راجع: وفيات الأعيان 522:1، إرشاد الأريب 102:7.

وفيها من كلام خالد بن يزيد بن معاوية، يخاطب عبد الملك بن مروان بلغني أن الحجاج تزوّج إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم، فغضب عبد الملك وقال: كان ماذا؟ ولم لا يكون الحجاج كفؤاً لها، قال خالد: يا أمير المؤمنين إني لم أرد ذلك، ولكنك تعلم أنه لم يكن بين بيتين من بيوت قريش ما كان بيننا وبين آل الزبير، يعني من العداوة، فلما تزوجتُ إليهم انقلبَ ذلك البغضُ حباً، واستشهدت له بشواهد من هذا النوع، وإنما كان غرضي أن أثبت أن هذا النوعَ من الكلام قد قيل، وأنه فصيحٌ، ولم أتعرّض إلى أنه على الاتصال، ولا على التقديم والتأخير، ولا على الانقطاع فتمادى على الإنكار. وقال: لا يحتج بأبي علي البغدادي فلم يكن من أهل الصناعة، ولا بابن ظفر. وإنما يحتج بأهل صناعة العربية. فاستشهدت له بحكاية أخرى أخرجها العالمُ الجليل أبو الفرج الأصبهاني[1] في كتاب «الأغاني» حيث قال:

يا دارُ أقفرَ رسْمُها   بين المحصب والحجُون

وفي آخر الحكاية، فكان ماذا؟[2]

واستشهدت بحكاية أخرى أخرجها ابن قتيبة[3] في «عيون الأخبار» قال: مرَّ أعرابي بمؤذن وهو يقول: أشهد أن محمداً رسول الله ينصب رسول الله، فقال

---

(1) علي بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي المكنى أبا الفرج من الأعلام البارزين في رواية الادب وحفظه وتدوينه في القرن الرابع الهجري، وهو صاحب الكتاب المشهور «الأغاني» وكتب أخرى معروفة «الإماء الشواعر» و«القيان» و«مقاتل الطالبيين» و«أيام العرب» وغيرها، ولد سنة (284هـ/ 897م) وتوفي في عام (356هـ/ 967م) راجع في أخباره: وفيات الاعيان 1 :334، تاريخ بغداد 398:11 إرشاد الأريب 149:5-168 مفتاح السعادة 1 :184.

(2) راجع الحكاية في كتاب الأغاني.

(3) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري من أعلام العربية والأدب، ومن أصحاب التآليف والتصانيف، ولد ببغداد سنة (213هـ/ 828م) وفيها تلقى علومه ونبغ، ومن أبرز تآليفه «أدب الكاتب» و«عيون الأخبار» و«الإمامة والسياسة» و«المعارف» وغير ذلك، وتوفي عام (276هـ/ 889م) راجع: وفيات الأعيان 251:1 دائرة المعارف الإسلامية 1 :260 الأعلام 137:4.

الأعرابي: ويحك يفعل ماذا؟، وبحكاية أخرى من الكتاب المذكور، قال: وصعد اليربوعي[1] فخطب، وقال: أما بعد فإني واللّه ما أدري ما أقول، ولا فيم أقمتموني أقول ماذا؟، فقال بعضهم، قل في الزيت، فقال: الزيت مبارك فكلوا منه وادّهنوا.

وبحكاية أخرى منه، قدم ابن جامع[2] مكة بخير كثير، فقال ابن عيينه: علام يُعطي الملوك هذا الغلام هذه الأموال ويحبونه هذا الحباء؟ قالوا: يُغنّيهم، قال: يقول ماذا؟ فهذان رجلان من أئمة العلماء وصناعة العربية قد حكيا في تأليفهما المشهورين هذه الألفاظ، واستشهدت بحكاية أخرى أخرجها العالم أبو بكر الزبيدي[3] وهو من أئمة العربية في تاريخ النحويين واللغويين، حدّث بسنده عن العجوري قال: كان ثعلب[4] من الحفظ والعلم وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحدٌ، وفي الحكاية من كلام ثعلب لصهره: إذا رآك الناس تذهب إلى هذا الرجل تقرأ

(1) اليربوعي المذكور هنا لعله مطر بن ناجية اليربوعي، المتغلب على الكوفة في أيام الضحاك ابن قيس الشاري.

(2) ابن جامع هو اسماعيل بن جامع السهمي القرشي ويعرف أيضاً بابن أبي وداعة، ويكنى أبا القاسم من المغنين الكبار، ومن أحفظ الناس للقرآن ومن المتعبدين، وقد ضاقت بحياته في مكة فرحل إلى المدينة، ثم إلى بغداد حيث اشتهر، وأكرم فيها من هارون الرشيد، وتوفي عام (192هـ/ 808م)، راجع: البداية والنهاية 10 :207، الأغاني 6 :289-326.

(3) أبو بكر الزبيدي، قال صاحب «أزهار البستان» «محمد بن الحسن أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي صاحب «طبقات النحويين» ووصفه ابن الفرضي «كان واحد عصره في علم النحو، وحفظ اللغة صنّف مختصر العين، وأبنية سيبويه، وما يلحن فيه عوام الأندلس، وطبقات النحويين في مجلد لطيف» مات، رحمه الله، يوم الخميس من جمادي الأولى عام تسع وتسعين من القرن الرابع.

(4) أحمد بن يحي بن زيد الشيباني بالولاء الإمام المعروف بثعلب، والمكنى أبا العباس من أئمة اللغة والنحو ورواية الشعر والشهرة في رواية الحديث، ومن كتبه «الفصيح» الذي نظمه مالك ابن المرحل، ومجالس ثعلب» وغيرها ولد سنة (200هـ/ 816م) وتوفي عام (291هـ/ 914م)

عليه، يقولون ماذا؟ قال المملوك، فلما بلغه ذلك قال: لا يتنزل نطقهم لهذه الألفاظ منزلة نقلهم، قلت: فيظهر من قولك أيُّها الرجل أن الزبيدي، وابن قتيبة وثعلب وأبا الفرج الأصبهاني وغيرهم كانوا لحّانين أيضاً فالحمد لله استوى الماءُ والخشبة، ولا عار على من لحن مع هؤلاء. ثم أوقفته على كتاب ألّفه أبو علي المالقي في شرح الجمل هو بأيدي الناس، وقد تكلم عن ماذا؟ فقال: ومن حكم ما مع ذا أن الألف لا تحذف منها، وإن دخل عليها حرف الجرِّ فتقول بماذا جئت؟ وعماذا سألت؟ ومن حكمها أنها يعمل فيها ما قبلها، وإن كانت استفهاماً، ثم قال: ويقوّى ذلك حديث أم حبيبة[1] حين قالت للنبي ـ ﷺ ـ هلْ لك في بنت أبي سفيان؟ فقال: أصنع ماذا[2]؟ انتهى كلامه.

قال المملوك: وخُرّج هذا الحديث في كتاب البخاري ومسلم والنسائي وأبي داود وابن خيثمة، فلما وقف على الجملة أكبرها وأعظمها، ورأى أن الحديث المذكور تمخّضت عنه بطون الأمهات الكبار، ودارت عليه كتائبُ من كتب الأئمة الأخيار «بين سمر القنا وبيض الشفار»[3] فحصل في أمر عظيم، ووقع في مقعد ومقيم، ثم نظر فرأى أن الطرقَ كلّها تجتمع في هشام بن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ فقال: هذا نقله بالمعنى، وقد لحن فيه، فقيل له، ولم تقولُ ذلك؟ قال: إني لا أراه كان يحسن أدوات النقل، وكانتْ أمُه أمةً، وانفرد بنقل هذا اللفظ الذي لا يوجد في كلام العرب، فنقل الطلبة كلامه، فاضطر إلى القول بجواز ذلك، وقال: أما أفعل ماذا، إذا ورد في كلام فصيح، فيجوز على أن تكون ماذا منقطعة من أفعل، ويكون التقدير ماذا تريد.

ومشى في تقييده على ذلك، ثم تكلّم في بيت الجارية، فقال: رأيت ابن

(1) هي رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أميّة، صحابية من أزواج النبي أخت معاوية توفيت بالمدينة المنوّرة عام (44 هـ /664م) ولها عدد غير قليل من الأحاديث.

(2) مسند أحمد، مسند البصريين: 19463 .

(3) شطر بيت من الشعر.

طاهر قد قال إنه على الانقطاع، فظهر من كلام هذا الرجل أنه لم يكنْ عنده علم من الحديث، ولا من بيت الجارية، ولا أن ذلك جائز حتى وقف على كلام ابن طاهر في بيت الجارية بعد وقوع النازلة، فمن هناك تدلّى وقال إن الحديث يجوز على الانقطاع، وانتقلنا - بحمد اللّه - من أنَّ ذلك لا يجوز البتة ولا سمع إلى أنه يجوز على الانقطاع، ومع هذا فلم يزل مُصمماً على قوله الأول إن الحديث منقول بالمعنى، وإن ذلك لحنٌ فيه، فإنه أورد في تقييده أن النقل بالمعنى جائزٌ، وهذا الذي ذكر لا ينازع فيه إنما ينازع في أنه لحنٌ، وقد فرّق كلامه في هشام بن عروة - رضي اللّه عنه - في تقييده فأشار في موضع منه أنه كان ابن أمة، وأن اللحن طرأ عليه من قبلها فقال روى مسلم[1] عن ابن أبي عتيق[2]، قال: تحدثتُ أنا والقاسم عند عائشة وكان القاسم رجلاً لحّانا، وكان لأم ولد، فقالت له عائشة: مالك لا تتحرك كما يتحرك ابن أخي هذا؟ ثم قالت: أما إني قد علمتُ من أين أتيت، هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك، قلت: فهذه إشارة إلى أن هشاماً كان كذلك، إلى ما صرّح به في مجالسه، وهذا الذي نقل عن ابن أبي عتيق - رضي الله عنه - لم يعن به اللحن الذي هو فساد الإعراب، وإنما عنى به إخراج الحروف من غير مخارجها ونحو ذلك.

---

(1) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام (61 هـ /746م) أحد التابعين، ومن أئمة الحديث الشريف، ولد في المدينة، وعاش فيها، وتوفي في مدينة بغداد، وقد قيل: انه روى نحو أربعمائة حديث. راجع في أخباره: ميزان الاعتدال 3 : 255 تاريخ بغداد 14 : 37، وفيات الاعيان 2 :194.

(2) الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المكنى أبا الحسين (204هـ - 261هـ) من أئمة المحدثين الحفاظ، ولد بنيسابور، وتوفي في التاريخ المذكور، وكانت له رحلة إلى الشام والعراق ومصر، ومن أشهر تصانيفه «صحيح مسلم» و«المسند الكبير» و«الكنى والأسماء» راجع: ابن خلكان 2:91، تذكرة الحفاظ 2 :150، البداية والنهاية 11 :33.

(3) محمد بن عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وصف بأنه كان ثقة، وروى عن أبي يونس مولى عائشة ونافع والزهري، وروى عنه ابن اسحاق وسليمان بن بلال، ويزيد بن زريع الخزرجي.

كما حكي أنّ أعرابياً قال لعمر[1] رضي الله عنه ـ «أيظحّى بظبي؟ فقال له عمر: إنما يقال: أيضحى بظبي؟ فقال الأعرابي: كذلك نقول، أو هي لغتنا.

وأيضاً فإن القاسم كان صغيراً، وعائشة هي أم المؤمنين وإنما قصدت بقولها التعليم والتأديب، وليس له أن يقول في هشام بن عروة كما قال ابن أبي عتيق في القاسم، ولا أن ينزل نفسه منزلته في هذا القول.

قلتُ: وأشار في موضع آخر إلى أنه كان قليل المعرفة باللسان قال: ومما يستحق الراوي أن تكون عنده جملة صالحة من اللسان حتى لا يتوحش من شيء سمع منه، وإذا رأى منكراً نفر منه، ولا بدّ أن يتقن جهات الإعراب وأبنية الأسماء والأفعال، ثم نقل فصلاً عن الأصمعي[2] إن أخوف ما أخاف على طالب الحديث إذا لم يعرف اللحنَ أن يُدخلَ في جملة قول النبي ﷺ «من كذَب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده».

وحكى أبو علي[3] قال: قرع باب ابن الرّقاع[4] فخرجت بنية له صغيرة من النار[5]» لأنه عليه السلام لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنتَ فقد كذبت. قلت: وهذه إشارة أخرى إلى أن هشاماً لم يكن يُحسن من ذلك شيئاً، بحيثُ إنه

---

(1) الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، تقدمت ترجمته.

(2) هو عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع، أحد علماء اللغة الكبار ولد سنة (122هـ/ 740م) بالبصرة، وتوفي بها سنة (216هـ/ 831م) واشتهر بالحفظ والرواية قال الأخفش «ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي» من تآليفه «الأضداد» و«خلق الإنسان» و«الدارات» راجع ابن خلكان 1 :288، تاريخ بغداد 10 :410 أزهار البستان.

(3) يشير إلى أبي علي القالي صاحب كتاب النوادر.

(4) ابن الرقاع هو عدي بن زيد بن مالك ابن الرقاع، شاعر دمشقي كبير عاصر جريراً وتهاجيا، ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، وله ديوان شعر، وكانت وفاته عام (95هـ/ 714م) المؤتلف والمختلف :116.

(5) صحيح البخاري علم 38 جنائز: 33، أدب: 109، ابن ماجه مقدمة: 4 الدرامي: مقدمة 46، 25.

دخل بمقتضى قوله في الجملة التي تلحن فتكذب فتتبوأ مقعدها من النار. قلت: وكذلك أشار في موضع آخر إلى تضعيفه فقال: إن من المحدثين من يكتب حديثه ولا يحتج به، قلت: هذا صحيح في غير هشام بن عروة. قال بعض من تكلّم في الرجال: أبو الحصين عبيد اللّه القدَّاح(1) ليس بالقوى مكي ضعيف مولى لبعض أهلها. وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن عبيد الله القدَّاح فقال ليس بالقوي يكتب حديثه، وأما هشام بن عروة فمعاذَ اللّه أن يكون منْ هؤلاء، وهذه نبذةٌ من أخباره وما قيل فيه ـ رضي الله عنه ـ (وذكرها) ثم قال: فأما قوله: وقد انفرد بهذه اللفظة التي لا توجد في كلام العرب فباطل، وقد جاء في حديث آخر ما يشبه هذا، أخرج الإمام أبو الفرج ابن الجوزي(2) ـ رحمه الله ـ في كتابه «صفوة الصفوة»(3) عن أبي سعيد عن مسلم عن ابراهيم عن هشام الدستوائي عن عطاء بن السائب قال: لما استُخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب ليتجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة(4) فقالا له: إلى أين تريد يا خليفة رسول اللّه ـ ﷺ ـ ؟ قال: السوق قالا تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال فمن أين يطعم عيالي؟ قالا:

---

(1) ربما أراد عبد الله بن ميمون بن داود المخزومي بالولاء المعروف بابن القدّاح فقيه إمامي من رجال الحديث ومن أهل مكة المضعفين قال أبو حاتم لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وهو من الموثوق بهم عند الشيعة راجع تهذيب التهذيب 6 :49.

(2) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي من أعلام القرن السادس المشهورين في علوم الحديث والتاريخ، له العديد من التصانيف المفيدة منها «تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار» و«تلبيس إبليس» و«صيد الخاطر» وغير ذلك، ولد سنة (508هـ/ 1114م) وتوفي عام (597هـ/ 1201) راجع: وفيات الأعيان 1 :279، مفتاح السعادة 1 :207 البداية والنهاية 13 :28.

(3) هكذا ورد اسم الكتاب في المخطوط وصوابه «صفة الصفوة».

(4) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، ولد سنة (40 ق هـ /584م) أمين الأمة وأحد القوّاد الكبار، ومن الدهاة، وقد تعلقت به الناس لما اشتهر به من اللين والأناة والتواضع، توفي عام (18 هـ /639م) راجع حلية الأولياء 1 :100، صفة الصفوة 1 :142 الأعلام 3 :252.

انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كلَّ يوم شاة، وماكسوه في الرأس والبطن.

وخرج أبو داود في كتابه قال: نا موسى بن اسماعيل[1]، قال نا وهب، قال نا داود عن عامر عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول اللّه - ﷺ - يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»[2]، قال: فبكى الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفيّة، فقلت لأبي ما قال؟ قال: كلّهم من قريش.

حدّثنا ابن نفيل قال: نا زهير قال: نا زياد بن خيثمة قال: حدثني الأسود بن سعيد الهمداني عن جابر بن سمرة بهذا الحديث، زاد: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج[3].

قلت: فقد اشترك هشام بن عروة مع غيره في رواية هذا النوع من الكلام

لا فرق بين أفعلُ ماذا؟ وتصنع ماذا؟ وثم يكون ماذا؟ فلينظر في هؤلاء الرواة كما نظر في غيرهم، وليبحث فلعلّ فيهم ابن أمة فيكون الحديث لحناً على مذهبه. ولعلَّ فيهم مثلَ عبيد اللّه القدَّاح، أعوذ باللّه من الجهل والضلال.

قلت: ثم إن هذا الرجل[4] لما قهرته الأدلّة، ووقف موقف الهوان والذِلّة، احتاج إلى المطالعة فوقف على كلام ابن طاهر في بيت الجارية كما ذكر وعلى كلام غيره، واضطر إلى التقييد في ذلك. فقال وهو يمشي الضرّاء[5] ويقف وراء وراء: إنما أنكرت أن يكون ما قبل ماذا عاملاً فيها. قال وقد تبيّن بما لاخفاءَ معه

(1) موسى بن اسماعيل المقري، ويكنى أبا سلمة (838/223) بصري من الثقاة، تكلم الناس فيه مع وصفه بالصدق. ابن حجر التهذيب 10 :333.

(2) مسلم كتاب الإمارة: 3397، أبو داود كتاب المهدي رقم الحديث 3732 .

(3) الحديث السابق.

(4) يعني أبا الحسين بن أبي الربيع.

(5) الضراء: الزمانة والشدّة والنقص في الأموال والأنفس

أن أفعل ماذا؟ ليس علة تقدير ماذا أفعل؟، وأن ماذا فمقطعة من أفعل. لكن بقي ذكر المعاني التي يأتي عليها الكلام فأقول: يظهر لي في أفعل ماذا؟ إذا ورد في كلام العرب أنه يكون على ستة أوجه، أحدها أن تأتي بأفعل لتعلم مخاطبك بالموافقة ثم تقول ماذا ؟أي ماذا تريد. قلت: واذا أردت أن تخرّج البيت على هذا الوجه كأنَّ العاذل قال له إذا عشقت يكون كذا ويكون كذا فعدّد له ما يطرأ عليه من المحن في الهوى، فيقول موافقاً له: واذا عشقت يكون أيْ يكون ما قلت، ثم يقول ماذا؟ أيْ ماذا يكون عليَّ؟ الوجه الثاني أن تقول أفعلُ وتسكت على وجه التذكر، ثم تقول ماذا؟ الوجه الثالث أن تقول أفعل على جهة الإنكار، وتمثل بقول أم حبيبة لرسول الله ﷺ: إنا لنتحدث أنك تريدُ أن تنكح دُرّة بنت أبي سلمة فقال رسولُ الله ﷺ: بنت أم سلمة؟ الوجه الرابع أن تقول أفعل، وتحذف المفعول تعظيماً للأمر وتهويلاً، الوجه الخامس أن تقول أفعلُ وتحذف المفعول لأن الذي بعد ذا يبيّنه الوجهُ السادسُ أن يكون انتقالاً من كلام إلى كلام، ثم قال: وإذا جاءَ أفعل ماذا؟ ويفعل ماذا؟ فقد يكون على وجه آخر غير الوجوه المذكورة، وهو أن يكون المفعول محذوفاً كما تقول لإنسان يقول لك افعل معي ما فعل فلان فتقول فعل! أيْ أدري أنه فعل شيئاً ولكني لا أعينّه، ثم تسأله عن تعيينه لتنظر في ذلك، ثم قال: وقد يكون على أن تذكر فعل لتحقق ما يقال. ومثالٌ من ذلك أن يقول قائل: زيدٌ ضرب فتقول ضرب؟ على معنى أقلت ضرب؟ ثم قال فإذا تتبع كلامُ العرب ومقادُها في كلامها فيوجد أكثر مما ذُكر، قال المملوكُ: انظر كيف قال أولاً أنه يكون على ستة أوجه، ثم إنه زاد بعد الحصر في ستة أوجه، ثم قال: وإذا تتبع كلام العرب ومقاصدها في كلامها فيوجد أكثر مما ذكر، فقد صار المنحصر لا ينحصر، ثم قال بعد ذلك: ويمكن أن تجعل ما بمنزلة الذي، وذا خبر لمبتدأ محذوف ويكون بمنزلة قوله تعالى ﴿تماماً على الذي أحسن﴾[1] علة قراءة من قرأ أحسن بالرفع، وذا إشارة والتقدير أفعل الذي هو هذا. ثم قال: ويمكن أن تجعل ذا بمنزلة الذي، وتكون الصلة محذوفة على حسب قوله: وكفيت

(1) القرآن الكريم، الآية 154 سورة الأنعام.

جانبها اللّتيا والّتي[1].

قلت: انظر كيف زاد بعد قوله: إن الوجوه لا تنحصر في وجهين آخرين، وهذا كلّه من قلّة التحصيل. ثم إنه كرَّ على بيت الجارية فقال: وإذا نظرت إلى الوجوه التي ذكرتُ، بدا لك في بيت الجارية غير ذلك فأخرج بيت الجارية عن الجواز على تلك الوجوه، وضعّفَ الوجه الذي ذكره ابن طاهر، وقال إنه ضعيف، ومعنى سخيف، لأنه خال عن رشاقة، عار عن لباقة في كلام له مفقرٍ بارد، تركته. ثم قال: وأما البيت الذي وقع فيه الكلام وزلّت بسببه الأقدام، فلا يشبه بيت الجارية لأنه قال: وإذا عشقت يكون ماذا؟ فإذا وقف على يكون، وهو قد جعله جواباً لإذا، لأنها لا تخلو من الشرط، فقد جعل جملة الجواب لا تفيد إلا ما أفادت جملة الشرط، قلت: هذا اعتراض بليد، لم يفهم من البيت إلا ما وقع في أذنيه، فإن الرجل لا يحسن في الأدب شيئاً ولا يحسن أغراض الشعراء، ولا ما جرى عليه عملهم حتى يفهم، هذا قول حبيب[2]:

أجـب أيُّـهـا الـربـع الـذي أنـا سـائـلـه

فإنه ينظر فلا يرى كلاماً متقدماً، ولا يسمع قول مخاطب يكون هذا جوابه، فيظن أن الشاعر مجنون.

قلت: وأنا ـ بعون الله ـ أبيّن للمبتدئين كيف يخرّج البيت الذي فيه الكلام عند أهل الصناعة العربية وذلك أن فيه:

حـقٌّ وإن جـعـل الـنـصـيـح يـصـيـح   أنـا عـاشـق هـذا الـحـديـث صـحـيـح

وإذا عـشـقـت يـكـون مـاذا هـل لـه   دَيْـنٌ عـلـي فـيـغـتـدي ويـروح

---

(1) اللّتيا والّتي: من أسماء الداهية.

(2) يعني حبيباً بن أوس الطائي (أبو تمام أحد كبار الشعراء ومتقدميهم في العناية بالبديع ولد في الشام سنة (188هـ/ 804م) ورحل بعد ان نبغ إلى مصر والعراق، واشتهر بمذهبه في النظم، له تصانيف مشهورة منها «ديوان الحماسة» و«فحول الشعراء» وديوان شعره المعروف باسمه وتوفي في عام (231هـ/ 846م) راجع: خزانة الأدب1 :464,172 وفيات الأعيان 1 :121.

فكأنَّ الناصح عنّفه على العشق وعذله، وقال له أنت عاشق، وجعل يصيح وينظرُ ويسمعُ، فقال: حق أنا عاشق، هذا الحديث صحيحٌ، ثم قال: وإذا عشقتُ يكون العشقُ كما تقول، وماذا عليّ فيه؟ ويدل على ذلك بعد هذا.

فيه قضاء؟ لا ولا كفّارةُ فأرح فؤادي إن قولك ريح

فقد تبيّن المعنى وظهر وجهُ التقرير والإعراب على الطريقة في صناعة العربية، وصار يكون جواباً لإذا على رغم منْ أنكره، فإن المنكر بعيدٌ من فهم الشعر ومن قوله، على أنه قد تكتّب وتكلّف الشعر بالعروض على ما تقف عليه ـ إن شاء الله.

فإن قيلَ لي هذا مذهبُك في البيت قلت نعم، ويمكن تخريجه على أكثر الوجوه التي فسّرها هذا الرجل بعد تحصيل الفهم لما قبل البيت كما ذكرتُ لك، ولا يبعد عندي التقديم والتأخير من غير عمل كما أبيّن للمبتدئ إن شاء اللّه ـ وذلك أنك تقول ماذا أفعله ثم تحذف الضمير فتقول ماذا أفعل؟ ثم تقلب فتقول أفعل ماذا؟ ويتبيّن لك في أن تقول أيَّ شيءٍ أفعله؟ ثم تقول أيُّ شيء أفعل؟ برفع أيُّ، ثم تقول أفعلُ أيُّ شيءِ بالرفعِ.

فكذلك التقدير في يكون ماذا؟ والتقديم، والتأخير في الكلام كثير، ومن ذلك قوله تعالى ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾[1] على أحد القولين.

وقد قالوا: أصبحت كيف؟ علّقه أبو علي الفارسي[2]. وهذا الكلامُ مقتضبٌ، وإنما هو تذكير للعالم وتنبيهٌ للنائم، واللّه الموفق.

---

(1) الآية 21 سورة الأعراف.

(2) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل يكنى أبا علي أحد الأعلام العلماء في علم العربية ولد سنة (288هـ/ 900م) وتوفي عام (377هـ/ 987م) له عدد من الكتب القيمة منها«التذكرة» و«جواهر النحو» و«العوامل» وغيرها، راجع: وفيات الاعيان 1 :131 إنباه الرواة 1 ،273.

وأما حديثُ النبي ﷺ ـ أعني حديث أم حبيبة فالتقديمُ والتأخيرُ عندي فيه هو الصواب، لأن غير ذلك يبدّل معناه، ويخرجه عن ظاهره، ويطمس حُسْنه ونور فصاحته، وأما سائرُ ما تقدّم فمما يستوي فيه النظر.

قال المملوك: ونظير البيت المذكور قولُ عمر رضي اللّه عنه للأعرابي الذي أنشده:

يا عمرَ الخير رُزقت الجنّة ... اكس بُنيّاتي وأمَّهنَّه

وكنْ لنا من الزمان جُنّه ... أُقسم باللّه لتَفعَلنَّه

فقال له عمر: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال الأعرابي: إذن أبا حفص لأذهبنّه فقال له عمر: وإذا ذهبت يكون ماذا؟ فقال الأعرابي، [الرجز]:

يكون عن حالي لتُسألنَّه ... يوم تكون الأعطيات هِنّه

وموقف السؤال ينتهنّه ... إمّا إلى نار وإما جَنّه

قال فبكى عمر حتى أخضل لحيته[1]، ودعا بقميصٍ فدفعه إليه، وقال: خُذ هذا لأهوال ذلك اليوم، لا للشعر: والحكايةُ رواها أبو علي البغدادي[2]. والبيتُ الثاني الذي تقدَّم وهو: [الوافر]:

فعُدَّك قد ملكتَ الأرض طُرّاً ... ودان لك العباد فكان ماذا؟

وقع في حكاية أوردها أئمة الأدباء في كتبهم قال جعفر بن القاسم الأمير بالبصرة: إني لفي الجامع الأعظم بالبصرة، ومعي جماعة يعظونني، إذ وقف عليَّ بعض المجانين فقال [الوافر]:

فعدّك قد ملكت الأرض طرّاً ... ودان لك العباد فكان ماذا؟

ألست تصير في لحدٍ ويحوي ... تراثك بعد هذا ثم هذا

---

(1) أخْضَلَّ اخضالّ وأخضله: بلّه.

(2) أبو علي القالي البغدادي تقدمت ترجمته.

وينسبان أيضاً لبهلول يقولهما لبعض الخلفاء العباسيين، وقد لقيه في بعض الطرق، ويروي البيت الأخير [الوافر]:

ألست تصير في لحد ويحثو ... عليك الترب هذا ثم هذا

ورأيت في كتاب ابن ظفر[1] أن هشام بن المغيرة[2] كان بينه وبين العاصي ابن وائل[3] نبوة[4] وكان أبو جهل بن هشام[5] حديث السن معجباً بنفسه حديداً[6] فمرَّ بالعاصي بن وائل، وهو في نادي قومه، وابنه عمرو بن العاص[7] بين يديه - وهو طفلٌ - فقال أبو جهل كلاماً يتهدّده به فلم يُجبْه العاصي بشيء فقال عمرو لأبيه: مالكَ لا تجيبه؟ قال أقول ماذا؟ قال تقول إذا كنت يومك ذا عاجزاً مهيناً فأنت غداً أعجز، ولو كنت تعقل ألهاك عن وعيدك ذا مابه تُنبز، فاستطير العاصي سروراً، وقالَ أنت ابني حقاً، وكان قبل ذلك يُفضّل غيره من ولده.

---

(1) تقدّمت ترجمته.

(2) هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي أحد رجال العرب في جاهليتها، ومن مشاهيرهم كان قريب العهد بظهور الإسلام وكان ابنه الحارث بن هشام من الصحابة، راجع الأعلام 8 :88.

(3) العاصي بن وائل بن هاشم السهمي من رجال عهد ما قبل الإسلام وأدرك ظهوره ولم يدخل فيه مؤثراً الشرك والضلال، وهو والد عمرو بن العاص الصحابي الجليل، كانت وفاته في نحو عام 3 ق هـ الموافق لسنة 620م.

(4) نبوة: جفوة.

(5) أبو جهل بن هشام، عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي أحد جبابرة العرب، وممن ناصبوا النبي ﷺ العداء، وتصدّوا لظهور الإسلام، وكان يدعى أبا الحكم فاطلق عليه المسلمون أبا جهل، قتل في معركة «بدر الكبرى» عام (2 هـ /624) راجع ابن الأثير 1 :23-27، عيون الأخبار 1: 230.

(6) الحديد: بمعنى الشديد القوي.

(7) عمر بن العاص بن وائل السهمي، من دهاة العرب ومن أشدائهم في الجاهلية والإسلام، ولد سنة (50 ق هـ /574م) وأسلم في هدنة الحديبية، وولاّه الرسول قيادة الجيش في معركة «ذات السلاسل» كما ولاّه عمر على فلسطين ومصر التي توفي بها عام (43 هـ /664م) الإصابة ت 5884، جمهرة الأنساب 154.

قلتُ: والحكاياتُ والأشعارُ التي وقعت فيها كان ماذا ويكونُ ماذا، ونحو ذلك كثيرة، وإنما أعود إلى إيرادها لعلمي أنه متمادٍ على إنكاره، وإنما احتاج إلى القول بالجواز في تقييده على الوجوه التي ذكر للضرورة، وما زال عن قوله إن ذلك لحنٌ، ولا يزول أبداً.

5 ـ رسالتان في عروض الدوبيت(*)

أ ـ الرسالة الأولى:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، صلّى على مولانا محمد وآله وصحبه وسلّم، قال الفقيه الأعرفُ، الأديبُ القدوة المتفنن أبو الحكم مالكُ بن عبد الرحمن بن المرحَّل ـ رحمة الله عليه. «بالحمد للّه أبدأ وأختم، وعلى رسوله محمدٍ أصلّي وأسلّم، صلّى اللّه عليه ما أهلّ محرم، ورنّم بالشعر مترنّم، وعلى آله وسلم كثيراً، وبعد:

رأيتُ النوعَ المعروف بالدوبيت من أوزان الكلام المنظوم، مستقيم البناءِ، مستعذباً في الغناء، إلا أن بعض الناس يخلط في النظم عليه، ويسلك مسلك العجم في الزيادة فيه، والتقصير منه، حتى يخلَّ به، فصنعت له ميزاناً، وبيّنت ما يجبُ أن يلتزم فيه، وما يحسنُ وما يقبح، قياساً على الأنواع العربية، واتباعاً للأكثر في المساق، والأعذب في المذاق، ووضعتُ له أربعة أجزاء، أما الأجزاء فهي:

فَعْلُنْ متفاعلن فعولن فعلن   فَعْلُن متفاعلن فعولن فعلن

فهذا خطُ الدوبيت، وله خمسُ أعاريض، وسبعة أضرب، والعروضُ: هي الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت، والضربُ: هو الجزء الأخير من الشطر الأخير من البيت.

فالعروض الأول «فعلن»: وهي التامةُ الثقيلةُ وإنما قيل لها تامّة: لأن بيتها من ثمانية أجزاء بحسب الخط، وإنما قيلَ لها ثقيلة لأنها متحركة العين، ولها ضربان: ضربُ مثلها، وبيته:

(*) مخط (س) رقم 5 ضمن مجموع رقم 288.

قالوا، ومقالهم يثير الشجنا والقلبُ يذوب من سقام وضنى

وتقطيعه كما تقدّم في الخطِ، فهذا بيت واحد مُصرّع[1]، ولو كانَ ببيتين لاحتمل كلُّ واحدٍ منهما أن يُشطّر. وضرب ثانٍ مُذالٍ، وبيته[2]:

عودوا وتعطّفوا على قلب كئيبْ لو جيب لبان فيه حزن ووجيبْ

وتفعيله:

فعلن متفاعلن فعولن فعلان فعلن متفاعلن فعولن فعلان

فهذا بيتٌ واحدٌ مُصرّع ـ كما ذكر ـ وبالتصريع انتقل حكمُ الضرب إلى العروضِ، لأنَّ الاذالة[3] لا تكون إلا في الضرب لاجتماع ساكنين.

العروضُ الثانيةُ «فعلن»: وهي التامة الخفيفة. وإنما قيل لها خفيفةٌ، لأنها ساكنةُ العين، ولها ضربان مثلها، وبيتُه[4]:

ما أشوقني إلى نسيم الرندِ يشفي كبدي إذا أتى من نجد

وتفعيله:

فعلن متفاعلن فعولن فعلن فعلن متفاعلن فعولن فعلن

فهذا أيضاً بيتٌ مُصرّع.

وضربٌ ثانٍ مُذال، وبيته[5]:

حالي بوصال سيّدي الحال [ ] (ضب) وصالُه (ض) [حال]

فعلن متفاعلن [فعولن] فعلان فعلن متفاعلن فعولن فعلان

---

(1) البيت المصرّع: هو البيت ذو المصراعين.

(2) البيت لأبي الفرج بن الجوزي (ديوان الدوبيت: 191، وتمامه.

(3) يدعى للموت في هواكم فيجيب من أمل مثل فضلكم كيف يخيب

(4) أنشده ابن الجوزي في كتابه «المدهش»: 159 يليه والشيح، فإنه مثير الوجد: شوقي شوقي له ووجدي ووجدي.

(5) لم يعرف قائله، وفيه البياض بالأصل.

فهذا بيتٌ مُصرّعٌ أيضاً، وبالتصريع انتقل الذيل إلى العروض ـ كما ذكر.

العروضُ الثالثةُ «فعولن» وهي المجزوءة لأنه ذهبَ من كلِّ شطر منها جزءٌ فبقيت على ستة أجزاء[1] ولها ضربٌ مثلُها، وبيتُه[2]:

فــيــهــا رشــأ إذا تــثــنــى　　من قـامـتـه الـغـصـون تـخـجـل

وتفعيله:

فـعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـولـن　　فـعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـولـن

العروضُ الرابعةُ «فعل» وهي المجزوءة المحذوفة. وإنما قيلَ لها محذوفة: لأنها حذف منها «لن» فنقلت إلى «فعل » ولها ضربٌ مثلها، وبيته[3]:

لــلّــه مــعــاً هــذا الــحــمــى　　مــا أحــســنــهــا مع الــدُمــى

وتفعيله:

فـعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـل　　فـعـلـن مـتـفـاعـلـن فـعـل

العروضُ الخامسةُ «متفاعلن»: وهي المشطورةُ وإنما قيل لها مشطورة، لأنه ذهبتْ من البيت أربعةُ أجزاء من كلِّ شطر جزآن، وبقيت أربعة أجزاء ولها ضربٌ مثلها، وبيته[4]:

أهــلاً بــخــيــالــكــم　　مــن لــي بــوصــالــكــم

وتفعيله:

فــعــلــن مــتــفــاعــلــن　　فــعــلــن مــتــفــاعــلــن

فصلٌ: واعلم أنَّ العروضين التامتين إنما استعملتا في الغالب أشطاراً

---

(1) بمعنى أن «فعلن» في آخر الشطر وفي آخر البيت ذهبنا وأثبت في البيت ست تفعيلات فحسبه.

(2) لم يعرف قائله.

(3) لم يعرف قائله.

(4) لم يعرف قائله ولم يثبت في ديوان الدوبيت.

مراعاةً للخفّة فأتوا بذلك في الثقيلة[1]:

إن كان عهود وصلكم قد [درست] فالروح [الى سواكم] ما أنست
أغصان هواكم بقلبي غرست منوا بلقائكم [وإلا] يبست[2]

وقالوا في الخفيفة[3]:

لا أسمع عذلكم فخلّوا عذلي ما أعذب في الغرام طعم القتل
إن طلّ دمي فكم قتيل مثلي قد ضرّج باللحاظ لا بالنبل

وأما العروضُ الثالثةُ المجزوءةُ، فقد استعملت أبياتاً مثل قوله[4]:

هجرانُك قاتلي سريعا والهجرُ من الحبيب قاتلْ
إن كنت نسيتني فعندي شغلٌ بك لا يزال شاغلْ
قلبي يهواك ليت شعري ما أنت بذا المحبُّ فاعلْ

ومثل قوله[5]:

الدمعُ يخون كلَّ كاتم والحبُّ يحلّل العزائم
ناحتْ فزجرتها حمام مالي قد أزعجتني الحمائمْ
يرقين إلى ذرا غصون أنى نهضت بها القوادمْ

ويروى: أني حملتكن القوادم، وسيأتي الكلام عليه. ومثل قول المملوك[6]:

الحسنُ معذّب كلَّ قلب اللّه قضى به فحسبي

---

(1) لم يعرف قائله ولم يثبت في ديوان الدوبيت.

(2) ما بين المعكفات بياضات في مخط (س) أكملت من كتاب المدهش: 159.

(3) لم يعرف قائل الدوبيت، وهو غير مثبت في ديوان الدوبيت.

(4) أثبت ابن الجوزي هذا الدوبيت في المدهش: 270.

(5) المدهش: 437 ولم يعزه لأحد.

(6) يعني ابن المرخل نفسه تأدباً مع مخدومه، النص (3)

عـــــن مـــــــلامـــــي كـــان قـــبـــل الـــمـــلام حُـــبّـــي

ومثل قوله[1]:

الـــلــحــظ إلــى الــجــمــال مــائــلْ والـــحـــبُ لـــصـــدقـــه دلائـــلْ

ويستعمل أشطاراً كقول المملوك[2]:

الـــروضُ يـــجـــرُّ مـــطـــر فـــيـــه والـــغـــصـــن يـــدعـــوكـــم إلـــيـــه
أم تـــحـــســـبـــنـــا لـــلـــغـــصـــون ظـــلا أهـــلاً بـــجـــمـــيـــعـــكـــم وســـهـــلاً
والـــطـــيـــرُ يـــجـــاوب الـــمـــزاهـــرْ والـــحـــلـــي يـــفـــاخـــر الأزاهـــرْ
والـــمـــجـــلـــس بـــالـــحـــبـــيـــب زاهـــر مـــا أحـــســـنَـــهُ ومـــا أجـــلا
أهـــلا بـــجـــمـــيـــعـــكـــم وســـهـــلا

وأما العروضُ الرابعةُ المحذوفة، فأنا استخرجتها وعملت عليها[3]:

الـــشـــوقُ أســـالَ أدمـــعـــي يـــا لـــيـــتَ مـــعـــذبـــي مـــعـــي

وأما العروضُ الخامسةُ المشطورةُ، فأنا استخرجتها وعملتُ عليها[4]:

أهـــلا بـــكَ يـــا رشـــا يـــا أحـــســـنَ مـــن مـــشـــى
أمـــلـــك لـــكَ مـــا تـــرى وأحـــكـــم لـــكَ مـــا تـــشـــا

ويدخل في «متفاعلن» في هذه العروض الوقص[5] فيصير إلى «مفاعلن» على ما أثبته، فيخف وزنه ويعذب ذوقه، ويأتي على نحو قولي[6]:

مـــولـــى بـــأغـــيـــد كـــالـــغـــصـــنِ أمْـــلـــدِ

---

(1) النص (24).
(2) النص (52).
(3) النص (12).
(4) النص (11).
(5) الوقص: حذف الثاني المتحرك (متفاعلن تصبح مُفاعلن) ومثاله قول من قال:
يذب عن حريمه بسيفه ورمحه ونبله ويحتمي
(6) النص (6).

يـــــــــروحُ نـــــــــحـــــــــوه قـــــلـــــبـــــي ويـــــغـــــتـــــدي

فصل في الإلحاق والإسقاط والتخفيف: فمن الإلحاق الإذالة وهي: زيادة ساكن [من عند الوتد] في «فعلن» وفي «فعلن» فينتقل «فعلن» إلى «فعالن» و«فعلن» إلى «فعلان» ولا يكون الرفل[1] إلا في الضرب ولكنّه ينقل إلى العروض بالتصريع، كما قال ابن المعتز:

يـــا نـــفـــسُ مـــوتـــي بـــعـــدهـــمْ فـــكـــذا يـــكـــون الاشـــتـــيـــاقْ

كـــذبُ الـــهـــوى مـــتـــصـــنـــع الـــحـــبُّ شـــيء لا يـــطـــاق

وهذا شعر، إما مُذال إن كان مُقيداً، وإما مرفّل إن كان مطلقاً، وقد صارت العروض في البيت الأول مثل الضرب، فكذلك عمل في الدوبيت التام في أول بيت، وفي ثاني بيت من كلِّ روي، وعمل من كلِّ بيتين أربعة أشطار مقفاة.

ومن الإسقاط: الحذفُ، وهوإسقاط «لن» من «فعولن» ثم ينقلُ إلى «فعل» مثل العروض الرابعة وقد بيّنت ذلك.

ومن الإسقاط، الخبنُ وهو: إسقاط الثاني الساكن من «فعلن» فينتقل إلى «فعل» وإنما جاز فيه الخبن لأنه من سببين خفيفين، كما أن «فعلن» المتحركة العين من سببين ثقيل وخفيف[2]، هذا مذهبي فيهما في نوع الدوبيت، لأنهما أصلان فيه، فمثال دخول «الخبن» في «فعلن» قوله في العروض المجزوءة من شعر [ابن] الجوزي[3]:

فوا قلبي من الأراقمْ

---

(1) الرفل: التوسع والزيادة، وفي العروض ما زيد على اعتداله سبب خفيف.

(2) السبب الخفيف: عبارة عن حرف متحرك يليه ساكن والسبب الثقيل عبارة عن حرفين متحركين.

(3) تقدّمت ترجمته، والبيت في ديوان الدوبيت 200 هكذا:

الـــقـــلـــب بـــحـــبّـــكـــم لـــديـــغ مـــا أقـــلـــقـــنـــي مـــن الأراقـــم

ومثل قولي[1]: «فبات في رضا»

وهذا الخبنُ قبيحٌ، لأنه لا وتد في الجزء يعتمد عليه. ومن التخفيف: الإضمارُ، وهو إسكان المتحرّك الثاني من «متفاعلن» فينتقل إلى «متفعلن» مثل قوله في العروض الأولى[2]:

رفــقــاً رفــقــاً عــلــى مــحــبٍّ دنــف

فوزن «رفقاً رفقاً على» «فعلن مستفعلن» وفي العروض الثانية «شوقي شوقي له ووجدي وجدي»[3] فوزنُ شوقي شوقي له «فعلن مستفعلن».

وفي العروض الثالثة: أبكي ما كانَ من وصالٍ فوزنُ «أبكي ما كانَ منْ» «فعلن مستفعلن» وكذلك قولُه «مالي أزعجتني الحمائمْ» فوزن «مالي أزعجتني» «فعلن مستفعلن».

وفي العروضِ الرابعة: «أبقاهُ اللّه في عُلا» فوزن «أبقاهُ اللّه في» «فعلن مستفعلن».

وفي الخامسة: يبقى ظلما نشا. فوزن «يبقى ظلماً نشا»: «فعلن مستفعلن».

ومن التخفيف والإسقاط معاً: الوقصُ، وهو إسكان المتحرّك الثاني من «متفاعلن» فينقل إلى «مستفعلن» ويُسمى هذا الإضمار ـ كما تقدّم ـ ثم تسقط ذلك الساكن، ويُسمّى هذا الخبل[4] كما تقدم فينقل الجزءُ إلى «مفاعل» وهو الموقوصُ، ولا يدخل الوقصُ إلا في العروض، وهو فيها حسن.

---

(1) لم نثبت هذا الشطر في تحقيق النصوص.

(2) هو اجتماع الخبن والطي في جزء واحد ومثاله حذف السين والفاء من (مستفعلن) فتصبح (متعلن).

(3) غير مثبت في ديوان الدوبيت.

(4) الخبل.

وأما ما ينبغي ألا يجوز فمثل قوله[1]: «أنّى حملتكن القوادمْ» فإنه زاد ساكناً بعد العين من «متفاعلن» فصارَ الجزءُ «متفاعيلن» وهذا لا يجوز ويروى: «أنّى نهضت بك القوادم» وهو الصواب. ومثل قوله[2]: «مرَّ الليل ولست نائمْ» فإنه زاد بعد الميم من «متفاعلن» ساكناً، وصار الجزء «موتفاعلن».

وأما قولهم: «قلت نعم قالوا فمن؟ قلت أنا» فهذا خروج من نوع إلى نوع، إنما هذا من الرجز فهذا وما أشبهه ينبغي ألا يجوز، ولا يستعمل.

وإنما استعمله من استعمله إتباعاً للعجم في تعويلهم على الصوت والنغمة، فلم يبالوا بزيادة الحروف ولا بنقصها كما لم تبالِ العجمُ بذلك، ويلزمُ منْ اتبعهم في مبدأ أن يتبعهم في اختلاف القوافي، فإن العجمَ لا تلتزم قافية، وإذا عمل شعر غير موزون ولا مقفى فليس يسمّى شعراً[3]، فإذا أراد من له حذق ومعرفةٌ وطبعٌ حسن أن ينظم على ذلك الوزن فإنما يتبع العربَ في قوافيها، ويستعمل ما استعملت حتى يكون البناءُ بحروف كما هو في أوزان العرب.

وقد اخترعتُ هذه الميزان وأحكمتها، وهو اختراع نبيل لم نسبق إليه، وجربتُ فيه على طريقة العروضيين، ولم أخالفهم في الاصطلاح إلا في يسير، مثل قولي: الخط، والعروض الثقيلة، والخفيفة، والإلحاق، والإسقاط والتخفيف.

ودعواي أن: «فعلن وفُعلن» من سببين لا وتد فيهما، جعلتهما أصلين بأنفسهما.

فإن قال قائل: كيف يكون الجزءُ من سبب دون وتد؟ فالجواب: وكيف

---

(1) جاء ضمن دوبيتات ابن الجوزي: أنّى تحملك القوائم راجع ديوان الدوبيت: 201.

(2) الشعر لابن الجوزي راجع ديوان الدوبيت: 200 وفيه:

يا مانع مقلتي كراها ... مرَّ الليل ولست نائم

(3) لاحظ أن قضيّة الشعر الحر المطروحة في عصرنا منذ أوائل القرن كانت مطروحة أيضاً في عصر ابن المرحّل في القرن السابع الهجري وقد فصل ابن المرحل فيها القول وحسمه.

يكون الجزءُ من سبب ووتدٍ دون وضعه من البيت؟

ومفهوم هذا أن الجزءَ من بيت الشعر المنظوم إنما هو مشبّه بالجزءِ من بيت الشَعْر المسكون، ولا يكون السببُ والوتدُ وحدهما جزءاً من البيت المسكون حتى يكون معهما قطعة من البيت فتنضاف القطعةُ بسببها ووتدها إلى قطعة أخرى، والأخرى إلى أخرى كذلك، إلى أن يتألف البيتُ، وهي الحوايا[1] من البيت المسكون، فكذلك يجبُ أن يكون لك في بيت الشعر المنظوم، وإن كان هذا كما ذكرتُ لكَ، فلأنها فشت في الاصطلاح، إن هي إلا أسماء سميت لتربط بها قوانين، وإن لم تعضدها براهين، والمنصفُ من استنبلَ هذا العملَ واستصلَحه، ورأى أن صاحبه قد بيّن طريقاً للناظمين وأوضحه، وإلى الله الرغبة في التوفيق والهداية إلى سواءِ الطريق.

كملَ بحمد اللّه تعالى، وصلّى اللّه على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.

(1) الحويّة: ما تحوي من الأمعاء وغيرها والجمع حوايا.

ب ـ الرسالة الثانية[1]:

إهمال (الحقّ) لديه وإضاعته، ولا يتّجه بين يديه إلا نشر العلم الذي أخذ اللّه به العهدَ والميثاقُ على من علم منه شيئاً أن يبيّنه واذاعته، وجعلتُ الكلام في ذلك في ثلاثة فصولٍ: الفصل الأولُ: في تأصيل ما اخترتُه، وانتقيت فيما اخترعته من القانون، لما اتصل بي من سماع الدوبيت.

الثاني: في بيان الزحف والعلة[2]، وحيث يدخلان ولقد تغيّر كلُّ جزء من تفعيله مع اشتقاقه بين اللغة على طريق علم العروض، وسبيله الذي عليه جريت.

الثالث: في إثبات صحّة الوزن الذي ادعى كسره في ذوق طبعه، وانكسر سماعه لكونه لم يجر قط بسمعه، والاستشهاد على سوغه في القياس بكثرة ما سُمع منه في أشعار الناس، حتى لا يسمع فيه الإنكار إلا لبهّات مكّار، إذ هو في الاشتهار أصحّ من ضياء النهار.

الفصل الأول:

اعلم أن الوزن الذي يُقال له الدوبيتُ معناه عند العجم زوجُ بيت، المقولُ فيه عند العرب بيتان، إذ هو مزدوج النظم وقد جرى على قياس العجم في إضافة اسم عدد التثنية إلى العدد، كما فعل بعض شعراء العرب فقال[3] [الرجز]:

---

(1) يلحظ أن الرسالة الثانية لم تصل تامة وذلك لما يلمس في أولها من سقط.

(2) الزحاف: تغير يلحق التفعيلة بتسكين متحرك فيها، أوحذف ساكن منها كأن تصبح متفاعلن مثلاً متفاعلن وفعولن فعول، ولا يقع الزحاف إلا في الحشو. والعلل: هي التغيرات التي تصيب تفعيلة العروض أو الضرب بالزيادة عليها أو النقص منها فتصبح مستفعلن مثلاً مستفعلن أو مفاعلن مفاعي وتتحول إلى مفاعل.

(3) نسب هذا البيت إلى شماء الهذلية الخزانة 3 :368 والى جندل بن المثنى وقيل قائله دكين الخزانة 3 :315-316 كما نسب إلى غيرهم.

كــأَنَّ خــصــيــيــه مــن الــتــدلــدلِ ظـرفُ عـجـوز فـيـه ثـنـتـا حـنـظـل

والذي يأتلفُ منه ما اتصل بناء من الدوبيت جزءان أحدهما «فعلن» المركّب من السببين: الخفيف والثقيل.

الثاني «مستفعلن» المركّب من سببين خفيفين ووتد مجموع. وإنما جعلت ائتلافه من جزئين، لأجري على حكم أشطار العروض الخمسة عشر أو الستة عشر، على الخلاف في ثبوت الخبب فيها، أو سقوطه، ويُسمّى بالغريب، إذ هي مؤتلفة إما من جزء واحد، وذلك سبعة: الوافر، والكامل والهزج، والرجز، والرمل، والمتقارب، والخبب، أو من جزئين وذلك بقية الأشطار تسعة: الطويل، والمديد، والبسيط، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث.

ولما ثبت ذلك واستقل، لأن حمله على الأكثر أولى من حمله على الأقل، وهو في الأصل مثمن الأجزاء التي منها يأتلف كأشطار دائرة المختلف، وهي: الطويل، والمديد، والبسيط، وتفعليه: «فعلن فعلن مستفعلن مستفعلن» غير أن «فعلن» الأول لم يأت إلا مزاحفاً بالإضمار في الأكثر، وقد جاء على الأصل كما رأيت مضبوطاً بخط الشيخ الفقيه الكاتب الأبرع المجيد الأعرف أبي محمد بن زين - رحمه الله:

مــا أمــري إلا مــن عــجــيــب الــزمــن مــع مــن هــو لا يــعــرف وقــع الــمــحــن

وهو قد ضبط العين من «مع» بالسكون، وقبحه مقصوده، وله ثلاث أعاريض وثمانية أضرب بعروضه الأولى مطويّة، لها ثلاثة أضرب، الضرب، الأول مثلها وبيته:

لا يــفــزع مــن ضــرب وطــعــن وإذا مــاعــايــن مــن يــحــبّــه يــرتــعــد

تقطيعه: لايف: زعمن: ضرب وطع: ن وإذا: ما عاين من يحبه: ترتعد

تفعيله: فعلن: فعلن : مستفعلن، مستفعلن، فعلن، فعلن، مفاعلن، فتعلن.

مقفاهُ:

ما أعجب هذا الشجاع الأسد   لا يقهره يوم قتال أحد

ومثالُ ذلك:

ما أحسن ما قالَ له مذ وافى   تستوهب قبلة فخذ آلافاً
وستنجزها حتى تداوي سقما

الضرب الثالثُ، مُذال وبيته:

ما ننصُفه إذا نسبناه إلى   شيء حسن بل ننسبُ الحسنَ اليه

مصرعه:

هذا قمرٌ قد خضعَ الحسنُ إليه   قد صار لفرطِ حسنه طوعَ يديه

ومثله:

يا مَنْ عزم المسير باللّه عليكَ   عُدْ نحوي وارحم ذلتي بين يديك
واجعل عندي قُبيلة من شفتيك   رهناً واذا عُدت أعدناه إليك

ولا يلزم في هذا الضرب الطيّ كما قال:

والعالم كلّهم بناقد شغلوا   ما عندهم في غيرنا قال وقيل

وقبله:

من حسنك لما صرتَ في الناس قتيل   ضجّوا بحديثنا قصير وطويل

وقد يدخله الخبل وهو غير لازم قال:

أرجوه لوصلي وهو يختار جفاه   شتّان إذن بين هواي وهواه

وقبله:

أهواه ويشتكي هلاكي ويراه   أمراً سهلاً كأنني بعض عداه

وقد يدخل - في غير لزوم - التشعيث[1] في هذا الضرب بعد الطيّ على مذهب الزجاج[2] في التشعيث، وبيته:

ماذا؟ عجب يرسل فينا عينيه يفني مماتاً ولا شي عليه

وقبله:

بدرٌ جعلت أرواحنا بين يديه تفنى بهواه وهي تنقاد إليه

فقوله «نا عينيه» مفعولان.

العروض الثانية: مجزوءة مرفلة لها ضرب واحد مثلها، وبيته لزهير المشرقي[3]

الورد على الخدود غضّ والنرجس في الجفون ذابل

مصرعُه[4]:

الدمع يخون كلَّ كاتم والحبُّ يحلل العزائم

وبعده[5]:

---

(1) التشعيث: هو في العروض العربي حذف أحد متحركي الوتد المجموع فتصير «فاعلاتن» (فاعاتن أو فالاتن) وتنقل إلى مفعولن.

(2) الزجاج: ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المكنى أبا اسحاق كانت حياته بين سنتي (241-311هـ) من أبرز علماء اللغة، له العديد من المؤلفات منها: « الاشتقاق» و«معاني القرآن» و«الآمالي» و«خلق الانسان» راجع: معجم الأدباء 1: 130-151، وفيات الأعيان 1: 31-33 طبقات النحويين واللغويين: 122-121.

(3) هو الشاعر الظريف البهاء زهير (581-656)، أحد الشعراء المبدعين المتسمين بالرقة والعذوبة، ولد بمكة ثم انتقل إلى مصر حيث عمل في خدمة الملك الصالح أيوب الذي أغدق عليه وحباه، وله ديوان شعر معروف باسمه، راجع النجوم الزاهرة 7 :62 وفيات الاعيان 1: 184، الأعلام 3: 52.

(4) هذا البيت من قصيدة لأبي الفرج بن الجوزي يعد فاتحتها، راجع المدهش: 437، ديوان الدوبيت: 200.

(5) من قصيدة ابن الجوزي، المدهش: 437 وديوان الدوبيت: 200.

والــوجــد يــغــالــبُ الــمــقــاومْ والــســالــمُ فــيــه مــن يــســالــمْ

العروضُ الثالثةُ: مشطورة، وتسميتها عروضاً على ما ذهب إليه الأخفش[1] وغيره، قال أبو اسحاق الزجّاج: وحقيقةُ ذلك أن المسمّى من المشطور والمنهوك عروضاً هو الضربُ، إذا لا يتنصّف وإذا ثبت ذلك فهي على أربعة أضرب:

الضرب الأول: مطويّ وبيته:

«كم يصبر قلبي ليته ما خلقا» من قطعة هي على خمسة أبيات هكذا.

الضرب الثاني: مطويّ مُذال وبيته:

جــودوا وتــعــطــفــوا عــلــى قــلــب كــئــيــب.

الضرب الثالث: مقطوع وبيته:

وأنــا ري مــن هــذا الــهــوى وأنــاري.

الضرب الرابع: مطوي مشعث مذال، وبيته:

حــالــي بــوصــال ســيّــدي نــعــم الــحــال.

الفصل الثاني:

اعلم أن الزحاف هو التغيير في الأسباب في حشو البيت، فإن كان في العروض أو في الضرب، ولم يلزم فهو أيضاً زحف، وهو مأخوذ من قولهم أزحفَ الرجل بالشهادة، إذا لم يأتِ بها على وجهها، وإنما زوحف الشعر كراهية أن يلزم شيئاً واحداً، فغيّرت ألفاظه ليتصرّف في الأبنية، ويتسع في الكلام، فصارت

(1) هو ابو الحسن سعيد بن سعدة المجاشعي توفي عام (215هـ) وعرف بالأخفش الأوسط، له العديد من التآليف، راجع ترجمته في نزهة الألباء: 184، معجم الأدباء 11 :230,224، وفيات الأعيان 1 :208.

الأبيات المزاحفة أضعافاً كثيرة للأبيات السليمة.

وليسَ يسيرُ الزحافِ من عيون الشعرِ المستقبحةِ، قال ابنُ سلاّم[1]: وهو مثلُ الحولِ والقبلِ واللثغِ في الجارية، وقد يشتهى ويستحسن منه اليسير، فاذا اشتد هجر، وحكي عن أبي عبيدة[2]: هو في الشعر بمنزلة الرخص في الدين، لا يقدم عليها إلا فقيه فلذلك لا يقدم على الزحاف إلا حاذق.

وأما العلّة: فهي اختصاص جزء من أجزاء البيت بما يخالف أجزاء حشوه، منقولاً من علّة البدن، وهي اختلاف مزاجه بالمرض، تقول اعتل أي مرض فهو عليل. ولا أعلّك اللّه أي لا أصابك بعلّة، واعتلّه إذا اعتاقه عن أمر.

والكلام في ذلك باعتبار الجزئين اللذين يبنى منهما الجزء الأول «فعلن» يدخله من الزحاف الإضمار وهو تسكين ثانيه فيصير «فعلْن» كما يدخل في «متفا» من عروض الكامل، وهو من أضمرت في نفسي شيئاً، إذا أخفيته لأن حركته مُضمرة، وإن شئت أظهرتها، قال الشاعر:

أرانا إذا أضمرتك البلا د نُجفى وتقطع منا الرحم

وسمّاه أبو عبد الله بنُ السقاط في عروضه ضمراً، والضَمْر والضَمُر بفتح الضاد مع إسكان الميم، وبضم الضاد مع الميم: الهزالُ وخفةُ اللحم، والضمر أيضاً: الرجلُ الهضيمُ البطنِ، اللطيفُ الجسم، فلعلّه من ذلك واللّه أعلم، ويلزم أول الصدر والعجز في الأكثر كما تقدّم، وبيته:

---

(1) هو محمد بن سلام الجمحي العالم الناقد المشهور كانت حياته بين سنتي (150-231هـ) من آثاره المشهورة «غريب القرآن» و«طبقات الشعراء» و«بيوتات العرب» راجع تاريخ بغداد 5 :327 ونزهة الألباب: 216.

(2) هو معمر بن المثنى من الأعلام المشهورين بحفظ اللغة ومعرفة أنساب العرب، له العديد من المصنفات ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء 19 :161-162 وكانت حياته محصورة بين سنتي (110 ـ 210هـ).

هل من سليم على سقامي يقف ... هل من آس يكف دمعاً يكف

ومثله:

عودوا وجودوا ببرءِ سقمي ... زوروا ما للأنام بعدكم نور

ويدخله «الوقْص» بسكون القاف، وهو مصدر وقصَ الرجلِ إذا اندقّت عنقه، فشبّه المحذوف ثانيه المتحرك بذلك.

وذهب الزّجاج وغيره إلى أنه إنما حذف بعد أن أضمر وبيته في «فعلن» الأول:

لقد وجدوا وهكذا ما وجدوا

وبيته في «فعلن» الذي يتلوه:

والقلبُ مُذْ نأيتم عندكم

ويدخله «الخزلُ» وهو اجتماع الإضمار والطيّ فينقل إلى «فعل».

والطيُّ هو حذفُ الرابع الساكن، مصدرُ طويت الثوبَ إذا عطفته من وسطه. وأصله أن يكون في «مستفعلن» ليأتي في الحرف الوسط منه حسبما هو في العروض في مواضع عدّة كالبسيط والرجز والسريع وغيره.

والخزلُ يرد في «متفاعلن» في الكامل، وأصله أن يكون منه مشبهاً بخزل السنام الذي هو وسط البعير، وهو أن يَدْبَرَ[1] فينقطع منه، وبيته:

خذْ بيد من أودت به الأشواق

ومثله مع وقص «فعلن» الثاني:

قلتُ نعم، قالوا فمن؟ قلت أنا

---

(1) أدبر بالشيء ذهب به، والدبرة: قرحة الدابّة.

ولم أره جاء في «فاعلن» الذي يتلوه.

فجميع ما يدخل «فعلن» من الزحاف ثلاثة أشياء: الإضمار والوقصُ والخزلُ، ولا علّة تدخله، إذا لا وتد فيه، وهو في حشو البيت.

الجزء الثاني «مستفعلن»

أما الذي في حشو البيت فيدخله من الزحاف الخبن وهو حذف الثاني الساكن، فيصير «متفعلن» فينتقل إلى «مفاعلن» كما يدخل أربعة أجزاء من العروض «فاعلاتن» المركّب من سبب خفيف، ووتد مجموع وسبب خفيف، و «فاعلن»، و«مستفعلن» و«مفعولات» وهو مصدر خبنت الثوب إذا أمكنك إرساله بعطفته، وهو أكثر ما يأتي عليه وبيته:

بل هجرهم أماته من أسف لو واصله حبيبه ما ماتا

ويدخله «الطيّ» وقد تقدّم. وهو الذي ادعى المخالف أنه لم يُسمع فوهم فيما توهم فيصير «مستفعلن» فينقل إلى «مفتعلن» وبيته:

ماذا عجب ينكسر القلب به خوفاً وبه ينجبرُ المكسور

ويدخله الخبل: وهو اجتماع الخبن والطي، فيصير «فتعلن» فينتقل إلى «فعلن» كما يدخل من العروض «مستفعلن» مثله المركّب من سببين خفيفين ووتد مجموع[1] وفي «مفعولات» ويسمّى مخبولاً لانه بمنزلة الذي ذهبت يداه وبيته:

اسمع واقبل صحبك التوفيق

ومثله للكاتب الأبرع أبي عبد الله محمد بن حامد الأصبهاني الملقب بعماد

---

(1) وتد مجموع هو جزء من التفعيلة في البيت الشعري عبارة عن متحركين يليهما ساكن مثل: لقد، ضحا.

الدين[1].

كـــفّـــوا عـــنّـــي وفـــكّـــوا رقـــي

وكذلك[2]:

هـيـهـات مـن الـكـدر تـبـغـي الـصـافـي

ويروى من الكدور فلا يكون فيه دليل على الخبل أما الواقع في العروض والضرب فقد تقدّم ذكر ما يدخله من الزحاف والعلل. فجميع ما يدخل في «مستفعلن» الأول ثلاثة أشياء: الخبن والطي والخبل.

وفي الثاني الكائن في العروض والضرب سبعة أشياء: الطيّ والقطع والتشعيث والإذالة والترفيل[3]، والجزء والشطر، أما الطيّ فقد تقدّم بيانه:

وأما القطع فهو حذف آخر الوتد المجموع، وتسكين ما قبله، ويكون من العروض في «فاعلن وفي «مستفعلن» وفي «متفاعلن» وسمي مقطوعاً لقطعك من وتده.

وأما التشعيثُ فهو في اللغة التفريقُ، وفي علم العروض تفريق لأجزاء الوتد من «فاعلاتن» في الخفيف والمجتث خاصة، اختص بهما لخفتهما.

والتشعيثُ التفرّقُ. والشعث انتشار الأمر. يقال لَمَّ اللّه شعثك أي: جمع أمرك المنتثر. والشعثُ أيضاً مصدرُ أشعث وهو المغبر الرأس.

قال الزّجاج في عروضه: بعدما ذكر خلاف العروضيين في كيفية تشعيث

---

(1) أراد به عماد الدين الكاتب الأصبهاني وهو أبو عبيد الله بن محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين، أحد الأدباء المشاهير في النظم والنثر في القرن السادس ولد سنة (519هـ/ 1125م) بأصبهان ونزل ببغداد منذ صغره فتعلم بها وتأدب، ثم رحل إلى دمشق حيث توفي عام (597هـ/ 1201م) له آثار كثيرة من أشهرها «الفتح القسي في الفتح القدسي» و«ديوان رسائل» و«البرق الشامي» وديوان شعر راجع: مرآة الزمان 8 :504، والوفيات 2 :74.

(2) البيت لأبي الفرج بن الجوزي، راجع المدهش: 399 وديوان الدوبيت: 194.

(3) الترفيل: زيادة سبب خفيف مثل متفاعلن زيدت فيه سن بعدما أبدلت نونه ألفاً فصار متفاعلاتن.

«فاعلاتن» والذي عندي مخالفة جميعهم، وهو ما لا يجوز عندي غيره، إن ألف «فاعلاتن» رمي بها فبقي «فعلاتن» فأسكنت العين فصارت «فعلاتن» فنقل إلى «مفعولن» والظاهر من أبي اسحاق أنه لم ير هذا القول لغيره، وقطرب[1] قد سبقه به، قال قطرب: وهو أحسن من حذف حرف الوتد إذ كان القياس ألا تحذف الأوتاد في الزحاف البتة، وإذا كان ذلك كذلك، فإسكان، حرف أخف من حذفه.

قال أبو اسحاق: كان المتحرك قد رأيناه يجوز في حشو البيت، ولم نرَ الوتد يُحذف أوله إلا في أول البيت حيث يدخل الخرم[2] ولا أجده إلا في آخر البيت.

وقد رأينا «فعلن» الذي أصله في السريع قد أسكن مع «فعلن» في قصيدة واحدة قالَ أول الشطر الثاني منه فتتحول (فعولن) إلى (عولن) وتنقل إلى (فعلن) في قصيدة واحدة قال: المرقش[3]:

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

وقد رأينا «متفاعلن» أسكنت التاء فيه فصار «مستفعلن». قال: والدليل أيضاً، وهو طريف جداً ـ أنه ليس حرف متحرك محذوف من بناء الشعر إلا عوض من حذفه لزوم حرف اللين، قال الشاعر:

وردت الإناء كالكودن البالي قياماً على فوار القدر[4]

فآخره «القدري» مفعولن» بغير حرف لين كما جاء في السريع أيضاً بغير حرف لين.

---

(1) محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي المعروف بقطرب من أئمة اللغة والأدب من أعلام القرن الثالث للهجرة من كتبه «معاني القرآن» و«النوادر» راجع وفيات الأعيان 1 :494، بغية الوعاة: 104، الأعلام 7 :95.

(2) الخرم: حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت أو أول الشطر الثاني منه فتتحول (فعولن) إلى (عولن) وتنقل إلى (فعلن).

(3) هو المرقش الأكبر: عوف بن سعد، ترجم له أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني 5 :179-183 والمفضل الضّبي في «المفضليات: 239.

(4) في تحق هلال ناجي قرار القدر.

فعلى ما رآه أبو اسحاق ـ رحمه الله ـ في تشعيث «فاعلاتن» يكون في الضرب الثالث المُذال من العروض الأولى من الدوبيت «مستفعلان» في البسيط، و«متفاعلان» في الكامل. ويسمّى الجزء مذالاً لأنه أذيل فشبّه بالثوب الذي أطيل ذيله، وأما الترفيل فهو زيادة سبب خفيف في آخر وتد مجموع دخل هنا على «مستفعلن» فصار «مستفعلان» كما يدخل في «متفاعلن» في الكامل من العروض فيصير «متفاعلاتن» شبّه بالثوب الذي يرفل فيه، ويقال فرس رفل إذا كان طويل الذنب.

وأما الجزءُ: فهو ذهاب جزئين من النصفين، وسُمّي البيت بذلك مجزوءاً لأنك حذفت من كلٍّ نصف جزءاً واحداً فقط، وهو في أكثر أعاريض العرب، وأما المشطور: فهو ما ذهب شطره، وهو نصفه.

الفصل الثالث:

اعلم أنه قام الدليل على أن الجزءَ الثالث من تام بناء الدوبيت «مستفعلن» بلا ريب، إذ المسموع منه أكثر من أن يُحصى، فمما أنشده العالم أبو الفرج بن الجوزي[1]:

ناحت سحراً حمامة في غُصُنِ ... قد جرَّعها الفراقُ كاس الحزن
تبكي شجناً تلقنته مني ... ما يبكي باكٍ إلا ويروي عني[2]:
مالي شغل سواه مالي شغلُ ... ما يصرف قلبي عن هواه عَذلُ
ما أصنع إن جفا وخاب الأمل ... مني بَدَلٌ ومنه مالي بدل[3]
أبكي زللي وأشتكي آثامي ... في سفك دمي تقدّمت أقدامي
قد جرت فما أبصر ما قدامي ... ما أسرع ما أصاب قلبي الرامي[4]:

(1) ديوان الدوبيت: 197.
(2) المدهش: 211.
(3) ديوان الدوبيت: 196. المدهش: 278.
(4) م. ن: 163 وقافية العجز فيه أسراري.

الحبّ يقول: لا تشع أسراري والدمعُ يسيلُ هاتكاً أستاري
والشوقُ يزيد، لا على المقدار وأناري من هذا الهوى وأناري[1]:
ما أذكر عيشنا الذي قد سلفا إلا رجف القلب وكم قد رجفا
قد كان حلا عيشي حيناً وصفا فالآن زماني قد تقضّى أسفا
كم[2] أصبح والهاً وأمسى قلقاً والحزن وقلبي قل ما يفترقا
من بعد الصفاء عاد عيشي رنقا كم يصير قلبي ليته ما خلقا
قد[3] ذاب من الهمّ وأمسى قلقا يا مالك رقي كم أقاسي الأرقا
فارحم ومر الجفون أن تنطبقا

وأنشد بعضُ أدباء المشرق[4]:

عشاقك ذابوا من لهيب الوجد عدهم بوصال منك قبل البعد
فالقوم إذا عاشوا بحسن الوعد خير لهم من موتهم بالصد
لم[5] يطف لهيب قلبي لما جادا بالوصل ولكن زاده إيقادا
والقبلة مذ صيّرها لي زادا ما قلّ غرامي بها بل زادا
ماذا عجب من الشجاع البطل لا يفزع من سيفٍ ولا من أسل
في الحرب ولا يخشى دنّو الأجل بل يرعد خوفاً من سهام المقل
من[6] عظم محبّة الكئيب العاني يهواك ويخشى آفة السلوان
لكنك مع ما فيك من إحسان لا أحسب فيك عادة الهجران
أهواك وقلبي من عظيم الوجد يخشاك بأن تقبل قول الضد

---

(1) غير مثبت في ديوان الدوبيت.
(2) غير مثبت في ديوان الدوبيت.
(3) غير مثبت في ديوان الدوبيت.
(4) لم يعرف قائله
(5) لم يعرف قائله.
(6) لم يعرف قائله.

من أصبح معروفاً بحسن العهد حاشاه بأن يقتلني بالصد
عذبت فؤاده بطول المطلِ والمطلُ شبيه في الهوى بالقتل
لو أنك تشتهي اجتماع الشمل لاحتلت بحيلة له في الوصل
من ساعة ما هجرتني يا قمر أبلى جسدي البكا والسهر
علمت جفوني كيف تبكي بدم في الشوق وما عندك مني خبر
هذا القمر الراكب في مركبه قد فاق ملاح العصر في منصبه
والحسن يذل منه إذ نمدحه بالحسن ولكن نمدح الحسن به
يا من جعل الحبيب بالتقريب كالبدر لقد خلطت في الترتيب
لا تنسبه إلى سنا البدر وقل ما أشبه نور البدر بالمحبوب
وأقلّه صبري يا كثير العلل وأكثر خوفي يا كثير الوجل
وأشده وجدي يا ضعيف المقل وأضعف قواي يا قوي الحيل
ذا حسنك ما استفاض في الناس سدى خصصت بذاك دونهم منفردا
حسن غلب الناس على عقلهم ما تمَّ حديث في سواه أبدا
بانوا فبقيت بعدهم في أسر في قبضة حزن حاصل في الصدر
ما يعلم ما أكتمه من ضر إلا أحدٌ معذبٌ بالهجر
شكراً لك يا عيناً وفت بالعهد إذ جدت عليهم بدمٍ للبعد
عين ذرفت دمعاً ود في حاجتها الجهد وفوق الجهد
يا عين بم البكا على المفقود قالت بدم الميتم المعهود
يا عين لقد أتيت بالمقصود شكراً لك هذا غاية المجهود
ما مات من الناس قديم الدهر شخص أبداً من الضنى والسهر
أو من مرض - لا ومنير الفجر ما صار من الموتى بغير الهجر
إن قيل فلان جاور الأمواتا من غير صدود قل لهم: هيهاتا
بل هجركم أماته من أسف لو واصله حبيبه ما ماتا
إن كنت تريد العيش طول الدهر تبقى أبداً إلى قيام الحشر

فاعشق رشأً مهفهفاً كالبدر والشرط بأن لا تبتلى بالهجر

وقد استعمل هذا الجزء الثالث مطوياً أيضاً، وهو كثير جداً، أنشد الكاتب الأعرف عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد الأصبهاني، صاحب الخريدة[1] :

الورد على خدك من أنبته والمسك على وردك من فتنه
والقلب على نأيك من ثبته أجمع شملاً هواك قد شتته
الآسى على وردك من سيّجه والقلب على وجهك من هيّجه
أفدي بأبي حسنك ما أبهجه من أعجبه الوصل فما أزعجه
كافورك بالعبير من ضمّخه توقيعك بالعذار من أرّخه
بالمسك على [وردك] من لطخه خط حسن أريد أن ننسخه
الروض بحسن ورده منفردْ والطير على العود مغنٍ غردْ
والجدول في انسيابه مطرد هذا ورد السرور لم لا ترد
يا طائر البان كنوحي نوحي بالسر فما بحت بسري بوحي
من أجل رواحهم بروحي روحي لا مطمع في الحياة بعد الروح
ما كنت أظنهم لعهدي نبذوا قوم تركوني ولقلبي أخذوا
قلبي بزمامه إليهم جبذوا فتّوا كبدي فهي عليهم فلذ
باللّه عرفت ما بقلبي صنعوا خلّوه بنار شوقهم ينصدع
ما لم أر شملي بهم يجتمع ما أحسبني بعيشتي أنتفع
القلب كما عهدتم ذو لهف والجسم كما عهدتم ذو دنف
ما أَعلم مقصودكم من تلفي من بعدكم يا أسفي يا أسفي
أنتم سؤلي فلم منعتم سولي أنتم أملي فقرّبوا مأمولي
مملوككم بمجده المبذول يستعطفكم في دَمِه المطلول

(1) تقدمت ترجمته والخريدة هي خريدة القصر وجريدة العصر. والدوبيت المذكور غير مذكور في ديوان الدوبيت.

ومما أنشده العالم أبو الفرج بن الجوزي - رضي اللّه عنه:

قد كنتُ مع الدنو أخفي وجدي ... لا يعلم غير خالقي ما عندي
حتى هطلت سحب دواعي البعد ... ويلي فبمن على الهوى أستعدي
ما أصنع هكذا جرى المقدور ... الخير لغيري وأنا المكسور
مأسور هوى متيم مهجور ... هل يمكن أن يغير المسطور
أفني عددي عدُّ ليَالي الهجر ... كم أصبر قد قلَّ لديَّ صبري
قد طال عليَّ يا عذولي دهري ... فاليوم يمرُّ بي كألفي شهر
سلمت على النسيم إذ هبَّ صبا ... فارتاح إليه سرُّ قلبي وصبا
يا نجد لقد زدت فؤادي وصبا ... هل يرجع فيك عصر وصل وصبا
كم أحمل جور الرقبا واحربا ... ما يبلغ قلبي [مطلباً] أو أربا
لو كنت بأرض مكة أو بقيا ... ما كنت طلبت غير موت الرقبا

وقد جمع بين تتميم هذا الجزء الثالث وطيّه في بيت واحد وفي بيتين، فمما ورد الجمع بينهما في بيت واحد:

ما أحسن ما قال لنا: لي عذر ... في غيبة وجهي حين لاح الفجر
هذي هي عادة قضاها الدهر ... والفجر إذا ما لاح غاب البدر
شكراً لك يا ليلة وصل وغنا ... ما أطيب بالحبيب ما كنت أنا
ما أحسن ما كنا بها أربعة ... الكأس وشمعتي وحبي وأنا
اليوم يقول - بعد موتي - صبرا ... لو عرّفني كشفت عنه الضرار
لو شئت بأني لا أزور القبرا ... أحييت وصالي وأمت الهجرا
أفدي رشا من بخله حيّاني ... بالطيف، ولا يمسح بالجثمان
كم يبعث طيفه إلى أجفاني ... ولو بذّل طيفه به أحياني
من فرط غرام كامن في الصدر ... لو قدّر لي رؤية ليل القدر
ناديت بها إلى مليك الأمر ... يا ربّ أجرني من عذاب الهجر

ماذا عجب من سيل دمعي الجاري لا ينطق وهو آفة الأسرار

بل أعجب من هذا إذا فاض جرى ماءً وترى منبعه من نار

نام الواشي فطابت الأوقات والعُذّل في هلاكهم راحات

ناموا ومتى ما شعروا أو علموا أو قيل لهم أنا اجتمعنا ماتوا

العشق وسلواني: صحيح ومحال والهجر ووصله حرام وحلال

والعذلُ والأحباب في العشق هما ضدان على القلب خفاف وثقال

ومما ورد فيه الجمع بينهما في بيتين:

عيني دمعت مسرّة بالجمع قالوا: مهلاً ما في البكا من نفع

دع عينك تستغنم منا نظراً ماذا زمن تشغلها بالدمع

زاروا فبكيت فرحة من طرب بالوصل فلاموني لهذا السبب

قالوا لي: دع عينك تلتذبنا بالوصل، ويوم بيننا فانتحب

عاهدت بأن تعود نحو الدنف فادرك رمقي بالوصل قبل التلف

إن رحت على أنك بالعهد تفي فارهن شفتي قبيلةً وانصرف

لا تشك إلى القوم فراغ الصبر واقنع بوعودهم الزهر

والوعد بوصلهم وإن لم يصلوا خير لك من تصريحهم بالهجر

العذُّل لي ما عرفوا من شأني ما أصبح بي من غصص الهجران

يا ليتهم أعدتهم أحزاني أو ليت فراغ قلبهم أعدائي

العذل قوم شغلوا بالعتب لما خلصوا من زفرات الحب

يا ليت فراغ قلبهم للصبّ أوليت بهم ما عنده من كرب

يا من صحب القوم زمان السفر من أين رجعت من وداع القمر

حدّث أذناً قامت مقام النظر ما يطربها فحظها في الخبر

هجرانك والوصل مبيد ومعيد والصدُّ وخده ذميم وحميد

والصبّ وحبّه شقي وسعيد والموت وسلواني قريب وبعيد

يا ربّ جنى عبدك ما يكفيه بالشعر وقد تاب إلى باريه

فاغسل ببياض العفو ما اسودّ له   في الرقعة من ذنوب دو بيتيه

كملَ بحمد اللّه تعالى، وصلّى اللّه على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه.

٤ ـ تقريرات ابن المرحَّل في «الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض».

أ ـ قال أبو بكر القللوسي تلميذُ ابن المرحَّل[1]:

«تنبيه: الخبنُ في فاعلاتن في الضرب والعروض وفاعلن في الحشو قبيحٌ، ولا يجوز في فاعلاتن ولا فاعلن في العروض والضرب لقلّة هذه العروض، ولئلا يلتبس بالعروض الثالثة والضرب الخامس، وذهب شيخنا أبو الحكم إلى منع الخبن في فاعلن الذي قبل العروض والضرب المحذوفين، تبع في ذلك القرطبي ولا قياس يمنعه، ولا قياس يرجعه»[2].

ب ـ وقال في تكملة ضمن كتابه الختام المفضوض «للناس في تجزئة الدوبيت اختلاف جزأه صاحبنا أبو عبد الله الدرّاج[3] : فعلن بسكون فعِلن بتحريك العين، مستفعلن مستفعلن، وجزأه شيخنا أبو اسحاق ابن أبي بكر [التلمساني][4] مستفعلن مستفعلن مسفعلن، وجزأه شيخنا أبو الحكم فعلن متفاعلن فعولن فعلن، وقد فرغنا على القول في هذه التجازي في كتابنا الموسوم بـ «زهرة الظَّرف وزهْرة الطرف» (ط).

وللدوبيت ثلاثة عشر عروضاً، وتسعة وستون ضرباً مستعملة على القياس،

---

(1) تقدمت ترجمة القللوسي في مسرد تراجم تلاميذ ابن المرحل.

(2) مخط «الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض»: 46 .

(3) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الدراج من معاصري ابن المرحل توفي في عام(686هـ) وقد حلاّه صاحب اختصار الأخبار بقوله «الشيخ الفقيه القاضي المحدث» وحلاّه التجيبي بقوله «الفقيه النبيل المفتي القاضي الجليل، أصله من المغرب الأوسط ونشأ كابن المرحل وأبي اسحاق التلمساني بسبتة، ورعاه أبو القاسم العزفي، وهو صاحب كتاب «الامتاع والانتفاع في معرفة أحكام السماع» راجع الوافي بالوفيات 2 :141، برنامج التجيبي: 167 .

(4) هو صهر المترجم به ابراهيم التلمساني وقد سبق الحديث عنه وعن حفيده.

وستة عشر ضرباً على غير قياس، أتينا على تفصيلها في الكتاب المذكور[1]».

جـ - [وكتب في الطُرّة]:

«مالك بن عبد الرحمن الأنصاري عرف بابن المرحل في كتابه الذي سمّاه بـ «الملحة» وهي أصح تجزئة يجزأ بها، إلا أنه لم يذكر «فاعلن» إنما ساق فعلن، ولم يدّع أنه اخترع من أجزاء الكامل، والدليل على أنه اخترع منها ثلاثة أجزاء. . . الخ. صح من زهرة الظرف[2]».

د - [وقال أبو بكر القللوسي ذاكراً شيخه وقوله في معرض الحديث عن مصطلح التسبيغ]: «وأما التسبيغ فمحدث ومنقول من تسبيغ مصدر سبّغت الشيء إذا أطلته يقال: أدرع سابغة أي طويلة، وقول ابن السقاط السبغ خطأ، يدلك على خطئه قوله في الرمل العروض الثانية مجزوءة لها ثلاثة أضرب: ضرب مسبّغ ولم يقل سابغ، فإن الذي اصطلح به إنما هو التسبيغ، والمسبّغ، ووجه العلاقة بينة، فإن الإطالة في الجزء مسبّغ، وقال شيخنا أبو الحكم ضبطه بعضهم مسبغاً بالعين المهملة، قلت وإدخاله تصحيفاً، وإن صحَّ أن مصطلحاً اصطلح له، فوجهه أنه زاد في الجزء حرفاً سابعاً دون التنوين، ويستعمل نكرة ومعرفة، وقياس جمعه تسابيغ بمنزلة تسابيح»[3].

(1) مخط الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض: 68.

(2) مخط «الختام المفضوض»: 68.

(3) مخط «الختام المفضوض»: 137.

الفهارس



1 ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة



2 ـ الأحاديث النبوية الشريفة



3 ـ فهرس الأمثال



4 ـ الأشعار والدوبيت

أ ـ الأشعار

ب ـ الدوبيت

جـ ـ أشطار الدوبيت



6 ـ أسماء الكتب في المنثور

7 ـ فهرس الأعلام والأجناس

أ ـ الأعلام



ب ـ الأجناس والقبائل



8 ـ فهرس البلدان والمواضع



9 ـ المصادر والمراجع

1 ـ المخطوطة

2 ـ المرقونة

3 ـ المطبوعة

4 ـ الدوريات



1 ـ المصادر والمراجع

1 ـ **أبكار الأبكار**: خع رقم 867 ميكروفيلم.

2 ـ **إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين**: أبو عبد الله محمد الهزميري وأخيه عبد الرحمٰن محمد بن تيجلات الهزميري. خع د 1767.

3 ـ **إدراك الأماني من كتاب الأغاني**: عبد القادر السلوي الأندلسي الفاسي خح رقم 2706.

4 ـ **أزهار البستان في طبقات الأعيان**: أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني خزانة عبد الله الترغي طنجة.

5 ـ **أعلام مالقه**: لابن عسكر، وابن خميس خع 1269.

6 ـ **اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار**: عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله خح رقم 106.

7 ـ **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**: محمد بن الطيب القادري الحسني خح 11506.

8 ـ **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر**: للقادري خح 122.

9 ـ **البدر السافر في أنس المسافر**: أبو جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي الأدفوي حـ 2 مكتبة الفاتح بتركيا رقم 4201 معهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة تحت رقم 81 تاريخ.

10 ـ **تأليف في الأدب**: الأمير عبد السلام بن محمد بن عبد الله مخط خح رقم 106.

11 ـ **تأليف في الأدب**: مجهول ـ مخط خح رقم 399.

12 ـ **تحفة الأريب ونزهة اللبيب**: أبو مدين أحمد الفاسي مخط خح رقم 178، 3217 ـ 3369.

13 ـ **الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض**: أبو بكر القللوسي ـ خزانة خاصة.

14 ـ **الدرر المرصعة بأخبار أعيان صلحاء درعة أو كشف الروعة في التعريف بصلحاء درعة**: محمد بن موسى بن ناصر خع 265 ك.

15 ـ **الدرر المكنونة في محاسن اسطبونة**: خزانة محمد المنوني.

16 ـ **رسائل موحدّية**: مؤلف مجهول، مخط خح رقم 4752.

17 ـ **رسالة مالك بن المرحل للأديين ابن الفخار والقبتوري**: خزانة محمد المنوني رقم 395.

18 ـ **رسالتان في الدوبيت**: مالك بن المرحّل الاسكوريال 288.

19 ـ **الرمي بالحصا والضرب بالعصا**: مالك بن المرحل خزانة محمد المنوني رقم 395.

20 ـ **الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض**: أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور، مخط خع رقم 357 ك.

21 ـ **ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب**: أبو القاسم محمد بن إبراهيم المواعيني الإشبيلي مخط خف رقم 2312 ع 364 خح رقم 2647.

22 ـ **سبك المقال لفك العقال**: عبد الواحد بن الطوّاح خح رقم 105.

23 ـ **السحر والشعر**: لسان الدين بن الخطيب خع النسخة (1) 121 D النسخة (ب) D 1295.

24 ـ **سنن المهتدين في مقامات الدين**: أبو عبد الله محمد بن أبي يعقوب يوسف العبدري الشهير بالعبدري خع رقم 1161.

25 ـ **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة**: علي بن عبد الرحمٰن بن هذيل الأندلسي خح رقم 8140.

26 ـ **فتح المتعال في وصف النعال**: أحمد المقري خع رقم 1215 د.

27 ـ **فهرسة العوائد المزرية بالموائد**: محمد بن سعيد المرغيتي خح 285 د.

28 ـ **كتاب في البلاغة**: لمؤلف أندلسي ـ مخطوط خاص.

29 ـ **كناش** لأبي حامد العربي الدمناتي: مخط خح رقم 1952.

30 ـ **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**: عبد القادر السلوي خح رقم 925.

31 ـ **لمح السحر من رُوح الشِّعْرِ وروحِ الشحْرِ**: أبو عثمان سعد بن ليون التجيبي مخط خف رقم 750 خح 12553.

32 ـ **مجموع**: خح رقم (173) يتضمن معشرات مالك بن المرحّل مع مقدّمة بقلمه.

33 ـ **مجموع**: خع رقم 70 ك.

34 ـ **مجموع**: خع رقم 2600 D.

35 ـ **مجموعة أدبية**: مؤلف مجهول خح رقم 5408.

36 ـ **مجموعة أشعار**: مخط خح رقم 10874، 10262، 10457، 5893، 12092.

37 ـ **مجموعة رسائل أدبية وتاريخية**: مؤلف مجهول مخط خح رقم 6082.

38 ـ **المحاضرات والمحاورات**: عبد الرحمٰن السيوطي خح رقم 3755.

39 ـ **مخطوط**: أوله «غاية المرغوب ونهاية المطلوب في سر شمائل المحبوب» أبو محمد عبد الواحد اليوعناني في ملك عبد العزيز الساوري.

40 ـ **المرج النضر والأرج العطر**: محمد بن علي الأسيوطي مخط خح رقم 519.

41 ـ **المعرب المبين لما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين**: محمد بن قاسم بن زاكور خع رقم 40 ج.

42 ـ **معشرات سيد الخلق**: الاسكوريال ـ مجموع رقم 362.

43 ـ **معشرات سيد الخلق**: مالك بن المرحل حع آخر مجموع رقم د 3711.

44 ـ **معشرات مالك بن المرحل**: يتضمن مقدمة لمالك بقلمه خح رقم (173).

45 ـ **المقامة النجدية**: مالك بن المرحل خزانة محمد المنوني رقم 395.

46 ـ **مقيدات وأشعار منوّعة**: أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني مخط خح رقم 11067، 9456.

47 ـ **موطأة الفصيح**: مالك بن المرحل – نسخة خاصة.

48 ـ **الموطأة (نظم فصيح ثعلب)**: مالك بن المرحل ـ خص رقم 21171 ـ 31249.

49 ـ **نظم الفصيح لمالك بن المرحل**: خح ـ 841 ـ 6031 ـ 6618 ـ 7425.

50 ـ **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين الصفدي خع 787 ميكروفيلم.

51 ـ **الوافي في نظم القوافي**: أبو الحسن بن شريف الرندي، خح: 12342 ـ 2298 ـ 2251.

52 ـ **الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى**: مالك بن المرحل الأُسكوريال أول مجموع 362 نسخت عام 742.

53 ـ **الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى**: مالك بن المرحل خع ـ ج 89.

54 ـ **وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي**: بن رشيد السبتي، مجموع خع د 3507 ـ 3597.

55 ـ **نتائج الإحسان ومناهج الصلات الحسان**: المهدي بن محمد الغزال الأندلسي مخط خح رقم 5792.



2 ـ المراجع المرقونة

1 ـ **اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار** عبد السلام محمد بن عبد الله العلوي تحق الكحلي زهراء إشراف د. علاّل العازي، دبلوم الدراسات العليا 1991 ـ 1992.

2 ـ **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**: محمد بن الطيب القادري ـ تحق مارية داري اشراف د. محمد حجي جـ 2 رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ السنة الجامعية 1990 ـ 1991.

3 ـ **بناء القصيدة في القرن الثامن**: د. عبد الحميد الهرامة، رسالة لنيل دكتوراه الدولة ـ تحت اشراف د. حسن الوراكلي ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان.

4 ـ **التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8 هـ/ 14 م**: د. محمد مفتاح ـ اطروحة لنيل دكتوراه الدولة ـ كلية الآداب، الرباط 1980 ـ 1981.

5 ـ **ابن الجيّاب الغرناطي (حياته وشعره)**: علي محمد النقراط، اشراف د. علاّل الغازي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1991، 1992.

6 ـ **حركة الجهاد المشترك في ظل الصلات بين بني الأحمر بغرناطة وبني مرين بفاس (1275 ـ 1375)**: المبروك غنية الأسطى ـ اطروحة ماجستير جامعة الفاتح 1983.

7 ـ **الدر المنظم في مولد النبي المعظم**: أحمد العزفي السبتي تحق فاطمة اليازيدي اشراف د. عباس الجراري دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس 1986. 1987.

8 ـ **ديوان الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض**: محمد بن زاكور الفاسي تحق محمد بن الصغير، إشراف د. علاّل الغازي، دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس، 1988، 1989.

9 ـ **ديوان ابن الصباغ الجذامي**: ابن الصباغ تحق نور الهدى الشريف الكتاني اشراف د. محمد بن شريفة لنيل دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس ـ 1405 ـ 1985.

10 ـ **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**: الشريف السبتي تحقيق محمد الحجوي اشراف د. أمجد الطرابلسي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط.

11 ـ **السحر والشعر**: محمد لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. محمد مفتاح، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحت اشراف د. عبد السلام الهراس ـ كلية الآداب

فاس.

12 ـ **الشاعر الكبير مالك بن المرحل**: عبد الرحمٰن الزياني ـ 1393 ـ 1970 بحث مرقون.

13 ـ **الشعر المغربي في العصر المريني قضاياه وظواهره**: عبد السلام شقور اشراف د. محمد الكتاني دكتوراه الدوله، جامعة محمد الخامس كلية الآداب 1410، 1411، 1989 ـ 1990.

14 ـ **شعر النبويات في عصر بني مرين**: عز الدين السلاوي، رسالة نال بها دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب ـ الرباط.

15 ـ **ظاهرة التورية في الشعر المغربي والأندلسي في القرنين 7 ـ 8 الهجريين**: الحسين رحمون ـ اشراف د. محمد بن شريفة دبلوم الدراسات العليا 88 ـ 89.

16 ـ **فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب**: محمد مسعود جبران رسالة لنيل دكتوراه الدولة ـ تحت اشراف د. عباس الجراري كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس 1997.

17 ـ **أبو القاسم الشريف السبتي الناقد الأديب**: العلمي مبارك، دبلوم الدراسات العليا كلية الآداب الرباط، 1985، 1986.

18 ـ **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**: عبد القادر السلوي، تحقيق عبد الله الياسمي، اشراف د. عزة حسن الرباط، الرباط جامعة محمد الخامس 1987 ـ 1988.

19 ـ **لمح السحر من روح الشعر وروح السحر**: أبو عثمان سعد التجيبي المرّي المشهور بابن ليون تحقيق د. سعيد الأحرش.

20 ـ **مالك بن المرحل أديباً**: رزقي جميلة ـ إشراف د. محمد بن شريفة دبلوم الدراسات العليا ـ جامعة محمد الخامس ـ 1992 ـ 1993.

21 ـ **مالك بن المرحل حياته وشعره**: نجيب الجباري ـ بحث لنيل الإجازة جامعة محمد بن عبد الله السنة الجامعية 1985 ـ 1986.

22 ـ **مذكرات ابن الحاج النميري**: إبراهيم بن الحاج ـ تحق بريمير.

23 ـ **مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة**: علي لغزيوي ـ اشراف د. محمد بن شريفة، الرباط، جامعة محمد الخامس ـ 1989 ـ 1990.

24 ـ **النقد الأدبي بالأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال كتب**

المختارات الشعرية وتراجم الشعراء: آيت الشريف العربي ـ اشراف د. أمجد الطرابلسي لنيل دبلوم الدراسات العليا ـ جامعة محمد الخامس ـ 1989 ـ 1990.

25 ـ **الوافي في نظم القوافي**: أبو الطيب صالح بن شريف الرندي تحقيق محمد الكثوني ـ رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ـ اشراف د. محمد بن شريفه كلية الآداب جامعة محمد الخامس (فرع فاس) 1973 ـ 1974.

26 ـ **الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الأخرى**: مالك بن المرحل ـ تحقيق ربيعة نبويس اشراف د. علاّل الغازي ـ دبلوم الدراسات العليا جامعة محمد الخامس 1991 ـ 1992.

3 ـ المراجع المطبوعة

1 ـ **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**: عبد الرحمٰن بن محمد بن زيدان ـ الرباط، المطبعة الوطنية، 1365 ـ 1946.

2 ـ **آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي**: د. **عبد الحميد عبدالله الهرامة، سوريا، دار قتيبة 1991**

3ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مصر، مكتبة الخانجي، 1394، 1974.

4 ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة (نصوص جديدة لم تنشر)**: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق عبد السلام شقور، المغرب، مؤسسة التغليف والطباعة 1988.

5 ـ **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**: محمد بن القاسم الأنصاري ـ المغرب دار المنصور.

6 ـ **اختصار القدح المعلى في التاريخ المُحّلى**: علي بن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري، مصر، دار الكتب الإسلامية 1400 ـ 1980.

7 ـ **الأدب الأندلسي في عصر الموحدين**: د. حكمة علي الأوسي ـ مصر ـ مكتبة الخانجي ـ لات.

8 ـ **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**: د. أحمد هيكل ـ مصر، دار المعارف ط 6، 1971.

9 ـ **الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)**: مصطفى الشكعة، بيروت، دار العلم للملايين، 1986.

10 ـ **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**: فائز عبد النبي القيسي،

الأردن، دار البشير، 1409، 1989.

11 ـ **الأدب العربي في الأندلس**: د. عبد العزيز عتيق، لبنان دار النهضة العربية، 1976.

12 ـ **الأدب في التراث الصوفي**: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مصر، مكتبة غريب، لات.

13 ـ **الأدب في العصر الأيوبي**: د. محمد زغلول سلام، الإسكندرية منشأة المعارف 1990.

14 ـ **الأدب في العصر الفاطمي**: د. محمد زغلول سلام ـ مصر منشأة المعارف، 1993.

15 ـ **الأدب في العصر المملوكي**: د. محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف 1971.

16 ـ **أدب الكاتب**: عبد الله بن قتيبة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة ط 4، 1982، 1963.

17 ـ **أدب المغاربة والأندلسيين**: محمد رضا الشبيب، مصر، معهد الدراسات العربية العالية، 1960.

18 ـ **الأدب المغربي**: محمد الصادق عفيفي ـ محمد بن تاويت لبنان ـ دار الكتاب اللبناني ط 2 1969.

19 ـ **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**: د. عباس الجراري ـ الرباط مكتبة المعارف ـ 1979.

20 ـ **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصيّة**: أبو عبد الله الشماع، تحقيق د. الطاهر العموري تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب 1984.

21 ـ **أزهار الرياض في أخبار عياض**: أحمد المقري، تحقيق مجموعة من المحققين المغرب، لجنة التراث الإسلامي، 1980.

22 ـ **أساس البلاغة**: أبو القاسم محمود الزمخشري ـ بيروت دار المعرفة 1399 ـ 1979.

23 ـ **الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم**: د. كمال اليازجي، لبنان، دار الجيل 1986.

24 ـ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**: أحمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب 1954 ـ 1955.

25 **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: ابن عبد البر ـ بيروت ـ دار الفكر 1398 ـ 1978.

26. **الأسس الجمالية في النقد العربي**: د. عز الدين إسماعيل، مصر، دار الفكر العربي ط 2، 1968.

27 ـ **أسس النقد الأدبي عند العرب**: د. أحمد أحمد بدوي، مصر، مكتبة نهضة مصر، ط 2، 1960.

28 ـ **الإسلام في المغرب والأندلس**: أ. ليڤي بروفنسال ـ تر. د. السيد محمود عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1990.

29 ـ **الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)**: أحمد الشائب، مصر، النهضة المصرية.

30 ـ **الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)**: د. فتح الله أحمد سليمان، لاب، الدار الفنية، 1990.

31 ـ **الأسلوبية والبيان العربي**: د. محمد عبد المنعم خفاجي، وآخرون، مصر، لبنان، الدار المصرية اللبنانية، 1412، 1992.

32 ـ **أصول المقامات**: د. إبراهيم السعافين، بيروت دار المناهل 1407، 1987.

33 ـ **الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الإعلام**: العباس بن إبراهيم التعارجي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ـ الرباط ـ مطبعة المنصور 1403 ـ 1983.

34 ـ **الأعلام (قاموس تراجم)**: خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، 1980.

35 ـ **أعلام المغرب العربي**: عبد الوهاب بن منصور ـ المغرب، دار المنصور.

36 ـ **الأغاني**: أبو الفرج علي بن الحسن الأصبهاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ بيروت دار الثقافة 1960.

37 ـ **ألف سنة من الوفيات**: ابن قنفذ والونشريس وابن القاضي، تحقيق د. محمد حجي، المغرب، دار المغرب 1396، 1976.

38 ـ **أمالي القالي**: أبو علي إسماعيل القاسم ـ بيروت، دار الآفاق الجديدة.

39 ـ **أمراء البيان**: محمد كرد علي، بيروت، دار الأمانة ط 3 1388، 1969.

40 ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: القفطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ـ دار الكتب 1406 ـ 1986.

41 ـ **أندلسيات**: محمد عبد الله عنان، الكويت، كتاب العربي، 1988.

42 ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس**: علي بن أبي زرع، المغرب، دار المنصور للطباعة 1973.

43 ـ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون هدية العارفين**: إسماعيل البغدادي،

استانبول، 1364 ـ 1945 ـ 1951.

44 ـ **البحث الأسلوبي معاصرة وتراث**: رجاء عيد، مصر، منشأة المعارف، 1993.

45 ـ **برنامج التجيبي**: القاسم التجيبي السبتي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب 1981.

46 ـ **برنامج شيوخ الرعيني**: أبو الحسن الرعيني، تحيق إبراهيم شبوح دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد 1381 ـ 1962.

47 ـ **برنامج الوادي آشي**: محمد جابر الوادي آشي تحقيق محمد محفوظ بيروت دار الغرب الإسلامي 1981.

48 ـ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**: محمد بن محمد (ابن مريم) تحقيق عبد الرحمٰن طالب، الجزائر، ديوان المطبوعات 1986.

49 ـ **بشر بن أبي كبار البلوي (نموذج من النثر الفني المبكر في اليمن)**: د. وداد القاضي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1405، 1985.

50 ـ **بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة**: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مصر ـ مطبعة عيسى الحلبي 1384 ـ 1965.

51 ـ **بلاغة العرب في الأندلس**: أحمد ضيف، مصر، مطبعة مصر، 1342، 1924.

52 ـ **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**: د. منير سلطان، مصر، منشأة المعارف، 1982.

53 ـ **البلاغة والأسلوبية**: د. محمد عبد المطلب، مصر، الهيئة العامة للكتاب، 1984.

54 ـ **البلاغة والأُسلوبية**: هنريش بليث، تر د. محمد العمري، منشورات دراسات سال، 1989.

55 ـ **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**: د. كامل حسن البصير، العراقي، المجمع العلمي العراقي ـ 1407، 1987.

56 ـ **البناء اللفظي في لزوميات المعري**: مصطفى السعدني، مصر، منشأة المعارف، 1990.

57 ـ **بناء النص التراثي (دراسات في الأدب والتراجم)**: د. فدوى مالطي، دوجلاس، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.

58 ـ **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر في عصر ملوك الطوائف**: د. سعد إسماعيل شلبي ـ القاهرة دار نهضة مصر، 1987.

59 ـ **البيان العربي**: د. بدوي طبانه، بيروت، دار العودة ط 5، 1392 ـ 1972.

60 ـ **البيان المُغرب في أخبار المغرب**: ابن عذاري المراكشي ـ بيروت ـ مكتبة صادر ـ 1950.

61 ـ **البيان والتبيين**: أبو عمرو عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.

62 ـ **البنية القصصية في رسالة الغفران**: حسين الواد، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1395، 1975.

63 ـ **تاج العروس من جوهر القاموس**: محمد المرتضى الزبيدي ـ مصر ـ المطبعة الخيرية 1306.

64 ـ **تاج اللغة وصحاح العربية**: للجوهري ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار مصر ـ مطابع دار الكتاب.

65 ـ **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**: أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي، المغرب مطبعة المحمدية.

66 ـ **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)**: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1969.

67 ـ **تاريخ الأدب الأندلسي «عصر الطوائف والمرابطين»**: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة 1962.

68 ـ **تاريخ الأدب العربي**: د. عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين ط 2: 1992.

69 ـ **تاريخ الأدب العربي**: كارل بروكلمان ـ جـ 5 تر رمضان عبد التواب، مصر، دار المعارف ط 2.

70 ـ **تاريخ الأدب العربي (العصر المملوكي)**: د. عمر موسى باشا، لبنان، سوريا، دار الفكر المعاصر، 1409، 1989.

71 ـ **تاريخ الأدب العربي في المغرب**: حنا الفاخوري، بيروت، المكتبة البولسية، 1982.

72 ـ **تاريخ آداب العرب**: مصطفى صادق الرافعي، لبنان، دار الكتاب العربي، 1394، 1974.

73 ـ **تاريخ إسبانية الإسلامية (أو كتاب أعمال الأعلام فيمن يوبع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)**: لسان الدين بن الخطيب، لبنان، دار المكشوف 1956.

74 ـ **تاريخ أفريقية في العهد الحفصي (ق 13 ـ ق 15)**: روبار بزشفيك، تر، حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1988.

75 ـ **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**: د. حسين مؤنس، مصر، المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1406، 1986.

76 ـ **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة**: د. أحمد السعيد سليمان، مصر، دار المعارف، 1972.

77 ـ **تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصيّة)**: محمد الزركشي، تحقيق محمد ماضور، تونس المكتبة العتيقة، 1966.

78 ـ **تاريخ سبتة**: محمد بن تاويت، الدار البيضاء دار الثقافة، 1402، 1982.

79 ـ **تاريخ الفكر الأندلسي**: آنخل جنشالث بالنثيا، تر حسين مؤنس، مصر، مكتبة النهضة المصرية، 1955.

80 ـ **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**: د. عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين، 1386، 1966.

81 ـ **تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**: أبو الحسن البناهي المالقي، بيروت المكتب التجاري للطباعة، لات.

82 ـ **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس (في العصر المريني)**: د. محمد عيسى الحريري، الكويت، دار القلم، 1405 ـ 1985.

83 ـ **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**: د. السيد عبد العزيز سالم، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، 1982.

84 ـ **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (أعمال الإعلام)**: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء دار الكتاب، 1964.

85 ـ **التاريخ المغربي لمدينة سبتة**: إدريس أحمد خليفة ـ المغرب ـ لامط 1408 ـ 1988.

86 ـ **تاريخ النصارى في الأندلس**: د. عُبادة كُحيلة، مصر، المطبعة الإسلامية (الحديثة) 1993.

87 ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**: د. احسان عباس، بيروت دار الثقافة، ط 2، 1398، 1978.

88 ـ **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس**: د. محمد رضوان الداية، لبنان، دار الأنوار، 1388، 1968.

89 ـ **تراجم مغربية من مصادر مشرقية**: جمع د. محمد بن شريفه ـ المغرب ـ مطبعة النجاح الجديدة ـ 1417 ـ 1996.

90 ـ **ترتيب القاموس**: مجد الدين الفيروزآبادي ـ تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ـ بيروت، دار الفكر.

91 ـ **تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي**: أنيس المقدسي ـ بيروت، دار العلم للملايين ط 8 ـ 1989.

92 ـ **التعبير القرآني**: د. فاضل صالح السامرائي، العراق جامعة بغداد، 1986، 1987.

93 ـ **التكملة لكتاب الصلة**: أبو عبد الله القضاعي، تحقيق عزت العطار، مصر، 1956.

94 ـ **تهذيب التهذيب**: لابن حجر العسقلاني ـ الهند ـ دار المعارف النظامية ـ 1325.

95 ـ **توشيح الديباج**: القرافي المالكي ـ تحقيق أحمد الشتيوي ـ بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ 1403 ـ 1973.

96 ـ **تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري**: د. مصطفى عليان عبد الرحيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404، 1984.

97 ـ **الثقافة الإسلامية لكاتب الإنشاء**: د. محمود سعد، مصر، منشأة المعارف، 1988.

98 ـ **جامع القرويين**: د. عبد الهادي التازي ـ بيروت دار الكتاب اللبناني ـ 1973.

99 ـ **الجديد في الأدب العربي**: حنا الفاخوري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1963.

100 ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام بمدينة فاس**: أحمد بن القاضي المكناسي، الرباط، دار المنصور، 1973.

101 ـ **الجغرافية والرحلات عند العرب**: د. نقولا زيادة، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1962.

102 ـ **جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)**: د. فايز الداية، لبنان، دار الفكر 1411، 1990.

103 ـ **جمهرة أنساب العرب**: ابن حزم ـ لأبي محمد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون مصر، دار المعارف ط 4.

104 ـ **جمهرة اللغة**: محمد بن الحسن بن دريد ـ بيروت ـ دار صادر.

105 ـ **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**: علي الجزنائي ـ تر. بيل 1923.

106 ـ **جواهر البلاغة**: السيد أحمد الهاشمي ـ مصر، مكتبة الخانجي.

107 ـ **حازم القرطاجنى ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة**: د. عبد الرحمٰن بدوي، القاهرة لامط 1961.

108 ـ **الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع**: إسماعيل الخطيب، المغرب ـ جمعية البعث الإسلامي، 1406، 1986.

109 ـ **الحضارة الإسلامية في المغرب**: الحسن السائح، المغرب، دار الثقافة 1406 ـ 1986.

110 ـ **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**: د. حسن علي حسن، مصر، مكتبة الخانجي 1980.

111 ـ **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**: مجموعة من الكتاب، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي لبنان ـ المركز لدراسات الوحدة العربية 1998.

112 ـ **الحضارة العربية في إسبانيا**: ليقي بروفنسال ـ تر د الظاهر أحمد مكي، مصر، دار المعارف ط 2، 1405 ـ 1985.

113 ـ **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**: شكيب ارسلان، لبنان، دار مكتبة الحياة، لات.

114 ـ **حول الأدب في العصر السلجوقي**: د. محمد ألتونجي، بنغازي، مكتبة قورينا، 1974.

115 ـ **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**: د. أحمد أحمد بدوي، القاهرة دار نهضة مصر، ط 2، 1979.

116 ـ **دراسات أندلسية**: د. عبد الواحد ذنون طه ـ العراق جامعة الموصل، 1986.

117 ـ **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**: د. أمين توفيق الطيبي، ليبيا، تونس الدار العربية للكتاب، 1984.

118 ـ **درة الحجال في أسماء الرجال**: أحمد محمد المكناسي ـ تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، تونس، مصر، المكتبة العتيقة، دار التراث 1970.

119 ـ **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: ابن حجر ـ بيروت ـ دار الجيل.

120 ـ **الدعوة الموحدّية بالمغرب**: عبد الواحد علام ـ مصر دار المعارف.

121 ـ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**: عبد السلام بن سودة، الدار البيضاء دار الكتاب، ط 2، 1960.

122 ـ **الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الأدب)**: حسن جلاب ـ المغرب ـ منشورات الجامعة.

123 ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**: إبراهيم بن فرحون، تحقيق د. محمد

الأحمدي أبو النور، مصر، دار التراث، 1972.
124 ـ **ديوان البهاء زهير**: أبو الفضل المهلبي ـ مصر ـ المطبعة المنيرية لات.
125 ـ **ديوان أبي تمام**: شرح الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ مصر ـ دار المعارف.
126 ـ **ديوان الدوبيت في الشعر العربي (في عشرة قرون)**: د. كامل مصطفى الشيبي ـ ليبيا ـ كلية التربية بطرابلس 1392 ـ 1972.
127 ـ **ديوان الششتري**: أبو الحسن علي الششتري ـ تحقيق علي سامي النشار، مصر.
128 ـ **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: بيروت ـ دار صادر للطباعة والنشر 1380 ـ 1961.
129 ـ **الذخيرة السنيّة في تاريخ الدولة المرينية**: علي بن أبي زرع الفاسي، الرباط، دار المنصور، 1972.
130 ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: ابن بسام الشنتريني، تحقيق د. احسان عباس ـ ليبيا، تونس ـ الدار العربية للكتاب.
131 ـ **ذكريات مشاهير المغرب (عبد العزيز الفشتالي)**: عبد الله كنون، بيروت، دار الكتاب اللبناني لات.
132 ـ **ذكريات مشاهير المغرب ابن عبدون المكناسي**: عبد الله كنون ـ لبنان ـ دار الكتاب اللبناني لات.
133 ـ **ذكريات مشاهير العرب (26) عبد المهيمن الحضرمي**: عبد الله كنون ـ لبنان ـ دار الكتاب اللبناني.
134 ـ **ذكريات مشاهير المغرب (8) مالك بن المرحل**: عبد الله كنون ـ بيروت مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني.
135 ـ **ذيل الأمالي**: أبو علي القالي ـ بيروت ـ دار الآفاق.
136 ـ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**: محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق د. احسان عباس، محمد بن شريفة (1 ـ 8) المغرب بيروت.
137 ـ **رأي في المقامات**: د. عبد الرحمٰن ياغي، بيروت، المكتب التجاري، 1969.
138 ـ **رايات المبرزين**: أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1973.
139 ـ **رسائل أندلسية**: د. فوزي سعد عيسى ـ الإسكندرية منشأة المعارف ـ 1989.
140 ـ **رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين)**: تحقيق حياة قارة، المغرب، مركز

الدراسات والبحوث الأندلسي بشفشاون، 1994.

141 ـ **رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي**: خلف الغافقي القبتوري، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة ـ الرباط، المطبعة الملكية 1399 ـ 1979.

142 ـ **رسائل ومقامات أندلسية**: د. فوزي سعد عيسى، الإسكندرية منشأة المعارف، 1989.

143 ـ **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**: محمد الشريف السبتي ـ تحقيق محمد الحجوي المغرب ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418، 1997.

144 ـ **الروض المريع في صناعة البديع**: ابن البناء المراكشي، تحقيق رضوان بنشقرون المغرب، دار النشر، 1985.

145 ـ **روضة النسرين في دولة بني مرين**: **إسماعيل بن الأحمر ـ تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ـ المغرب ـ المطبعة الملكية ط 2 1411 ـ 1991.**

146 ـ **ابن زمرك الغرناطي**: أحمد سليم الحمصي ـ بيروت مؤسسة الرسالة ـ 1405 ـ 1985.

147 ـ **سبك المقال لفك العقال**: عبد الواحد بن الطوّاح التونسي، تحقيق محمد مسعود جبران، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1996.

148 ـ **سر الفصاحة**: أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، تحقيق على قوره مصر ـ المطبعة الرحمانية 1350 ـ 1932.

149 ـ **سفينة الشعراء**: محمود فاخوري ـ سوريا ـ مكتبة الثقافة ـ 1394 ـ 1974.

150 ـ **السلطنة الحفصية**: محمد العروسي المطوي، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1986.

151 ـ **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**: محمد بن جعفر الكتاني، المغرب، المطبعة الحجرية بفاس.

152 ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: محمد بن محمد مخلوف، لاب، دار الفكر، لات.

153 ـ **شذرات الذهب**: عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ بيروت ـ المكتب التجاري، لات.

154 ـ **شرح ديوان أبي تمام**: للخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد عبده عزام مصر ـ دار المعارف.

155 ـ **شرح ديوان المتنبي**: أبو البقاء العكبري ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ مصر.

156 ـ **شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني**: أحمد بن الحسين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مكتبة صبيح وأولاده، ط 2، 1381، 1962.

157 ـ **شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة**: حسن الوراكلي ـ المغرب، جمعية البعث الإسلامي.

158 ـ **ابن صارة الشنتريني حياته وشعره**: د. حسن الوراكلي ـ المغرب ـ مطبعة النور ـ 1406 ـ 1986.

159 ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: أبو العباس أحمد القلقشندي ـ مصر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1963.

160 ـ **صفة الصفوة**: ابن الجوزي ـ تحقيق محمود فاخوري دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع 3 ـ 1405 ـ 1985.

161 ـ **الصلة**: أبو القاسم خلف ابن بشكوال، تحقيق عزة العطار الحسيني، القاهرة، 1955.

162 ـ **صلة الصلة**: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ق 3 تحقيق د. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب ـ المغرب ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1413 ـ 1993.

163 ـ **صناعة الكتابة**: فيكتور الكك، أسعد علي، بيروت دار غندور، 1397، 1977.

164 ـ **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية (الأصول والفروع)**: د. صبحي البستاني، لبنان، دار الفكر اللبناني، 1986.

165 ـ **ظهر الإسلام**: أحمد أمين ـ مصر، مكتبة النهضة المصرية، 1962.

166 ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر**: عبد الرحمٰن بن خلدون ـ بيروت، دار الكتاب اللبناني ـ 1968.

167 ـ **عصر الدول والإمارات (الأندلس)**: د. شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، 1979.

168 ـ **عصر الدول والإمارات (الشام)**: د. شوقي ضيف، مصر، دار المعارف 1990.

169 ـ **عصر الدول والإمارات (مصر)**: د. شوقي ضيف مصر، دار المعارف، 1990.

170 ـ **عصر المماليك (الترسل وابن عبد الظاهر)**: د. محمد الحبيب بن الخوجة، تونس مطبعة الترقي، 1375، 1956.

171 ـ **علم الأسلوب (مبادئه واجراءاته)**: د. صلاح فضل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1405، 1985.

172 ـ **علم الدلالة بين النظر والتطبيق**: د. أحمد نعيم الكراعين ـ بيروت المؤسسة الجامعية ـ ط 1413، 1993.

173 ـ **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**: محمد المنوني ـ الرباط ـ دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1397 ـ 1977.

174 ـ **علي الحصري القيرواني**: محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحيى تونس، الشركة التونسية للتوزيع 1974.

175 ـ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر المكتبة التجارية الكبرى 1383 ـ 1963.

176 ـ **عنوان الدراية**: أحمد الغبريني تحقيق عادل نويهض بيروت ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر.

177 ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**: شمس الدين الجزري ـ بشرح برجستر اسر ـ مصر ـ مطبقة الخانجي 1352، 1933.

178 ـ **الغصون اليانعة**: أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي ابن سعيد تحقيق إبراهيم الأبياري مصر دار المعارف بمصر ط 2 1967.

179 ـ **فتح الشكور في معرفة علماء التكرور**: أبو عبد الله الطالب الرتلي، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، بيروت 1401، 1981.

180 ـ **فتح المتعال**: أحمد المقري ـ الهند ـ مطبقة مجلس دائرة المعارف النظامية 1334.

181 ـ **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي**: د. جمعة شيخه، تونس، المطبعة المغاربية 1994.

182 ـ **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي**: الفرد بل، تر. عبد الرحمٰن بدوي بيروت، دار الغرب الإسلامي 1987.

183 ـ **فصول في النقد العربي وقضاياه**: محمد خير شيخ موسى، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1304، 1984.

184 ـ **فن التوشيح**: مصطفى عوض الكريم ـ لبنان دار الثقافة 1974.

185 ـ **فن الرسالة المرابطية بالأندلس**: د. مصطفى الزباخ، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1988.

186 ـ **فن المقامات بين المشرق والمغرب**: د. يوسف نور عوض، بيروت، دار القلم، 1979.

187 ـ **فن المقامات في الأدب العربي**: د. عبد المالك مرتاض، تونس الدار التونسية للنشر 1988.

188 ـ **فن المقامة**: شوقي ضيف ـ مصر، دار المعارف.

189 ـ **الفن ومذاهبه في النثر العربي**: د. شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، ط 5، لات.

190 ـ **فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين**: د. مصطفى الزباخ، المغرب لبنان، الدار العلمية للكتاب، الدار العالمية، 1987.

191 ـ **فهرس ابن غازي**: ابن غازي ـ تحقيق محمد الزاهي الدار البيضاء ـ 1399 ـ 1979.

192 ـ **فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**: عبد الحي الكتاني ـ لبنان، دار الغرب الإسلامي.

193 ـ **فهرس الرصاع**: محمد الأنصاري، تحقيق محمد العنابي تونس ـ المكتبة العتيقة 1967.

194 ـ **في الأدب الأندلسي**: د. جودت الركابي، مصر، دار المعارف ط 2، 1966.

195 ـ **في الأسلوب الأدبي**: على بوملحم، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1968

196 ـ **في التاريخ العباسي والأندلسي**: د. أحمد مختار العبادي، بيروت، دار النهضة العربية، 1972.

197 ـ **فيض العباب وإجالة قداح الآداب**: إبراهيم ابن الحاج النميري ـ تحقيق محمد أحمد بن شقرون، بيروت دار الغرب الإسلامي.

198 ـ **القافية والأصوات اللغوية**: د. محمد عوني عبد الرؤوف ـ مصر مكتبة الخانجي 1977.

199 ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروزآبادي، مصر، مكتبة مصطفى البابي، ط 2، 1371، 1952.

200 ـ **القانون في ديوان الرسائل**: أمين الدين أبو القاسم (ابن الصيرفي) تحقيق أيمن فؤاد سيد، مصر، الدار المصرية اللبنانية 1410 ـ 1990.

201 ـ **قصة الأدب في الأندلس**: د. محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، مكتبة المعارف، 1962.

202 ـ **قضايا الأدب العربي**: مجموعة من الباحثين ـ تونس، الجامعة التونسية ـ سلسلة الدراسات الأدبية 1978.

203 ـ **قضايا النقد الأدبي**: د. محمد زكي العشماوي مصر، دار المعرفة الجامعية.

204 ـ **كتاب ألفناه في علم العروض أو رحلة تحقيق في مخطوط مجهول**: للنديم، تحقيق منجي الكعبي لاب ـ لامط ـ لات.

205 ـ **كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)**: أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1406، 1986.

206 ـ **كتاب غرر البلاغة**: أبو الحسين هلال الصابي، تحقيق د. محمد الديباجي، المغرب، جامعة الحسن الثاني، 1409، 1988.

207 ـ **كتاب المفتاح المنشا لحديقة الإنشا**: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. عبد الواحد حسن الشيخ، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، 1410، 1990.

208 ـ **كشاف مجلة الأندلس**: تر. د. صالح محمد السنيدي، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة 1414.

209 ـ **كشف الظنون**: مصطفى بن عبد الله ـ حاجي خليفة ـ بغداد مكتبة المثنى.

210 ـ **لسان العرب**: محمد بن مكرم ـ بيروت ـ دار صادر.

211 ـ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مصر، مكتبة نهضة مصر، 1381، . 1962.

212 ـ **مجالس ثعلب**: أبو العباس أحمد بن يحيى ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مصر ـ دار المعارف.

213 ـ **مجمع الأمثال**: أبو الفضل أحمد الميداني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت ـ دار الفكر 1393 ـ 1972.

214 ـ **مجموع المتون**: فصيح ثعلب لمالك بن المرحل ط حجرية فاس خع ـ A 80 2987.

215 ـ **محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها**: ليفي بروفنسال، تر محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1951.

216 ـ **مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها**: جمع إبراهيم بن مراد ـ بيروت ـ دار الغرب الإسلامي.

217 ـ **المدخل لدراسة الفنون الأدبية**: مجموعة أساتذة قسم اللغة العربية ـ جامعة قطر، الدوحة، دار قطري بن الفجاءة ط 2 1403، 1983.

218 ـ **المدهش**: أبو الفرج بن الجوزي ـ تحقيق محمد السماوي ـ بغداد ـ لاحط 1348 ـ 1930.

219 ـ **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**: د. عبد الله الطيب، لبنان، دار الفكر ط

2: 1970.

220 ـ **المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا**: أبو الحسن النباهي ـ تحقيق إ. بروفنسال: مصر ـ دار الكاتب المصري ـ 1948.

221 ـ **المرقصات والمطربات**: نور الدين علي بن أبي عمران، بيروت دار حمد ومحيو، 1973.

222 ـ **المزهر في علوم اللغة**: جلال الدين السيوطي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مصر ـ 1361 هـ.

223 ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: ابن فضل الله العمري ـ تحقيق أحمد زكي القاهرة ـ دار الكتب المصرية 1924.

224 ـ **مستفاد الرحلة والاغتراب**: القاسم بن يوسف التجيبي تحقيق عبد الحفيظ منصور ـ ليبيا ـ تونس ـ الدار العربية للكتاب ـ 1395 ـ 1975.

225 ـ **مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة**: أبو الوليد بن الأحمر، تحقيق الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي، 1384، 1964.

226 ـ **المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل**: محمد الافراني تحقيق محمد العمري، المغرب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1418 ـ 1997.

227 ـ **المسلمون في الأندلس (ببليوغرافيا مفهرسة مختارة)**: عبد الرحمٰن بن حمد العكرش، الرياض مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1414.

228 ـ **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس**: تحقيق أحمد مختار العبادي ـ مصر مطبعة جامعة الاسكندرية 1958.

229 ـ **المصادر العربية لتاريخ المغرب**: محمد المنوني، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1404، 1983.

230 ـ **المطرب من مشاهير أولياء المغرب**: عبد الله التليدي ـ المغرب مؤسسة التغليف والطباعة والنشر 1987.

231 ـ **أبو المطرف أحمد بن عميرة (حياته وآثاره)**: د. محمد بن شريفة، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي 1985 ـ 1966.

232 ـ **مظاهر الثقافة المغربية (من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر)**: د. محمد بن شقرون ـ الرباط ـ مطبعة الرسالة 1982.

233 ـ **معالم الكتابة ومغانم الإصابة**: عبد الرحيم بن شيت القرشي، تحقيق محمد حسين

شمس الدين، بيروت دار الكتب العلمية 1408، 1988.

234 ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: عبد الواحد المراكشي تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي مصر ـ ط 7 1978.

235 ـ **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة، بيروت، مكتبة المثنى.

236 ـ **معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع**: أبو عبد الله البكري ـ تحقيق مصطفى السقا القاهرة ـ 1364 ـ 1945.

237 ـ **معجم البلدان** ياقوت الحموي، تحقيق احسان عباس بيروت، دار صادر، دار بيروت 1399 ـ 1979.

238 ـ **معجم البلاغة العربية**: بدوي أحمد طبانة ـ ليبيا الجامعة الليبية 1973.

239 ـ **معجم شيوخ الذهبي**: شمس الدين الذهبي ـ بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق روحيه عبد الرحمٰن السيوفي ـ 1410 ـ 1990.

240 ـ **معجم المعاجم**: أحمد الشرقاوي اقبال، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1407، 1987.

241 ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**: رتبه د. أي ونسنك، ليدن مكتبة بربل 1936.

242 ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة مطابع الشعب، 1378.

243 ـ **المعجم الوسيط**: لجنة من الخالدين ـ مصر، مجمع اللغة العربية.

244 ـ **ابن مغاور الشاطبي (حياته وآثاره)**: تحقيق د. محمد بن شريفه ـ المغرب مطبعة النجاح الجديدة 1415 ـ 1994.

245 ـ **المغرب عبر التاريخ**: د. إبراهيم حركات ـ المغرب الدار البيضاء ـ دار الرشاد الحديثة.

246 ـ **المغرب في حلي المغرب**: ابن سعيد المغربي، تحقيق شوقي ضيف، مصر، دار المعارف.

247 ـ **المغرب والأندلس**: د. مصطفى الشكعة، مصر، دار الكتب الإسلامية، 1407، 1987.

248 ـ **مفردات لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق د. عبد العلي الودغيري المغربي، منشورات عكاظ، 1988.

249 ـ **مفهوم الأدبية في التراث النقدي**: توفيق الزيدي ـ تونس ـ سراس للشنر 1985.

250 ـ **المقتضب من تحفة القادم**: ابن الأبار ـ تحقيق إبراهيم الأبياري القاهرة ـ المطبعة الأميرية 1967.

251 ـ **مقدمة ابن خلدون**: عبد الرحمٰن بن خلدون ـ مصر ـ مصطفى محمد (المكتبة التجارية).

252 ـ **مقدمة في صناعة النظم والنثر**: شمس الدين النواجي، لبنان، مكتبة الحياة، لات.

253 ـ **ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة**: أبو عبد الله محمد بن رشيد السبتي الفهري تحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجه تونس ـ الشركة التونسية للتوزيع 1981.

254 ـ **ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري**: د. مصطفى محمد السيوفي ـ بيروت عالم الكتب ـ 1405 ـ 1985.

255 ـ **المنتقى المقصور**: أحمد بن القاضي تحقيق محمد رزوق المغرف مكتبة المعارف ـ 1986.

256 ـ **من حديث الشعر والنثر**: د. طه حسين، مصر، دار المعارف، لات.

257 ـ **من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم**: د. عثمان موافي، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1994.

258 ـ **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**: حازم القرطاجني، تحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقية 1966.

259 ـ **مواد البيان**: علي بن خلف، تحقيق د. حسين عبد اللطيف، طرابلس الغرب، جامعة الفاتح 1982.

260 ـ **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**: د. شاكر مصطفى ـ بيروت دار العلم للملايين.

261 ـ **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**: نجيب زبيب، بيروت، دار الأمير للثقافة والعلوم، 1415، 1995.

262 ـ **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**: عبد العزيز بن عبد الله ـ ا لمغرب ـ وزارة الأوقاف ـ 1395 ـ 1975 ـ 1981.

263 ـ **موسيقى الشعر**: إبراهيم أنيس ـ مصر ـ الانجلو المصرية ـ 1965 ط 3.

264 ـ **موسيقى الشعر العربي**: محمد شكري عياد ـ القاهرة، دار المعرفة 1968.

265 ـ **الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين**: د. فوزي سعد عيسى، مصر دار المعرفة الجامعية 1990.

266 ـ **النبوغ المغربي في الأدب العربي**: عبد الله كنون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1961.

267 ـ **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس**: علي بن محمد، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1990.

268 ـ **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**: د. حازم عبد الله خضر، العراق، وزارة الثقافة 1981.

269ـ **النثر الفني في العصر العباسي الأول (اتجاهاته وتطوره)**: د. محمد عبد الغني الشيخ، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1988.

270 ـ **النثر الكتابي في العصر الأموي**: د. محمد فتوح أحمد، مصر، مكتبة الشباب، 1989.

271 ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: أحمد المقري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت، دار الكتاب.

272 ـ **النقد الأدبي في المغرب العربي**: د. عبده عبد العزيز قلقيلة، مصر مكتبة الانجلو 1973.

273 ـ **نقد النثر**: بيروت، دار الكتب العلمية 1402، 1982.

274 ـ **نيل الابتهاج**: أحمد بابا التنبكتي، إشراف عبد الحميد الهرامة، ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية.

275 ـ **هدية العارفين**: إسماعيل البغدادي ـ استنبول 1951.

276 ـ **الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى**: محمد بن تاويت، المغرب، دار الثقافة 1404، 1984.

277 ـ **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين الصفدي ـ باعتناء س. دريد رينغ ـ فسباون 1974.

278 ـ **ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين**: محمد المنوني، الرباط، كلية الآداب، 1399، 1979.

4 ـ الدوريات

1 ـ **الأدب المغربي في عصر بني مرين**: عبد الكريم التواتي مجلة دعوة الحق ع ـ 244، 246.

2 ـ **الأعلام الجغرافية الأندلسية**: محمد الفاسي ـ مجلة البيئة ع 3 س 1 ـ 1981 ـ 1962.

3 ـ **إمارة بني العزفي وأوضاع سبتة أيام حكمهم**: إبراهيم حركات مجلة كلية الآداب

بنطوان سبتة التاريخ والتراث. ع 3 س 3 1410 ـ 1989.

4 ـ **برنامج ابن أبي الربيع**: تحقيق عبد العزيز الأهواني مجلة معهد المخطوطات العربية حـ 1.

5 ـ **تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى**: محمد الفاسي ـ مجلة دعوة الحق ع 10 س 3 ـ 1380 ـ 1960.

6 ـ **تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب**: محمد المنوني ـ مجلة البحث العلمي عدد مثنى 14، 15 ـ 1388 ـ 1969.

7 ـ **التجيبي المحدِّث السبتي**: محمد المنتصر الريسوني مجلة كلية الآداب بنعوان ع 3 و س 3 1410 ـ 1989.

8 ـ **التيارات الفكرية في المغرب المريني**: محمد المنوني ـ مجلة الثقافة المغربية ع 5 ـ س 1971.

9 ـ **الحركة الفكرية في سبتة**: عدد خاص ـ مجلة المناهل ع 22 نيابر 1982.

10 ـ **الحياة الأدبية في العصر المريني الأول**: محمد المنوني، مجلة دعوة الحق ع 554.

11 ـ **الخزانة العلمية بالمغرب**: (بمناسبة عيد جامعة القرويين) محمد العابد الفاسي ـ المغرب مطبعة الرسالة ـ 1380 ـ 1960.

12 ـ **ذيل الدوبيت**: د. كامل مصطفى الشيبي، مجلسة المورد (العراق) المجلد 4 ع 1، 1395، 1975.

13 ـ **الرسائل المزاوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي**: محمد مسعود جبران، ندوة التراث المغربي والأندلسي، التوثيق والقراءة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنطوان 1991.

14 ـ **رسالتان في الدوبيت**: تحقيق هلال ناجي، مجلة المورد ع 3 المجلد 4 س 1494 ـ 1974.

15 ـ **ابن رشيد السبتي ورحلته إلى المشرق**: محمد الفاسي ع 2 س 3 ـ 1379 ـ 1959.

16 ـ **الشاعر مالك بن المرحل**: محمد الفاسي مجلة الثقافة المغربية ع 7 س 1972.

17 ـ **عالم من سبتة ابن رشيد ورحلته**: نجاح صلاح الدين القابسي ـ مجلة كلية الآداب تبطوان.

18 ـ **أبو العباس ابن فرتون**: محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب ع 42 س 11 1952.

19 ـ **أبو علي الحسين بن عتيق المؤرخ الأديب**: سعيد أعراب ـ مجلة دعوة الحق ع 4 س

23 ـ 1402 ـ 1988.

20 ـ **قصة الأدب في المغرب**: عبد الله كنون ـ مجلة البينة ع 5 س 1 ـ 1382 ـ 1962.

21 ـ **قصيدة المديح في العصر المريني**: عبد الجواد السقاط، مجلة دعوة الحق ع 227 س 1227، 1989.

22 ـ **مالك بن المرحل أديب المرينيين**: نفيسة بنطالب مجلة الفيصل ع 23 س 1399 ـ ج، چب.

23 ـ **مجموعات مغربية من المدائح النبوية**: محمد المنوني ـ مجلة الثقافة المغربية ع 4 س 1391 ـ 1971.

24 ـ **المعشرات اللزومية**: مالك بن المرحل، تحقيق هلال ناجي مجلة المورد مج (9) ع 4 ـ 1401 ـ 1981.

25 ـ **المقامة النجدية (نص أندلسي جديد)**: محمد مسعود جبران مجلة البحث العلمي المغرب 1994.

26 ـ **من مصادر النقد الأدبي في العصر المريني**: عبد السلام شقور، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ع 1 س 1 1407، 1986.

27 ـ **المولد النبوي في الأدب المغربي**: د. عباس الجراري، مجلة دعوة الحق س 1977.

28 ـ **نشأة الدولة المرينية**: محمد الفاسي، مجلة البينة ع 8 س 1 ـ 1382 ـ 1962.

29 ـ **نظم السير في مدح سيد البشر**: لمالك بن المرحّل تقديم بنعلي محمد بوزيان مجلة دعوة الحق ع 227 س 1989.

الملحق

1 ـ مُصوّرة من «موطأة الفصيح».

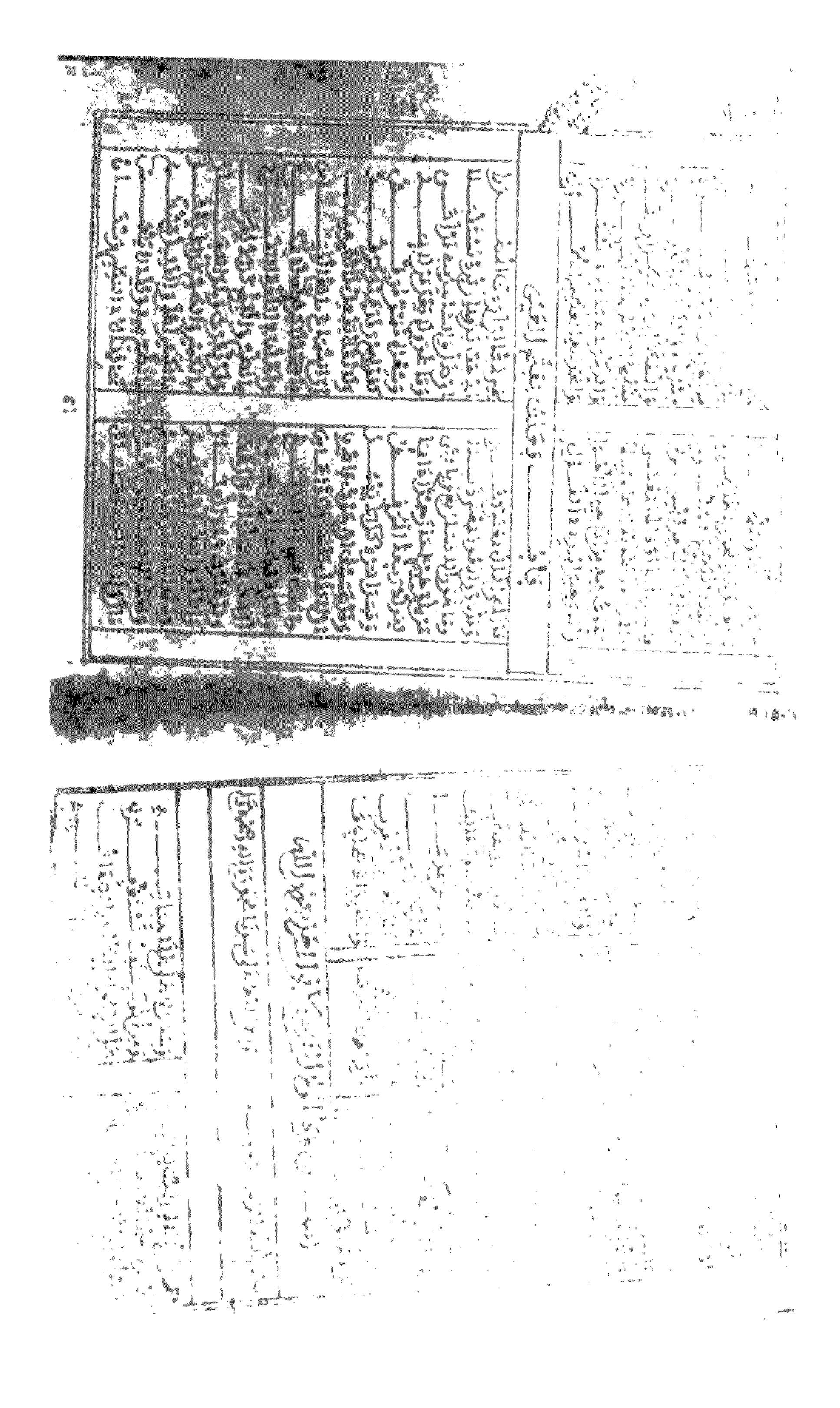
أ- مجموعة المتون الطبعة الحجرية بفاس..

ب ـ مخط (هـ).

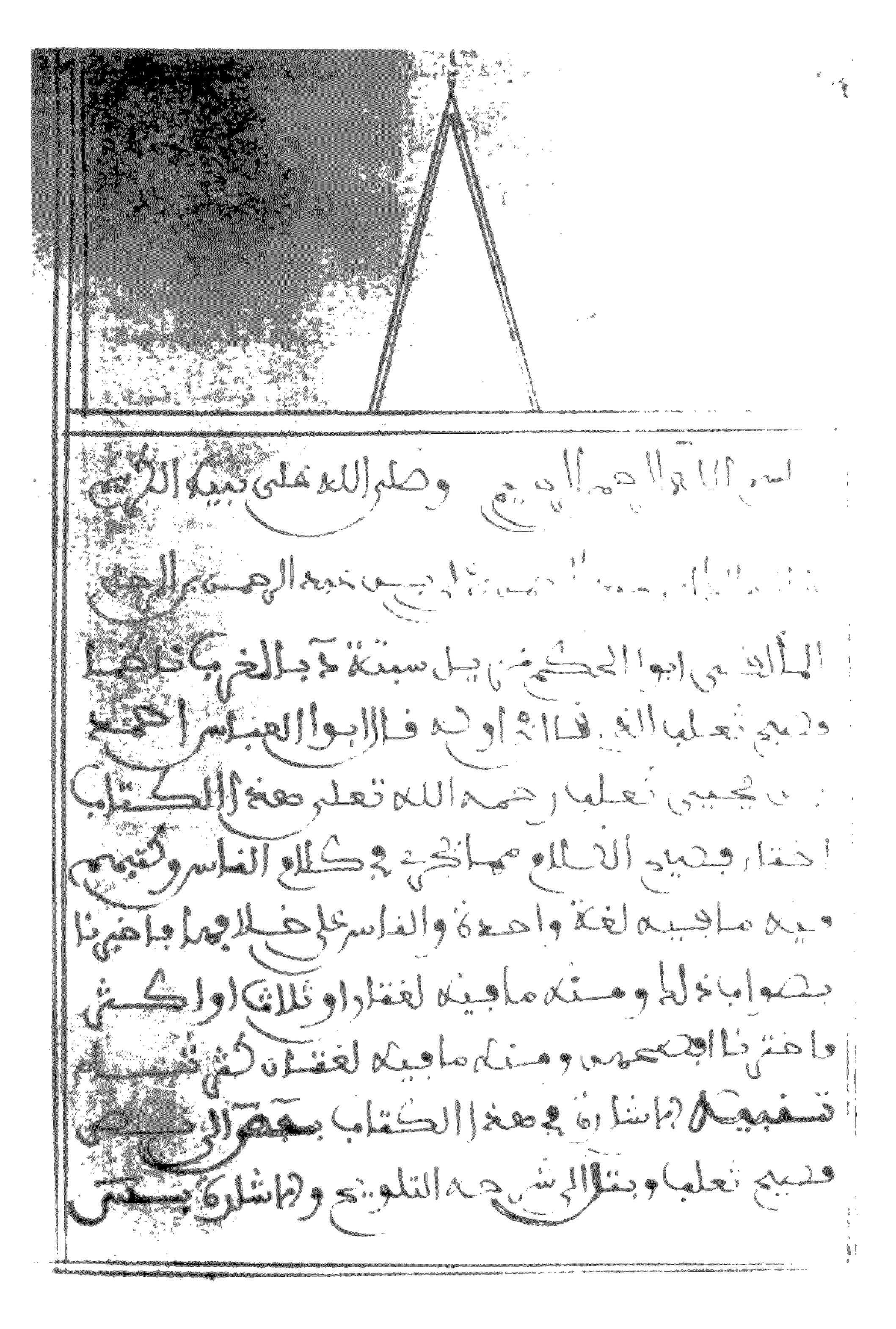
جـ ـ مخط خص.

2 ـ مُصوّرة الدوبيت بمكتبة وخزانة الأسكوريال.

3 ـ مصوّرة المعشرات في سيد الخلق (خع).



1-أ – من مجموع المتون، الطبعة الحجرية بفاس.

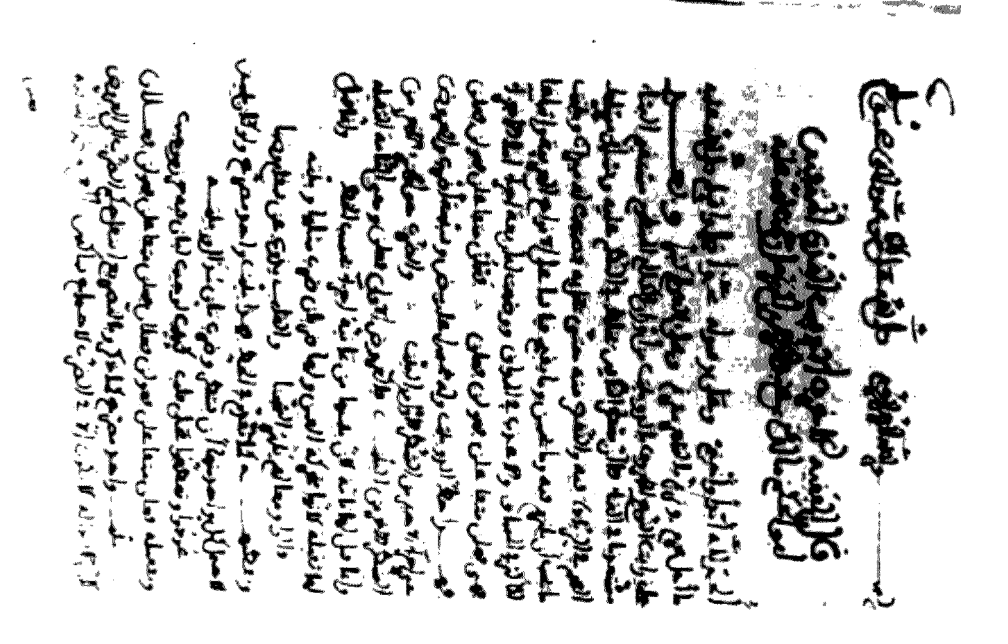


1-ب - مخطوطة الموطأة (هـ)

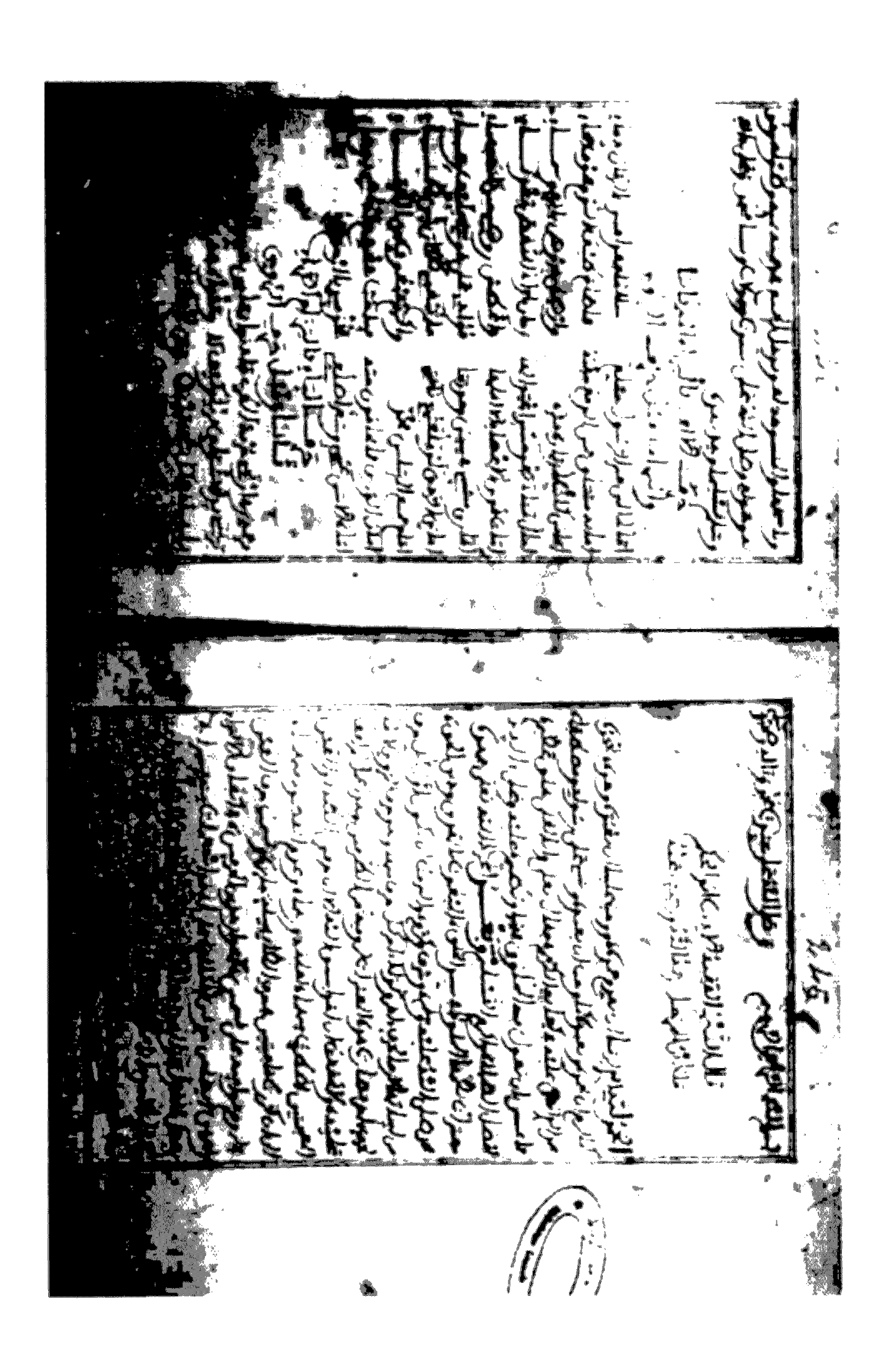
وقد دعوني العود مقتضى بلا | أن جف بعد واردي مستقبلا (1)
وقد غدوني الانسان بغير اقتنى | أن ظن الشاهد فيه قد انتمى
من ينتو فيهم أحار حمد ابهما | ومن غدوى لا يبعد من الإبهام (2)
يقوله ربيعة المرعيش (3) | وشعره منمق مسى مشتمر
وقسم الشيء كذا إذ يقسم | كقولهم رفع فهو ين رفع
وقد عشونا أن رجونا فاعلم | ولا تقل يفعل لا اتصرف
إذ لا تقل يقضي أو لا اغاليم | إن السماع مانع القياس
وقد معتنا (4) عيني وأما انه مع | فاحفظه لا يكن ضمه بالمنع (5)
وقد رعقنا (6) سار وانتم | وأصله في اللغة التقدم
إن عقد في استقباله وإن عقد | بالضم والفتح كذا يقصد
وقد عنهنا (7) وهو العثار | وقد نعون وهو النقار

1-ب - مخطط « الموطأة » (هـ)

1-ج- مخطط «الموطأة» خص.



2-مصورة الدوبيت بالأسكوريال.



3- مصورة المعشرات (خع).

من كتب مؤلف الكتاب ومحققاته

أولا - المطبوعة:

1- أحمد الفقيه حسن حياته وأدبه.

ط 1 الدار العربية للكتاب1975، ط(2) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

2- محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا

ط(1)،1981ط(2) 1996، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية.

3- مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه

ط (1) 1984 المنشأة العامة للنشر والتوزيع ط(2) 2003، دار المدار الإسلامي.

4- أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ماتبقى من آثاره ووثائقه.

ط (1) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية1988

5- سليمان الباروني (آثاره).

ط (1) الدار العربية للكتاب - ليبيا، تونس 1995

6- سبك المقال لفك العقال (تحقيق).

تأليف عبد الواحد بن اللوَّاح، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1995

7- الأستاذ محمد مسعود فشيكه (تقديم وتوثيق).

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا1998

8- أديب العدوتين(مالك بن المرحل) دراسة تحليلية في أخباره وآثاره.

ط (1) المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة،2004

9- فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية).

ط (1) دار المدار الإسلامي، بيروت، ليبيا 2002

10- ديوان الجولات لمالك بن المرحل الأندلسي.

ط(1) دار المدار الإسلامي – بيروت، ليبيا،2003

11- عبد الواحد بن الطوّاح من أعلام الغرب الإسلامي المغمورين.

ط(1) دار المدار الإسلامي 2004

12- علي الفقيه حسن في جهوده العلمية والسياسية

ط(1) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 2004

13- إيضاح المبهم من لامية العجم لأبي جمعة الماغوسي(تحقيق)

ط(1) دار المدار الإسلامي،2004

ثانياً – قيد الإعداد والطبع:

1- محمد عبدالله السُني ترجمته وتحقيق ماتبقى من آثاره.

2- أعلام الحركة الفكرية والأدبية في الغرب الإسلامي (العصر الحديث).

3- ارتسامات الأسفار – كتاب في فن الرحلة.

4- الحركة الفكرية والأدبية في ليبيا (معالم وأعلام)

5- الحركة الفكرية والأدبية في نيجيريا.

6- أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي.

7- أعلام الإسلام (العصر الحديث)

8- جهد المقل (ديوان شعر).



فهرس المحتويات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com